

أحمد الشاذلي
أستاذ مجاز

أحمد خالد
أستاذ مبرز في تعليم النانوي

المنبع في الأدب

مختارات أدبية للامدة السمة الخامسة نانوي والثالثة من دور الترجيح
الجزء الأول "الأدب التوسعي"



أحمد الشاذلي
أستاذ مجاز

أحمد خالد
أستاذ مبرز صفه التعليم الثانوي

التمهيد في الأدب

مختارات أدبية لسلسلة السنة الخامسة من التعليم
الثانوي، والسنة الثالثة من دور الترشيح.

الجزء الأول «الأدب النونسي»

نشر الشركة التونسية للتوزيع

1977

مقدمة

هذا كتاب مدرسي مطابق لبرنامج السنة الخامسة من التعليم الثانوي والثالثة من دور المعلمين وهو يشتمل على قسمين أحدهما تونسي مغربي خصصنا له هذا الجزء الأول ، والآخر مشرقياً احتواه الجزء الثاني. وقد رتبناهما حسب التوجيهات الرسمية ، وحرصنا على أن يكون اختيارنا للتصويع بعيداً عن الارتجال ، مرتباً ترتيباً أساسه التدرج لإبراز معالم الشخصية وخصائص نتاجها الأدبي العام أو أحد أغراضه من الناحية الفكرية والجمالية حسبما يقتضيه البرنامج. ولئن تقلوت مقدار النصوص المختارة من إنتاج الأدباء فإن ذلك يرجع إلى أهمية كل أديب. وكثرة النصوص المختارة لا توجب على الأستاذ أن يشرحها كلها ولمكنها توفر له فرصة لانتقاء ما يراه منها مناسباً للشرح وذلك حسب اختلاف شعب الفصول التي يدرسها.

وحرصاً منا على الموضوعية والجدوى في دراسة الأدب رأينا الأصيل إلى فصل الغرض الواحد في إنتاج الأديب عما سبقه أو لحقه من مراحل الإنتاج والحياة النفسية المساعدة على فهم ذلك الغرض. فالبرنامج ينصّ مثلاً على دراسة زهديات العتاهي فقير ممكن أن تحصل للتلميذ فكرة واضحة عن أبي العتاهية الإنسان الشاعر دون مراعاة خمسين سنة من عمره قضّاها في لهُو ومجون صحبة الفتيان الظرفاء والمُخْتَبِيسِ والمُتَرْفِقِينَ من خلفاء ووزراء. ولذا أيقنا بوجود التمهد للزهديات بأخبار أبي العتاهية في المرحلة الأولى الطويلة من حياته الماجنة وبنماذج من شعر اللهُو ، وبأخبار عن ظروف تزهده ، ثم اخترنا من زهدياته نماذج تضع ذلك الزهد في إطار المُجاهدة النَّفسية التي عاناها الشاعر وإنها لشاهد على مجاهدة الإنسان عموماً وختمنا ملفّ أبي العتاهية بأخبار وآراء نقّاد تدل على اختلاف مواقفهم في زهده.

وراعينا في اختيار النصوص تسلسلها التاريخي كلما أمكننا ذلك كما هو الشأن بالنسبة لمعزيّات ابن هاني مثلاً. وراعينا أيضاً جمالها

الفني وفوائدها الحضارية والإنسانية. وحاولنا وضع المنتخبات في أجوائها التاريخية والسياسية والاجتماعية والثقافية بالتمهيد لها بنصوص قديمة وحديثة تساعد على فهمها ، وحرصنا على أن تكون خالية من الأحكام النقدية المسبقة التي يتلقاها التلميذ في خصوص قيمة الأثر من حيث جماله الفني قبل مباشرة دراسة المنتجبات الأدبية الأصلية ، فتتقيد ذوقه وفكره. ولئن وفرنا عينات من تلك الأحكام فإننا ذبلنا بها النصوص الأصلية حتى تكون آراء النقاد فيها محل نظر بعد الدرس.

ولا يفوت الزملاء أن الغاية من النصوص التمهيدية والتكميلية هي تقديم مادة المطالعة التي يقرأها التلاميذ خارج الفصل ، فيقرأون النصوص التمهيدية قبل شرح النصوص الأصلية ويطالعون بعدها النصوص التكميلية. والحرص على استفادة التلاميذ من مطالعة هذه النصوص جعلنا نثبت في أغلبها الجهاز التربوي الذي أرفقنا به جل النصوص. وإن مطالعتها لتساعد التلاميذ على الفهم والتحضير وتوفر للأستاذ مادة يصلح استغلالها في الفصل. والأنواع الثلاثة من النصوص توفر للتلاميذ مادة للمطالعة يمكنهم استغلالها في الإنشاء والتحليل الأدبي.

وقد اعتمدنا في الاختيار المصادر المحققة المعتمدة علمياً ، وسلكنا طريقة موحدة في دراسة جل النصوص ، فقمنا أولاً بشكلها وإثبات مصادرها ومهدنا لها بمقدمات تضع بعضها في مناسبتها التاريخية وبعضها الآخر في أجوائها العامة ، وشرحنا مفرداتها المغلقة والهامة ، كما عرفنا بالأعلام وبالأماكن والأحداث التاريخية ، ثم أتبعناها بأسئلة حول الشكل والمضمون تثير انتباه التلميذ وتدعوه إلى التأمل في مراكز اهتمامها وخصائصها الفنية فتيسر له طريق الإعداد المنزلي وتهيئة للمشاركة في الفصل ليفيد ويستفيد.

وفي نهاية ترجمة الأديب قدّمنا ثبناً في المراجع التي تمكن التلميذ من التوسع وتثير فيه الرغبة إلى مزيد الاطلاع والاستفادة ، وأتبعنا كل قسم خاص بأحد أدباء البرنامج بمواضيع إنشائية راعينا في

اختيارها التنوع وحصر أبرز جوانب الشخصية والغرض من النواحي الإنسانية والفنية ، وعمدنا في بعضها إلى الموازنة بين شخصيتين أو ثلاث إذا اشتركت في الغرض الأدبي الواحد. وتجدر الإشارة إلى أن بعض المواضيع الإنشائية كانت قد طرحت في دورات متعددة من إمتحان « مؤهل البكالوريا » سابقاً ، وأن البعض الآخر هو من وضعنا.

هذا ولم يغب عنا ما نصّت عليه التوجيهات الرسمية من وجوب المزاوجة في المقالة بين الإنشاء والتحليل الأدبي ، بيد أننا تعمّدنا اجتناب تقديم نماذج على حدة مقترحة للتحليل الأدبي لاعتقادنا أن الأستاذ يجد في الجهاز التربوي المرافق للنصوص من الأسئلة ما يكفيه لطرح مواضيع للتحليل الأدبي ، على أن من حقه حرية التصرف في تلك الأسئلة بالزيادة والنقصان مع التقيّد بالمنهج المعين في التوجيهات الرسمية الخاصة بالتحليل الأدبي.

ومحافظة منّا على روح البرنامج وضعنا الأدب التونسي في صدر الكتاب حتّى ندرك ناشتنا قيمة ذلك الأدب الذي ظل مغموراً على طرفته ، وتعرّف على مدى مساهمة بلاده في بناء صرح الحضارة العربية الإسلامية وخدمة لغتها وتكشف بعض الوجوه اللامعة التي أبتتها تربتها الخصبة ، فأثرت الفكر والذوق وميّزت هذا القطر العربي ، وكان إنتاجها رفداً من روافد الثقافة العربية الإسلامية المتكاملة بمساهمة المشرق والمغرب معاً.

وسعينا ما أمكننا السعي لكي يخرج هذا الكتاب في ثوب جديد تتوفر فيه وسائل الإيضاح والتشويق ، فنرفع بذلك مظلمة سلّطت على الكتاب المدرسي العربي مدة طويلة فتركته ضحلاً في الوسائل التربوية ، فقيراً في تحليته ، يزهد التلميذ في معاشرته. وفتادياً منّا لذلك النقص حرصنا على تحلية الكتاب بخرائط ومسالك وصور بعض المعالم الأثرية ونفائس من روائع الفن التشكيلي الإسلامي في النحت والرسم والحفر والزخرفة والتمنمة لتربط الصلة بين الأدب وبقية الفنون الجميلة والمستظرفة. ولنطلع ناشتنا

على أطلاق من الفن التشكيلي عند المسلمين حتى لا تغترّ بادعاء من ينفي وجود ذلك النوع من الفن في التراث الإسلامي ، ويقول عنه : «إنه تجريدي لا يتجاوز حدود الزخرفة».

وغابتنا القصوى من إطلاع شباننا على بعض تلك النفائس هي أن نغرس فيهم روح الاعتزاز بالتراث التليد والماضي المجيد ، ونرغبهم في الحفاظ عليه وفي إثرائه وتطويره ليواصلوا السير في خدمة الثقافة العربية الإسلامية ذات الأبعاد الإنسانية.

ولا يفوتنا في الختام أن نشكر جميع من شجعنا وساعدنا على ظهور هذا الكتاب الذي كلّفنا جهدا وعناء مدة سنتين. ومع ذلك فنحن لا ندعي العصمة ولا بلوغ غاية الإتقان. ولذلك فنحن نتقبل بكل سرور ملاحظات زملائنا لنستفيد منها.

وهذا الكتاب على علاته لبنة تضاف إلى بناء التأليف المدرسي في بلادنا. ونرجو أن يكون هذا العمل حافزا همم ذوي الكفاءات المؤمنين برسالة التربية والثقافة على «إظهار ما عندهم والقيام بما يلزمهم» كما قال الجاحظ.

ابن هباني

الأندلسي المغربي

(حوالي سنة 322 هـ. الى سنة 362 هـ.)

« وَمَا نَقَمُوا إِلَّا قَدِيمَ تَشْيِيعِي فَتَنَجَسِي هَزَبًا شَدِيدًا الْمُتَدَارِكُ »



مَكْتَبَةُ لِسَانِ الْعَرَبِ

أ. علاء الدين شوقي

رابطہ بدیل
lisanerab.com

www.lisanarb.com



twitter

مکتبۃ لسان العرب



facebook

مکتبۃ لسان العرب



instagram

مکتبۃ لسان العرب



سَرِّحْهُمُ وَتَمَهِّدْ

ابن هاني

هو أبو القاسم محمد بن هاني بن سعدون الأندلسي الإفريقي ، شاعر مشهور عاش في بلاطي بني حمدون امرأء المسيلة والخليفة الفاطمي الرابع المعز لدين الله ويرجع نسبه الى قبيلة الأزد اليمنية المتشعبة لآل البيت منذ نشأ الخلاف الدامي بين علي ومعاوية.

ويقال ان نسبه الإفريقي (التونسي) يرتفع الى امير من جلة امرأء اسرة المهلبين يزيد بن حاتم الذي حكم أفريقية من قبل العباسيين بين سنتي 155 هـ و 171 هـ وامتاز بسياسة حازمة في ارجاع الأمن الى البلاد وتنظيم ادارتها . بيد ان حياة ابن هاني تمثل لغزا حقيقيا. والمعلومات التي أوردتها في خصوصه المصادر السنية والإسماعيلية على السواء تكاد تتعلق فحسب بوظيفته كشاعر مداح في بلاط المسيلة ثم في بلاط المنصورية. وما من شك في ان انتمائه الى فرقة الإسماعيلية هو الذي أحاطه بحجاب من الغموض يصعب كشفه .

ولد الشاعر في اشبيلية زمن الخليفة الأموي الأول الناصر لدين الله بين سنتي 322 هـ و 326 هـ ، ويبدو أن والده التونسي المنشأ المولود في إحدى قرى المهديسة قد استقر باشبيليا بعد ان أقام في قرطبة مدة إعلان الأمير الأموي الناصر الخلافة في بلاد الأندلس وجهر الفاطمي الأول المهدي بالله بنوأياه التوسعية ورغبته في الاستيلاء على عرش قرطبة . ويظهر ان والد شاعرنا - وهو شاعر أيضا - كان من الدعاة المكلفين بنشر الدعوة الإسماعيلية في الأندلس منذ أسست الخلافة الفاطمية سنة 297 هـ. ومهما يكن من أمر فان التكوين الثقافي الذي حصل لابنه الشاب محمد ابن هاني في اشبيليا ثم في قرطبة وألبيرة يحمل طابع التأثير الإسماعيلي الذي ليس من المستبعد أن يكون والده قد طبعه به .

فقد درس محمد بن هاني زمن انتشار النظريات العقلانية التي أذاعها المعتزلة والآراء الماورائية التي بثها ابن مسرّة وهي قريبة من آراء الباطنية الإسماعيلية.

وكانت الاندلس زمنئذ حديثة عهد بخلافة سنية مالكية أقامها الناصر ليتمدّد بها الخلافة العباسية المضمحلّة والخلافة الفاطمية الشيعية الفتية في شمالي افريقيا وكان المذهب المالكي هو السائد في الاندلس وكانت الخاصة والعامة هنالك تمقت الفلسفة وأصحابها وتناوىء كل منحرف عن المالكية. ومن فرط تعصبهم لذهبهم ونفورهم من البدع العقائدية أحرقوا كتب الفيلسوف الأندلسي ابن مسرّة علنا في شوارع قرطبة .

وفي البيرة ثم في اشبيليا معقل بني الحجاج اليمينيين حماسة ابن هاني جاهر هذا الشاعر الشاب بتشيعه للإسماعيلية في وسط مناهاض لبني أمية. ومع ذلك لم يسلم من التبعات والمضايقات سيما بعد ان خضعت اشبيليا وألبيرة للسلطة المركزية بقرطبة رغم وجود بني الحجاج ، ومن أجل ذلك اعتزم ابن هاني الهجرة الى عدوة المغرب حيث سطع نجم الدولة الفاطمية الجديدة خاصة بعد القضاء على ابي يزيد صاحب الجمار .

ويبدو أنّ إجازة ابن هاني الى عدوة المغرب كانت سنة 347 هـ عندما بلغ الجيش الفاطميّ المغرب الأقصى بقيادة جوهر فالتحق الشاعر به ليتغنّى ببطولته ويهجو أعداءه بني أمية.

ومنذ ذلك الحين استهلّ ابن هاني وظيفته كشاعر مدّاح متحمّس للدفاع عن الفاطميين الذين قويت دعوتهم في الغرب والشرق الاسلاميين وظهر للناس داعية اسماعيليا في قريضة .

وعند أميرري المسيلة الأخوين جعفر ويحيى - والأول أخ المعزّ من الرّضاعة - حظي ابن هاني بأحسن استقبال .

وفي بلاط المنصورية حيث لُمع شعراء حافظون منهم الفزاري وابن
الإيادي تميّز ابن هاني بحرصه على الإشادة بفضائل الأئمة والمبالغة في
مدح المعزّ وكانت قصائده السيّارة تنشر العقيدة الفاطمية والنوايا التوسّعية
لأرباب افريقية داخل مملكتهم وخارجها الى قرطبة غرباً وبغداد شرقاً
فيكتسي شعر ابن هاني بهذه الصورة قيمة وثائقية تساعد على معرفة انتشار
سياسة الفاطميين الذين كانوا يحلمون بالإطاحة بملك بني العباس من جهة
وبالسيطرة على الاندلس وإزاحة أعدائهم القدامى من بني أمية عنها
من جهة اخرى .

والى جانب قيمتها التاريخية فإنّ لقصائد ابن هاني في مدح المعزّ
قيمة أدبية رفيعة تجعل ابن هاني في مصف الشعراء العمالقة رغم الأحكام
المغرضة التي أبداها في شأنه المعري في «رسالة الغفران» وابن شرف
القيرواني في «مسائل الانتقاد». ويكفي أن نعلم تحمّسه لمذهبه الإسماعيليّ
لنجد مبرراً لمغالاته في مدح إمامه .

وبعد هذا كله يبقى ابن هاني لغزاً يصعب حلّه نهائياً. حتى ظروف
موته فإنّ الغموض يحيط بها. ولا ندري على الحقيقة هل اغتاله أعداؤه
من بني العباس أم بني أمية أم أنه مات بتخمة بعد أن أكل وشرب وهو
في برقة بطرابلس الغرب. أمّا سنة وفاته فقد اختلف فيها ولكن يمكن
التوصّل الى ضبطها .

يقول ابن خلدون في كتاب العبر وأبو الفداء في تاريخه وابن الأثير
في كامله انّ ابن هاني كان مع المعزّ عندما توجه الى مصر. ولما وصل الى
برقة قتل الشاعر غيلة. ويقول ابن الخطيب في «الإحاطة» انّ ابن هاني
توجه الى مصر ليلحق بالمعزّ الذي كان آنذاك فيها ولما وصل الى برقة
سكر ونام عريانا وكان البرد شديدا فأفلج وتوفي في سنة 361 هـ . ويخالف

هذه الرواية ياقوت الحموي في «معجم الأدباء» إذ يذكر أن الشاعر وجد ملقى في سانية من سواني البلد مخنوقا بتكة سراويله وأن وفاته كانت سنة 362 هـ. ويجمع ابن خلكان في «وفيات الأعيان» بين الروایتين دون أن يستطيع ترجيح احدهما على الأخرى .

ويؤخذ من بيت وارد في القصيد «ما شئت» أن المعز أصبح في مصر - ونحن نعلم أنه انتقل إليها سنة 362 هـ - فلا يمكن ان يكون الشاعر معه في طريقه إليها. ولذلك يستحيل ان يكون ابن هاني قد توفي سنة 361 بل سنة 362 هـ بعيد انتقال المعز الى مصر .

انظر :

(1) «دائرة المعارف الإسلامية» (اللسان الفرنسي) الطبعة الجديدة مقال بقلم فرحات الدشراوي

(2) مقدمة كتاب «تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هاني للدكتور زاهد علي. ط. مصر 1352 هـ

(3) مجلة «الثقافة» مصرية عدد 20 فبراير 1940 «الناحية التاريخية من شعر ابن هاني» الخ ...

مراجع للدراسة ابن هاني

— ديوان ابن هاني :

أ — الدكتور زاهد علي « تبين المعاني في شرح ديوان ابن هاني »
ط. القاهرة 1933

ب — كرم البستاني « ديوان ابن هاني الأندلسي »
ط. بيروت 1952

— الدكتور منير ناجي « ابن هاني الأندلسي — درس وتقدم »
ط. دار النشر للجامعيين 1962

— عارف تامر « ابن هاني الأندلسي متبني الغرب »

سلسلة أعلام الفكر العربي ط. بيروت 1961

— حسن إبراهيم حسن « تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية
وبلاد العرب » ط. القاهرة 1958

— محمد كامل حسين « تاريخ الدولة الفاطمية » ط القاهرة 1958

— الدكتور علي إبراهيم حسن « تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله
الفاطمي » ط. القاهرة 1963

— أحمد أمين « المهدي والمهدوية » ط . القاهرة 1951

العَبِيدِيُّونَ

كان مَبْدَأُ أمرهم أن مُحَمَّدًا الحَيِّبَ بن جعفر المُصَدِّقَ، بن مُحَمَّدِ المكتوم، بن اسماعيل الإمام، بن جعفر الصَّادِقِ، بن مُحَمَّدِ الباقر، بن علي زين العابدين، بن الحسين السَّبْطِ، بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كان مقيمًا بِسَلَمِيَّةَ من أعمال حمص، وكان اهل شيعتهم بالعراق واليَمَنَ وغيرهما يتعاهدونه بالزيارة إذا زاروا قبرَ الحُسين عليه السلام، فلما أدركته الوفاة عهد الى ابنه عبيد الله وقال له : أنت المهديّ وتهاجر بعدي هجرةً بعيدةً وتلقى محنةً شديدةً، وشاع خبر ذلك في النَّاسِ، واتَّصل بالمكتفي خليفة بني العباس ببغداد فطلبه ففرَّ من الشَّامِ الى العراق ثم لحق بمصر ومعه ابنه أبو القاسم غلاماً حَدَثًا وخاصتهُ، وكان أبو عبد الله الشَّيعي قد بعث اليه يُخبره بما فَتَحَ اللهُ عليهم من البلاد الغربيَّة، فعزم على اللُّحوق به، وخرج من مصر الى أفريقيَّة في زيِّ التجار، وسار حتى وصل الى سِجِلْمَاسَةَ من بلاد المغرب، فورد على عاملها كتابٌ بالقبض عليه، فقبض عليه وحبسه هو وابنه أبا القاسم. ولما استفحل أمر أبي عبد الله الشَّيعي، استخلف على أفريقيَّة أخاه أبا العباس وارتحل الى سِجِلْمَاسَةَ فأخرج المهديّ وابنه من الحبس وباع المهديّ، ثم ارتحلوا الى أفريقيَّة ونزلوا رقادة في ربيع سنة سبع وتسعين ومائتين. وبُوع للمهديّ البيعةَ العامَّةَ واستقام أمره وبعث العمَّال على النواحي .

وولّى عهده ابنه (أبا القاسم محمدا) ويقال نزار، وبنى مدينة المهديَّة، وجعلها دار ملكه. ولما فرغ منها صعد على سورها ورمى بسهم في جهة المغرب، وقال : الى هنا ينتهي صاحب الحمار فكان الأمر كذلك. وذلك أنه خرج بالمغرب خارجي اسمه أبو يزيد يُعرف بصاحب الحمارٍ وتبعه النَّاسُ فقصد مدينة المهديَّة يريد فتحها فانتهى الى حيث انتهى سهم المهديّ ثم

رجع من حيث أتى فعظم أمر المهدي . واستولى على فاس ، ودخل ملوكها من الأدارسة تحت طاعته في سنة ثمان وثلاثمائة ، ومهد المغرب ، ودوّخ أقطاره ، وتوفي في ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين لأربع وعشرين سنة من خلافته .

وولي بعده ابنه (القائم بأمر الله أبو القاسم) المتقدم ذكره ، وفي أيامه خرج أبو يزيد صاحب الحمار . وتوفي سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، وكان قد عهد الى ابنه المنصور بالله اسماعيل ، فقام بالأمر بعده ، وكنم موت ابيه فلم يتسم بالخليفة ولا غير السكة والخطبة والبُنود ، وتوفي سلخ رمضان سنة احدى واربعين وثلاثمائة لسبع سنين من خلافته .

وولي الأمر بعده ابنه (المُعزّ لدين الله معمد) فاستقام له الأمر ، وانتَهت مملكته بالغرب الى البحر المحيط ، وافتتح مصر على يد قائده جوهر في منتصف شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، واختط له القاهرة ، ثم قدم المُعزّ الى مصر ، ودخل القاهرة لخمس من رمضان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة .

القلقشندي

« صبح الأعشى في صناعة الإنشاسا »

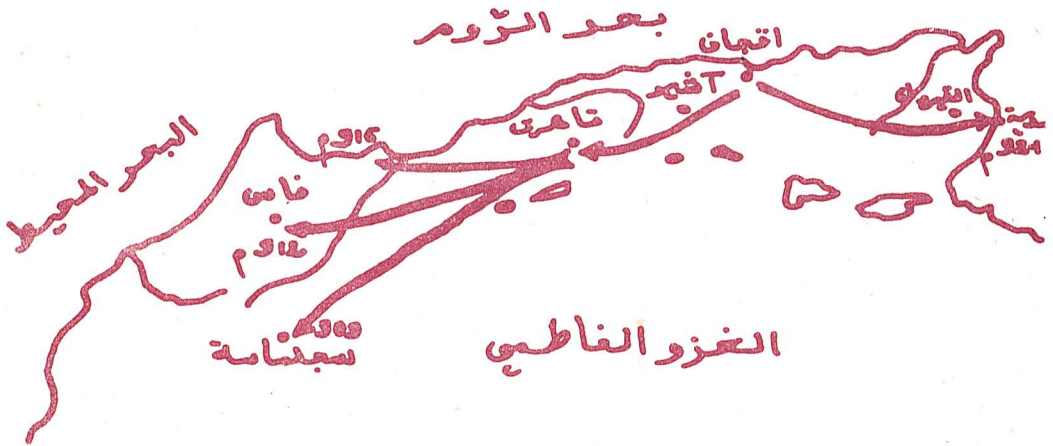
ج 5 ص 122 - 124

نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية مصر

الخلفاء الفاطميون

مرتبة أسمائهم حسب مسدد حكمهم

(934م - 909 / 322 - 297 هـ)	(عبيد الله أبو محمد)	المهدي	1
(945 - 934 / 334 - 322 هـ)	(محمد أبو القاسم)	القائم	2
(952 - 945 / 341 - 334 هـ)	(إسماعيل أبو طاهر)	المنصور	3
(975 - 952 / 365 - 341 هـ)	(محمد أبو تميم)	المعز	4
(996 - 975 / 386 - 365 هـ)	(نزار أبو منصور)	العزیز	5
(1020 - 996 / 411 - 386 هـ)	(المنصور أبو علي)	الحاكم	6
(1035 - 1020 / 427 - 411 هـ)	(علي أبو الحسن)	الظاهر	7
(1094 - 1035 / 487 - 427 هـ)	(محمد أبو تميم)	المستنصر	8
(1101 - 1094 / 495 - 487 هـ)	(أحمد أبو القاسم)	المستعلي	9
(1130 - 1101 / 524 - 495 هـ)	(المنصور أبو علي)	الأمير	10
(1149 - 1130 / 544 - 524 هـ)	(عبد المجيد أبو الميسون)	الحافظ	11
(1154 - 1149 / 549 - 544 هـ)	(إسماعيل أبو المنصور)	الظافر	12
(1160 - 1154 / 555 - 549 هـ)	(عيسى أبو القاسم)	الفائز	13
(1171 - 1160 / 567 - 555 هـ)	(عبد الله أبو محمد)	العاقد	14



أخطارَ وإهمها العبيدِين

بدأ احساس العبيدين بعدم الثبات في افريقية لأول قيام دولتهم، بل في مطالع خلافة عبيد الله المهدي اذ شعر عبيد الله لأول حكومته في افريقية ان الأرض تحت قدميه ليست بالثبات الذي يجب، وتبين في الوقت المناسب أن رجال كتامة لا ينظرون الى دولته على أنها خلافة فاطمية عربية، بل دولة بربرية صرفة ينبغي أن يكون لهم فيها القيد المعلن وعليها اليد الطولى. وكان الداعي أبو عبد الله الشيعي يفهم ذلك حق الفهم ويؤازر رجال كتامة على ادراك اوطارهم في الدولة الجديدة، وأحس عبيد الله حرج مركزه وتأكد ان امره الى ضياع اذا هو استمر في هذا الاعتماد الدائم على أبي عبد الله الداعي وأصحابه الكتامين، ثم أنه وجد نفسه في القيروان و«رقادة» في وسط ينكر دعوته الشيعية ودولته البربرية، وكانت جماعات من صنهاجة قد انضمت اليه ووجد منها إقبالا عليه وإصفاقا على دولته، فاعتمد على هذا التأييد وبدأ سلسلة خطواته التي رمى من ورائها الى التخلص من كتامة فقتل كبيرا من زعمائهم وأوقع الرعب في نفوس الباقين، ثم ثمنى بالتخلص من أبي عبد الله الشيعي وأعقب ذلك بمذابح تخلص بها ممن عارضه من اهل القيروان ورقادة، واطمأن باله نوعا. ثم اراد ان يتعد عن القيروان تماما، فمازال يبحث في نواحي افريقية حتى انتهى الى اختيار هذا الرأس البارز في البحر بين تونس و صفاقس، فأنشأ عليه «المهدية» وانتقل اليها واستقرت امور دولته، وسلط جنده على الارياف فأرهبوهم وملأوا قلوبهم رعباً، حتى اضطر الناس الى ان يبذلوا له الطاعة ويؤدوا اليه الأموال، وثبتت دعائم دولته وزايله الخوف على المصير حيناً.

بيد أن أمره لم يكفد يستقر حتى تبين له خطر أكبر وأشد من أخطار زعماء كتامة وأبي عبد الله الداعي : خطر لا يتمثل في جيوش او ثورات

أو حركات مقاومة وانما في مقاطعة سلبية وإنكار صامت جابهه به أهل افريقية، خطر أتى من هذه المالكية السنية التي كانت قد ثبتت أقدامها في القيروان وغيرها من مدائن افريقية، وأحس عبيد الله ان الناس ينظرون إليه نظرتهم الى كافر، وإلى دعوته على أنها مروق سافر عن الدين. جاهره شيوخ افريقية بإنكار مذهبه وازوروا عنه، وتبعهم في ذلك عامة الناس. ووقفت افريقية كلها موقف معارضة سلبية وعدم تعاون شديد الخطر على كيان الدولة : قاطع الناس قضاتها وعمالها، ورفض من استطاع منهم دفع المال، وأحس عبيد الله الشيعي أنه بين رعية لا تطيقه ولا تقبل عليه، فحاول إرغامها على السير معه بحدّ السيف ، وأراق من الدماء شيئاً عظيماً، فلم يتحول الناس عمّا كانوا عليه، بل نافروا من انضّم إليه من الأحناف ومن أخذ بدعوته و« شرق » - أي أخذ بمبادئ الشيعة - من الفقهاء، فظنّ أنّه يستطيع إقناعهم بالرأي. ولا نزاع في أنّه كان لا يدري تماماً مكان افريقية وفقهائها من العلم، وحسب أنّه اذا ندب بعض الظاهرين من فقهاء مذهبه الشيعي ودعائه لمساجلة شيوخ افريقية لاستطاع لإزامهم الحجّة وتسفيه آرائهم، ومن ثمّ بدأت هذه « المجالس » الفريدة التي دارت المناقشات فيها بين دعاة الشيعة وفقهاء افريقية. وقد احتفظ لنا أبو بكر المالكي في سياق ترجمة أبي سعيد الحداد* بيان مسهب مفصّل عنها، ويعتبر في ذاته وثيقة سياسية فقهية ذات قيمة كبرى، وفي سياق هذه المساجلات تتجلى لنا حقائق هامة تتصل بتاريخ افريقية في عصر العبيدين .

من مقدمة كتاب « رياض النفوس »
لأبي بكر المالكي * تحقيق حسين مؤنس
ج : 1 / ص : 16 م 17 م - ط القاهرة : 1951

الأعلام :

• - أبو سعيد الحدّاد: انظُر ترجمته في نص «بيت الحكمة والحركة العلمية في القيروان»

• أبو بكر عبد الله المالكي الامام الفقيه العالم المؤرخ. أَلف كتاب «رياض النفوس» في طبقات علماء افريقية وزهادها. بقي بالقيروان بعد خرابها سنة 449 هـ .

الإمامية

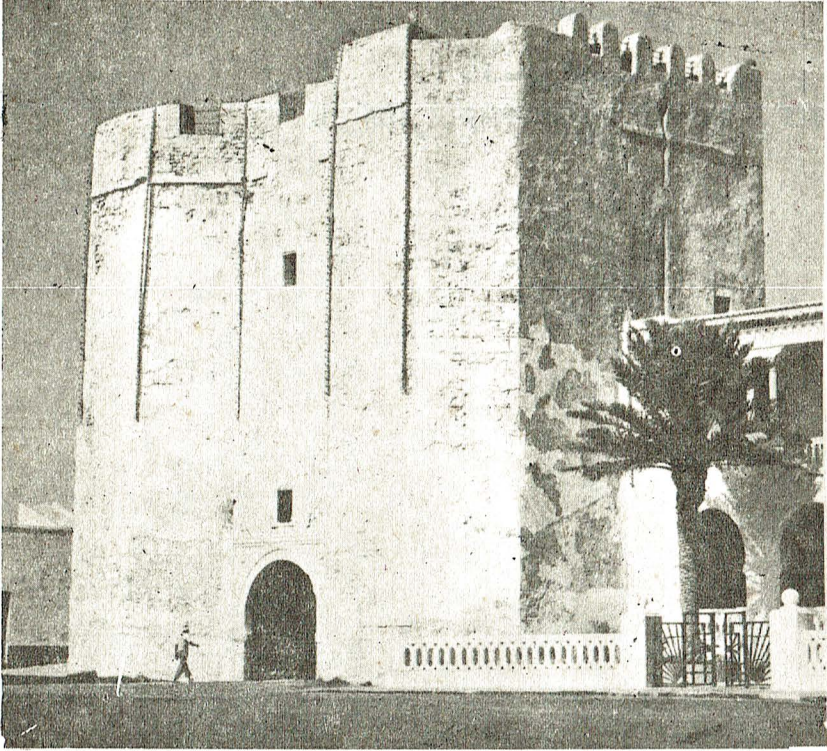
سموا بهذا الإسم نسبةً الى الإمام (الخليفة) لأنهم أكثروا من الاهتمام به وركزوا كثيرا من تعاليمهم حوله، فكانوا يرون أن علياً يستحق الخلافة بعد النبي (ص) لا من طريق الكفاية وحدها، ولا من طريق ما ورد عن النبي (ص) من اوصاف لا تنطبق الا عليه، بل من طريق النص عليه بالاسم، ثم يرون ان الأئمة هم علي وأبناؤه من فاطمة، على التبعين واحداً بعد واحد، وأن معرفة الإمام وتعيينه أصل الإيمان، وإذا كان علي معيناً بالاسم من النبي (ص) فأبو بكر وعمر مقتصبان ظالمان يجب التبرؤ منهما. على حين ان الزيدية أقل منهم تشدداً في ذلك، فإن النبي عندهم عينه بالوصف لا بالشخص، ولذلك لا يتبرؤون من أبي بكر وعمر ولا يغمطونهم حقاً، بل يرون أن خلافتهم صحيحة وان كان علي أفضل منهما، لأن إمامة المفضول جائزة مع وجود الأفضل. وأهم فرق الإمامية «الإثنا عشرية»، وسميت بذلك لأنها تقول باثني عشر إماماً فأولهم الإمام علي ثم ابنه الحسن ثم الحسين الى الثاني عشر وهو محمد المهدي اختفى نحو سنة 260، وسيعود في آخر الزمان فيملاً الأرض عدلاً. وقد كانت الأسرة الصفوية التي حكمت فارس وغيرها من سنة 907 الى سنة 1148هـ، من هذه الطائفة الإمامية الاثني عشرية، واتخذت التشيع وخصوصاً الاثني عشرية مذهب الدولة الرسمي، ولا يزال ذلك الى الآن. ومن الإمامية من قال: إن الإمامة انقلبت بعد جعفر الصادق وهو الإمام السادس الى اسماعيل ابنه لا الى موسى الكاظم، ومن أجل هذا يسمون الاسماعيلية، وقالوا بعد اسماعيل اتت أئمة مستورة، لان الامام يجوز له أن يستتر اذا لم تكن له شوكة وقوة يظهر بها على أعدائه، وانما يظهر دعائه. وظل هؤلاء الأئمة يتداولون الإمامة واحداً عن واحد في ستر وخفاء الى ان جاء عبيد الله

المهدي رأس الدولة الفاطمية، فأظهر الدعوة لما أحس القوة، ومن أجل هذا يسمون أيضا بالباطنية، لأنهم يقولون بالإمام الباطن أي المستور، وقال بعضهم : إنما سموا بالباطنية لقولهم بأن لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل تأويلا . ولا يزال في الهند الى الآن طائفة كبيرة من الإسماعيلية .

أحمد أمين

« ضحى الإسلام »

ط. القاهرة 1949 - ج 3 ص 212 - 213



باب زويلة « المهدية »

تأسيس مدينة المهديّة والمنصوريّة

أقام عبيدُ الله المهدي أول الخلفاء الفاطميين بالمغرب بمدينة القيروان التي أسسها عُقبَةُ ابنُ نافعٍ ، واتخذها حاضرةً لدولته الى سنة 303 هـ، حيث وضع أساس مدينة جديدة سمّاها «المهديّة». وقد عزا البكري بناءَ هذه المدينة الى محاولة أبي عبد الله الشيعي وأخيه أبي العباس ومن معهما من كتامة قتل المهدي والتنكيل بأهل القيروان.

خرج المهدي الى تونس يرتاد لنفسه موضعاً يبيني فيه مدينة حصينة يعتصم بها اذا خرج عليه أحد الخوارج. وقيل انه وجد في بعض الكتب ما يدل على خروج أبي يزيد ابن كسّاد على دولته. ووفق المهدي الى موضع المهديّة، وهي متصلة بالبحر كهيئة كف متصلة بزند، فتأملها، فوجد فيها راهبا في مغارة، فقال له: بم يعرف هذا الموضع؟ فقال هذا يسمى جزيرة الخلفاء. فأعجبتهُ هذا الاسمُ ، فبناها وجعلها دار مملكته.

تقعُ المهديّة على بعد ستين ميلاً جنوبي القيروان. وقد ذكر البكري ان البحر يُحيطُ بها من ثلاث جهات ، وأنه يدخل اليها من الجانب الغربي وقد شيدت مبانيها بالصخر، واتخذَ المهدي لهذه المدينة بابين من الحديد لاَ خشبَ فيهما، زينة كل بابٍ منهما ألفُ قنطارٍ وطوله ثلاثون شبراً، ووزن كل مسمار من المسامير التي استعملت في تركيبه ستة ارطال. ونقش على هذين البابين صور لبعض الحيوانات. وأقيم بها ثلاثة وستون صهريجاً، عدا ما كان يجري فيها من القنوات .

ولم تلبث هذه المدينة أن أصبحت مرفأ هاما وسوقاً نافعةً نافقةً للسِّلَع التي كانت تحملها السفن من الاسكندرية، ومن الشام وصقلية والأندلس وغيرها. ومرسى المهديّة (كما وصفه البكري) منقور في حجر صلد يسع ثلاثين مركباً، على طرفي المرسى بُرجان بينهما سلسلة من

حديده. فإذا أريد إدخال سفينة أرسل حراس البرجيين أحمد طرقي
السلسلة حتى تدخل السفينة ، ثم مدوها كما كانت بعد ذلك لئلا
يطرقها مراكب الروم.

وقد بنى المهدي بمدينة المهدي داراً للصناعة تسع أكثر من مائتي
مركب، وفيها قبوان كبيران مستطيلان لثلاث تناثر آلات المراكب وعددها
بأشعة الشمس أو ماء المطر .

فرغ المهدي من بناء حاضرتة الجديدة في سنة 305 هـ فقال :
« اليوم أمنت على الفاطميات »، يعني بنائه. ثم انتقل إليها في شهر شوال
سنة 308 هـ، وأقام بها، ثم عمر فيها الدكاكين ورتب فيها أرباب المهن،
وجعل لكل طبقة سوقاً خاصاً بها، فنقلوا إليها أموالهم. وكان لهذه
المدينة أرباض كثيرة أهلة عامرة، منها ربض زويلة، وكان أقرب أرباض
المدينة إلى قصره، وفيه الأسواق والحمامات، وربض الحمى، وقد أقام
فيه أجناد أفريقية من العرب والبربر، وربض قفصة.

وقد أمر المهدي ببناء مدينة أخرى بجوار مدينة المهدي، وجعل بين
المدينتين مبدأناً فسيحاً، وأحاطها بسور وأبواب وحراس، وسمّاها
زويلة نسبة إلى إحدى قبائل البربر، وأسكنها أرباب الدكاكين بحرّمهم
وأهاليهم وقال : « إنما فعلت ذلك لأمن غائلتهم، وذلك أن أموالهم عندي،
وأهاليهم هناك. فان أرادوني بكيد وهم بزويلة، كانت أموالهم عندي فلا
يمكنهم ذلك، وان أرادوني بكيد وهم بالمهدية خافوا على حرّمهم هناك،
وبنيت بيني وبينهم سورا وأبواباً. فأنا آمن منهم ليلاً ونهاراً، لأنني أفرق
بينهم وبين أموالهم ليلاً، وبينهم وبين حرّمهم نهاراً » .

ويظهر ان المهدي حذا في ذلك العمل حذو أبي جعفر المنصور حين
نقل أسواق حاضرة خلافته جنوباً إلى الكرخ .

وقد ظلت المهديّة عامرة آهلة بالسكّان حتى أرسل اليها رُودجرُ صاحب صقلية أحد قواده سنة 543هـ، فاضطر واليها الحسن بن علي بن يحيى بن المعز بن باديس الى الهرب. وبقيت هذه المدينة في أيدي الفرنجة حتى قدم عبد المؤمن الى افريقية سنة 555هـ فاستولى عليها.

وقد بقيت مدينة المهديّة حاضرة نلدولة الفاطمية حتى خرج أبو يزيد بن كيداد على الخليفة الفاطمي القائم، وولي ابنه المنصور الخلافة سنة 334هـ وانتصر على ابي يزيد بالقرب من مدينة القيروان، فاتخذ مدينة صبرة القريبة منها حاضرة لدولته سنة 337هـ، فسميت المنصورية نسبة اليه.

وكان لهذه المدينة خمسة أبواب : الباب القبلي، الباب الشرقي، وباب زويلة، وباب كتامة، وباب الفتوح(1). وكان جيوش الفاطميين تخرج من هذا الباب الاخير. وقد نقل الخليفة المنصور الى حاضرتة الجديدة أسواق مدينة القيروان وارباب الصناعات، فازدهرت فيها الصناعة والتجارة، وأصبحت على جانب عظيم من التقدم، وغدت حاضرة الفاطميين الى ان قدم المعز بن المنصور مصر في 7 رمضان سنة 362هـ، فأصبحت مدينة القاهرة حاضرة الدولة الفاطمية.

الدكتور حسن إبراهيم حسن

« تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر

وسورية وبلاد الغرب »

ط. القاهرة : 1958. ص 524 — 526

(1) لاحظ أن بابي زويلة والفتوح بالمهديّة وصبرة المنصورية لهما سميها بالقاهرة المعزية .

العباسي في جامع عقبة بالقيروان

جامع عقبة وهو مسجد القيروان، ومبعلها الكبير الذي وضع أساسه الفاتحون من العرب عقبة بن نافع الفهري وأصحابه في منتصف القرن الاول للهجرة على تقوى من الله وصدق نية.

وقد أقرأ فيه رجال من التسابعين للصحابة منهم «عكرمة» المحدث مولى عبد الله بن العباس، فانه دخل افريقية في زمان بني أمية قبل آخر القرن الاول... ومسا يجدر بالملاحظة ان عكرمة كان في طليعة من أدخلوا النزعة الخارجية الى افريقية اذ كان يرى رأي الخوارج، وعنه انتشرت نحلتهم وآراؤهم في القيروان وفي بقية أنحاء المغرب، ومات عكرمة سنة 105هـ كما هو معروف.

واستمرت العلوم الدينية - من تفسير وحديث - تروى في حلق التعليم بالمسجد الجامع، ولم تكن مذاهب السنة تمحصت بعد ولذا كان أصحاب الآراء المخالفة لها يجتمعون فيه ويتناظرون في مذاهبهم، ويلقون الدروس فيها، ودامت هذه الحال الى اواسط الدولة الأغلبية، يعني الى ان تولى سحنون خطة القضاء بالقيروان سنة 234 هـ وحينئذ منع التدريس به لمن يكن على مذاهب السنة.

اتفقت كلمة المؤرخين وأصحاب الطبقات أن سحنونا كان «أول من فرق أهل البدع من المسجد الجامع وشرد أهل الاهواء منه وكانوا فيه حلقاً من الخوارج صفرية»، وإباضية»، ومعتزلة»، وكانوا فيه حلقاً حلقاً يتناظرون ويظهرون زيغهم، فعزلهم سحنون أن يكونوا أئمة الناس ومعلمين لصبيانهم، وأمرهم الا يجتمعوا فيه، وأدب جماعته منهم بعد ان خالفوا أمره» (على حد قول أبي العرب التميمي في طبقاته).

ومن ذلك الحين تمحض جامع عقبة لتعليم أصول الشريعة لجماعة السنة دون سواهم، واستمرت دراسة العلوم العربية والادبية تدرس به، وكانت الحلق مكتظة بالطلبة من سائر أنحاء افريقية والمغرب والاندلس وحتى من السودان الغربي، على نمط ما نعرفه في الجامع الازهر بالقاهرة وجامع الزيتونة بتونس والقرويين بفاس ...

بيد أنه لما حكم بنو عبيد الفاطميون البلاد وأظهروا نحلتهم الشيعية علانية أمروا بتعطيل تعليم أصول الشريعة على مذاهب السنة، ومنعوا شيوخ القيروان من القاء دروسهم في جامع عقبة اللهم إلا درس اللغة العربية وما ليس له مساس بالعقائد، فركن شيوخ المالكية والحنفية إلى إقراء تلاميذهم تلك العلوم في بيوتهم ودكاكين حرفهم. قال الدباغ « في معالم الايمان » : « كان ربيع القطان المتوفى سنة 333هـ ملتزماً بالإقراء في الحانوت الذي يبيع فيه القطن، وفيه كان يأتيه من يدرس عليه من الطلبة أو من يسأله ويستفتيه ».

ولكن بمجرد نزوح الملوك الفاطميين الى مصر، بعد امتلاكهم إياها، عادت الدراسة السنية الى ما كانت عليه قبل.

والواقع ان جامع عقبة لم يكن بيتاً للصلاة ومعهداً للتعليم فحسب، بل ربما من أخص وظائفه أن كان المركز الكبير للحياة الاجتماعية في البلاد، ففيه كان يعقد الأمراء من اغالبية وصنهاجيين الاجتماعات العمومية لأخذ رأي الامة في الشؤون المهمة التي يعتزمون عليها مثل تجهيز الغزوات البعيدة بقصد اشراك الشعب فيها أو لمناسبة اختيار قضاة الجماعة الى غير ذلك من الأغراض. ومن ناحية أخرى كان الشعب نفسه يعقد فيه اجتماعاته حين يطرق البلاد حادث جليل يمس الصالح العام مثلما حصل عند خروج الثائر البربري الطائر الصيت « مخلد بن كيداد » المنعوت بصاحب

الحمارة، على سلطان بني عبيد، فقد انضم اليه اهل السنة من سكان القيروان بعد ان تجمهروا ألوفاً بالمسجد الجامع وتفاوضوا طويلاً حتى استقر قرارهم على تأييد الثائر، والمشاركة في محاربة الفاطميين سنة 333 هـ فمن الجامع الكبير خرج المقاتلون وزحفوا الى اسوار مدينة المهديّة عاصمة بني عبيد. ولا يفوتنا ان نلمح هنا الى انه يوجد في احدى حجرات هذا الجامع مكتبة أنشئت في عهد الاغلبة كانت عامرة بالمؤلفات القيمة دامت العناية بها الى القرن الخامس، وقد أوقف عليها الامراء والكبراء وسائر الناس في تلك المدة كتباً جليمة عديدة ما بين مصاحف مزخرفة وتصانيف من أهمّات الفقه والحديث واللغة والادب .

ومن حسن الحظ ان وصل الينا قسط كبير من بقايا كتبها المرسومة وكلها على الرق وهي الآن مفخرة دائمة من مفاخر افريقية التونسية بلا نزاع. ومهما يكن من امر فإن هذا المعهد المبارك ما انفك يدرس فيه العلم الاسلامي، وقد اخرج رجالاً يباهي بهم القطر التونسي، بل العالم العربي بأسره طوال اربعة قرون، ابتداء من القرن الثاني، يعني في مدة الامراء المهالبة، والدولة الاغلبية والعبودية والصنهاجية الى ان كانت زحفة بني هلال على افريقية في منتصف القرن الخامس، فحينئذ توقفت حركة التمددين الافريقي بخراب البلاد وتعطيل المعالم فأضاعت القيروان حضارتها اللامعة ونضارتها البديعة، ولم يكن لها ان تدركها بعد.

وانتقلت عقب ذلك بعض وسائل التعليم والرواية والسند الى مدن الساحل التونسي (مثل المهديّة وسوسة وصفاقس) تمثت فيها على مهل وبطء الى اواسط القرن السادس حيث صارت مدينة تونس عاصمة البلاد وكعبتها المقصودة، فانتقلت وقتئذ الحركة العلمية اليها، ولله في خلقه شؤون .

حسن حسني عبد الوهاب *

(ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية) ج 1

مكتبة المنار - تونس 1965

ص 106 - 109 - 114 - 115

الأعلام :

• حسن حسني عبد الوهاب : (1884 - 1968) : أديب ومؤرخ تونسي قدّم خدمات جليلة لإحياء التراث القومي بالتحقيق والدراسة. تقلب في عدة وظائف منها وزارة القلم وراثسة خزنة المحفوظات التونسية وراثسة المعهد القومي للآثار والفنون. شارك في عديد من مؤتمرات الاستشراق في الغرب والمؤتمرات الثقافية في المشرق العربي وعيّن عضواً دائماً في «مجمع اللغة العربية» بالقاهرة سنة 1932 وسيشارك في المجمع العلمي للنقائش والفنون الجميلة بباريس وعضواً في المعهد المصري ، له مؤلفات كثيرة منها «خلاصة تاريخ تونس» ، «مجمّل تاريخ الأدب التونسي» ، «بساط العقيق» ، «شهيرات التونسيات» «ورقات» «كتاب العمر» ، وله أيضاً بحوث ومقالات موزعة في النشريات العلمية باللغتين العربية والفرنسية.

• عُقْبَةُ بْنُ نَافِعِ الْفَهْرِيِّ : وُلِدَ فِي أَوَائِلِ الْهَجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ قَدِمَ إِلَى إفريقية سنة 50 هـ 670 م - في هذه السنة خطط القيروان ثم أخذ في غزو الروم وتشريد البربر ، عاد إلى المشرق 55 هـ - وفي عهد يزيد بن معاوية عاد إلى إفريقية سنة 62 هـ فغزا الجريد والزاب وواصل غزوه حتى بلغ المحيط الأطلسي ، وعند عودته إلى القيروان غدر به الزعيم البربري كُسَيْبِي فِي جَمْعِ غَفِيرٍ مِنَ الْبُرْبُرِ فَظَلَّ عَقْبَةُ يُقَاتِلُ حَتَّى اسْتَشْهَدَ هُوَ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ فِي بَسْكَرَةِ سَنَةِ 64 هـ.

• الْخَوَارِجُ الصُّفْرِيَّةُ : (أتباع زياد بن الأصفر) وافقوا الأزارقة في جميع أقوالهم إلا في عذاب الأطفال. لأن الخوارج الأزارقة قتل مخالفينهم وأطفالهم ، وهذه الفرقة كفرت الأزارقة وكفرتهم الأزارقة.

• الْإِبَاضِيَّةُ : فرقة من الخوارج أجمعت على القول بإمامة عبد الله بن إباح وافتردت فيما بينها عدة فرق يجمعها القول بأن كفار هذه الأمة - يعنون بذلك مخالفينهم من هذه الأمة - براء من الشرك والإيمان ، وإنهم ليسوا مؤمنين ولا مشركين ، ولكنهم كفار. وبعض المبادئ الأخرى.

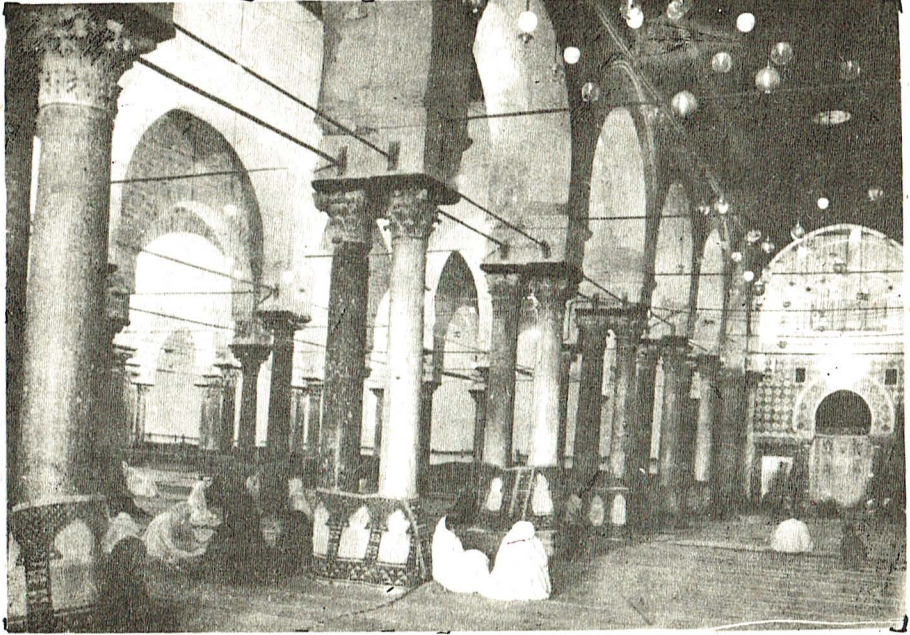
• مُعْتَزِلَةٌ : هي فرقة المعتزلة نشأت في البصرة على يد واصل بن عطاء حين اختلف مع أستاذه الحسن البصري واعتزله ، وأهم أصول الاعتزال خمسة : التوحيد. العدل ، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وللتوسع في الموضوع يمكن الرجوع إلى الجزء الثالث من «ضحى الإسلام» لأحمد أمين.

أبو العرب التميمي (محمد بن أحمد بن تميم بن تمام) ، كان جده تمام من امراء افريقية ، الإمام الفقيه الحافظ المحدث العالم الأديب المؤرخ . من تأليفه طبقات علماء افريقية ومسد حديث مالك وكتاب فضائل مالك وسحنون وكتاب عباد افريقية وغير ذلك بلغت كتبه ثلاثة آلاف وخمسمائة كلها بخط يده . مولده سنة 250 هـ وتوفي في القيروان سنة 333 هـ . انظر محمد بن محمد مخلوف « شجرة النور الزكية في طبقات المالكية » ط . القاهرة 1349 هـ 83 - 84

• عبد الرحمان الدباغ : من علماء القيروان . مولده سنة 605 هـ ، ألف كتابا مفيدا في طبقات من دخل القيروان من الفضلاء منذ دخلها الإسلام إلى زمانه، يقع في مجلدين سماه « معالم الإيمان وروضات الرضوان في مناقب المشهورين من صلحاء القيروان » انظر الوزير السراج « الحلل الستسية » الدار التونسية للنشر سنة 1970 ج 1

أسئلة

1) كيف تبدو لك منزلة المسجد في حياة المسلمين ؟ (2) بين دور مسجد عقبة الجامع في تنشيط الحركة العلمية وتنمية المعارف والعلوم.



جامع القيروان - بيت الصلاة

بَيْتُ الْحَاكِمَةِ وَالْحَرَكَةُ الْعِلْمِيَّةُ بِالْقَيْرَوَانِ

في منتصف القرن الاول للهجرة تمكن العرب من إقامة سلطانهم على البلاد الإفريقية، ولأول وهلة من فتحهم أنشأوا (قيروانهم) فكان لهم في آن واحد مركزا حربيا ومحطا لرحالهم وعيالهم، وقاعدة لبث لسانهم ومبادئ دينهم القويم. ومن القيروان امتد سلطانهم فعم المغرب بأجزائه - تونس والجزائر والمغرب الأقصى - ثم عبر إلى العدو الأروبية فاستقر في الأندلس من ناحية وانتشر إلى السودان من أخرى فأدخل كامل القسارة الإفريقية المعروفة حينئذ في حظيرته.

ومن القرن الثاني للهجرة ابتدأت عناية أبناء مدينتي القيروان وتونس بحمل العلم، فقصدوا موارده بالمشرق كمدينة الرسول والكوفة والبصرة ثم دمشق وبغداد والفسطاط وملأوا من العرفان وطابهم (1) وعادوا بعد حين إلى وطن ولادتهم لبث ما لديهم بين أبناء جلدتهم (2).

ونبع من بين الرعيل الأول أفذاذ مبرزون وصلوا بالعلم التشريعي إلى أقصى درجات البحث والاستنباط والتخريج مثل (علي بن زياد) * تلميذ مالك ودفين تونس و(أسد بن القرات) * صاحب مالك وأبي يوسف و(سحنون بن سعيد) محدث المدرسة المالكية الإفريقية وسواهم كثير.

وما كان اشتغال أفراد هذه الحلبة بادية بدء بالحديث والفقهاء (والحقوق) إلا لمس حاجة العالم الإسلامي حين ذاك لتنظيم هيئته الاجتماعية وتبدير سياسته الشرعية على أصول نظام الدين.

ولما تمهدت وسائل التشريع وأبحاثه اتجهت الطبقة التالية إلى العلوم العقلية والرياضية ويرجع الفضل في ظهور هذه الحركة الجديدة إلى رجلين يجب ذكر اسميهما بكل تقدير واحترام اعني (اسحاق بن عمران) * الذي أشاع الفلسفة في القيروان وفسر غامضها كما نشر علم

الطب وما يتفرع عنه من فنون الحكمة والصيدلة ، والثاني هو الأديب الكبير والكاتب البليغ (أبو اليسر ابراهيم الشيباني) * حامل لواء الرواية للأدب والترسل العربي .

وقد ساعد الامراء الاغالبية على ظهور هذه الحركة العقلية المباركة وعلى نشرها بتأسيس أول جامعة افريقية للعلم والترجمة وبث المبادئ الرياضية في الاوساط وهي (بيت الحكمة القيرواني بقيادة) الذي ترأسه أبو اليسر الشيباني (حدود سنة 265 هـ).

وقد جلب اليها الاغالبية نفائس الكتب من أطراف العالم العربي : من العراق والشام ومصر كما ألحقوا به من بعد ثلثة من القسيسين المسيحيين استمذموهم من صقلية التابعة يومئذ لملكهم ، فانكبت تلك النخبة على ترجمة مؤلفات يونانية ولاطينية في شتى الموضوعات من فلسفة وتاريخ وجغرافية وطب ونبات . والمؤكد ان من ضمنها قسدا من مصنف (بلنيوس الكبير PLINE L'ancien) (*) في معنى التاريخ الطبيعي المتعلق بالحيوان والنبات كما أشار اليه الوزاني المراكشي(*) في تعريفه بأقطار المغرب وكانت هذه الترجمات تتم بمعرفة رجال افريقيين متضلعين في العربية.

وانقرضت دولة بني الأغلب التميميين وامتلك عبيد الله المهدي افريقية وحل هو ورجاله في قصور رقادة ودورها وقد اتخذ داعيه الكبير (أبو عبد الله الصنعاني) «بيت الحكمة» محلا لمجالس الدعوة الاسماعيلية ومناظرة علماء السنة القيروانيين ومن حسن الحظ ان نقل الينا الاخباريون صورة واقعية لمجالس الجدل الدائرة بين الطرفين وهي نحو الاربعين مجلسا تقع مرة في كل اسبوع يستدعي لها مشاهير المتكلمين من أهل القيروان ويدور جدالها حول مفهوم بعض النصوص الدينية في العقائد وخصوصا في مسألة الامامة والتفضيل يعارض كل فريق بما اوتي من بيان وحجة .

وكان لشيخ السنة المتكلم القيرواني المشهور (أبي عثمان سعيد الحداد) الظهور الكامل في الرد على مفهوم الاسماعيلية في تفسير آيات معينة من القرآن وبعض الاحاديث النبوية وفي سيرة الرسول وعمل أصحابه.

ثم تعطلت هذه المناقشات وتوقفت المناظرات بعد قتل الداعي الصنعاني ولم تعد تجتمع الى حين انتقل عبيد الله الى سكنى مدينة المهديّة التي أنشأها سنة 303هـ / 920 م، وهو آخر عهد لازدهار رقادة ومعالمها ومن جملتها بيت الحكمة.

انفتحت افريقية التونسية أيما انتفاع بهذا الوعي فظهر فيها فلاسفة مجيدون منهم أبو سعيد الحداد (المتقدم) وأطباء ماهرون من أشهرهم افراد (بيت الجزائر) (*) وهم اربعة تداولوا رياسة الصناعة ومنهم (زياد بن خلفون) و(أعين بن اعين) وسواهم.

ولا يغيب عنا ان نسوق هنا ما كان لجماعة من ابناء اليهود الافريقيين من الاشتغال بالأخذ عن علماء بيت الحكمة القيرواني، ثم تدريسهم به لفنون الفلسفة والطب والفلك والتقويم (3) وفي مقدمة هؤلاء الطبيب الطائر الصيت اسحاق بن سليمان الاسرائيلي * والطبيب دونش - ويسمى أدنيم بن تميم المعروف بالشفلجي، وموسى بن العزار وغيرهم كثير، وقد قاموا بوضع أمهات الكتب في الفلسفة والطب والفلك وحولها بعضهم بعد ذلك من العربية الى اللغة العبرية والى اللسان اللاطيني .

ومن تلاميذ هذا الرعيل عالم اسرائيلي يدعى نسيم بن يعقوب القيرواني، فاق اقرانه في علم الهيئة وحركة الكواكب حتى ان الأسئلة كانت ترد من يهود العراق في المشرق ومن الأندلس في المغرب يستفتونه في توقيت مواسمهم الدينية إذ لم يكن من بينهم من هو أعلم منه بهذا الشأن.

ومازال بيت الحكمة يضطلع بأداء رسالته العلمية في ربوع افريقية

وخارجها إلى أن نقله ملوك الفاطميين إلى القاهرة عند تحولهم إلى المشرق سنة 362 هـ / 973 م فزاد هناك ازدهارا ونمسا قوة وانتشارا بفضل من صاحبهم من العلماء الأفارقة وبفضل ما نقله الفاطميون معهم من تراث إفريقية العلمية. لكن نقل بيت الحكمة إلى القاهرة لم يمنع من امتداد روحه وسرياني تأثيره في العقلية المغربية إلى أن توقفت الحركة العلمية بسبب ما اعترى البلاد الإفريقية من اختلال الأمن واضطراب الأحوال على آخر عهد بني زيري الصنهاجيين .

وفي الوقت الذي كان تأثير بيت الحكمة القيرواني ينضوي، كانت روحه العلمية تتماذى قدما وتنتشر نحو العدو الأوروبية بواسطة أحد الإفريقيين المسيحيين وأعني به قسطنطين المشهور بالأفريقي (Constantin l'Africain) لولادته بمدينة قرطاجنة، فإنه أخذ العلم بالقيروان عن البقية الباقية من رجال بيت الحكمة ولقن علوم العربية والرياضة وخصوصاً الطب والفلك، ثم انتقل إلى مصر ومنها عاد إلى بلده قرطاجنة وكانت عندئذ قرية ضئيلة - ومنها قصد إيطاليا واستقر أخيراً بمدينة سالارنو Salerno واتصل هناك بملك النرمند (Normands) ثم التحق بدير جبل كاسينو الشهير (Monte cassino) ولم يلبث أن تولى رئاسة هذا الدير وحمل رهبانه على الاشتغال بالعلوم العربية ورغبتهم في ترجمة مصنفاتها لا سيما ما كان منها في العلوم الرياضية كالطب والهيئة والفلك إلى اللغة اللاتينية، فكان قسطنطين بعمله هذا في مقدمة نقلة تلك العلوم التي انفرد المسلمون عندئذ بإتقانها ومعاناتها والابتكار فيها .

وفي نظرنا أن هذا الحادث العظيم كان من أهم الأسباب لدخول علوم العرب إلى العدو الأوروبية وانتشارها من هنالك إلى الأصقاع الشمالية خصوصاً وقد صادف أن كان في مبدأ ظهور النهضة الإفريقية (La Renaissance) في العلوم الطبيعية والهيئة وغيرها ؛ وجدير بالملاحظة أن جل ما ترجمه قسطنطين

من الكتب العربية الى اللاتينية أو حاول تقليده والوضع على غراره إنما كان مستمداً من مصنفات أطباء قيروانيين خاصة مثل تأليف اسحاق بن عمران واسحاق الاسرائيلي واحمد بن الجزار كما أنه اعتمد في الفلك وعلم الهيئة على تأليف أبي الحسن علي بن أبي الرجال القيرواني * وفي ذلك بلاغ .

ولا يفوتنا ان نستطرد هنا الى ذكر المعهد العلمي التطبيقي الذي انشأه الأمير الصنهاجي علي بن يحيى حفيد المعز بن باديس، فإنه أسس بمدينة المهديّة حين تولى إمارتها سنة 501 هـ / 1107 م مدرسة للعلوم الكيماية وأشرف على تسيير التدريس بها حكيم من أشهر حكماء العرب في وقته وهو الطبيب الفيلسوف الأديب (أمية بن أبي الصلت الداني) * . وقد ابتنى الأمير لذلك عمارة أسماها « دار العمل » اشارة لما يباشر فيها من تطبيق علم الكيماية وفروعها زودها بألات تحليل المعادن والاحجار وأدوات تقطير الأعشاب والنبات وتبخيرها وتحويلها مما يناسب معلومات ذلك العصر ، كما أنه جعل حولها غرفاً وفيرة لاسكان الطلبة المعتنين وتمكينهم من العمل العلمي المجرد، وللأسف لم يعش هذا المعهد الفريد في بابه أكثر من ربع قرن فيما رواه نقلة الاخبار .

مما تقدم يتضح للباحث المنصف أن العرب لم يكونوا ليستأثروا بعلومهم ويضنوا بنتيجة أبحاثهم واكتشافاتهم، بل كانوا يلقونها لكل راغب ويلقونها لكل طالب، ولا يهمهم جنسه ومعتقده، وبمثل هذا العمل تتفاضل الأمم وتتفاخر الشعوب اذ كانت الرسالة العلمية أمانة يؤديها حاملها الى البشرية قاطية من غير ارتقاب جزاء أو شكور، وبذلك قضت سنة الكون بين أبناء الخليقة ليتم العمران ويسود العرفان ويعم التواد والتعاقد بين أفراد الإنسان ... !

حسن حسني عبد الوهاب

(ورقات عن الحضارة العربية بافريقيا التونسية) ج 1

مكتبة المنار تونس 1965

ص 26-31 و 205-206

أمراء بني الأغلـب

- 1 - إبراهيم بن الأغلـب مؤسس الدولة (184 - 196 هـ)
- 2 - أبو العباس عبد الله (197 - 201 هـ)
- 3 - زيادة الله الأول (201 - 223 هـ)
- 4 - الأغلـب بن إبراهيم (223 - 226 هـ)
- 5 - محمد الأول (226 - 242 هـ)
- 6 - أبو إبراهيم أحمد (242 - 249 هـ)
- 7 - زيادة الله الثاني (249 - 250 هـ)
- 8 - أبو الغرانيق محمد الثاني (250 - 261 هـ)
- 9 - إبراهيم الأصغر الثاني (261 - 289 هـ)
- 10 - أبو العباس عبد الله الثاني (289 - 290 هـ)
- 11 - زيادة الله الثالث (290 - 296 هـ)

الأعلام :

- علي بن زياد : أحد الفقهاء في بداية الدولة الأغلبية ويعد من مشاهير السرعيل الأول من علماء افريقية كان يقيم بمدينة تونس وعنه أخذ العلم أسد بن القرات
- أسد بن القرات : (142 - 213 هـ 759 - 828 م) من علماء افريقية واشتهر بالتدريس والقضاء وقيادة الجيش الذي فتح صقلية. سافر الى المشرق وأخذ عن أبي حنيفة وأبي يوسف وعن الإمام مالك وعن أبي القاسم تلميذه ودون عن مالك كتابه « الاسديّة ». وتوفي بصقلية أثناء الفتح.
- اسحاق بن عمران : طبيب يهودي ولد في بغداد. رحل إلى القيروان لتطبيب الامير زيادة الله الاغلبى المصاب بالسويداء فقتل. له كتاب « الثمار ». أخذ عن جالينوس .
- أبو اليسر ابراهيم الشيباني : أصله من بغداد، دخل افريقية واتصل بأمرأه بني الأغلب وترقى إلى رياسة « بيت الحكمة » بالقيروان. ولما امتلك الفاطميون البلاد انضم إليهم أبو اليسر وهو شاعر وأديب مترسّل، توفي بالقيروان سنة 298 هـ - 911 م.
- بليزوس الكبير (Pline l'Ancien) 23 - 79 م : عالم طبيعي روماني مؤلف كتاب « التاريخ الطبيعي » في 37 جزءا . اقترب من بركان « الفيسوف » عند انفجاره في كارثة بونبي Pompei ليتأملسه عن كئيب ويحاول انقاذ السكّان، فاختنق ومات.
- الوزاني المراكشي : هو حسن الوزاني (Léon l'Africain) جغرافي عربيّ صاحب رحلة شهيرة. ولد بغرناطة حوالي سنة 1483 م ومات بعد سنة 1530 م.
- أبو عثمان سعيد الحداد : من كبار المتكلمين الافريقيين في عصره، أخذ عن الامام سحنون وغيره حتى أصبح رأس المدرسة الكلامية بالقيروان وكان يردّ على أهل البدع المخالفين للسنة وعظمت شهرته بعد ما ناظر دعاة الشيعة الفاطميين في رقادة عقب استيلائهم على افريقية. مولده سنة 219 هـ 834 م ووفاته بالقيروان سنة 302 هـ 915 م.
- بيت الجزائر : أشهرهم أبو جعفر أحمد بن الجزّار : طبيب، تلميذ اسحاق بن سليمان الإسرائيلي ، قيروانيّ اشتهر بحذقه في صناعة الطبّ والتأليف فيه. له « زاد المسافر وقوت الحاضر » و« طب الفقراء والمساكين » و« سياسة الصبيان » وغيرها. انظر ترجمته بشيء من التفصيل في نص « اطوار الموسيقى بأفريقية في عهد بني زيري » (في قسم المتفرقات من النصوص الادبية التونسية).

• اسحاق بن سليمان الاسرائيلي : أشهر الاطباء اليهود في القيروان ، قدم اليها من المشرق سنة 292 هـ/905 م ، فأقام برفادة الى انقراض دولة بني الاغلب ثم لازم خدمة القاطمين.

• ابو الحسن علي بن ابي الرجال : هو المنجم العربي الذي اطلق عليه الأوربيون في كثير من الأحيان إمام القرون الوسطى اسم البوهازن Albohazen او البواسن Alboacen او أبناكل Abenragel قضى شطرا من حياته في تونس ببلاط المعز بن باديس (406-454) له كتاب « البارع في احكام النجوم » ويوجد مخطوطا بعدة مكنتبات منها برلين وباريس والإسكوريال والمتحف البريطاني. انظر

• أمية بن ابي الصلت الداني : انظر ترجمته في قسم « متفرقات قيروانية مهدوية » .

الشـرح :

- 1) الوطاب : يجمع على أوطاب : سقاء اللبن.
- 2) أبناء جلدتهم : أبناء عشيرتهم.
- 3) التقويم : مجموعة قواعد التوفيق بين السنة المدنية والسنة الاستوائية ولتقسيم الأزمنة.

أسئلة :

- 1) — حاول أن تحدد دور الرعيل الأول من العلماء في بعث « بيت الحكمة ». وأن تبين دور الرحلة الى المشرق .
- 2) — أي العلوم كانت أسبق الى الظهور والرواج في افريقيا العربية الاسلامية ؟
- 3) — كيف تبدو لك منزلة « بيت الحكمة » في انتشار الثقافة وازدهار العلوم في المغرب ؟

اعتناء الملوك الفاطميين بتثقيف أبنائهم بإفريقية

أما الملوك الفاطميون بإفريقية، وقبل انتقالهم النهائي الى مصر، فقد كانت لهم عناية بتربية صغار أمراء بيتهم - ذكورا وإناثاً على السواء فكانوا يجتهدون في تثقيفهم ثقافة علمية وأخلاقية عالية تناسب المحيط الراقي الذي يعيشون فيه، وكانت حاشية قصورهم تتألف من اماء قاريات مهذبات مجلوبات من المشرق، وكذا مسوالم وفتيان يعدون بالمشات من أجناس مختلفة ما بين صقالبة (من الجرمان) وصقليين دربوهم من الصغر على التعليم بعد إسلامهم وقد خصوا كل أمير صغير من أولادهم بمرب أو أكثر يصاحبه في صباه وطول حياته فيلقنه العلوم ويدربه على الفروسية والفتوة ويخلقه بالشمائل الكاملة مما يؤهله للقيام بشؤون الملك متى صار الحكم له.

خذ مثلاً رابع خلفاء الفاطميين وواسطة عقدهم (أبا تميم معد الملقب فيما بعد بالمعز لدين الله) فإنه ولد في قصر جدّه عبيد الله بالمهدية - رمضان 317 هـ 929م. ولما نشأ وترعرع سلمه أبوه اسماعيل المنصور الى مرب من أخصر فتيانه وهو (المظفر) فصاحبه حتى كبر وتولى الخلافة. وفي تلك الاثناء تعلم المعز عدة لغات منها البربرية الليبية لسان شيعة أسرته وأنصارها من قبائل كُتامة، ومنها الرومية وهي اللغة اللاطينية الدارجة التي يتخاطب بها قسم من رعاياهم في البلاد وفي جزائر البحر المتوسط، والسودانية التي يتكلم بها عبيدهم وجانب لا يستهان به من حرس قصورهم. وبهذه المعلومات الواسعة المدى وهذه التربية اشتهر المعز قبل أن يلي الخلافة بحصافة الفكر واللسان والخبرة التامة بتدبير الملك.

أورد المقرئزي في (اتعاظ الخفاء بأخبار الخفاء) نادرة طريفة تؤيد ما كان للمعز من المعرفة باللغات قال: « كان المظفر الفتى الصقلي قد بلغ رتبة عظيمة عند المنصور، وكان المظفر يدل على المعز لأنه علمه وهو

صغير، فاتفق أنه حرد - أي غضب - يوما فسمعه المعز يتكلم بكلمة صقلية استرايها فأخذ المعز نفسه بحفظ اللغات فابتدأ بالبربرية فأحكمها ثم الرومية، فأتقنها، ثم بالسودانية، ثم مال الى الصقلية فمرت به تلك الكلمة فاذا هي شتمة قبيحة « فبیتها المعز في نفسه ولم يبدها حتى تولى الخلافة سنة 341 هـ وبعد دهر تنكر للفتى المظفر وعاقبه عن هفوته المستهجنة (2) لسبب آخر في الظاهر .

يهمتنا في هذه الحكاية أن أبناء الأمراء، وكذا أفراد الطبقة « الأرستقراطية » كانوا في عصر فيض حضارة افريقية يتلقون تعليما متنوعا كثيرا ما شمل اللغات الأجنبية خصوصا لمن كان منهم مترشحا للوظائف الدولية كقيادة الجيوش والأساطيل أو إدارة ولاية يقطنها عناصر إفريقية أو افريقية.

وانا وان لم نجد ما يعتمد عليه لتعيين عدد الكتابيب بالقيروان في زمان فيض حضارتها أيام الأغالبة والفاطميين، فإننا نعلم بالتنظير والمقايسة أن مدينة (بلرم Palerme) قاعدة صقلية كان فيها « أزيد من ثلاثمائة معلم يؤدبون الصبيان » كما قصه علينا الرحال البغدادي أبو القاسم بن حوقل « الذي زار المغرب في منتصف القرن الرابع، وقد أردف هذا الجغرافي كلامه المتقدم بقوله (في المسالك والممالك) : « وهؤلاء المعلمون يرون أنفسهم أنهم أفضل السكان وأجلهم وأنهم أهل الله ».

فإذا كان في (بلرم) وحدها ثلاثمائة معلم للصبيان فما بالك بما كانت تحتوي عليه القيروان - عاصمة البلاد و كعبتها - من المدارس الابتدائية عصر غزارة عمرائها وتبحره .

ويلوح لي بهذه المناسبة أن السبب الأصلي الذي حمل محمد بن سحنون « وَبَعْدَهُ أبا الحسن القاسمي » على الاعتناء بالتأليف في موضوع « آداب المعلمين » إنما هو الحاجة الماسة الى تقنين اصول التعليم الابتدائي المنتشر

إذذاك أيما انتشار بين سائر الطبقات . فلولا ذلك الانتشار والفيض الكبيران
لما كانا - رضي الله عنهما - يعتنيان خاصة بسن القواعد له ووضع الاصول
الواجب اتباعها ، وفي المثل « الحاجة أم الاختراع » و« الحاجة تحدث
الوسيلة ».

حسن حسني عبد الوهاب

(ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية)

مكتبة المنار - تونس 1965

ج 1 ص 88 - 91

الأعلام :

• النعماني: هو تقي الدين المقرئ (1364 - 1441 م) ينسب إلى حارة «المقارزة» في بعلبك (لبنان) مؤرخ بعلبيكي الأصل ولد في القاهرة وتولى القضاء فيها. علّم في القاهرة ودمشق، ثم انصرف إلى الكتابة. له «السلوك لمعرفة دول الملوك» و«المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار»، «اعتاظ الخلفاء بأخبار الخلفاء».

• أبو القاسم بن حوقل: رحالة عربي وجغرافي جاب ديار الإسلام من المشرق إلى المغرب، ودرس مؤلفات المتقدمين. توفي بعد سنة 367 هـ/977 م. له كتاب «المسالك والممالك» ويعرف أيضاً بكتاب «صورة الأرض»، زار تونس مرتين.

• أبو الحسن القابسي الفقيه القيرواني: ولد سنة 324 هـ/935 م بالقيروان فقيه مالكي اشتغل بالإفتاء ورحل إلى المشرق في طلب العلم سنة 352 هـ وعاد إلى القيروان سنة 357 هـ. ومن مؤلفاته «كتاب ملخص الموطأ» و«الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين» وهي شبيهة برسالة «آداب المعلمين» لمحمد بن سحنون. وتوفي القابسي سنة 403 هـ / 1012 م

• محمد بن سحنون: مولده بالقيروان سنة 202 هـ. نشأ في كنف أبيه سحنون فقيه أفريقية ورحل إلى المشرق للحج وطلب العلم في خلال سنة 235 هـ وأتى به إلى القيروان حيث دفن له كتب كثيرة منها كتاب «آداب المعلمين» طبعه حسن حسني عبد الوهاب وأعاد طبعه محمد العروسي المطوي في دار الكتب الشرقية بتونس سنة 1972

— الشرح :

1) الفتوة: الشَّاب — والمقصود منها هنا: إتقان كل ألعاب الفروسية من ركوب الخيل والبراعة في استعمال السلاح وإتقان المصارعة وغيرها من ألعاب القوى التي يحتاجها الفارس. وصاحب الفتوة يقال له: «الفتى» وهذه الكلمة تطوّرت مفاهيمها واختلفت حسب الكتاب والعصور.

أَبْنُ هَانِي وَالصَّرَاعُ العَقَائِدِي

- تقديم

كان الشَّاعر السياسي في القديم ينطق بلسان الفرقة الدينية السياسية التي ينتمي إليها وكان شعره بمثابة الصحيفة السيارة يخدم مصالح الفرقة ويذيع عناصر مذهبها بين النَّاس ويدافع عنها ويردُّ على المخالفين من أنصار المذاهب والفرق الأخرى ، وكذلك كان شأن ابن هاني وشعره زمن الدولة الفاطمية الإسماعيلية بإفريقية في القرن الرابع الهجري.

في المجتمع الإفريقي ذي الصبغة الإسلامية، كانت ثلاثة مذاهب إسلامية تتصارع (السُّنَّة والشَّيعةُ والخَوَارِجُ) ، ولكنْ كانت الغلبةُ فيها للشَّيعة وللفاطميين من الشَّيعة ، وديوانُ ابنِ هانِيءٍ يحدثنا عن هذا الصَّرَاعِ العَقَائِدِي ، ويُدافعُ عن الشَّيعة ، ويُثبِتُ صحَّةَ مُعتقَدِهِمْ بل لا نُغالي إذا قلنا إنَّ الدِّيوانَ يدور حول الدِّفاعِ عن المذهبِ الشَّيعيِّ ، وعن العقيدة الإسماعيلية « خاصة من هذا المذهب ، والدعوة لآل البيت ، والايان بحقِّ أبناءِ عليِّ بالخِلافَةِ ، ولا تكاد تخلو قصيدةٌ - إلا نادرا - من ذكر الشَّيعة والتغني بفضائل التشيع ، ولا غرابة بذلك ، فالشاعر شيعيِّ فاطميِّ » ، والشَّاعرُ لسانُ قومهِ وأبناءِ عقيدته . كان الصَّرَاعُ في العصور الإسلامية الأولى صراعاً قبلياً ، لكنّه انتقلَ فيما بعدُ الى ميدانٍ أوسع ، ومجالٍ أشمَل هو الميدان العَقَائِدِي والتَّعَصُّبُ المذهبيِّ ، وكان على الشُّعراء من أيِّ مذهبٍ كانوا ، أن يُدافعوا عن مذاهبهم ، ويردِّوا على حُججِ الشُّعراء الآخرين ، فكأنَّهم كانوا بذلك عروناً للمتكلِّمين من أبناءِ مذهبهم ، وابنُ هانِيءٍ كشاعرٍ شيعيِّ ، كان عليه أن يدافع عن الخلفاءِ الفاطميين ، ويردِّ على خصومهم ، مؤيِّدا حقهم بالخِلافَةِ على اعتبار انهم ورثة النبيِّ وهم - كما يرى - أفضل النَّاسِ وأحقُّهم بالسيادة على المسلمين ، بل وعلى البشرية ، وهو في ذلك يسجِّلُ

لنا هذا الصّراع القويّ الذي كان يجسري في أفريقيّة بين مختلف المذاهب الإسلاميّة . وأهمّ هذه المذاهب الشّيعيّة التي يدافع عنها الشّاعر ، والنّسنة التي لم تستطع الخلافة الفاطميّة أن تقضي عليها ، والمذهب الخارجيّ الذي كان معتنقه قلة ولكنهم أشدّاء بوسائل .

والشّاعر يُعتبّر سنيّاً كلّ من لا يؤيّد الفاطميّين بل يؤيّد الأمويّين أو العبّاسيّين ويحارب العقيدة الشّيعيّة ، ولا يقول بالتأويل ، ويسمّي ابن هانيء ، الذين يؤيدون أعداء الفاطميّين ويحاربون أبناء علي النّواصب ، لأنّهم لا يدينون بالطّاعة لأحفاد علي ولا يؤوّلون القرآن بل يتبعون ظاهره ، ودولة هؤلاء هي دولة النّصب .

ولمّا تولّت دولة النّصب عنهم ، تولّى العمى والجهل واللؤم والغدر

وهو يقصد دولة العبّاسيين التي تجمع أخطّ المعايب من عمى و جهل ولؤم وغدر . ثم اذا ما عرض للقرآن فإنّه يلوم هؤلاء (النواصب) لأنهم يأخذون بظاهر القرآن ولا يرتضون تأويله .

ماذا تريد من الكتاب نواصب وله ظهور . دونها وبطون .

وأما الجماعة الأخرى من الخوارج الاباضية ، أو الحرورية ، كما يسمّهم ، فقد كانوا أشدّ حقداً على الفاطميّين يشورون بهم من حين الى آخر ، فترسّل اليهم الجيوش ، ويرى ابن هانيء هذه الاحداث تتابع تحت بصره ، فيسجلها في شعره . . .

. . . وعندما يمدح الشّاعر أبا الفرج الشّيباني ، يذكّر قتالته لهؤلاء الخوارج الحروريّين ، وانتصاره عليهم ، وردهم الى طاعة الخليفة ، وحملهم على دفع الضرائب ، ويعرّفنا أنّ هؤلاء الخوارج هم من الشّراة الاباضية .

لم يجهلوا ما تلاقي في التشيع من
تحريضٍ شاريةٍ أو بأسٍ شكري
وما تُدللُّ من أهل العناد لهم
وما تداري من الدين الابسااضي
بيد أننا لا نجد إشارة ما، في شعره الى عناصر أخرى كانت تعيش
في هذا المجتمع الافريقي من التي تدينُ بغير الاسلام، كالمسيحية
أو اليهودية. وعلى كلِّ فإنَّ شعر ابن هاني يسجلُ لنا هذا الصراع
العقائدي الذي كان يدور بين مختلف المذاهب الإسلامية المعروفة في
افريقية في عصر ابن هاني .

الدكتور منير ناجي

« ابن هانيء الاندلسي — درس. ونقد »
ط. دار النشر للجامعيين 1962 .
ص . : 95 — 98

الشرح اللغوي والأعلام :

— **السُّنَّةُ والشَّيْعَةُ** : السُّنَّةُ هي عند المسلمين مجموعة التقاليد الدينية أخذوا عن أقوال وتصرف النبي والصحابة وهي المعروفة بالحديث ؛ وأهل السنة هم الذين أفتوا بصحة إمامة أبي بكر بعد وفاة النبي على خلاف أهل الشيعة الذين يقولون إن الخلافة لعلي وذويه وأبطلوها عن سواه.

— **الخوارج** ، مفردها الخارجي : أقدم فرقة دينية سياسية في الإسلام. خرج رجالها على علي بن أبي طالب لأنه رضي بمبدأ التحكيم على إثر معركة صفين منادين : « لا حكم إلا لله ». فكفروهم وعملوا على قتله على يد ابن ملجم ، كما كفروا من بعده سائر الخلفاء مخالفين السنة والشيعة معاً في مبادئ تتعلق بالخلافة والإيمان. وقالوا كل مسلم تقى هو أهل للخلافة وإن كان عبداً حبشياً.

— **الإسماعيلية** : هي الفرقة الشيعية الغالبة الوحيدة التي استطاعت أن تصل إلى الحكم فتؤسس دولة في المغرب الإفريقي ثم في مصر وتدخل سوريا في حكمها وتسيطر على أجزاء من الجزيرة العربية وتهدد بغداد وتجدد أشياء في فارس وبلاد الديلم. — وهم الشيعة السبعية المنتسبون إلى إسماعيل بن جعفر الصادق سادس الأئمة.

— **الفاطميون** : ملوك أفريقية (تونس) ومصر. انتسبوا إلى فاطمة بنت النبي. وقد أسست دولتهم سنة 297 هـ في أفريقية وقضى عليها صلاح الدين الأيوبي سنة 567 هـ.

— **ظهور ويطون أو ظاهر وباطن** : مَيَّزَ الشَّيْعَةُ بين الظَّاهِر والباطن في معرفة الحقيقة الدينية فقالوا : « إن الشَّريعة هي ظاهر الحقيقة وإن الحقيقة هي باطن الشَّريعة » وعلى هذا الأساس لا يمكن بلوغ الحقيقة حسب الشيعة إلا بفضل أئمة هُدَاة وملقنين ولذلك سمَّوا التعليمية كما سمَّوا الباطنية.

— **التَّأويل** : يُقَابِلُ عند الشيعة التفسير الذي هو تَمَسُّكُ بظاهر النص القرآني في حين أن التأويل عندهم وهو في أصل اللغة رجوع إلى الأصل « إنما هو صعود وترق من الظاهر إلى الباطن ».

— **التَّوَابِصُ** : مفرده التَّاصِبُ اسمُ الفاعل من نصبَ ينصب لفساد منى عاده ؛ والتَّصَبُّ : الشَّرُّ والبلاء. وههنا استعمل التواصب صفة لأعداء الفاطميين.

– الإباضية : فرقة من الخوارج في أفريقيا الشمالية هم أصحاب عبد الله بن إباض المري انفصلوا عن علي عندما قبل التحكيم مع معاوية ، ودخلوا المغرب في القرن الثاني للهجرة.

– الحرورية : نسبة إلى حرّوراء وهو موضع في العراق غير بعيد عن الكوفة اجتمع فيه الخوارج الأولون عندما جهروا بالخروج على علي فقاتلهم وأبادهم في وقعة النهروان.

أسئلة

- 1 - كيف علّل الكاتب انحياز ابن هاني إلى المذهب الفاطميّ في الصراع العقائدي بين المذاهب الإسلامية الثلاثة في المجتمع الإفريقي؟ ما هو محور هذا الصراع؟
- 2 - كيف ينظر أهل السنة إلى الشيعة عندما يقولون بالتأويل ويتمسكون بباطن القرآن ويعتبرون مخالفهم في المذهب نواصب؟
- 3 - ما هي قيمة شعر ابن هاني حسب ما يؤخذ من هذا النص؟

المستزاد

دَعَانِي لَكُمْ وَدَّ (الطويل)

جو الأبيات ومناسبتها :

يظهر ان والد ابن هاني كان من الدعاة المكلفين بنشر الدعوة الإسماعيلية في الأندلس منذ استت الدولة الفاطمية سنة 297 هـ وأن شاعرنا عرف الباطنية وأسرارها وجاهر بتشييعه زمن اقامته بشبه الجزيرة فأغضب الأمويين وعمالهم فضايقوه حتى خرج الى عدوة المغرب ناجيا بنفسه الى بلاد يمارس فيها عقيدته بحرية، وما هو يقر في مدحه المغز لدين الله .
بانه كان شيعيا قبل خروجه فقم عليه الأمويون واهل الأندلس المتعصبون للسنة
فهرب الى الفاطميين :

دَعَانِي لَكُمْ وَدَّ فَلَبَّيْتُ عَزَائِمِي
وَعَنْسِي (1) وَلَيْلِي وَالنُّجُومُ الشَّوَابِكُ (2)
وَمُسْتَكْبِرٌ لَمْ يُشْعِرِ الذَّلَّ (3) نَفْسَهُ
أَبِي بِأَبْكَارِ الْمَهَاوِلِ فَآتَاكَ
وَلَوْ عَلِقْتَهُ (4) مِنْ أُمِّيَّةٍ أَحْبَبَلُ
لَجَبَّ (5) سَنَامٌ مِنْ بَنِي الشَّعْرِ تَامِكُ (6)
وَلَمَّا التَّقَّتْ أَسْيَافُهَا وَرِمَاحُهَا
شِرَاعاً (7) وَقَدْ سُدَّتْ عَلَيَّ الْمَسَالِكُ
أَجَزْتُ عَلَيْهَا عَابِراً وَتَرَكَتُهَا
كَأَنَّ الْمَنَائِبَا تَحْتَ جَنْبِي أَرَاكَ
وَمَا نَقَمُوا (8) إِلَّا قَدِيمَ تَشْيَعِي
فَنَجَّيْ هَزْبُراً شَدُّهُ (9) الْمُتَدَارِكُ
وَمَا عَرَفْتُ كَرَّ النُّجَيَادِ أُمِّيَّةً
وَلَا حَمَلْتِ بَزَّ (11) الْقَنَّا وَهُوَ شَابِكُ
وَلَا جَرَّدُوا نَضْلاً تُخَافُ شَبَاتُهُ
وَلَكِنْ فُوَلَا ذَا غَدَاً وَهُوَ أَنْكَ (12)

وَلَمْ تَدَمْ فِي حَرْبٍ دُرُوعٌ أُمِّيَّةٌ
 وَلَكِنَّهُمْ فِيهَا الْإِمَاءُ (13) الْعَوَارِكُ (14)
 إِذَا حَضَرُوا الْمَسَدَاحَ أَخْجَلَ مَسَادِحُ
 وَأَظْلَمَ دَيْجُورٌ مِنَ الْكُفْرِ حَالِكُ
 سَتُبْدِي لَكَ التَّشْرِيبَ (15) عَنِ آلِ هَيْشَمٍ
 ظُبَاةُ (16) سِيُوفٍ حَشَوُهُنَّ الْمَهَالِكُ
 . . . بَنِي هَيْشَمٍ قَدْ أَنْجَزَ اللَّهُ وَعْدَهُ
 وَأَطْلَعَ فَيْكُمُ شَمْسَهُ وَهِيَ دَالِكُ (17)
 وَنَادَتْ بِشَارَاتِ (18) الْحُسَيْنِ * كِتَابُ
 تَمَطِّي (19) شَرَاءُ (20) فِي قَتَاهَا الْمَعَارِكُ
 تَوْمٌ وَصِيَّ الْأَوْصِيَاءِ وَدُونَهُ
 صُدُورُ الْقَنَا وَالْمَرْهَفَاتُ الْبَوَاتِكُ
 وَضَرْبُ مُبِينٍ لِلشُّؤُونِ (21) كَأَنَّمَا
 هَوَتْ بِفِرَاشِ الْهَمَامِ 22 عَنهُ النَّيَازِكُ
 فَدُسُ بِهِمُ تِلْكَ الْوُكُؤُنِ (23) فَإِنِّي
 أَرَى رُخْمًا وَالْبَيْضُ بَيْضُ تَرَائِكُ (24)
 لَقَدْ آتَى أَنْ تُجْزَى قَرِيشٌ بِسَعِيهَا
 فِيمَا حَيَاةٌ أَوْ حِمَامٌ مُوَأَشِكُ
 ابن هاني

الدكتور زاهد علي

« تبين المعاني في شرح ديوان ابن هانبي الأندلسي المغربي » .
 مطبعة المعارف ومكبتها بمصر : 1352 هـ . ص : 515 — — 521

الشرح :

(1) - العننس : الناقة القوية - (2) - الشوابك مفردة الشباك من شبكت
 الأمور : اختلطت وتداخلت والتبست وأشار بابتهاك النجوم إلى شدة ظلمة الليل - (3) -
 أشعر فلان فلاناً شراً : غيبه به - (4) - علق الوحش بالبالاة أي تعلق -

التَّامِكُ : العالِي المرتفع - (6) - جَبَّ السَّنَامُ : قطعهُ - أُمِيَّةٌ : بنو أُمِيَّة أصحاب الدولة الأمويَّة (بالأندلس) - (7) - شَرَعًا : شَرَعَ يشرَعُ شرعاً وشروعاً الرماح : سَدَدُهَا وصورها - (8) - نَقَمَ منه كذا : أنكره عليه وعابه وكرهه أشد الكراهية لسوء فعله - (9) - الشَّدُّ : الهجوم - (10) - المتدارك : المتابع - (11) - البزُّ ج البزوز : السِّلَاح - (12) - الأثَكُ : الأَسْرُبُ (الرصاص) - (13) - الإماء مفردة الأَمَّة : الجارية - (14) - العوارك مفردة العارك : الجارية الحائض - (15) - التثريبُ : كالتأنيب والتعمير الإستقصاء في اللوم من ثريبه ثريباً - (16) - الظبابة مفردة الظبيَّة : حدة سيف أو سنان - (17) - الشَّمْسُ الدالك : التي مالت وزالت عن كبد السماء (المقصود : ردَّ الله إليكم الخلافة بعد زوالها عنكم). - (18) - نادت بثارات : طلبت بدم... - (19) - تَمَطَّيَ : تَمِدَّ وتَطْمِيلٌ - (20) - شرعاً : مُسَدِّدَةٌ - وهي تمييز لقوله « تَمَطَّيَ » - (21) - الشؤن : مواصل قبائل الرأس ومنها يجيء الدمع - (22) - فَرَاشُ الرَّأْسِ : عظام رفاق تلي القحف واحدها فَرَاشة - (23) - الركون : مفردة الوكن وهو عش الطائر - (24) - الترائك مفردة التريكمة وهي البيضة بعدما يخرج الفرج.

الأعلام :

* الحسين : هو الحسين بن علي بن أبي طالب شهيد كربلاء.
* المعز لدين الله الفاطمي : هو أبو تميم معز المعز لدين الله رابع الخلفاء العبيديين وظهر جداهم الأكبر عبيد الله المهدي بالمغرب سنة 296 هـ. والعبيديون من الشيعة الإسماعيلية. ولد المعز بالمهدية في 11 رمضان 317 وتولى الخلافة بعد وفاة أبيه المنصور سنة 342. وأهم أعماله :

في سنة 346 هـ أخضع جبل الأوراس بالجزائر
في سنة 347 جهز حملة بقيادة جوهر الصقلي أخضع بها المغرب الأقصى
في سنة 358 جهز جيشاً بقيادة جوهر لغزو مصر وتم له فتحها.
وفي سنة 362 انتقل إلى مصر واتخذها مقراً لحكمه فسكن بالقصر الذي بناه له جوهر وإليه تنسب القاهرة المعزية.
في مدة حكمه بمصر قدمت القرامطة الإسماعيلية إليها قصد الغزو فصدّهم عنها في حرب فراقس.

كانت له عدة وقائع مع الروم ألحق فيها بهم أشدّ الهزائم.

أسئلة :

- (1) إلى من يُشيرُ الشاعِرُ في قوله « دعاني لَكُمْ وَدَّةٌ » ؟ -
- (2) مَنْ هم أعداء الفاطميين المذكورون في هذه الآيات ؟ بماذا يؤاخذهم ابن هاني ؟
- (3) في هذه العينات مقابلة بين الظلام والنور فإلى أي شيء يرمزان ؟

الفاطميون وعقيدة الإمام : (الكامل)

تقديم :

قلت هذه القطعة في مدح الإمام المميزّ لدين الله بمناسبة شهر رمضان ، ويعتقد الإسماعيلية أو السبعية - وإليهم ينتمي الفاطميون - وكذلك يعتقد الشيعة الإثنا عشرية أن الإمامة لا تصح إلا بالنص من السابق على اللاحق وأنها ليست بقضية مصلحة تناط باختيار العامة ، بل قضية أصولية هي ركن الدين على حد قول القاضي التعمان المغربي الشيعي .

كلتاها تعتقد أن الخليفة بعد النبي عليه السلام هو علي بن أبي طالب وهو الذي نصبه النبي وصيًا له في حياته على رؤوس الإشهداء في « غدیر خم » ثم نص علي على الحسن ، وقام الأئمة من بعده كل إمام بنص ممن مضى قبله . وإذا كان الأمر على ما اعتقدوا فلا تعجب من تقديس ابن هاني الشيعي لإمامه المعز كما في قوله :

مَا زِلْتَ تَقْضِي فَرَضَهُ (1) وَأَمَامَهُ
وَوَرَاءَهُ لَكَ تَائِلٌ (2) وَحِبَاءٌ (3)
حَسْبِي (4) بِمَدْحِكَ فِيهِ ذُخْرًا إِنَّهُ
لِلنَّاسِ (5) عِنْدَ النَّبَسِ سَكِينٌ كَفَسَاءُ (6)
هِيَ هَاتِ (7) مِمَّا شُكِرُ مَا تُؤَلِي وَكُو
شَكَرْتُكَ قَبْلَ الْأَلْسُنِ الْأَعْضَاءِ
وَاللَّهُ فِي عَالِيكَ أَصْدَقُ قَائِلٌ
فَكَأَنَّ قَوْلَ الْقَائِلِينَ هَذَا (8)
لَا تَسْأَلُنَّ عَن الزَّمَانِ فَإِنَّهُ
فِي رَاحَتِيكَ يَدُورُ كَيْفَ تَشَاءُ

ابن هاني

الدكتور زاهد علي

« تبين المعاني في شرح ديوان ابن هاني الأندلسي المغربي »

مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر 1352 هـ . ص - 36 37

الشرح :

- (1) فَرَضَهُ : صيام رمضان .
- (2) النَّائِل : العطية وكذلك النوال
- (3) الحياء ، بالكسر: العطاء من حبا فلانا كذا وبكنا : اعطاه
- امامه ووراءه : اي تعطي قبل رمضان وبعده فالعطاء يجري في كل حين .
- (4) حَسَبُ : معناها الإكفاء (وهي اسم فعل)
- (5) التُّسْكُ : العبادة
- (6) الكفاء : المِثْلُ .
- (7) هيهات : اسم فعل معناه بَعْدَ وشكرُ فاعل هيهات
(المعنى) لا نقدر ان نشكر على ما انعمت به علينا ولو شكرتك اعضاؤنا قبل الستتنا
اي اظهرنا شكونا بافعالنا قبل ان نظهره باقوالنا .
- (8) الهُدَاءُ : التكلم بغير معقول لمرض أو لغيره من هَدَى الرجل هذيا وهذيانا .

سؤال :

— ابن يظهر غلبو ابن هاني في صلح إمامه المعز؟

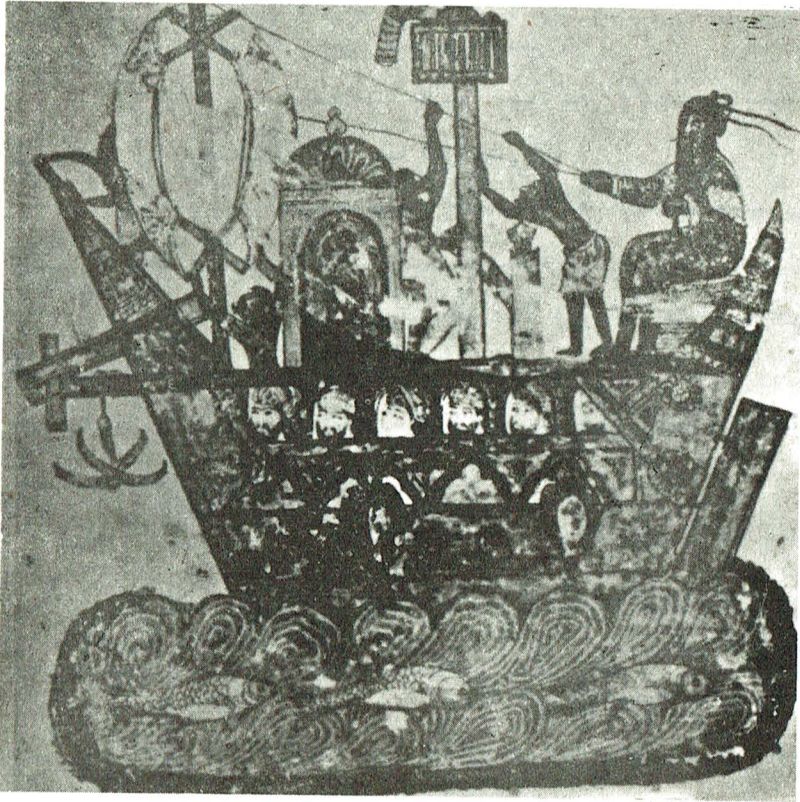
أَنْتَ وَبَنِي السَّارِ (الطويل)

— مناسبة القطعة :

عبث الأمويون بسفينة صقلية فاطمية فبعث المعزّ الى الحسن بن علي الكلبى عامل على صقلية سنة 344 هـ أن يخرج بأسطوله الى ساحل المريّنة من بلاد الأندلس ، فعاث فيه وغنم وسبى ، وانتصر على أسطول الامويين رغم عدوته وعديده. وفيما يلي عينات من مطولة لابن هاني يشير فيها الى الغزوة المذكورة والى استيلاء الروم على مدن وحصون في الشّام وكان ذلك بين سنتي 350 هـ و 360 هـ :

لَقَيْتَ بَنِي مَرْوَانَ • جَانِبَ ثَغْرِ هَيْمِ
وَحَظَّهُمْ مِنْ ذَاكَ خُسْرٌ وَتَنَيْسِبُ
وَعَارٌّ بِقَوْمٍ أَنْ أَعَدُّوا سَوَابِحًا
صَفُونًا (2) بِهَا عَنْ نُصْرَةِ الدِّينِ تَنْكِيْبُ (3)
وَقَدْ عَجَزُوا فِي ثَغْرِ هَيْمٍ عَنْ عَدُوِّهِمْ
بِحَيْثُ تَجُولُ (4) الْمُقْرَبَاتُ (5) الْيَعَابِيْبُ (6)
وَجَيْشُكَ يَعْتَادُ الهَرَقْلَ • بِسَيْفِهِ
وَمِنْ دُونِهِ الَيْمِ الْغُطَا مَطُ 8 وَاللَّسُوبُ (9)
يُخْضِضُ 10 هَذَا الْمَوْجَ حَتَّى (11) عِبَابُهُ
إِذَا التَّجَّ (12) مِنْ هَامِ الْبَطَارِيْقِ مَخْضُوبِ
فَمَا ثُورُ (13) ذِكْرِ الْمَجْدِ فِيهَا مَقْضُضُ (14)
وَقَوْقَ حَدِيدِ الْهِنْدِ مِنْهُنَّ تَذْهِيبُ (15)
وَمِنْ عَجَبٍ أَنْ تَشْجُرُ (16) الرُّومِ بِالْقَنْسَا
فَتُوطَأُ أَغْمَارُ (17) وَهَضْبُ (18) شَنَاخِيْبُ (19)
وَتَنُومُ بَنِي الْعَبَّاسِ فَوْقَ جَنُوبِهِمْ
وَلَا نَصْرَ إِلَّا قَيْنَةَ وَأَكَاوِيْبُ (20)

وَأَنْتَ كَلِّسُوهُ 21 الدَّهْرَ لَا الطَّرْفُ هَسَّاجِعُ
 وَلَا الْعَزْمُ مَرْدُوعٌ (22) وَلَا النِّجَاشُ (23) مَنْخُوبٌ
 هُمْ أَهْلُ جِرَاهَا (25) وَأَنْتَ ابْنُ حَرَبِيهَا
 فَفِي الْقُرْبِ تَبْعِيدٌ وَفِي الْبُعْدِ تَقْرِيبٌ
 وَلَا عَجَبَ وَالشَّغْرُ تُغْرِكُ كُلَّهُ
 وَأَنْتَ وَلِيُّ النَّارِ وَالنَّارُ مَطْلُوبٌ



صورة سفينة عربية من القرن السابع الهجري

وَأَنْتَ نِظَامُ الدِّينِ وَابْنُ نَبِيِّهِ 26
 وَذُو الْأَمْرِ مَدْعُوهُ إِلَيْهِ فَمَنْ دُوبُ 27
 سَيَجْلُو دُجَى الدِّينِ الضَّعِيفِ سُرَادِقُ 28
 مَنْ الشَّمْسِ فَوْقَ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مَضْرُوبُ
 وَعَزْمُ يُظَلُّ 29 الْحَاقِقَيْنِ 30 كَأَنَّهُ
 عَلَى أَفْقِ الدُّنْيَا بِنَاءٌ وَتَطْنِيْبُ
 وَيُسَلَّمُ 31 أَرْمِينِيَّةٌ وَذَوَاتُهُ 32
 صَلِيبٌ لِنُضْحِ الْأَرْمِينِيِّينَ مَنْصُوبُ
 وَحَسْبِي مِمَّا كَانَ أَوْ هُوَ كَأَنَّ
 دَلِيلَانَ عَلَّمَ بِالْإِلَهِ وَتَجْرِيْبُ
 وَلَمْ تَخْتَرِقْ سَجْفَ 33 الْغُيُوبِ هَوَاجِسِي 34
 وَلَكِنَّهُ مَنْ حَارَبَ اللَّهَ مَحْرُوبُ
 وَأَعْلَمُ أَنْ اللَّهَ مُنْجِزٌ وَعَعْدُهُ
 فَلَا الْقَوْلُ مَأْفُوكٌ 35 وَلَا الْوَعْدُ مَكْدُوبُ
 وَأَنْتَ مَعَدُّ وَارِثُ الْأَرْضِ كُلِّهَا
 فَقَدْ حُمَّ 36 مَقْدُورٌ وَقَدْ خُطَّ مَكْتُوبُ
 وَاللَّهِ عَلِيمٌ لَيْسَ يُحْجَبُ دُونَكُمْ
 وَلَكِنَّهُ عَنِ سَائِرِ النَّاسِ مَحْجُوبُ

ابن هاني

الدكتور زاهد علي

« تبين المعاني في شرح ديوان ابن هاني
الاندلسي المغربي »

ط. مصر 1352 هـ. ص 60 - 66

الشرح :

- 1) - التَّيْبُ : الأهلاك من تَبَ ومنه قوله تعالى « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ » - (2) - الصفون والصفوف. والصفائف جمع صافن وهو من الخيل القوائم على ثلاث قوائم وقد أقام الرابعة على طرف الحافر وهذا من صفات الخيل الجياد.
- 3) - تنكيب (مص) نَكَبَ الشَّيْءُ : نَحَّاهُ - (4) - جالَ الفرس في الميدان جولة وجولانا : قَطَعَ جوانبه - (5) - الْمُقْرَبَاتُ ج مُقْرَبَةٌ وهي الفرسُ التي يُقْرَبُ مَرَبَطُهَا ومعلقها لكرامتها لثلاثاً يقرعها فحل لثيم . - (6) - العيايبُ مفزده العيوبُ وهو الفرس الكثير الجري استعير من العيوب وهو النَّهْرُ الشَّدِيدُ الجسرية.
- 7) - اعتاد الشيء اعتيادا : انتابه أي صَيَّرَهُ عادةً لنفسه. - (8) - اليسمُ الغطاطم : العظيم الامواج الكثير الماء من غَطَمَطَ مَوْجُ البحر : اضطرب .
- 9) - اللوبُ اسم جنس واحده لُوبَةٌ وهي الحِرَّةُ أي الأرضُ ذات الحجارة السود الشَّخْرَةَ. وأماً سيبويه فجعل اللوب جمع لابة كساحةٍ وسوحٍ.
- 10) - حَخَّخَصَ الماء ونحوه : حَسَّرَكَهُ والضمير في « يَخْخَصُضُ » راجع إلى الجيش المذكور في البيت السابق - (11) - حتى هنا ابتدائية. - (12) - التَّجُّ البحرُ : غَمِرُ واضطرب - (13) - المأثور : الحديثُ المنقولُ من أَثَرٍ أَثْرًا - (14) - المفضضُ : الموهة بالفضة أو المرصع بها - (15) - تَذْهَبُ : تمويهٌ بالذهب - (16) - تَشْجُرُ مفعوله محذوف أي أنْ تَشْجِرُ الرومُ المسلمون من شَجَرَ فلاتاً بالرمح شُجُوراً إذا طعنه به. - (17) - الأغمار جمع غَمَرٍ وهو الماءُ الكثير - (18) - المَهْضَبُ جمع هضبة وهي الجبل المنبسط على وجه الأرض ويطلق على كل ما ارتفع من الأرض.
- 19) - الشناخيب جمع شَنَخَابٍ وشَنخوب وهو رأس الجبل. - (20) - أكابوب صيغة متهى الجموع - كُوبٌ جمع أكواب وجمع أكواب أكابوب - (21) - الكَلْوَةُ : الحافظ من كَلَّاهُ اللهُ إذا حَقَطَهُ وحَسَّرَسَهُ . - (22) - مردوع : مردود. -
- 23) - الجأشُ : نفس الإنسان - (24) - المنخوب : الجبان كأنه مُسْتَزِعُ الفُؤَادِ من قولهم « نَخَبَ الصَّيْدَ الصَّيْدُ » إذا انتزع قلبه. - (25) - « هُمُ أَهْلُ جِرَاهَا وَأَنْتَ ابْنُ حَرْبِهَا » : أي همُ الجُنَاةُ أهل الجرائر على مملكة الإسلام (من الجريرة وهو ما يجره الجاني على قومه) وأنت ابن حربها تقوم محامياً للدولة والملة. - (26) - نبيته الضمير في نبيته راجع إلى الدين. - (27) - مندوب من ندبه إلى الأمر وللأمر نَسَدًا : دعاه ورشَّحه

للتقييم به وحثه عليه والإسم الندبة. - 28) - السُّرادق : الفُسطاط الذي يُمدُّ فوق صحن البيت والجمع سُرادق ويطلق على كل ما أحاط بشيء. - 29) - يُظَلُّ مضارعٌ أَظَلَّ الشيء فلانا : ألقى عليه ظِلَّهُ. - 30) - الخافقان : المشرق والمغرب لأنَّ الليل والنهار يخفئان فيهما - 31) - أسلَمَ العدوُّ : خذَلَه والبيت الخامس عشر معطوف على البيت الثالث عشر وفيه يشير الشاعر إلى فتح الروم أرمنية وهزيمة سيف الدولة. - 32) - ذواتها المُراد بها ما يلي أرمنية من البلاد - 33) - السَّجْف بكسر السين وفتحها : السُّنْبُ والجمع سُجُوف وأسجاف - 34) - الهواجس جمع هاجس وهو ما وقع في خلدك. - 35) - المأفوكُ من أفك · كذَبَ. - 36) - حُمَّ الأمر بالبناء للمجهول : قُضِيَ وحُمَّ له كذا : قُدِّرَ

الأعلام والأماكن

- بنو مروان : بنو أمية بالأندلس وكان صاحبهم في ذلك العصر الحكم المستنصر.
- المرقتل : امبراطور المملكة الرومانية الشرقية أو بيزنطة .
- أرمنية : في آسيا الصغرى بين أنجاد إيران شرقاً والأناضول غرباً وبين بحر القزوين وميسيل الفرات الأعلى ، تنازعها العباسيون والبيزنطيون في ولاية أمرائها البغراطيين.

أسئلة

- 1) - كيف تخلَّص الشاعر من ذمّ بني مروان ملوك الأندلس إلى هجاء بني العباس المشاركة؟ - 2) - كيف علل ابنُ هانئ عَجَزَ بني العباس عن حساية دار الإسلام من هجومات الروم؟ - 3) - في أي بيت يظهر عدم اعتراف الشاعر بحكم بني العباس؟ - 4) - ماذا يستعير ابن هانئ للحق وللباطل في الموازنة بين الفاطميين وبين أعدائهم وكيف ترى ذلك؟ - 5) - إلى أي حادثة يُشير الشاعر في البيت الأول؟ - 6) - ماذا يقصد في البيت الخامس عشر؟

ابن وهب الله (الكامل)

- تقديم :

هذه عيّنات من مطوّلة في مدح الخليفة المعزّ يوم عيد النحر وليس فيها دلالات تعين على تحديد الزمن الذي قيلت فيه لكنها تضمّنت عناصر واضحة من مذهب ابن هانئ الأمر الذي يحمل على الاعتقاد بأنّها قيلت بعد زمن غير قصير من اتّصال الشّاعر بالمعزّ .

مطلع القصيدة :

أَتَظُنُّ رَاحاً فِي السَّمَالِ (1) شُمُولاً (2) أَتَظُنُّهَا سَكْرَى تَجُرُّ ذُبُولاً
ومنها :

هَذَا ابْنُ وَحْيِ اللَّهِ تَأْخُذُ هَدْيَهَا
ذُو النُّورِ تُوَلِّيهِ (3) مَكَارِمُ هَاشِمٍ
فِي مَوْسَمِ النَّحْرِ السَّنِيحِ (5) يَرُوقُنِي
وَالجَوْ بَعَثُ بِالْأَسْنَةِ وَالظَّبْيِ
وَالْأَسَدُ فَاغْرَةً تُمَطِّي (7) نَيْسَهَا (8)
وَالشَّمْسُ حَاسِرَةُ القِنَاعِ وَوُدَّهَا
وَعَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ غَمَامَةً
ذَعَرَتْ مَوَاكِبَهُ الجِبَالِ فَأَعْلَنْتْ
رُفَعَتْ لَهُ قِبَابٌ لَمْ تَكُنْ
أَيْكِيَّةً (15) الذَّهَبِ المُرْصَعِ رَفَرَفَتْ
أَنْ تَلْتَفِتَ فِكْرَادِيساً (16) وَمَقَانِباً (17)
يَوْمٌ تَجَلَّى اللَّهُ مِنْ مَلَكُوتِهِ
عَجَباً لِمُنْصَلِكِ (8) المَقْلَدِ كَيْفَ لَمْ
تَسْلِ النَّفُوسُ (19) عَلَيْكَ مِنْهُ مَسِيلاً

لَمْ يَخْلُ جَبَّارُ الْمُلُوكِ بِذِكْرِهِ إِلَّا تَشَحَّطَ (20) فِي الدَّمَاءِ قَتِيلًا
سَمَاهُ جَدَّكَ ذَا الْفَقَارِ وَإِنَّمَا سَمَاهُ مَنْ عَادَيْتَ عِزْرًا تَيْلًا
وَكَانَ بِهِ لَمْ يَبْقِ وَتَرَا (21) ضَائِعًا

فِي كَرْبَلَاءَ وَلَا دَمًا مَطْلُولا
أَوْ مَا سَمِعْتُمْ عَنْ وَقَائِعِهِ الَّتِي لَمْ تَبْقِ إِشْرَاكَ وَلَا تَبْدِيلًا
سَارَتْ بِهَا شَيْعُ الْقَصَائِدِ شُرْدًا فَكَأَنَّمَا كَانَتْ صَبًا وَقَبُولًا (22)
حَتَّى قَطَعْنَ إِلَى الْعِرَاقِ الشَّامَ عَنْ عُرُضِ (23) وَخُضْنَ إِلَى الْفُرَاتِ النَّيْلًا
طَلَعَتْ عَلَى بَغْدَادَ بِالسَّيْرِ الَّتِي سَيَّرْنَهَا غُرُرًا لَكُمْ وَحُجُولًا
أَجْلَيْنَ (24) مِنْ فِكْرِي إِذَا لَمْ يَسْمَعُوا

لَسِيَوْفَهِنَّ الْمُرْهَفَاتِ صَلِيلًا
وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِأَنْ أَفُكَّ قِيُودَهَا لَمَّا رَأَيْتُ الْمُحْسِنِينَ قَلِيلًا
حَتَّى رَأَيْتُ قَصَائِدِي مَنْحُولَةً وَالْقَوْلَ فِي أُمَّ الْكِتَابِ مَقُولًا
وَلَكِنْ بَقِيَتْ لِأَخْلَيْنَ لَغْرَهَا مَيْدَانِ سَبْقِي مُقْصِرًا وَمُطِيلًا
حَتَّى كَأَنِّي مُلْهِمٌ وَكَأَنَّهُمَا سُورٌ أَرْتَلُ آيَهَا تَرْتِيلًا
ابن هاني

الدكتور زاهد علي

« تبين المعاني في شرح ديوان ابن هاني الأندلسي المغربي »

مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر 1352 هـ.

ص 564 - 579

الشرح :

- 1- الشَّمَالُ : رِيحٌ والجمع شمالاتٌ - 2- الشَّمْسُومُ : الخمر - المعنى : يسأل عن كيفية ريح الشمال التي تهبُّ من جهة منزل أحبائه فهي تهبُّ لينة فكأنها سكرى تجرُّ ذبولها - 3- أولاه معروفاً : صنعه اليه - 4- النَّائِلُ : العَطِيَّةُ - 5- السَّنْعُ : الحسن الجميل - 6- واجفة من وجف : اضطرب - 7- مطىء الشَّىء تمطئة : مدهُ من مطي الشَّىء مطاً اذا امتدَّ وطال - 8- النَّيْبُ جمع ناب وهو السنُّ خلفَ الرَّباعية مؤثت ومن المجاز - 9- السَّلُو بالكسر والسَّلَا : الجلد والجسد من كل شئء 10- أُمْدِيرَهَا : الخطابُ لمدير المظَلَّةِ يقول يا مُدِيرَ المظَلَّةِ من حيث دار الخليفة لشُدِّ ما ضايقته جبريلَ الذي يمشي حول ركابه مع سائر الملائكة - 11- الظُّعْنُ مفردة الظُّعينة : اليهودج فيه امرأة أم لا وهي أيضا المرأة في اليهودج سميت به - 12- الأجرع مفردة الجرعاء : الأرض ذات الحزونة والخشونة تشاكل الرَّمْل - 13- الحمى : ما حُمي من شئء - 14 : الحُمُول : الهوادج والإبل عليها الهوادج الواحد حملٌ - 15- أَيْكِيَةُ الذَّهَبِ : أراد أن فيها نقوشاً بالذهب تمثل الأيكة والحمام ولكنها ليست بالحمام المعروفة التي تدعو هديلا وهو ذكرها - 16- الكرادس : القطع العظيمة من الخيل الواحد كردوس وكردوسة - 17- المقانب : الواحد مقنب وهي القطعة من الخيل ما بين الثلاثين والاربعين 18- المُنْصَلُ والمنصل : السَّيْف - 19- النفوس هنا بمعنى الدماء - 20- تشحط في الدَّم : تمرغ فيه - 21- الوتر بالكسر والفتح : الظلم ويستعمل في العداوة بسبب القتل - 22- القبول : ريح الصِّبَا لأنها تقابل الدَّبُور وهي الرِّيحُ الشَّرْقِيَّة 23- العُرْضُ : النَّاحِيَّة - 24- أجلين : خرجن من أجلى الرَّجُل عن بلده : خرج.

أسئلة :

1) كيف عكس ابن هانيء في البيت الأوّل مألوف الاعتقاد السنّي في خصوص الوحي والهداية ؟

2) أين تظهر المغالاة في تغني الشاعر بإمامه ؟

3) هل تستطيع أن تنشر ما قاله ابن هاني شعراً في صفة قباب الجيش الفاطمي؟

4) ما رأيك فيما ذُكر عن تجلّي الله للإمام في البيت الثالث عشر؟

5) ماذا يعني ابن هاني بالإشراك والتبديل؟

6) حاول أن تضبط عناصر المذهب الفاطمي وعقيدة الإمامة عند الشيعة بالإستناد

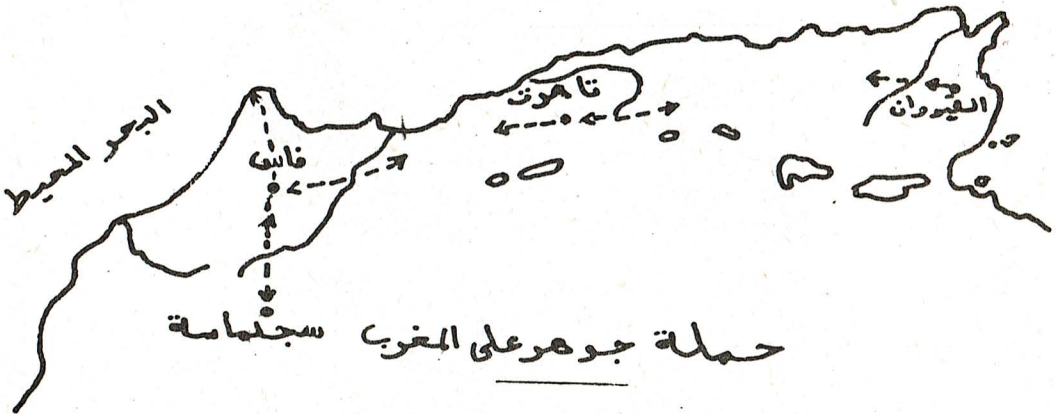
الى هذه العيّنات

7) ما رأيك في لغة ابن هاني ما هنا؟ كيف تملّل اختياره لهذا المستوى اللغوي؟

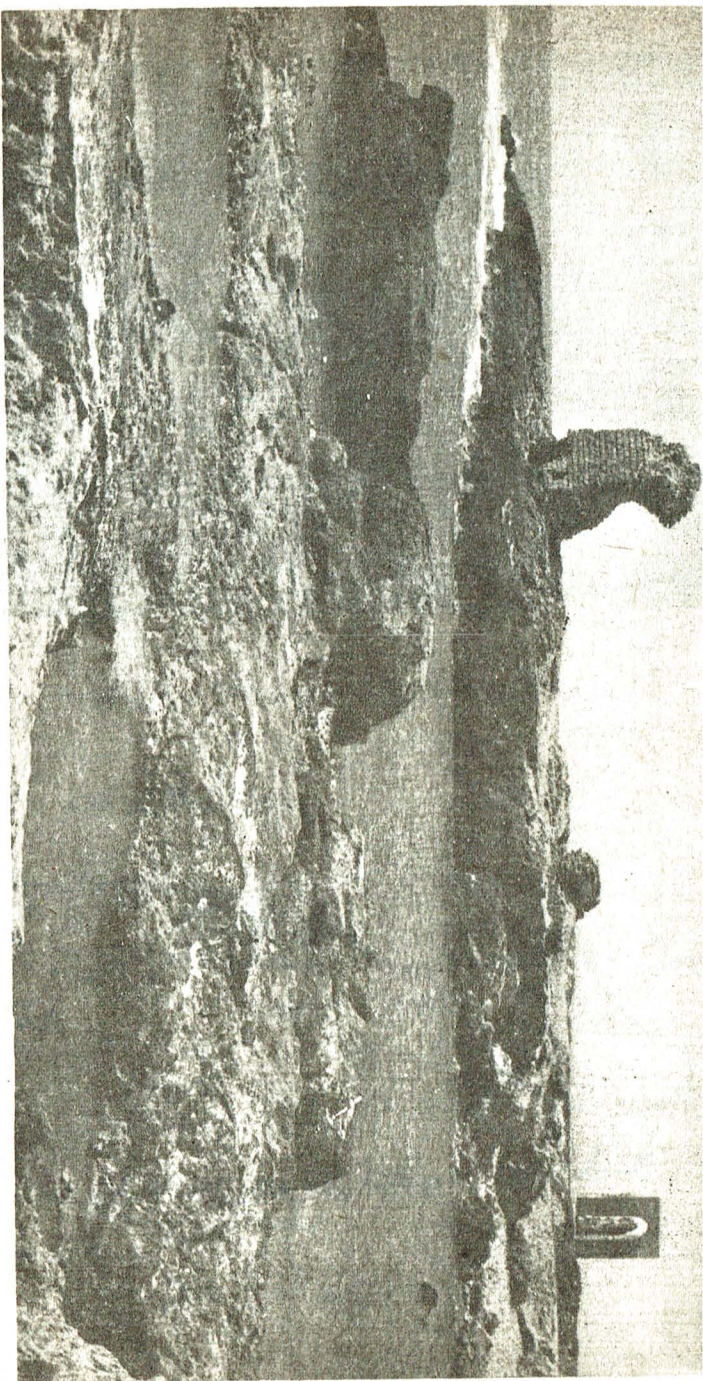


نسيج من العصر الفاطمي (متحف الفن الإسلامي بالقاهرة)

بعد الدوم



خريطة تمثل حملة جوهر على المغرب



منظر عام لبيضاء المهديّة القديم

هَدِيَّةٌ مِّنْ أَعْطَى النَّصِيحَةَ حَقًّا (الطَّوِيل)

— مناسبة التهصيدة :

في سنة 346 هـ. ولي مدينة سبتة وال من قبل عبد الرحمن الناصر وأمره بتحسينها وبناء سورها ، ونقض أهل المغرب الأقصى طاعة الشيعة وحالف صاحب قاهرت يعلى بن محمد اليفرنى أعداء الفاطميين بنى مروان بالأندلس سنة 347 هـ ، فجهز المعز في تلك السنة قائده جوهر الصقليه بعسكر كثيف لقمع المتصدين وفتح المدن والقلاع المستعصية عليه ، فسار إليها وأسر أكابر الغاربة وتقبض على يعلى بن محمد اليفرنى بتاهرت وافتكها منه وضمتها إلى زيدي بن مناد وخرّب إيضكان ، ثم سار إلى فاس فاستعصت عليه ، فرحل عنها إلى سجلماسة واحتلها وأسر صاحبها محمد بن الفتح ، ثم عاد إلى فاس وألح عليها بالحصار حتى سقطت وأسر صاحبها أحمد بن بكر سنة 348 هـ وطرده جُلّ عمّال بنى أمية من سائر المغرب ولكنه لم يقدر على سبتة وكان يحكمها أمير من قبل عبد الرحمن الناصر صاحب الأندلس. وأتى جوهر البحر المحيط فأمر باصطياد سمكه وجعله في قلال الماء وأرسله إلى المعز إشارة إلى أنه ملك ما مرّ به من المدائن والأمم حتى يبلغ المحيط ، ثم رجع إلى المعز غانماً مظفراً ومعه أميراً سجلماسة وفاس في قنصي حديد ودخل بهما إلى المنصورية في يوم مشهود خطبه ابن هانئ بهذا القريض :

أَلَا هَكَذَا فَلْيُبْهِدِ مَن قَادَ عَسْكَرًا

وَأُورِدَ (1) عَن رَأْيِ الْإِمَامِ وَأُصْدِرًا (2)

هَدِيَّةً مِّنْ أَعْطَى النَّصِيحَةَ حَقَّهَا

وَكَانَ بِمَا لَمْ يُبْصِرِ النَّاسُ أُبْصِرًا

أَلَا هَكَذَا فَلْتُجَلِّبِ الْعَيْسُ بُدْنًا (3)

أَلَا هَكَذَا فَلْتُجَلِّبِ الْخَيْلُ ضُمْرًا (4)

مُرْقَلَةً (5) بَسْحَبِينَ أَذْيَالٍ يُمْنَسَةُ (6)

وَيَرُكُضْنَ دِيبَاجًا وَوَشِيًّا (7) مُحَبَّرًا (8)

تَرَاهُنَّ أَمْثَالَ الطُّبَّاءِ عَوَاطِيَا (9)
لَبْسُنَ بَيْبَرِينَ (10) الرَّبِيعِ الْمَثُورَا (11)
بِمُشَيِّنَ مَشْيِ الْغَانِيَاتِ تَهَادِيَا
عَلَيْهِنَّ زِيُّ الْغَانِيَاتِ مُشَهَّرَا
فَلَا يَسْتَرْنَ الْوَشْيُ حُسْنَ شِيَاتِهَا (12)
فَيَسْتُرُ أَحْلَى مِنْهُ فِي الْعَيْنِ مَنْظَرَا
وَمَا خَلْتُ أَنَّ الرُّوضَ يَخْتَالُ مَاشِيَا
وَلَا أَنْ أَرَى فِي أَظْهَرِ الْخَيْلِ عِبْرَا (13)
أَرَى صُورَا يَسْتَعْبِدُ النَّفْسَ مِثْلَهَا
إِذَا وَجَدْتَهُ أَوْ رَأْتَهُ مُصَوَّرَا
أَفُكَّهُ (14) مِنْهَا الطَّرْفَ فِي كُلِّ شَاهِدِ (15)
بِأَنَّ دَلِيلَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَا بَرَا
إِلَّا إِنَّمَا تَهْدِي إِلَى خَيْرٍ هَاشِمِ
وَأَفْضَلِ مَنْ يَعْلُو جَوَادَاً وَمِنْبَرَا
مَنْ اسْتَنَّ (16) تَفْضِيلَ الْجِيَادِ لِأَهْلِهَا
فَأَوْطَاهَا هَامَ الْعَدَى وَالسَّنُورَا (17)
وَجَلَّلَهَا أَسْلَابَ (18) كُلِّ مُنَافِقٍ وَكُلِّ عَنِيدٍ قَدُ طَغَى وَتَجَبَّرَا
وَقَلَّدَهَا الْيَاقُوتَ كَالْجَمْرِ أَحْمَرَا بُضِيءُ سَنَاهُ وَالزَّمْرُدَ أَخْضَرَا
وَقَرَّطَهَا الدَّرَّ الَّذِي خَلَقَتْ لَهُ
وَفَاقَا (19) وَكَانَتْ مِنْهُ أَسْنَى وَأَخْطَرَا
تَحَلَّى (20) بِمَا يَسْتَعْرِقُ الدَّهْرَ قِيمَةً
فَتَخْتَالُ فِيهِ نَخْوَةٌ وَتَكْبُرَا
وَمَا ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يُخَاضَ بِهَا السَّرْدَى
فَتَنْهَشُ (21) تَنْبِيَاً (22) وَتَضَعَمُ (23) قَسُورَا (24)

فَطَوْرًا تُسْقَى صَافِي الْمَاءِ أَرْزَقَنَا
وَطَوْرًا تُسْقَى صَائِكَ (25) الدَّمِ أَحْمَرًا
لِذَلِكَ تَرَى هَذَا النُّضَارَ (26) مُرْصَعًا
عَلَيْهَا وَذَلِكَ الْأَتْحَمِيَّ (27) مُسَيَّرًا (28)
إِذَا مَا تَسِيحُ التَّبِيرُ أَضْحَى يُظْلَهُهَا
أَفَاءَ (29) لَهَا مِنْهُ غَمَامًا كَنَهْوَرًا (30)
وَأَهْلٌ بِأَنْ تُهْدَى إِلَيْهِ فَإِنَّهُ كَنَّاها وَسَمَّاها وَحَلَّى وَسَوْرًا (31)
وَأَسْكَنَهَا أَعْلَى الْقَبَابِ مَقَاصِرًا وَأَحْسَنَهَا عَاجًا وَسَاجًا (32) وَمَرْمَرًا
يُجَدُّ (33) لَهَا فِي كُلِّ عَامٍ سَرَادِقًا (34)
وَيَبْنِي لَهَا فِي كُلِّ عِلْيَاءٍ مَظْهَرًا
أَلَا إِنَّمَا كَانَتْ طَلَائِعُ جَوْهَرٍ
بِغَضِ الْهَدَايَا كَالْعُجَالَةِ (35) لِلْقِرَى
وَلَوْ لَمْ يُعَجَّلْ بَعْضُهَا دُونَ بَعْضِهَا
لَضَاقَ الشَّرَى وَالْمَاءُ طُرْفًا وَمَعْبَرًا
لَعَمْرِي ! لئن زَانَ الْخَلَاقَةَ نَاطِقًا
لَقَدَّ زَانَ أَيَّامَ الْحُرُوبِ مُدَبَّرًا
تَضِجُ الْقَنَا مِنْهُ لِمَا جَشَّمَ الْقَنَا
وَتَضْرَعُ مِنْهُ الْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالسُّرَى
هُوَ الرَّمْحُ فَاطْعَنُ كَيْفَ شَتَّ بِصَدْرِهِ
فَلئن يَسَامُ الْهَيْجَا وَلئن يَتَكَسَّرَا
لَقَدَّ أَنْجَبَتْ مِنْهُ الْكُتَّابُ مِدْرَهًا 36
سَرِيعَ الْخَطَى لِلصَّبَا حَاتِ مَيْسَرًا
وَلَمْ أَجِدِ الْإِنْسَانَ إِلَّا ابْنَ سَعِيهِ
فَمَنْ كَانَ أَسْعَى كَانَ بِالْمَجْدِ أَجْدَرًا

وَبِالْهُمَّةِ الْعَلِيَاءِ يُرْقَى إِلَى الْعُلَا
 فَمَنْ كَانَ أَرْقَى هِمَّةً كَانَ أَظْهَرَ
 وَقَدْ كَانَتْ الْقَوَادِمُ مِنْ قَبْلِ جَوْهَرِ
 لِتَصْلُحُ أَنْ تَسْعَى لِتَخْدِمَ جَوْهَرَ
 عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا كَوَاكِبَ عَصْرِهِمْ
 وَلَكِنْ رَأَيْنَا الشَّمْسَ أَبْهَى وَأَنْوَرَا
 فَلَا يُعَدُّ مِنَ اللَّهِ عَبْدًا نَصْرَهُ
 فَمَا زَالَ مَنْصُورَ الْيَدَيْنِ مُظْفَرَا
 إِذَا حَارَبَتْ عَنْهُ الْمَلَائِكَةُ الْعُدَى
 مَلَأْنَ سَمَاءَ اللَّهِ بِاسْمِكَ مُشْعَرَا 37
 وَمَا اخْتَرْتَهُ حَتَّى صَفَا وَتَقَى الْقَذَى
 بَلِ اللَّهُ فِي أَمِّ الْكِتَابِ تَخِيَّرَا
 وَوَكَّلْتَهُ بِالْجَيْشِ وَالْأَمْرِ كُلِّهِ
 فَوَكَّلْتَ بِالغَيْلِ 38 الْهَزْبَرَ الْغَضَنْفَرَا
 كَأَنَّكَ شَاهَدْتَ الْخَفَايَا سَوَافِرَا
 وَأَعْجَلْتَ وَجْهَ الْغَيْبِ أَنْ يَتَسَمَّرَا
 أَلَا انْظُرْ إِلَى الشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ فِي الضُّحَى
 وَمَا قَبِضْتَهُ أَوْ تَمَدَّ عَلَى الثُّرَى
 فَانْقَبُ مِنْهَا نَارُ زَنْدِكَ لِلْقُرَى
 وَأَشْهَرُ مِنْهَا ذَكَرُ جُودِكَ فِي الْوَرَى
 بَلَّغْتَ بِكَ الْعَلِيَّاءَ فَلَمْ أَدْنُ مَا دَحَا
 لِأَسْأَلَ لِنَكْتِي دَتَوْتُ لِأَشْكُرَا
 وَصَدَّقَ فِيكَ اللَّهُ مَا أَنَا قَائِلُ
 فَلَسْتُ أَبَالِي مَنْ أَقَلَّ وَأَكْثَرَا

ابن هاني

«تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هاني»

ط. مصر 1352 هـ ص 352 — 363.

تسميته: يقتصر في الشرح المفصل بالفصل على الأبيات المحددة بإطار.

- القائد جوهري:

أصله مملوك رومي رباه المعز لدين الله وكنّاه بأبي الحميين وأعلى قبله وسيّره في رتبة الوزارة وجعله قائد الجيوش وبعثه في صفر سنة 347 ومعه عساكر كثيرة إلى المغرب فافتتح مدنها ، ثم جهزه الممزر إلى مصر ففتحها سنة 358 هـ. وهو الذي سيّر جعفر بن فلاح الذي كان معه بمصر إلى بلاد الشام في العساكر فأخذ الرملة وملك طبرية ودمشق ، وحسبكم جوهراً ما فتح من ديار مصر وبلاد الشام حتى ورد المعز من المغرب إلى القاهرة وتسلم أمرها منه. ولم يزل جوهراً بالمسكان الأثير عند المعز ثم العزيز حتى توفي يوم الإثنين لسبع بقين من ذي القعدة سنة 381 هـ وصلى عليه العزيز وخلع على ابنه الحسين وجعله في مرتبة أبيه ولقبه بالقائد بن القائد.

الشرح اللغوي :

(1) - إيراد الأمر : ابتداءه (2 - إصداره : إتمامه . - 3) - البدن جمع بادن للمذكر والمؤنث وقد يقال في المؤنث بادنة من بدن وهو بادن وبدين : عظم بدنه بكثرة اللحم . - 4) - ضمر مفردة ضامر وضامرة ضد بادن . - 5) - رقل الأزار : أرسله وتبخر فيه من الرقل وهو جرّ الذيل . - 6) - الیضنة بالضم : بُردٌ يمني . - 7) - الوشي : الثوب المنعم المنقوش . - 8) - المُجبر : المحسن والمزين . - 9) - العواطي صفة للخيل المادّة أعناقها لتناول ورق الشجر . - 10) - يبرين أرض فيها رمل مُترامي الأطراف من نواحي اليمن . - 11) - المنور : المزهرة - 12) - شياتها : الواحدة شية ووشي : كل لون يخالف معظم لون الفرس وقيل هي في ألوان البهائم بياض في سواد أو سواد في بياض . - 13) - العبقري : ضرب من البسط فاخر فيه أصباغ وبقوش ، وعبقر : موضع تزعم العرب أنه كثير الجن ثم نسبوا إليه كل شيء تعجبوا من خلقه أو جودة صنعه . - 14) - أفكّه مضارع فكّه فلان أحبابه بملح الكلام : أطرفهم بها - 15) - شاهد اسم فاعل أي في كل فرس شاهد . - 16) - استن الأمر : جعله سنة يسار عليها . - 17) - السنور : جملة السلاح وخص بعضهم به الدرع . - 18) - أسلاب مفردة سلب : ما يسلب - 19) - وفاق : مصدر وافق - 20) - تحلى أصله تتحلى -

- (21) - نَهَشْتَهُ الْحَيَّةُ : لَسَعَتْهُ - (22) - التَّنِينُ : الحَيَّةُ العَظِيمَةُ - (23) -
الضَّفْنَمُ : العَضُ بِمِثْلِ الفِصَمِ - (24) القسور والقسورة : الأَسَدُ - (25) صَانِكُ
صِفَةٍ مَن صَانِكُ الدَّمِ : سَفَكَهُ - (26) النُّصَارُ : الذَّهَبُ الخَالِصُ - (27)
الأَتْحَمِيُّ : ضَرَبَ مِنَ البُرْدِ تُنْجَعُ بِبِلَادِ العَرَبِ - (28) مُسَيَّرُ اسْمِ المَفْعُولِ
مِنَ سَيَّرَ الثُّوبَ وَالسَّهْمَ : جَعَلَ فِيهِ خُطُوطاً - (29) أَفَاءُ الظِّلِّ إِفَاءَةٌ : رَجَعَ
(30) الكَنُهَوْرُ : السَّحَابُ البَهِيفُ - (31) سَوْرَ المَرَأَةِ : أَلْبَسَهَا السَّوَارَ وَهُوَ
حَلِيَةٌ كَالظَّنْوَقِ تَلْبَسُهُ المَرَأَةُ فِي زِينَتِهَا وَالجَمْعُ أَسَاوِرُ وَأَسْوِرَةٌ - (32) السَّاجُ :
شَجَرٌ عَظِيمٌ أَسْوَدُ الخَشَبِ ثَمِيمُهُ يَنْبَتُ فِي المِنْدِ (Bois de Teck) - (33) يَجِدُّ
أَي يَجِدُّدُ - (34) السَّرَادِقُ ج سُرَادِقَاتُ : القَسَطَاتُ الَّتِي يَمْدُ فَوْقَ صَحْنِ
الْبَيْتِ ، وَالخَيْمَةِ - (35) العُجَالَةُ للقَرْيِ : مَا يُعَجَّلُ لِلضَّيْفِ مِنَ الطَّعَامِ - (36)
المُدْرَةُ : السَّيْدُ الشَّرِيفُ المَقْدَمُ فِي اللِّسَانِ وَالمُدْرَةُ لِأَنَّهُ يَقْوَى عَلَى الأُمُورِ وَيُهْجَمُ
عَلَيْهَا مُشْتَقٌّ مِنْ دَرَةٍ فَلَانٌ عَلَيْنَا وَدِرًا إِذَا هَجَمَ عَلَيْنَا مِنْ حَيْثُ لَمْ نَحْتَسِبْهُ .
- (الْبَيْتُ 30) مَعْنَاهُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى « وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى » - (37) مُشْعَرًا
عَلَى بِنَاءِ المَفْعُولِ حَالٍ مِنْ قَوْلِهِ « اسْكُ » وَالمُشْعَرُ مَا لَهُ شَعَارٌ ، وَهُوَ نِدَاءٌ مُخْصِصٌ
بِعَرَفِ القَوْمِ بِهِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا أَوْ يَتَنَادَوْنَ بِهِ لِلحَرْبِ أَوْ لِلضَّرِّ وَيُسَمِّيهِ المَوْلِدُونَ
سَرَ اللَّيْلِ - (38) - القَيْلُ : الشَّجَرُ الكَثِيرُ المَلْتَفُّ يُسْتَسَرُّ فِيهِ كالأُجْمَةِ .

أَسْئَلَةٌ

- (1) - انثُرُ مَا نَظَّمَهُ ابْنُ هَانِي فِي صِفَةِ الخَيْلِ وَدِيَابِجِهَا - (2) - فِي أَيِّ بَيْتٍ
ذُكِرَ البُرْهَانُ الكَوْنِيُّ عَلَى وَجُودِ اللهِ ، ذَلِكَ البُرْهَانُ المَتَمَثِّلُ فِي جَمَالِ الخَيْلِ
وَحَسَنِ دِيَابِجِهَا؟ - (3) - عَلَى مَا يَدُلُّ التَّفَضُّنُ فِي تَسْرِيبِ الخَيْلِ؟ - (4) - هَلْ اعْتَنَى
جَوْهَرٌ بِتَجْمِيلِ الخَيْلِ لِتَبَاهِيهِ وَالتَّبَرُّجِ بِهَا فِي المَوَاقِبِ أَمْ لِيخْوَضَ بِهَا المَعَارِكِ؟ مَا هُوَ
الْبَيْتُ المَدْعَمُ بِجَوَابِكِ؟ - (5) - أَيْنَ يَظْهَرُ تَطَرُّفُ ابْنِ هَانِي فِي مَوْضِعِ اخْتِيَارِ المَعْرِزِ
لِقَائِمِهِ جَوْهَرِ؟ هَلْ تَجَدُّ فِي القِطْعَةِ تَطَرُّفًا عَقَائِدِيًّا آخِرًا؟ مَا هُوَ؟

لك البر والبحر (الطويل)

« في وصف الأسطول »

تقديم :

كانت صقلية مركز صراع بين المسلمين والروم وكان حكمها في عهد الفاطميين لعمّالهم من الاسرة الكليية واستعان مسيحو تلك الجزيرة في محاربة المسلمين بأباطرة الدولة البيزنطية الذين كانوا يناصبون العبّاسيين في المشرق والفاطميين في صقلية .

ومن أخطر الوقائع في صقلية زمنئذ موقعة رمطة (Rametto) فإن الفاطميين حاصروا تلك المدينة في رجب 352 هـ فاستنجد أهلها بالإمبراطور « نقفور فوكاس » 352 هـ . وكان قد انتصر على العبّاسيين والحمدانيين فأنجدهم بأسطول ضخّم قاده « مانويل » ودارت معركة خطيرة قرب مدينة رمطة وفوجيء الروم المدّثون بكثرتهم بثبات الحسن بن عمّار الكليبي وجيشه الصّغير في القتال وناشتهم سيوف الفاطميين وعسّر فرس مانويل وقتل هذا القائد فتقهقر الروم وحالت الامطار والعواصف بينهم وبين النّجاة وتبعّهم المسلمون بالقتل .

وما كاد أحمد بن الحسن الكليبي ابني عمّ الحسن بن عمّار يعلم بهزيمة الروم في رمطة حتّى لحق بهم وانتصر عليهم في موقعة « المجاز » سنة 354 هـ 965 م . وفي هذه الموقعة خسّر الروم أسطولهم وبمناسبتها قال ابن هاني هذه القصيدة يهنئ المعزّ بالنّصر ويذكر وفود الروم عليه يحملون الجزية ويعرضون الصلح وقد تمّ ذلك بعد وقعة المجاز في سنة 357 هـ . ولمّا وصل « نيقولا » سفير امبراطور الدولة البيزنطية الى افريقية هآله ما رأى من عظمة المعزّ وما شاهده في قصره من مظاهر الأبهة وعلم أن الروم قد أخطأوا حين سمّوه « ملك التبربرين » (انظر : حسن ابراهيم حسن « تاريخ الدولة الفاطمية »).

لك البرّ والبحرُ العظيمُ عبّابهُ
فسيان (1) أغمار (2) تُخاض ويدي
أما والجوّاري المنشآت (3) التي سرّت
لقد ظاهرتها عدة⁴ وعديد

قَبَابٌ كَمَا تُزَجِّي (5) القَبَابُ (6) عَلَى المَهَا (7)
 وَلَكِنْ مَن ضَمَّتْ عَلَيْهِ أُسُودُ
 وَللهِ مِمَّا لَا يَرُونَ كِتَابًا مُسَوِّمَةً (8) نَحْدُو (9) بِهَا وَجَنُودُ
 أَطَاعَ لَهَا أَنَّ المَلَائِكَةَ خَلَفَهَا كَمَا وَقَعَتْ خَلْفَ الصُّفُوفِ رِدُودُ (10)
 وَأَنَّ الرِّيحَ الذَّارِيَاتِ (11) كِتَابًا وَأَنَّ النُّجُومَ الطَّالِعَاتِ سَعُودُ
 وَمَا رَاعَ مَلِكَ الرُّومِ إِلَّا أَطْلَاعُهَا

تُنَشِّرُ أَعْلَامًا لَهَا وَبُنُودُ (12)
 عَلَيْهَا غَمَامٌ مُكْفَهَرٌ (13) صَبِيرُهُ (14)
 لَهُ بَارِقَاتٌ جَمَّةٌ وَرُعُودُ
 مَوَآخِرُ فِي طَامِي العُبَابِ كَأَنَّهُ
 لِعِزِّكَ بَأْسٌ أَوْ لِكِفِّكَ جُودُ
 أَنشَأَتْ (15) بِهَا أَعْلَامُهَا وَسَمَّالَهَا

بِنَاءٌ عَلَى غَيْرِ العَرَاءِ (16) مَشِيدُ
 مِنَ الرَّاسِيَاتِ الشَّمُّ لَوْلَا انْتَقَالُهَا
 فَمِنْهَا قَنَانُ (17) شُمُخٌ وَرَبُودُ (18)
 مِنَ الطَّيْرِ إِلَّا أَنَّهُنَّ جَوَارِحٌ فَلَيْسَ لَهَا إِلَّا النُّفُوسُ مَصِيدُ
 مِنَ القَادِحَاتِ النَّارِ تُضْرَمُ لِلطَّلَسِيِّ (19)

فَلَيْسَ لَهَا يَوْمَ اللِّقَاءِ خُمُودُ
 إِذَا زَفَرَتْ (20) غَيْظًا تَرَامَتْ بِمَارِجِ (21)
 كَمَا شَبَّ مِنْ نَارِ الجَحِيمِ وَقُودُ
 فَأَنفَاسُهُنَّ الحَامِيَاتُ (22) صَوَاعِقُ

وَأَفْوَاهُهُنَّ الزَّافِرَاتُ حَدِيدُ
 تُشَبَّبُ لِآلِ الجَانِّ لِيَقِ سَعِيرُهَا وَمَا هِيَ مِنْ آلِ الطَّرِيدِ بَعِيدُ
 لَهَا شُعَلٌ فَوْقَ العِمَارِ كَأَنَّهَا دِمَاءٌ تَلَقَّتْهَا مَلَا حِيفُ سُودُ

تُعَانِقُ مَوْجَ الْبَحْرِ حَتَّى كَأَنَّهٗ

سَلِيطٌ (23) لَهَا فِيهِ الذُّبَابُ (24) عَتِيدٌ (25)

تَرَى الْمَاءَ مِنْهَا وَهُوَ قَانَ (26) عُبَابُهَا

كَمَا بَاشَرَتْ (27) رَدَعُ (28) الْخَلْقُوقِ (29) جُلُودٌ

وَعَبِيرٌ الْمَدَاكِي (30) نَجْرُهَا (31) غَيْرَ أَنَّهَا

مُسْوَمَةٌ (32) تَحْتَ الْفَوَارِسِ قُودٌ (33)

فَلَيْسَ لَهَا إِلَّا الرِّيَّاحُ أَعْنَةٌ وَلَيْسَ لَهَا إِلَّا الْحَبَابُ (34) كَدِيدٌ (35)

تَكْبَرْنَ عَنْ تَقَعٍ يُثَارُ (36) كَأَنَّهَا

مَوَالٍ وَجَرْدُ الصَّافِنَاتِ (37) عَيِيدٌ

لَهَا مِنْ شُفُوفٍ (38) الْعَبْقَرِيِّ (39) مَلَابِسٌ

مُفَوَّقَةٌ (40) فِيهَا النُّضَارُ (41) جَسِيدٌ (42)

كَمَا اشْتَمَلَتْ فَوْقَ الْأَرَائِكِ (43) خُرْدٌ (44)

أَوْ التَّفَعَّتْ (45) فَوْقَ الْمَنَابِرِ صِيدٌ (46)

لُبْسٌ (47) تَكُفُّ الْمَوْجَ وَهُوَ غُطَا مَطٌ (48)

وَتَدْرَأُ (49) بِئَاسِ الْيَمِّ وَهُوَ شَدِيدٌ

فَمِنْهَا دُرُوعٌ فَوْقَهَا وَجَوَاشِينٌ (50)

وَمِنْهَا حَفَّاتَيْنِ (51) لَهَا وَبُـرُودٌ

* * *

الآ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَبْدُلُ كُلَّ مَمَّا

تَضِنُّ بِهِ الْأَنْوَاءُ وَهِيَ جُمُودٌ

فَلَا غَرَوَ أَنْ أَعَزَّزْتَ دِينَ مُحَمَّدٍ فَأَنْتَ لَهُ دُونَ الْأَنْامِ عَقِيدٌ 52

غَضِبْتَ لَهُ أَنْ تُنَلَّ 53 بِالشَّامِ عَرَّشُهُ

وَعَادَكَ مِنْ ذِكْرِ الْعَوَاصِمِ عَيْدٌ 54

قَبَّتْ لَهُ دُونَ الْأَنْتَامِ مُسَهَّدًا وَتَامَ طَلِيقٌ خَائِنٌ وَطَرِيدٌ
 بِرَعْمِهِمْ أَنْ أَيْدِ الْحَقِّ أَهْلُهُ وَأَنْ بَاءَ بِالْفِعْلِ الْحَمِيدِ حَمِيدٌ
 فَللَّوْحِي مِنْهُمْ جَا حِدٌ وَمُكَدَّبٌ وَلِلدَّيْنِ مِنْهُمْ كَا شِعْ وَعَسُودٌ
 هُمْ بَعْدُوا عَنْهُمْ عَلَى قُرْبِ دَارِهِمْ
 وَجَحْفَلُكَ الدَّانِي وَأَنْتَ بَعِيدٌ
 وَقُلْتَ أَنْاسٍ ذَا الدِّمُ مُسْتَقٌ شُكْرَهُ
 إِذَا جَاءَهُ بِالْعَفْوِ مِنْكَ بَرِيدٌ
 تَنَاجِيكَ (55) عَنْهُ الْكُتْبُ وَهِيَ ضَرَاعَةٌ
 وَيَأْتِيكَ عَنْهُ الْقَوْلُ وَهُوَ سُجُودٌ
 إِذَا أَنْكَرَتْ فِيهَا التَّرَاجِمُ لِقَطْطِهِ
 فَأَذْمَعُهُ بَيْنَ السُّطُورِ شُهُودٌ
 لِيَا لِي (56) تَقْفُوا الرِّسْلَ رُسُلٌ خَوَاضِعٌ
 وَيَأْتِيكَ مِنْ بَعْدِ الْوُفُودِ وَفُؤُودٌ
 فَإِنَّ هَزَّ أَسْيَافَ الْهَرَقْلِ فَإِنَّهَا
 إِذَا شِئْتَ أَغْلَالَ لَهُ وَقِيُودٌ (58)

ابن هانئ

الدكتور زاهد علي

«تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هانئ»

ط. مصر 1352 هـ ص 231 - 241

- الشرح الفوي

- 1 - السي : المثل وهما سيان أي مثلان -- 2 - الأعمار : جمع غمير وهو الماء الكثير -- - الواو في «الجواري» واو القسم و«الجواري» مجرور به وقوله «لقد سخ» جواب القسم -- 3 - «الجواري المنشآت» الجواري جمع جارية وهي ههنا السفينة لأنها تجري في الماء- والمنشآت : المرفوعات القلوع -- 4 - العدة : ما أعدت لحوادث الدهر من المال والسلاح -- 5 - زجساه وأزجساه : ساقه ومنه قوله تعالى «ربكم الذي يزجي لكم الفلك». -- 6 - المها : بشر الوحش شبه به النساء لجمال عيونهن -- 7 - قباب : شبه السفن بقباب الغواشي ثم ميزها بقوله «ولكن من اشتملت عليه هم أسود» 8 - مسومة : معلمة بعلامات -- 9 - حدا الإبل وبها : ساقها وغنى لها - (المعنى) واضح وفيه إشارة الى قوله تعالى «بلى ان تصبروا وتقموا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين» . -- 10 - الردود : جمع ردّ وهو المعقل والكهف يردّ عنك البلاء -- 11 - الذاريات : صفة للريح التي تذري التراب أي تطيره -- 12 - البنود : الواحد بند : العلم الكبير -- 13 - الغمام المكفهر : أراد به الدخان الاسود الخارج من المدافع -- 14 - الصبير : السحاب الأبيض الكثيف الذي يصبر بعضه فوق بعض من صبرته اذا حبسته -- 15 - أناف الشيء على غيره : ارتفع وأشرف وناف -- 16 - العراء الفضاء -- 17 - القنان جمع قنة بكسر القاف : الخيل المنجرد المستطيل في السماء ولا يكون الأسود
- 18 - ريود : جمع ريد وهو حرف ناتيء في عرض الجبل -- 19 - الطلى : الواحدة طلية وطلاة : العنق -- 20 - زفر الرجل : أخرج نفسه بعد مدة اياه
- 21 - المارج : الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد ومنه قوله تعالى «وخلق الجنّ من مارج من نار» 22 - الحاميات : صفة من حميت النار حمياً : اشتدّ حرها -- 23 - السليط : الزيت -- 24 - الذبال : الفتيلة -- 25 - عتيد : حاضر مهياً -- 26 - قنّا لونه وهو أحمر قان أي شديد الحمرة --
- 27 - باشرت مباشرة : لامست ملاسة ومن المجاز «باشره السحيم» أي فاض عليه حتى كأنه مسّ بشرته -- 28 - الردع : الزعفران وقيل لطح منه وقيل أثر الخلق والطيب في الجسد -- 29 - الخلق : ضرب من سيب مائع فيه صفرة لان اعظم أجزائه من الزعفران -- 30 2 المذاكي الخيل --

31 - نجرها : أصلها - 32 - مسومة : معلّمة بعلامات - 33 - قود :
الواحدة قوداء : طويلة الاعناق - 34 - الحباب : نُفَاحَاتُ الماء التي تعلق
وهي الفقاع - 35 - الكديد : الأرض الغليظة - 36 - « تكبرن عن نقع يثار » :
أي ترنعت عن إثارة الغبار في مجراها. - 37 - الصافات : الخيل القائمة على
ثلاثة قوائم - - 38 - الشفوف : جنح شَفَّ بالفتح ويكسر : هو الثوب الرقيق
من شَفَّ الثوب عن المرأة شفوفاً رق وأبدى ما وراءه من خلقها - 39 - العبقري :
ضرب من البسط فاخر فيه أصباغ ونقوش. - 40 - مفوقة : موشاة -
41 - النضار : الذهب الخالص - 42 - الجسيد : اللاصق - 43 - الارائك :
جمع أريكة وهي سرير منجد مزين في قبّة أو بيت - 44 - الخريدة والخرود
من النساء : البكر التي لم تُمسن قط. - 45 - التفع الرجل بالثوب : اشتمل به
وتغطى - 46 - صيد جمع أصيد : الملك لأنه لا يلتفت من زهو يميناً وشمالاً
من صَادَ فلاناً : جعله أصيد أي مائل العنق - 47 - اللبوس جمع لبس وهو
ما يلبس - 48 - الغمامط : البحر العظيم الامواج - دراه : دفعه شديداً
50 - الجواشن جمع جوشن وهو الدرع وقيل زرد يُلبسه الصلر والحيزوم
51 - الخفّاتين ج خفّتان وهو نوع من الدروع فارسي الاصل - 52 - العقيد : المعاهد
والمعاهد - 53 - ثلّ البيت : هدمه وهو أن يحضر أصل الحائط ثم يدفعه
فينقاض - 54 - « عادك من ذكر العواصم عيّد » : أي تذكّرت العواصم مرّة
بعد أخرى وأصابك بذكر تسخيرها حزن ، والعيّد ما عادك من هم أو مرض
أو حزن. والعواصم : حصون موانع وولاية تحيط بها بين حلب وأنطاكية
وقصبتها أنطاكية كان المسلمون يعتصمون بها. ويشير بذكر العواصم الى تغلب الروم
على المسلمين في تلك النواحي - 55 - تناجيك ومنه المناجاة : المسارة وفيه اشارة
الى أن الدمستق كان يكتب المعزّ خفية خوفاً من الفضيحة - 56 - « ليالي » منصوب
على الظرف أي هل نسي الدمستق شكره لك حين كان الامر كذا وكذا - 57 - قفّاً
أثره قفواً وقفواً : تبعه - 58 - « فإن هزّ لبح ... » أي لا تبال بأسياق الهرقل ولو
جردها الدمستق من غمودها وحسرتكها فإنها ستصير أغلالاً وقبوا اذا شتت .

— الأعلام : —

• الدَّمَسْتَق : كان نقفور ملك الروم معاصراً للمعزّ. ولم يكن من أهل بيت المملكة وإنما كان دمسقياً، والدَّمَسْتَق عندهم الذي كان يلي بلاد الروم التي هي شرقي خليج القسطنطينية وكان كُلٌّ من يليها يُلقَّبُ بالدَّمَسْتَق وكان نقفور هذا شديداً على المسلمين وهو الذي أخذ حلب أيام سيف الدولة فعظم شأنه عند الروم، وهو الذي فتح طرسوس والمصيصة وأذينة وغيرها وجعل همته الاستيلاء على بلاد الإسلام وهابته المسلمون. ولما استفحل أمره قتله أهله بحيلة.

• آل الجائليق : الروم

• آل الطَّريِّد : بنو أمية بالأنسلس

الأسئلة

- 1) انشر ما نظمه ابن هانئ في وصف الاسطول الفاطمي.
- 2) هل ألفت في الأدب العربي وصف السفن الحربية وما رأيك في نعت ابن هانئ اياها؟
- 3) ما هي الصورة الشعرية الموجودة في البيت الخامس؟
- 4) بمن يعرض ابن هانئ في البيتين التاسع والعشرين والثلاثين؟
- 5) علّق على تعدية الفعلين «تساجيك» و«ياتيك» «عنه» في البيت الخامس والثلاثين واذكر ما يسمّى هذا التعبير في اللغة؟
- 6) بين حركة القطعة .

وَبَعَثَ بِالْأَطُولِ (الكامل)

— مناسبة القطمة :

بعد وفاة المنصور أمر ابنه المعز نائيه على صقلية أحمد بن الحسن الكلبى بفتح ما تبقّى من قلاع الروم بتلك الجزيرة فغزاه وفتح طبرمين وغيرها سنة 351 هـ ولكن رمطة أعيته فحاصرها وألح عليها بالقتال ، فاستنجد أهلها بالإمبراطور البيزنطي فجاءهم من القسطنطينية أربعون ألفاً مدداً ونزلوا بمرسى مسيني وزحفوا إلى رمطة المحاصرة من طرف الجيش الفاطمي بقيادة الحسن بن عمار والد أحمد المذكور ، فأحاط الروم بالفاطميين وخرج إليهم أهل البلد وعظم الأمر على المسلمين فما تبيّنوا خلاصاً إلا في الاستماتة ، فحملوا على الروم وعقرروا فرس قائدهم « منوبل » فمقط عن فرسه فقتلوه وقتلوا جماعة من البطارقة معه ، ودارت الدائرة على الروم فولت الأديار وتشتت شملهم وتبعهم المسلمون بالقتل وسقطت رمطة فغنموا ما فيها وركب الروم من صقلية وجزيرة ريو في الأساطيل ناجين بأنفسهم فاتبعهم الأمير أحمد وأصحابه وأغرقوا وأحرقوا عديداً من سفنهم .
وتعرف هذه الوقعة بوقعة المجاز (أي مجاز مسيني) وكانت سنة 354 هـ وأسر فيها ألف من عظماء الروم ومائة بطريق وحصلت للمعز غنائم كثيرة وكانت هذه الوقعة من أكبر الوقعات مع الروم وهي التي يصفها ابن هاني في مطولة منها المقطعات التالية :

يَوْمٌ (1) عَرِيضٌ فِي الصَّخَّارِ طَوِيلٌ مَا تَنْقِضِي غُرْرَ لَهُ وَحَجُولٌ (2)
بِنَجَابٍ (3) مِنْهُ الْأَفْقُ وَهُوَ دُجْنَةٌ

وَيَصِحُّ مِنْهُ الدَّهْرُ وَهُوَ عَلِيلٌ

مَسَحَتْ نُغُورُ الشَّامِ أَدْمَعَهَا بِهِ

وَلَقَدِ تَبَلُّ التُّرْبِ وَهِيَ هُمُوكُ (4)

وَجَلًّا ظِلَامَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا بِهِ مَلِكٌ لِمَا قَالَ الْكِرَامُ فَعُولٌ
فَلَوْ أَنَّ سَفْنَا لَمْ نُحْمَلْ جَيْشَهُ

حَمَلَتْ عَزَائِمَهُ صَبًا وَقَبُولٌ (5)

وَلَوْ أَنَّ سَيْفًا لَيْسَ يَبْتَغِيكَ حُدَّةٌ جَذَّةٌ (6) الرَّقَابَ بِكَفِّهِ التَّنْزِيلُ
مَلَكٌ تَلَقَّى عَنْ أَقَاصِي ثَغْرِهِ أَنبَاءَ ذِي دُوَلٍ (7) إِلَيْهِ قَدُولُ (8)

قُلْ لِلدَّمِ مُسْتَقِيمٌ مَوْرِدِ الْجَمْعِ السَّيِّدِي
مَا أَصْدَرْتَهُ (9) لَهُ قَنًا وَنُصُولُ
سَلْ رَهْطًا (10) مَنُوبِلٍ وَأَنْتَ غَرَّرْتَهُ

فِي أَيِّ مَعْرَكَةٍ نَسَوِي (11) مَنُوبِلٍ
مَنْعَ الْجُنُودِ مِنَ الْقُضُولِ رَوَّاجِعًا
تَبَّأَ لَهُ بِالْمُنْدِيَّاتِ (12) قُفُولُ

قَدْ قَالَ (13) رَأَيْكَ فِي الْجَلَادِ وَاسْمٌ تَنْزَلُ
آرَاءُ أَغْمَارِ (14) الرِّجَالِ تَقْيِيلُ
وَبَعَثَتْ بِالْأَسْطُولِ بِحَمَلِ عُدَّةٍ

فَأَثَابَنَا (15) بِالْعُدَّةِ الْأَسْطُولِ
أَدَى (16) إِلَيْنَا مَا جَمَعْتَ مَوْفَرًا ثُمَّ انْتَنَى فِي الْيَمِّ وَهُوَ جَقُولُ (17)
وَمَضَى يَخْفَ عَلَى الْجَنَابِ (18) حَمَلُهُ

وَلَقَدْ يَرَى بِالْجَيْشِ وَهُوَ ثَقِيلُ
نَقَلْتَهُ (19) مِنْ بَعْدِ مَا وَفَّرْتَهُ مِنْ كَعْمَرُكَ مَا أَتَيْتَ جَزِيلُ
إِيهَا (20) كَذَاكَ فَإِنَّهُ مَا كَانَ مِنْ بَرِّ الْكِرَامِ فَإِنَّهُ مَقْبُوسُولُ

مَاذَا يُؤْمَلُ جَحْدَرًا (21)، فِي بَاعِ عِ
قَصْرٌ وَفِي بَاعِ الْخِلَافَةِ طُولُ (22)

ذَمُّ الْجَزِيرَةِ وَهِيَ خَدْرٌ ضَرَا غَسْمِ
سَامَتُهُ فِيهَا الْخَسْفُ (23) وَهُوَ نَزِيلُ
وَالْأَرْضُ مَسْبَعَةٌ (24) تُكَلِّفُهُ الْقَرَى

فَيَجُودُ بِالْمُهْجَاتِ وَهُوَ بَخِيْسِيلُ

قَدْ تَسْتَصَافُ (25) الْأَسَدُ فِي آجَامِهَا

جَهْلًا بِهِنَّ وَقَدْ يُزَارُ الْغَيْمِلُ (26)

حَرْبٌ يُدْبِرُهَا بَطْنٌ كَاذِبٌ هَلَا يَتَّقِينَ الْحَزْمَ مِنْهُ بُدَيْسِلُ
وَالظَّنَّ تَغْرِيرٌ فَكَيْفَ إِذَا التَّقَى فِي الظَّنِّ رَأَى كَاذِبٌ وَجَهْلُولُ
وَاقَى وَقَدْ جَمَعَ أَهْبَائِلَ كُلَّهَا

وَكَفَّاكَ مِنْ نَصْرِ الْإِلَهِ قَيْسِلُ

جَمَعَ الْكِتَابِ حَاشِدًا فَشَنَاهُمْ

لَكَ قَبْلَ انْفَادِ الْجِيُوشِ رَعَيْسِلُ (27)

وَالنَّصْرُ لَيْسَ يُبَيِّنُ حَقَّ بَيَانِهِ إِلَّا إِذَا لَقِيَ الْكَثِيرَ قَلِيلُ
جَاؤُوا وَحَشَوُا الْأَرْضَ مِنْهُمْ جَحْفَلُ

لَجِبُ (28) وَحَشَوُ الْخَافِقِينَ (29) صَهِيلُ

ثُمَّ انشَنُوا لَا بِالرَّمَا حِ تَقَصَّدُ (30) بَادٍ وَلَا بِالْمُرِّ هَفَاتٍ فُلُولُ
نَزَلُوا بِأَرْضٍ لَمْ يَمَسُوا تُرْبَهَا

حَتَّى كَأَنَّ وَقُوعَهُمْ تَحْلِيلُ (31)

لَمْ يَتْرُكُوا فِيهَا بِجَعَجَاعِ (32) الرَّدَى

إِلَّا النَّجِيعَ (33) عَلَى النَّجِيعِ يَسِيلُ

إِنَّ التِّي رَامَ الدَّمْسُتُقُ حَرْبَهَا لِلَّهِ فِيهَا صَارِمٌ مَسْلُولُ
لَا أَرْضُهَا حَلَبٌ وَلَا سَاحَاتُهَا مِصْرٌ وَلَا عَرْضُ (34) الْخَلِيجِ النَّيْلُ

لَيْتَ الْهَرَقْلَ بَدَا بِهَا حَتَّى انشَنَى

وَعَلَى الدَّمْسُتُقِ ذِلَّةٌ وَحُمُولُ

ذَرَهُ (35) بِجَمْعِ أَلْفِ أَلْفِ كَتَيْبَةٍ

فَهُوَ النَّكُولُ (36) وَجَمَعَهُ الْمُفْلُولُ

وَهُوَ الَّذِي يُهْدِي حُمَاةَ رِجَالِهِ

نَفَلًا الْبَيْكَ فَهَلْ لَدَيْكَ قَبُولُ

لَوْ كُنْتَ كَلَّفْتَ الْجِيُوشَ مَرَامَهَا
كَلَّفْتَهَا سَفَرًا إِلَيْهِ يَطُـوُلُ
فَلتَعَلِمَ الأَعْلَاجُ (37) عُلْمًا نَاقِبًا أَن الصَّالِبِ وَقَدُ عَزَزْتَ ذَلِيلُ
وَلْيَعْبُدُوا غَيْرَ الْمَسِيحِ فَلَيْسَ فِي
دِينِ التَّرَهِّبِ بَعْدَهَا تَأْمِيلُ
أَهْلُ الْفِرَارِ فَلَيْتَ شِعْرِي عَنْهُمْ
هَلْ حَدَّثُوا أَنَّ الطَّبَاعَ تَحُـوِلُ
الأَكْثَرِينَ تَحْمَطًا (38) وَتَكْبُرًا
مَا لَمْ تُهْزَأِ سِنَّةٌ وَتُصُولُ
حَتَّى إِذَا الرُّعُصَ (39) القَنَا وَكَلَمَطَتْ (40)
حَرْبٌ شَرُوبٌ لِلنُّفُوسِ أَكُـوِلُ
رَجَعُوا فَأَبْدُوا ذَلَّةً وَضَرَاعَةً
وَلْيَغْزُوتَهُمُ الأَحَقُّ بَغْزُومِ
وَلتُدْرِكَنَّ المَشْرِقِيَّةُ فِيهِمْ
وَلْيَسْمَعَنَّ صَلِيلُهَا فِي هَامِهِمْ
وَلْيَسْبَلُغَنَّ جِيَادُ حَيْكَلِكَ حَيْثُ لَمْ
كَمْ دَوَّخَتْ أَوْطَانَهُمْ فَتَرَكَتْهَا
وَالْمَالُ نَهَبٌ وَالسَّيَارُ طُلُـوِلُ
وَوَطِئَتْهَا بِالْعِزْمِ وَهِيَ ذَلُـوِلُ
لَنْ يَنْصُرَ الدِّينَ الحَنِيفَ وَأَهْلَهُ
تَلْهِيكَ صَلْصَلَةَ العَوَالِي كُلَّمَا
مَنْ يَهْتَدِي دُونَ المَعَزِّ خَلِيفَةً
أَنْ الهِدَايَةَ دُونَهُ تَضْلِيلُ
مَنْ بَعْضُهُ عَن بَعْضِهِ مَشْغُولُ
أَلْهَتَ أَوْلِيكَ قِيِنَّةً وَشَمُولُ
أَنْ الهِدَايَةَ دُونَهُ تَضْلِيلُ

مَنْ يَشْهَدُ الْقُرْآنُ فِيهِ بِفَضْلِهِ وَتُصَدِّقُ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلُ
 وَالْوَصْفُ يُمَكِّنُ فِيهِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يُطْلَقُ التَّشْبِيهُ وَالتَّمْثِيلُ
 وَالنَّاسُ إِنْ قَيْسُوا إِلَيْهِ فَلَانَهُمْ عَرَضَ لَهُ فِي جَوْهَرٍ (41) مَحْمُولُ
 غَامِرَتُهُ (42) فَعَجَزَتْ عَنْ إِدْرَاكِهِ
 لَكِنَّهُ بِضَمِّائِيرِي مَعْقُولُ

ابن هانئ

الدكتور زاهد علي

نفس المرجع

ص 540 — 558

الشرح اللغوي :

- (1) - يومٌ أراد به الوقعة - (2) - يومٌ أغرُّ مُحَجَّلٌ مجازٌ بمعنى مُضِيءٌ مشرقٌ بالسُرور
- (3) - انجابتِ السَّحَابَةُ : انكشفت وانقطعت - (4) - هملت عينُه هَمَلًا وهَمُولًا :
- فاضتْ - (5) - الصَّبَا والقَبُولُ مترادفان : ربحٌ مهبهُما من الشَّرْقِ تقابل الدُّبُور.
- (6) - جَدَنُ الشَّيْءِ الصَّلْبِ : كسره أو قطعه مُسْتَأْصِلًا. (7) - ذُو دَوْلٍ :
- صاحبُ دولٍ وهنا ملك الروم. - (8) - تدول : تأتي مسرعة. - (9) - أصدرته :
- أرجعته سالمًا. (10) - الرَّهْطُ : القوم - (11) - ثوى : مات ودفن - (12) - المُتْدِيَاتُ :
- المخزيات. - (13) - قَالَ رَأْيُهُ قِيَالَةً وَفِيْلَةٌ : أخطأ وضعف - (14) - الأغمار
- الواحد غُمُر : الجاهل من لم يجرب الأمور. - (15) - أَنَابَهُ اللهُ إِثَابَةً : جازاه من
- الثواب - (16) - أدَّى : أوصل ، والضمير يعود للأسطول. - (17) - جَفُولٌ :
- مسرعٌ كثيرًا من جَفَلٌ يجفُل. - (18) - الجنائبُ ج جنيب وجنيبة : الفرس قُدته
- إلى جنبه أي إلى ناحيته - (19) - نَقَلَهُ النَّقْلَ : أعطاه إياه والنَّقْلُ الغنيمة

والزيادة والمهبة. - 20) - إيهياً : اسمٌ فعلٌ للاستزادة (21) الجحدر : الرجل الجعد
الأطراف ، القصير والأنثى جحدرة. يعني الضعيف العاجز - 22) - طويل الباع :
كريمٌ مقتدرٌ وضده قصير الباع. 23) - الخسْف : الإذلال وهو أن يحمك الإنسانُ
ما تكبره (24) - المسبعةُ من الأرض ما تكثر فيه السباع - 25) - استضافه طلب إليه
الضيافة واستضاف به استغاث - 26) - الغيلُ الشجر الكثير المتلف يستتر فيه
كالأجمة. - 27) - الرعيل : القطعة المتقدمة من الرجال والخيل والجراد - 28) - لَجِبٌ
يقال جيش لجب أي ذو جلبة وكثرة - 29) - الخافقان : المشرق والمغرب لأن الليل
والنهار يخفقان فيهما - 30) - تَقَصَّدَ : تكسر (المعنى) أراد أنهم فرّوا دون
أن يقاتلوا فلم تكسر رماحهم ولم تثلم سيوفهم - 31) - تحليل : أراد بها وقتاً
قليلاً أي كأنهم أرادوا أن يسروا يمين حلفوها - 32) - الجمعاع : الموضع الضيق
الخشن وأراد بجمعاع الردى المعركة أو على الأصح موضعها الضيق. - 33) - النجيع
من الدم : ما كان مائلاً إلى السواد - 34) - العرّضُ : ناحية الشيء ووسطه. -
35) - دَرَّ : دَعَّ الضمير يعود إلى الدمستق - 36) - النكول من فكل : نكص
وجين - 37) - الأعلاج : الواحد علج : الرجل القوي الغليظ من الأعجام. -
38) - التخبط : الغضب من تكبر. - 3) - ارتعص : اشتد اهتزازه. 40) - تلمّطت
تبعث بلسانها بقية الطعام في فمها. 41) - غامرئُهُ : اجتهدت أن أدركه فعجزت.
42) - الجوهر : هو الموجود القائم بنفسه المتشاكل بذاته ويقابله العرّضُ فكذلك
الإمام هو الموجود القائم بنفسه وأما غيره من الناس فوجودهم به لأنه خليفة الله في
أرضه حسب عقيدة ابن هانبي.

أسئلة

- 1) - ماذا قصد الشاعر بقوله «مَسَحَتْ نُغُورُ الشَّامِ أَدْمَعَهَا بِهِ» في البيت الثالث؟
- 2) - بمن يُعرّضُ ابن هانبي في البيت الحادي والثلاثين ثم في البيت التاسع والأربعين؟
- 3) - في أي شكل يظهر الصراع العقائدي ههنا؟ - 4) - يظهر ابن هانبي حكيماً
في شعره ، فما هي حكّمه ها هنا وما رأيك فيها؟ - 5) - يتأرجح الشاعر بين
مبالات شعرية لطيفة وبين مغالاة عقائدية جامحة في التغني بإمامه المعيز. بين الصّفين
من الغلو. - 6) - كثر الطباق ها هنا ، فضي أي وجه استعمل؟ - 7) - ماذا
يُسمّى التزام القافية في صدر البيت الأول وفي عجزه؟ - 8) - عين الأبيات ذات
النفس الملحمي.

فَلْيَعْبُدُوا غَيْرَ الْمَسِيحِ (الكامل)

- تقديم

هذه الأبيات من مطوّلة قالها ابن هاني في مدح العزّ واستهلّها بالفزل ثم تخلص إلى ذكر انكسار الروم يراً وبعجراً في صقلية بمناسبة وقعة المجاز واستعرض عناصر من عقيدة الإسماعيلية ومن المحتمل أنّه قال القصيدة سنة 354 هـ / 965 م.

لَكَ صِدْقٌ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي فُرْقَانِهِ لَأَمَّا يَتَمَوَّلُ الْجَبَا هَلُونَ الضُّلَّلُ (1)
تَصَبَّرَ إِلَالَهُ عَلَى يَدَيْكَ عِبَادَهُ وَاللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَيَتَّخِذُ
لَنْ يَسْتَنْبِقَ الرُّومُ مِنْ سَكْرَاتِهِمْ

إِنَّ الَّذِي شَرِبُوا رَجِيحٌ سَلَسَلُ (2)
عَرَفُوا بِكَ الْمَلِكَ الَّذِي يَجِدُونَهُ فِي كُتُبِهِمْ وَرَأَوْا شُهُودَكَ تَعْدِلُ
وَتَحَتَّ (3) بَنِي الْعَبَّاسِ مِنْكَ عَزِيمَةٌ

قَدْ كَانَ يَعْرِفُهَا الْمَلِيكَ الْهَرَقِيلُ
فَلْيَعْبُدُوا غَيْرَ الْمَسِيحِ فَلَيْسَ فِي

دِينِ التَّرَهْتِ عَن سَيُوفِكَ مِزْحَلُ (4)
حَمَلُوا مَنَابِئَ الْخَوْفِ بَيْنَ ضُلُوعِهِمْ

إِنَّ الْخِذَارَ (5) هُوَ الْجِمَامُ الْأَعْجَلُ
وَهَلِ اسْتَعَارُوا غَيْرَ خَوْفِ قُلُوبِهِمْ

أَوْحَدٌ ثُوَانٌ الطَّبَاعَ نُحُولُ
لَهُمُ الْأَمَانِي الْكَاذِبَاتِ تَغْرَهُمُ وَلَنَا جَبُوشُكُ وَالْقَنَا وَالْأَنْصَلُ (6)
حَسْبُ الدَّمِ سَتَقُ مِنْكَ ضَرْبُ أَهْرَتِ (7)

هَدَلُ (8) مَشَا فَرُهُ وَطَعْنُ ابْنِ خَسَلُ
وَوَقَائِعُ بِالْجَنِّ مِنْهَا أَوْلَقُ (9) وَكُتَابُ بِالْأُسْدِ مِنْهَا أَفْكَلُ

جَيْشٌ قَحْبٌ سَقِينُهُ وَجِيادُهُ

فَتَضَيَّقُ طَائِمِيَّةً (10) وَقَفَّ (11) مَجْهَلٌ

لَمْ يَبْتَقِ صُبْحٌ مُسْفِرٌ لَمْ يَنْبَلِجْ

فِيهِ وَلَمْ يَبْرَحْهُ (12) لَيْلٌ أَلَيْلٌ (13)

فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ فُتُوْحِكَ رَائِحٌ غَادٍ تَطْبُبُ بِهِ الصَّبَا وَالشَّمَالَ

تِلْكَ الْجَزَيْرَةُ مِنْ تُغُورِكَ بَرْزَةٌ (14)

نُورُ النُّبُوءَةِ فَوْقَهَا يَتَهَلَّلُ (15)

أَرْضٌ تَفَجَّرَ كُلُّ شَيْءٍ فَوْقَهَا بَدَمِ الْعَدَى حَتَّى الصِّفَا وَالْجَنْدَلُ (16)

لَمْ يَبْتَقِ فِيهَا لِلْأَعَا جِمٍ مَلْجَأٌ يُلْجَأُ (17) إِلَيْهِ وَلَا جَنَابٌ يُؤْهِلُ

مَنْعَ الْمَعَا قِلَ أَنْ تَكُونَ مَعَا قِلًا مَوْجُ الْأَسِنَّةِ حَوْلَهَا يَتَصَلِّصُ (18)

وَرَجَا الْبَطَارِقُ أَنْ تَكُونَ لِتُغْرِهِمْ

بَابًا فَنُغُودِرَ وَهُوَ عَنْهُمْ مُقْفَلٌ

مَا كَرَّ جَيْشُكَ قَافِلًا حَتَّى خَلَسَتْ

تِلْكَ الْهَضَابُ مُنِيفَةً (19) وَالْأَجْبِيلُ

مِنْ كُلِّ مَمْنُوعٍ صِيَا صِيهَا (20) يُسْرَى

لَيْلًا بِحَيْثُ يُرَى السَّمَاكُ (21) الْأَعْرَزُ

ضَمِنَ الدُّمُسْتَقُ مِنْكَ مَنْعَ حَرِيمِهَا

هَلَا أَمْتِنَاعَ حَرِيمِهِ لَوْ يَعْقِلُ (22)

وَأَرَادَ نَصْرَ الْمُشْرِكِينَ بِجَحْفَلٍ

لَجِبِ (23) فَأَوْلُ مَا أَصِيبَ الْجَحْفَلُ

فَكِتَابٌ أَعْجَلْتَهَا لَمْ تَنْجِفِ

وَكِتَابٌ فِي الْيَمِّ خَاضَتْ تَجْفَلُ (24)

وَالْمَوْجُ مِنْ أَنْصَارٍ بِأَسْكَ خَلْفَهَا

فَالْمَوْجُ يُغْرِقُهَا وَسَيْفُكَ يَقْتُلُ

كُنَّا نَسْمِي الْبَحْرَ بَحْرًا كَأَسْمَاهِ

وَتَقُولُ فِيهِ لِلسَّفَانِ مَعْقُولُ

فَإِذَا بِهِ مِنْ بَعْضِ عُدِّكَ الَّتِي مَا لِلدَّمْسُتَنِ عَنْ رَدَّهَا مَزْحَلُ

فَكَأَنَّهُ لَكَ صَارِمٌ أَعْدَدْتَهُ وَكَأَنَّهُ مُذْ أَلْفِ عَامٍ يُصْقَلُ

ذَا الْمَجْدُ لَا يُبْغِي سِوَاهُ وَذَا الَّذِي

يَبْقَى لَأَلِّ مُحَمَّدٌ وَيُسْؤُتَلُ (25)

وَالْمَدْحُ فِي مَلِكٍ سِوَاكَ مُضْبِعٌ وَالْقَوْلُ فِي أَحَدٍ سِوَاكَ تَقْوَلُ

أَفْغَيْرَ عَصْرِكَ يَرْتَجِي أَمْ غَيْرُ نَيْءٍ لِمَكَ يَجْتَدِي أَمْ غَيْرُ كَفِكَ يُسَالُ

قَدْ عَزَّ قَبْلَكَ أَنْ يُعَدَّ لِمَعْشَرٍ مَلِكٌ هُمَامٌ أَوْ جَوَادٌ مِفْضَلُ

وَكَفَّاكَ أَنْ كُنْتَ الْإِمَامَ الْمُرْتَضَى

وَأَبُوكَ إِنْ عُدَّ النَّبِيَّ الْمُرْسَلُ

لِي مُهْجَةٌ تَرْفَضُ (26) فِيكَ تَشْبَعُ

حَتَّى تَكَادُ مَعَ الْمَدَائِحِ تَهْمَلُ (27)

إِنِّي لَمَوْقُوفٌ عَلَى حَدَّيْنِ مِنْ أَمْرِي فَذَا مُعْنِي وَهَذَا مُشْكَلُ

أَمَا ثَنَائِي فَهُوَ عَنكَ مَقْصُورٌ وَالْعِيَّ بِالْفُصْحَاءِ مَا لَا يَجْمُلُ

هَيْهَاتَ مَا يُشْفَى ضُلُوعِي مِنْ جَوْيِ (28)

وَلَوْ أَنَّ مِثْلِي فِي مَدْبِحِكَ جَرَّوَالُ

ابن هاني

الدكتور زاهد علي

« تبين المعاني في شرح ديوان ابن هاني »

ص 622 - 630

ط مصر 1352 هـ

الشرح اللغوي :

- (1) - (معنى البيت الأول) يقول أهل الجهل والضلالة الفتح الذي حصل لك إنما هو أمرٌ إتفاقيّ وليس الأمر كذلك بل هو وفاء ما وعد الله في كتابه من أنه ينصر على يدك عباده
 - (2) - السَّلسل والسَّلسال : الخمر اللينة وهو أيضاً الماء السهل الدخول في الحلق لعذوبته وصفائه إذا شرب وتلسل في الحلق جرى. - (3) - نَحَى الشيء : قصده -
 - (4) - المَرْحَل : الموضع يُزْحَلُ إليه وقد يكون مصدرًا ميمًا من زَحَلَ الرجل عن مكانه إذا تنحَّى وتباعده. - (5) - الحَذَار (مصن) حاذَرَ - (6) - الأَنْصَلُ جمع نصل وهو حديدة الرمح والسهم. - (7) - الأَهْرَتُ : الراسعُ الشدقين يقال أسدٌ أَهْرَتُ؛ والهريتُ الأسدُ من هَرَّتِ الشيء هَرَّتًا إذا صار هريئًا أي واسعاً. - (8) - الهدلُ من المشافر : المسترخي - (9) - الأَوْلَقُ كالأفكَل : الجنون أو شبهه. - (10) - الطاميةُ : البحر الزاخر - (11) - القَفُّ بالضم : ما ارتفع من الأرض - (12) - بَرَحَ المكان بَرَحًا وبَرَحًا : زال عنه - (13) - ليل أَيْل : طويلٌ شديدٌ وأشدُّ ليالي الشهر ظلمةً
 - (14) - بَرَزُ مؤنثة بَرَزَةٌ وامرأةٌ بَرَزَةٌ أي مُجَاهرةٌ جليلةٌ تَبْرُزُ وتجلس للرجال وتحادثهم وهي مع ذلك عفيفة - (15) - تَهَلَّلَ : تَلَأَ لَأَ وجهه من السُرور. - (16) - الجَنْدَلُ : الحجارة. يُلْجَأُ أسكن الهمزة لضرورة الشعر - (18) - صَلَّصَ الشيء صَلَّصَةً صَوَّتَ ، كصلصلة الجرس والحلبي يقال صلَّ الحديد وصلصل ، وصيغة فعمل تفيد الحركة والاضطراب - (19) - المَيْفُ : المرتفع من أناف. - (20) - الصياصي الواحدة صيصية : الحصنُ وكلُّ ما يمتنع منه. - (21) - السَّمَاكَان : كوكبان فيتران يقال لأحدهما السَّمَاكُ الرَّامِحُ وللآخر السَّمَاكُ الأَعزَلُ وسمي أعزل لأنه لا شيء بين يديه من الكواكب كالأعزل الذي لا رمح له وهو من منازل القمر والرامح ليس من منازلها وهو إلى جهة الشمال والأعزل إلى جهة الشمال. - (22) - (ضَمَنَ الِدمستق إلخ... (المعنى) ضمن الِدمستق أن يمنع منك أهل تلك الحصون فهلاً ضمن أن يمنع منك أهل نفسه أي حريمه وأولاده لو كان عاقلاً. - (23) - لَجِبٌ : يقال جيشٌ لَجِبٌ أي ذو جلبة وكثرة. - (24) - جَعَلَّ وانجفل وتَجَفَّلَ : تَقَرَّ وهرب سريعاً. - (25) - المُوْتَسِّلُ من المجد والأئيل : الأصيلُ منه من الأئلة وهو الأصل. - (26) - أَرْفَضَ الِدمعُ أرفضاضاً : سال وترشش - (27) - هَمَلَّتِ السماء تهملُ : دام مطرها في سكون
 - (28) - الجوى : الحرقعة وشدة الوجد
- جَزُولُ : هو ابن أوس من بني عيس من فحول الشعراء متصرف في جميع

الأغراض الشعرية مجيد فيها ولقبه الحُطَيْبَةُ لُقِّبَ به لدمامته لأن الحطِيبَةَ في الأصل
الرجل الدَّمِيمِ وهو شاعر مُخَضَّرٌ أدرك معاوية.

أسئلة

- (1) - ما هي العناصر التي تُكسب هذه العينات أبعادًا ملحمةً؟ - (2) - كيف تعلق
إسحاق ابن هاني في التَّغْنِي بِبطولة المعزِّ وجيشه ولماذا ادَّعى أنَّه مقصَّرٌ في مدح إمامه؟
- (3) - هل تسمَّ المعنى في البيت العاشر؟ ماذا يسمَّى هذا الأسلوب؟

سبب انتقال الفاطميين إلى القاهرة

ماهي الاسباب التي دعت الفاطميين الى الانتقال الى القاهرة؟ هل هي راجعة الى سياسة فشل ، أو إلى إخفاق نظام قائم ، أو أزمة مذهبية ، أو ضائقة مالية ، أو حجب توسع ؟

وهل هذا الانتقال كان مقصودا بالذات ومُبَيَّنًا من قَبْلُ؟. فما أفريقية والمغرب إلاّ مرحلة انشاء للدولة الفاطمية ومخبر تجارب لسياستها وحرّيتها ونظامها الحُكْمِي والعسْكَرِي والخَصْرِي والتعلِيبي، واردة قضاء أزمة النشوء في غير مسقط رأس الفواطم بسوريا وهل هو عزم ثابت على تأمين المغرب وأفريقيا السوداء، والبلاد الواقعة بالحوض الغربي من البحر الابيض المتوسط، تمهيدا للرجوع مع اكتساب وسائل وامكانيات أوفر وأعظم كمّاً وكيفاً ونوعاً؟

لنفهم هذا ونتبين الحقيقة ، يجب أن نعرف ما هي الفاطمية :
الفاطميةُ مذهبٌ ديني، ونظام خلافةٍ عقائدية ، يصح أن تكون عالمية :

– المذهبُ الديني : وهو المذهبُ الشيعي ، جاء الى المغرب وقضى على دول الأغالبة والرُستُميين * والأدارسة * ووجد أمامه المذهب المالكي والمذهب الحنفي وهو مذهب العباسيين السائد ببلاد الأغالبة ، والعائلات الحكومية بأفريقية، والمذهب الإباضي السائد ببلاد الرُستُميين، وجنوب تونس، والجزائر، وشمالى ليبيا بجبل نفوسة ، ومدينة زوارة.

فاصطدم الشيعة الفاطميون بالمالكية من رجال مدرسة القيروان اصطداما عنيفاً بالناقشة أولاً، مثل مناقشات ابن الحدّاد القيرواني * (انظر معالم الايمان لابن ناجي في ترجمة ابن الحدّاد نفسه) أو بالاستشهاد مثل استشهاد

محمد بن خيرون * (انظر ترجمته في معالم الإيمان)، أو بالانتقاضات من طرف الرباطيين وفي سواحل المغرب والجزائر وتونس وليبيا ألف رباط على الساحل، فيها رجال من المدرسة المالكية السحنونية القيروانية، عاهدوا الله على ان يدافعوا عن الثغور من هجوم الخارج والداخل .
والحوادث الرباطية كثيرة، أورد جانباً منها ابن ناجي أيضاً في غضون كتابه القيم .

فرجال المالكية والمرابطون بالأربطة والقرى الرباطية بالسواحل المغربية ضد القواطم بشكل عنيف .
وكان الاصطدام مع الحنفية قليلاً لأن الدولة الأغليسية التي هي دولة حنفية قد انتقلت الى المشرق، وانتقل أنصارها ورجال الحنفية الى صقلية، فلم تبق هناك مقاومة .

وكان الاصطدام مع الاباضية عنيفاً ومسلحاً، سواء مع رجال الدولة الرسمية تيهرت وما اليها، أو مع ثورة الزعيم البربري أبي يزيد مخلد بن النكاري كيداد، فقد كادت تقضي على الدولة الفاطمية بالتمام والكمال .

وهذا ما دعا المعز الى التوثق من البربر على اختلاف قبائلهم، ومن تأمين المنطقة الحساسة البربرية بالمغرب التي هي منطقة وادي شلف، على مقربة من تيهرت عاصمة الرستميين أنفسهم (انظر عن الرستميين - ابن الصغير *، وابن عذاري * وغيرهما من المصادر).

على ان البربر هادنوا المعز بعد انكسار أبي يزيد، وذهب الدويلات الصغيرة التي كانت ضاربة بالمغرب .

واذن ففضية الخلاف المذهبي كانت فقط عاملاً مرجحاً، لا سبباً أصلياً في انتقال الفاطميين الى القاهرة .

قلنا ان الفاطمية مذهب ديني ، ورأينا أن هذا المذهب الديني لم يكن
بالإضافة الى النقلة الا عاملا مرجحا ليس الا .

وقلنا ان الفاطمية خلافة ، والخلافة في الإسلام لا يمكن ان تتعدد،
ومع ذلك فهناك في عصر الدمج لدين الله الفاطمي المنتقل الى القاهرة
ثلاث خلافات : الخلافة العباسية ببغداد، ثم الخلافة الأموية المجددة
بالأندلس، ثم الخلافة الفاطمية بالمهدية والمغرب ومن واجب كل
خلافة أن تقضي على الخلافتين الأخرين، تلك كانت سياسة الدولة
العباسية التي أنشأت دولة الأغالبة، للقضاء على الأدارسة والأمويين بالأندلس
وتلك كانت سياسة الخلافة الأموية التي كانت تنوي الاعتماد على البربر
الإباضية للقضاء على الفواطم بالمغرب، وعندما ذهب ابو يزيد مخلد بن
كيداد لطلب النجدة، وتديير الخطة مع البلاط الاموي بقرطبة .

واذن فالفاطيون كانوا ينوون القضاء على خلافتين اسلاميتين ، اذ
لا يمكن ان تقوم الا خلافة واحدة، فأرادوها لأنفسهم، اذ راوا انفسهم
الاحق بها.

فقيام الفواطم كخلافة بين خلافتين يجب أن تضمحلا لفائدتها ،
وأن تزولا من مسرح التاريخ لتنفرد بالملك هو سبب جوهرى في الانتقال ،
بل هو سبب عقائدي وتأسيسي. وسرى أن الفاطميين أرسلوا جوهر القائد
قصد الاستيلاء على سبتة تمهيدا لفتح الأندلس، فلم يفلح، فأرجى الأمر
الى غد، ولم يبق الا الابتداء بالدولة العباسية، ثم يسهل الله أمر الأندلس
فيما بعد.

بل رأينا جوهر الصقلي يتحول بعد فشله أمام سبتة الى المغرب والبلاد
السوداء تأليفاً للرجال وجمعاً للأموال. ويبدو أنه ان وجد آذانا صاغية،
وقلوباً واعية في الدعوة الى المشرق، فإنه لم يفلح في الدعوة الى الأندلس،

فلم يحزن وقته بعد في زمن جوهر الصقلي، فأرجى الأمر، ولم يقطع الرجاء منه الى حين.

وإذا فالنظام الخلافي هو السبب الأصيل، أو أحد الاسباب الأصلية في انتقال الفاطميين.

عثمان الكعك

مسلك القاهرة

من أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة مارس — أبريل 1969

مطبعة دار الكتب 1971 ص 7 — 10

— اعلام :

• ابن الحداد (ابو عثمان سعيد بن محمد بن صبيح) : أشهر المتكلمين الأفريقيين في عصره جادل المعتزلة وناظر الدعاة من شيعة الفاطميين في رقادة حتى مثله أهل السنة بالقيروان باحمد بن حنبل أيام محنة خلق القرآن . مولده في سنة 219 هـ ووفاته بالقيروان سنة 302 هـ

• ابن ناجي (ابو القاسم) : شارح المدونة ومؤلف «معالم الإيمان» مات سنة بضع وثلاثين وثمانمائة .

• محمد بن خيرون (ابو عبد الله بن محمد بن عمر) : فقيه قسرواني كان اماما في القراءات خصوصا قراءة نافع، روى عنه القراءة عامة أهل القيروان وسائر المغرب توفي بسوسة سنة 306 هـ .

• ابن الصغير : من الإباضية أصحاب تهرت او تاهرت بجنوب الجزائر له « اخبار الرستمين »

• ابن عذارى المراكشي (محمد) : مؤرخ عاثر في اواخر القرن السابع الهجري له كتاب « البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب »

• بنو رستم : سلالة من الخوارج الإباضية في المغرب ناصرُوا بني أمية في الأندلس على العباسيين ومواليهم الأغالية . حكموا في تاهرت من نهاية القرن الثاني الهجري الى بداية القرن الرابع .

• الأدارسة : دولة شيعية حكمت المغرب الاقصى مؤسسها ادريس عبد الله (الاول) مات مسموما سنة 175 هـ بأمر من الرشيد العباسي فيما يقال .

الجامع الأزهر

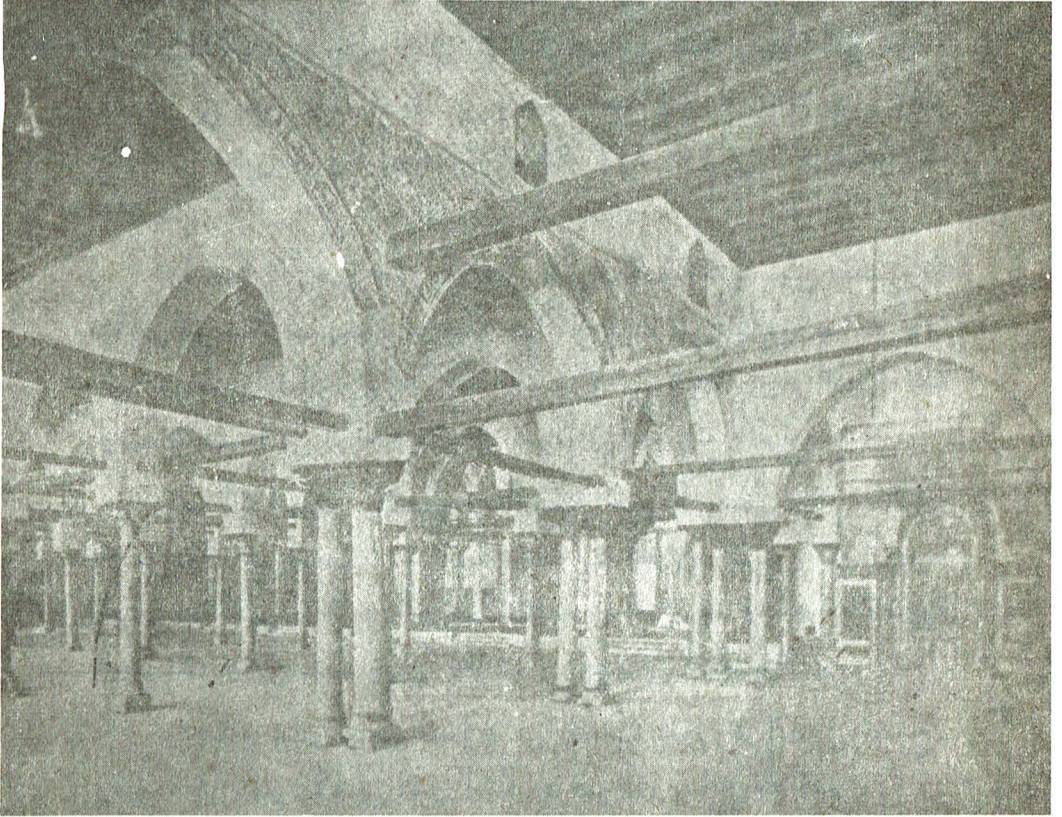
لما تمّ لجوهر الصقلي فتح مصر سنة 358 هـ. وأسس مدينة القاهرة في نفس الليلة التي دخل فيها مدينة مصر (أي الفسطاط والعسكر)، لم يرَ أن يُفاجيء السنّيين في مساجدهم بإقامة شعائر المذهب الفاطمي، حتّى لا يثير كراهة المصريين. لذلك وضع أساس الجامع الأزهر في يوم السبت 14 من رمضان سنة 359 هـ (970 م)، وتمّ بناؤه في سنتين تقريباً، وأقيمت الصلاة لأول مرة في 7 رمضان سنة 361 هـ.

ويشتمل الأزهر على مكان مسقوف للصلاة يُسمّى مقصورة، وآخر غير مسقوف يسمّى صحناً، عدا الملحقات التي تتبّع المساجد عادة من منارات وميضأة وغيرها. أمّا المقصورة التي بناها جوهر ففيها ستة وسبعون عموداً من الرخام الأبيض اللّون في صفوف متوازية . وقد أنشأ جوهر بالمقصورة القديمة محراباً يسمّى الآن «القبلة القديمة»، ثم أقيمت به تسعة محاريب أخرى، لم يبق منها جميعاً سوى ستة أشهرها اثنان : أحدهما بالمقصورة القديمة، والآخر بالمقصورة الجديدة، ولكل منها إمامٌ يخالف صاحبه في المذهب الفقهي.

وللجامع منبر واحد مصنوع من الخشب المخروط الجميل الصنع. وقد نقل المنبر الأصلي الذي أنشأه جوهر الى جامع الحاكم .

وأنشئ بالأزهر عند تأسيسه منارة واحدة، ثم أصبح به فيما بعد خمس منارات، يؤدّن عليها في أوقات الصلوات الخمس، وفي ليالي رمضان والمواسم.

وكانوا يعرفون أوقات الصلاة عن طريق الميقاتيّ، ومهنته التنبية



بيت الصلاة في مسجد الازهر من عهد المعز لدين الله

على أوقات الصلوات. وكان يعرف الاوقات بالنظر في المزولة التي لا تزال قائمة إلى اليوم على أحد جدران صحن الأزهر. وكانت مساجد القاهرة تتبع في الأذان أصوات المؤذنين في الأزهر.

وأهمّ خصائص الأزهر أنّه بدأ كغيره من المساجد لأقامة الشعائر، ولم يلبث أن أصبح جامعة يتلقى فيها طلاب العلم ورواده من كلّ صوب وحذب مختلف العلوم والفنون. ففي سنة 378 هـ أشار الوزير يعقوب بن كلس على الخليفة العزيز بتحويل الأزهر إلى جامعة تُدرس فيها العلوم الدينية والعقلية، وسرعان ما أصبح الأزهر مثابة علمية. وقد عمل الخليفة العزيز ومن جاء بعده من الخلفاء الفاطميين على جذب طلاب العلم إليه من كافة أرجاء البلاد الإسلامية، بما كانوا يقدمونه اليهم من المأكّل والمسكن.

وقد زاد في بناء هذا الجامع كثير من الخلفاء والأمراء والسلاطين، وأنشأوا فيه مساكن للطلاب تحيط بالمقصورة والصحن من الجهات الأربع، كما حبسوا عليه كثيرا من الاوقاف، وأهدوا اليه الهبات الجليلة، فاستغنى بذلك.

وكان الخليفة العزيز بالله الفاطمي أول من بنى بجوار الأزهر دارا لجماعة من الفقهاء، عدتهم خمسة وثلاثون، كانوا يجتمعون فيه بعد صلاة الجمعة ويقرؤون القرآن الى صلاة العصر.

وفي الوقت نفسه نقل الى جامعي راشدة والأزهر ثلاثة تانير وتسعة وثلاثون قنديلا، فخص الأزهر منها تنوران وسبعة وعشرون قنديلا. وكان في محرابه منطقة من الفضة على مثال المنطقة الموجودة بمحراب المسجد العتيق، فاقتلعهما صلاح الدين وغيرهما من المناطق في كافة المساجد وذلك في 11 ربيع الاول سنة 569 هـ (1173 م)، أي بعد سقوط الدولة الفاطمية بستين .

ولقد تعاقبت الزيادات على البناء الاصيلي، وزيد في العين الموقوفة عليه عاماً بعد عام، وتحول الازهر من مسجد الى مركز عظيم للعلم، وغدا يشغل مساحة قدرها 12000 متر مربع، وبلغ عدد أعمدته ثلاثمائة وخمسة وسبعين .

وقد زاد في بناء هذا الجامع كثير من الامراء الذين ولوا مصر بعد المعز، فاستغنى بما أغدقوه عليه من هبات وأوقاف. وكان العزيز الفاطمي أول من حول الازهر الى جامعة، وأول من ابنتى بجواره دارا لجماعة من الفقهاء عدتهم خمسة وثلاثون كما تقدم، فكانوا يجتمعون فيه بعد صلاة الجمعة ويقروون القرآن الى صلاة العصر. وقد أجرى عليهم هذا الخليفة الأرزاق، وأغدق عليهم وزيره ابن كلس الصلات.

وفي سنة 519 هـ (1125 م) بنى الخليفة الأمر في الجامع الازهر مقصورة عليها كتابة منقوشة حفرا. وفي عهد الأيوبيين حل بهذا الجامع الدمار، لما قام به السنيون الغلاة من ازالة آثار الفاطميين الشيعة، فابطل صلاح الدين الخطبة في الازهر، كما انتزع كثيرا من الاوقاف التي وقفها عليه الحاكم الفاطمي. وظلت صلاة الجمعة معطلة في هذا الجامع نحو من قرن، الى أن أمر الملك الظاهر بيبرس * بإقامة الخطبة من جديد، وقدم اليه الهبات واتخذها معهدا للعلم، وذلك سنة 665 هـ (1266 م) .

ولقد سار بعض الامراء على مثال الظاهر . ومنذ ذلك الحين غدا الازهر مسجدا ودارا للعلم كما كان أيام الفاطميين، فأزهر وأينع . وفي سنة 702 هـ (1302 م) أضرَّ به الزلزال الذي كان بمصر في ذلك العهد، فسقط الجامع، فتولى الامير سلاّر عمارته، وجدد ما تصدع من بنيانه ومن ثم بنيت حوله المدارس التي ألحقت به فيما بعد، ولا تزال تابعة له الى اليوم.

الدكتور حسن ابراهيم حسن

« تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب، ومصر،

وسورية، وبلاد، العرب »

ط . القاهرة سنة 1958 : ص . 534 — 537

- الشرح:

• الملك الظاهر بيبرس : (620- 676 هـ) رابع سلاطين المماليك البحرين ، غلب المغول والإفرنج قى وقعة عين جالوت بسوريا . حطم قوى الصليبيين فى الساحل وغزا قواده بلاد النوبة والبربر . وقد خلده الأدب الشعبى فى قصة من قصص الفروسية العربية ظهرت فى خمسين جزءا .



رسم بالحبر على ورق يمثل محاربين من العصر الفاطمي

(متحف الفن الإسلامي بالقاهرة)

وداع هومر (الطويل)

قال ابن تغري بردي عن ظروف غزو مصر من قبل الفاطميين في سنة 358 هـ / 968 م وهو تاريخ قصيدة ابن هانيء « هل فتحت مصر ؟ » : جهز المعزّ جوهرًا « إلى أخذ مصر بعد موت الأستاذ كافور الإخشيدي وأرسل معه العساكر وهو المقدم على الجميع وكان رحيله من إفريقية في يوم السبت رابع عشر شهر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، وتسلم مصر في يوم الثلاثاء ثامن عشر شعبان من السنة... وكان المعزّ لما ندب جوهرًا هذا إلى التوجه إلى الديار المصرية أصحبه من الأموال والخزائن ما لا يحصى وأطلق يده في جميع ذلك وأفرغ الذهب في صور الأرحاء وحملها على الجمال لعظم ذلك في قلوب الناس . (التجوم الزاهرة ط. القاهرة ج 4 ص 28 - 29) .

وقال ابن خلكان في « وفيات الأعيان » : وكان مع جوهر ألف ومائتا صندوق من الأموال على الجمال ، وجند يربو عدده على مائة ألف ونجبل يزيد عددها على عدد الجند بكثير .

وقد وصف ابن هانيء شاعر المعزّ خروج جوهر في الجيش من القيروان في هذه العينات من قصيدة طويلة :

رَأَيْتُ بَعَيْنِي فَوْقَ مَا كُنْتُ أُسْمَعُ
 وَقَسَدُ رَاعِنِي يَوْمٌ مِنَ الْحَشْرِ أُرْوَعُ
 غَدَاةَ كَأَنَّ الْأَفْقَ سُدَّ بِسُتْلِهِ
 فَعَادَ غُرُوبُ الشَّمْسِ مِنْ حَيْثُ تَطْلَعُ
 لَسَمُّ أَدْرٍ إِذْ سَلَّمْتُ كَيْفَ أُشَيِّعُ
 وَكَمْ أَدْرٍ إِذْ شَيَّعْتُ كَيْفَ أُودَّعُ
 وَكَيْفَ أَخْوَضَ الْجَيْشُ وَالْجَيْشُ لُجَّةً
 وَانِّي بِمَنْ قَدَّ قَادَهُ الدَّهْرَ مَبْلُوعُ
 وَأَيْنَ وَمَالِي بَيْنَ ذَا الْجَمْعِ مَسْلُوكُ
 وَلَا لَجْوَادِي فِي الْبَسِيطَةِ مَوْضِعُ

أَلَا إِنَّ هَذَا حَشْدٌ مِّنْ لَّمْ يَدُقْ لِسَهُ
 غِرَارَ (1) الْكِرَى جَفْنَ وَلَا بَاتَ بِهَجْعُ
 نَصِيحَتُهُ لِلْمَلِكِ سَدَّتْ مَسْذَاهِي
 وَمَا بَيْنَ قَيْدِ (2) الرَّمَحِ وَالرَّمْعِ لِاصْبَعُ
 فَقَدْ ضَرَعَتْ (3) مِنْهُ الرُّوَاسِي لِمَا رَأَتْ
 فَكَيْفَ قُلُوبُ الْإِنْسِ وَالْإِنْسُ أَضْرَعُ
 فَلَا عَسْكَرٌ مِنْ قَبْلِ عَسْكَرِ جَوْهَ سِرِ
 تَعَضُّبِ الْمَطَابِيَا فِيهِ عَشْرًا وَتَوْضِعُ (4)
 تَسِيرُ الْجِبَالِ الْجَامِدَاتُ بِسَيْرِهِ وَتَسْجُدُ مِنْ أَدْنَى الْحَقِيفِ (5) وَتَرْكَعُ
 إِذَا حَلَّ فِي أَرْضٍ بَنَاهَا مَدًا ثَنَاءً
 وَأَنْ سَارَ عَنْ أَرْضٍ ثَوَتْ وَهِيَ بِلَقَعِ
 لَقَدْ جَلَّ مَنْ يَفْتَادُ ذَا الْخَلْقِ كَلَّهُ
 وَكُلُّ لَهٍ مِنْ قَائِمِ السَّيْفِ أَطْوَعُ
 تَحْفُ بِهَ الْقَوَادُ وَالْأَمْرُ أَمْرُهُ
 وَيَقْدُمُهُ زِيَّ الْخِلَافَةِ أَجْمَعُ
 وَيَسْحَبُ أَذْيَالَ الْخِلَافَةِ رَادِ عَاءُ (6)
 بِهَ الْمَسْكَ مِنْ نَشْرِ (7) الْهُدَى يَتَضَوَّعُ
 لَهُ حُلُلُ الْإِكْرَامِ خُصَّ بِفَضْلِهِا
 نَسَائِجَ بِالتَّبْرِ الْمَلْمَعِ (8) تَلْمَعُ
 بُرُودُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بُرُودُهُ كَسَاهُ الرِّضَى (9) مِنْهُنَّ مَا لَيْسَ يُخْلَعُ
 وَبَيْنَ يَدَيْهِ خَيْلُهُ بِسُرُوجِهِ
 تُقَادُ عَلَيْهِنَّ النُّضَارُ الْمُرْصَعُ
 وَأَعْلَامُهُ مَنَشُورَةٌ وَقَبَابُا
 وَحَجَابُهُ تُدْعَى لِأَمْرِ فِتْسَرِعُ

مَلِكٌ تَسْرَى الْأَمْلاكَ دُونَ بَسَاطَتِهِ
 وَأَعْنَأَقُهُمْ مِيلٌ إِلَى الْأَرْضِ خُضْعُ
 إِذَا مَاجَ أَطْنَابُ (10) السَّرَادِقِ (11) بِالضَّحَى
 وَقَامَتْ حَوَالِيَهُ الْفَنَسَا تَنْزَعَزَعُ (12)
 وَسَلَّ سِيُوفَ الْهِنْدِ حَوْلَ سَرِيرِهِ
 ثَمَاتُونَ أَلْفًا دَارِعٌ وَمَقْنَسُ (13)
 رَأَيْتُ مَنَى الدَّتِيَا إِلَيْهِ مَتَوَطَّئَةً
 فَيَمَّضِي بِمَا شَاءَ الْقَضَاءُ وَيَصُدِّعُ (14)
 رَتَّصَحْبَهُ دَارُ الْمُقَامَةِ حَيْثُمَا
 أَنَاخَ وَشَمَلُ الْمُسْلِمِينَ الْمُجْتَمَعُ
 وَتَعْنُو لَهُ السَّادَاتُ مِنْ كُلِّ مَعْشَرٍ
 فَلَا سَيْدٌ مِنْهُ أَعَزُّ وَأَمْنَعُ
 وَمَا جَهَلْتِ مِضْرُ - وَقَدْ قِيلَ مَنْ لَهَا -
 بِأَنَّكَ ذَاكَ الْهَزْبَرِيِّ السَّمِيدُ (15)
 وَأَنَّكَ دُونَ النَّاسِ فَاتَّحُ قُفْلُهَا
 فَأَنْتَ لَهَا الْمَرْجُوُّ وَالْمُتَوَقَّعُ
 فَإِنْ يَكُ فِي مِضْرٍ رِجَالٌ حَلُّو مَهَهَا
 فَقَدْ جَاءَ هُمْ نَيْلٌ سَوَى النَّيْلِ يَهْرَعُ (16)
 وَيَمَمَّهُمْ (17) مَنْ لَا يَغْيِرُ (18) بِنِعْمَةٍ
 فَيَسْلُبُهُمْ لَكِنْ يَزِيدُ فِيهِ رِيسَعُ
 وَلَوْ قَدْ حَطَّطْتَ الْغَيْثَ فِي عَقْرِ دَارِهِمْ
 كَشَفْتَ ظِلَامَ الْمَحَلِّ (20) عَنْهُمْ فَأَمْرَعُوا
 وَدَاوَيْتَهُمْ مِنْ ذَلِكَ الدَّاءِ إِنَّسَهُ
 إِلَى الْيَوْمِ رِجْزُ (22) فِيهِمْ لَيْسَ يُقْلَعُ
 وَكَفَكَفْتَ عَنْهُمْ مَنْ يَجُورُ وَيَعْتَدِي
 وَأَمَّنْتَ مِنْهُمْ مَنْ يَخَافُ وَيَجْزَعُ

إِذَا لَرَأُوا كَيْفَ الْعَطَايَا بِحَقِّهَا
 لَسَأَلِهَا مِنْهُمْ وَكَيْفَ التَّبَرُّعُ
 وَأَنْسَاهُمْ الْإِخْشِيدَ (25) مَنْ شَسَعُ (24) نَعْلُهُ
 . أَعَزَّ مِنَ الْإِخْشِيدِ قَدْرًا وَأَرْقَعُ
 سَيَعْلَمُ مَنْ نَأَوَاكَ (26) كَيْفَ مَصِيرُهُ
 وَيُبْصِرُ مَنْ قَارَعْتَهُ (27) كَيْفَ يُقْرَعُ
 تَقِيكَ اللَّيَالِي وَالزَّمَانَ وَأَهْلُهُ
 وَمُضْفِيكَ مَحْضَ الْوُدِّ وَالْمُتَصَنِّعُ
 فَكُلَّ امْرِيءٍ فِي النَّاسِ يَسْعَى لِنَفْسِهِ -
 وَأَنْتَ امْرُؤٌ بِالسَّعْيِ لِلْمُلْكِ مُوَلِّعُ
 نَصَحْتَ الْإِمَامَ الْحَقَّ لَمَّا عَرَفْتَهُ
 وَمَا النَّضْحُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ التَّشْيِيعُ
 فَأَنْتَ آمِنٌ اللهُ بَعْدَ آمِنِيهِ
 وَفِي يَدِكَ الْأَرْزَاقُ تُعْطِي وَتَمْنَعُ

ابن هاني

الدكتور زاهد علي - نفس المرجع

ص : 397 - 412

- الشرح اللغوي :

- (1) - الفرار : القليل من النوم وغيره - (2) - القيدُ بكسر القاف والقادُ : القدرُ -
- (3) - ضرعُ ضرعًا وضراعةً : ضعفٌ وذلٌّ . - (4) - أوضعتِ الناقةُ : أسرعَتْ في سيرها . - (5) - الخفيفُ : الصوت . - (6) - الرادعُ : ما كان فيه أثر الطيب - (7) - النَّشْرُ : الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ - (8) - لَمَّعَ النَّسْجُ : لَوَّهَ أَلْوَانًا شَتَّى - (9) - الرُّضَى : هُوَ الْمَعْرُوفُ - (10) - الطَّنْبُجُ أَطْنَابُ : حَبْلٌ طَوِيلٌ . - (11) - السُّرَادِقُ جُ سُرَادِقَاتُ : الْقِيَابُ وَالخِيَمَاتُ - (12) - تَنْزَعَزَعُ : تَحْرُكُ بِشِدَّةٍ وَتَقِيدُ صِيفَةً تَقْعَلُ الْحَرَكَةَ وَالاضْطِرَابُ . - (13) - الْمَقْتَعُ : مَنْ تَقَنَّعَ بِالسَّلَاحِ - (14) - (البيت 22) جَوَابُ قَوْلِهِ « إِذَا مَا جِ » وَهَذَا هُوَ التَّرْفِيلُ لِإِذْ لَا يَتَسَمَّى الْمَعْنَى فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ . - (15) - السَّمِيدُ :

- السيد الكريم الشَّريف السخيّ - (16) - بُهرع : بسرع - (17) - بممّة تميمًا : قصده وأمه وأممته بمعنى واحد - (18) - غارَ يغورُ ويغورُ : هنا نفع - (19) - عقر الدار : وسطها. - (20) - المتحلُّ : القحط - (21) - أمرعُ يُمرعُ : أخصب. (22) - الرّجزُ : العذاب بالكسر والضمّ - (23) - كضكفته عنه : دفعه وعرفه (24) - الشُّعُ : قبالُ النّعلِ وهو زمام بين الأصبع الوسطى والتي تليها - (25) - الإخشيد : هو أبو بكر محمد بن طنج من أولاد ملوك فرغانة وهو الذي ولاه الخليفة العبّاسي القاهر بالله ولاية مصر سنة 321 ثم أنّ الرّاضي بالله لقبه بالإخشيد وهو أستاذ كافور الإخشيدى. - (26) - ناوك : مهلّ ناوك أي عاداك. (27) قارعه : ضاربه. - (28) - يقرع : يغلب بالمقارعة.

أسئلة:

- 1 - بأي يوم شبه ابن هاني يوم خروج جوهر بجيشه من القيروان لغزو مصر؟ - (2) - ما هو حدة النصح حسب ابن هاني وكيف تعلق اختياره ذلك التعريف؟ - (3) - ما هي الوسائل التي التجأ إليها الشاعر لتسرّيب المصريين في القائد جوهر وفي حكم الفاطميين؟ هل اكتفى بأسلوب التّريغيب فحسب أم استعمل التّريغيب والتّرهيب؟ أين يظهر ذلك؟
- 4 - ما هي مناقب جوهر كما سجلّها الشّاعر ها هنا؟ انثر ما نظمته في وصفه.
- 5 - إلى أي نوع من الجمنهور توجه ابن هاني بهذه القصيدة حسب ما تبيّن من مستواها اللغوي وطريقة عرض الموضوع؟

هَلْ فَتِحَ مِصْرٌ؟ (الطويل)

- تمهيد :

في هذه العينات يهتني ابن هاني المعز بفتح مصر على يد قائده جوهر ، وكان رحيل الجيش من القيروان يوم السبت 14 ربيع الأول سنة 358 هـ ودخل جوهر مصر في منتصف شعبان من سنة 358 هـ وخطب في الجامع العتيق منها باسم المعز وأقيمت الدعوة العلوية وقد عزم المعز على فتح مصر بعد موت كافور الإخشيدي لما قام على مصر أحمد بن علي بن الإخشيد وهو صغير فصار ينوب عنه ابن عم أبيه الحسن بن عبد الله بن ططج فأسره القائد جوهر في الشام وبعثه إلى المغرب .

ولما دخل جوهر مصر بادر حسن بن جعفر الحسني ، فملك مكة ودعا للمعز ودعا أبو مسلم العلوي بالمدينة للمعز ، وانقطعت دعوة بني العباس في سنة 358 هـ من مصر والحجاز واليمن والشام وبلوqهم الفاطميون من الغرب والجنوب . ولم تزل الدعوة لبني عبيد في تلك الأقطار من سنة 358 هـ إلى سنة 565 هـ وهي سنة انقراض دولتهم من مصر على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب :

فَقُلْ لِبَنِي الْعَبَّاسِ قَدْ قَضِيَ الْأَمْرُ
تَطَا لَعَهُ الْبُشْرَى وَيَقْدُمُهُ النَّصْرُ
وَزِيدَ إِلَى الْمَعْقُودِ مِنْ جَسْرِهَا جِسْرٌ (1)
وَأَيْدِيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ غَيْرِهَا صِفْرٌ
فَدَلَّ لَكَ عَصْرٌ قَدْ تَقَضَى وَذَا عَصْرٌ
عَلَى الدِّينِ وَالْدُنْيَا كَمَا طَلَعَ الْفَجْرُ
وَكَانَ حَرِي (3) أَنْ لَا يَضِيغَ لَهُ وَثْرُ
فَلَا الضَّحَلُ (5) مِنْهُ تَمْنَعُونَ وَلَا الْغَمْرُ (6)

تَقُولُ بَنُو الْعَبَّاسِ هَلْ فَتِحَتْ مِصْرُ
وَقَدْ جَاوَزَ الْإِسْكَندَرِيَّةَ جَوْهَرُ
وَقَدْ أَوْقَدَتْ مِصْرَ لِتَيْهِ وَفُودَهَا
فَمَا جَاءَ هَذَا الْيَوْمُ إِلَّا وَقَدْ غَدَّتْ
فَلَا تُكْثَرُوا ذِكْرَ الزَّمَانِ الَّذِي خَلَا
وَقَدْ أَشْرَقَتْ خَيْلُ الْإِلَهِ طَوَا لَعَا
وَذَا ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ يَطْلُبُ وَثْرَهُ (2)
ذُرُّوا (4) الْوَرْدَ فِي مَاءِ الْفُرَاتِ لِخَيْلِهِ
أَفِي الشَّمْسِ شَكَّ لِنَهَا الشَّمْسِ بَعْدَ مَا

تَجَلَّتْ عِيَانًا لَيْسَ مِنْ دُونِهَا سِتْرُ
وَمَا هِيَ إِلَّا آيَةٌ بَعْدَ آيَةٍ
وَنَذَرُ (7) لَكُمْ إِنْ كَانَ يُغْنِيكُمْ النَّذَرُ

فَكُونُوا حَصِيدًا خَا مَدِينًا أَوْ ارْعَوْا إِلَى مَلِكٍ فِي كَفِّهِ الْمَوْتُ وَالنَّشْرُ
أَطِيعُوا إِمَامًا لِلْأُئِمَّةِ فَاصْلًا كَمَا كَانَتْ الْأَعْمَالُ يَفْضُلُهَا الْبِرُّ
أَفِي ابْنِ أَبِي السَّبْطَيْنِ أَمُ فِي طَلَبِكُمْ

تَنْزَلَتْ الْآيَاتُ وَالسُّورُ الْفُورُ
ذَرُوا النَّاسَ رُدُّوهُمْ إِلَى مَنْ يَسُوسُهُمْ

فَمَا لَكُمْ فِي الْأَمْرِ عُرْفٌ وَلَا نَكْرُ
أَسْرْتُمْ قُرُومًا (10) بِالْعِرَاقِ أَعْزَةٌ
وَقَدْ بَزَّكُمْ 11 أَيَّامَكُمْ عَصَبُ (12) الْهُدَى

وَأَنْصَارُ دِينِ اللَّهِ وَالْبَيْضُ وَالسُّمُّ
وَمُقْتَبِلُ أَيَّامِهِ 14 مَتَهَلَّلُ (13)
أَدَارَكُمْ شَاءَ النَّوْرَى وَتَحْيِزَتْ
عَلَى الشَّبَعَةِ الْأَفْلَاكِ أَنْمَلُهُ الْعَشْرُ

الْآ (16) تَلُكُمُ الْأَرْضُ الْعَرِيضَةُ أَصْبَحَتْ
وَمَا لِي بِنِي الْعَبَّاسِ فِي عَرَضِهَا فَبُرُّ (17)

فَقَدْ دَالَتْ الدُّنْيَا لَأَلِ مُحَمَّدٍ
وَرَدَّ حُقُوقَ الطَّالِبِينَ مِنْ زَكَاةٍ
صِنَاقُهُ فِي آلِهِ وَزَكَاةَ الذَّخْرِ
بِهِ اتَّصَلَتْ أَسْبَابُهَا وَلَهُ الشُّكْرُ

مِنْ انْتِشَاهُمْ (19) مِنْ كُلِّ شَرْقٍ وَمَقَرِّبِ
فَبُدِّلَ أَمْنَا ذَلِكَ الْخَوْفُ وَالذُّعْرُ

أَمْنِيكَ بِالْمَتَحِ الَّذِي أَنَا نَاطِرُ
وَمَا ضَرَّ مِصْرًا حِينَ أَلْقَتْ قِيَادَهَا
فَلَمْ يَهْرَقَ فِيهَا لِنِي ذِمَّةَ دَمٍ
غَدَا جَوْهَرُ فِيهَا غَمَامَةٌ رَحْمَةٌ

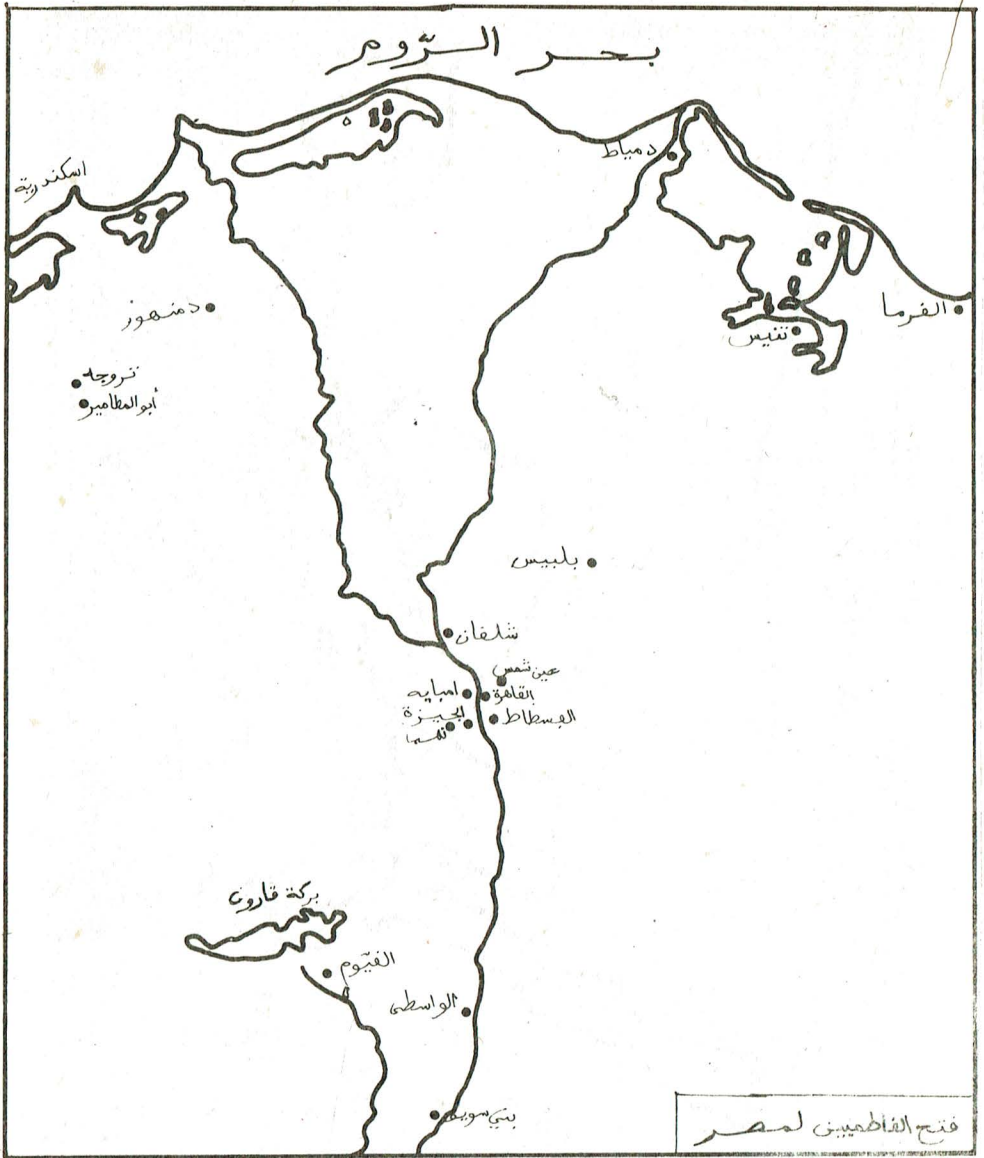
كَأَنِّي بِهِ قَدْ سَارَ فِي النَّاسِ سِيرَةٌ
وَلَيْسَ الَّذِي بَأَنِي بِأَوَّلِ مَا كَفَى
سَنَنْتَ لَهُ فِيهِمْ مِنَ الْعَدْلِ سُنَّةً
عَلَى مَا خَلَا مِنْ سُنَّةِ الرَّحْمَنِ إِذْ خَلَا

فَأَذْبَالُهَا تَضْفُو (24) عَلَيْهِمْ وَتَنْجَرُ

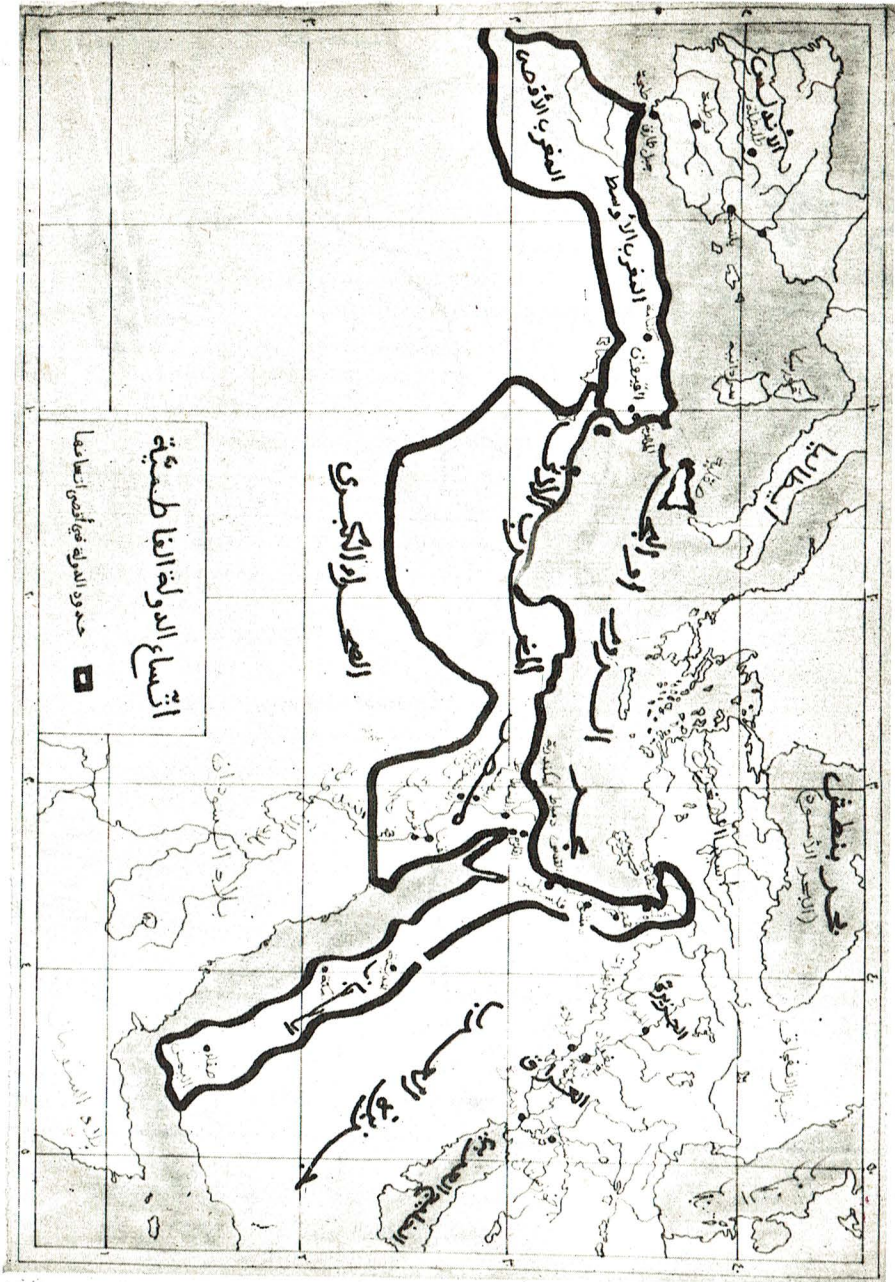
وَأَوْصِيْتَهُ فِيهِمْ بِرِفْقِكَ مُرْدَفًا
 بِجُودِكَ مَعْقُودًا بِهِ عَهْدُكَ الْبَارِئُ
 وَصَاةً كَمَا أَوْصَىٰ بِهَا اللَّهُ رُسُلَهُ
 وَيَقُولُ رِجَالٌ شَاهِدُوا يَوْمَ حُكْمِهِ
 فَحَسْبُكُمْ يَا أَهْلَ مِصْرَ بَعْدَ لَه
 فَذَلِكَ بَيَانٌ وَأَضْحَجٌ عَنْ خَلِيفَةِ
 رَضِينَا لَكُمْ يَا أَهْلَ مِصْرَ بَدْوَلْتَهُ
 لَكُمْ أَسْوَةٌ 27 فِينَا قَدِيمًا فَلَمْ يَكُنْ
 وَلَيْسَ بِأَذْنِ أَنْتَ مُطْمَعُهَا وَقَرُّهُ
 بَدَا تَعَمَّرَ الدُّنْيَا وَلَوْ أَنَّهَا قَبْرُ
 دَلِيلًا عَلَى الْعَدْلِ الَّذِي عَنْهُ يَفْتَرُ (26)
 كَثِيرٌ سِوَاهُ عِنْدَ مَعْرُوفِهِ نَزَرُ
 أَطَاعَ لَنَا فِي ظِلِّهَا الْأَمْنُ وَالْوَفْرُ
 بِأَحْوَالِنَا عَنْكُمْ خَفَاءً وَلَا سَتْرُ .

ابن هاني

نفس المراجع ص 335 - 349



فتح الفاطميين لمصر



– الشرح اللغوي :

- (1) – الجسر (المعنى) لعلّ سبب زيادة جسرٍ آخر كثرةُ عسكر جوهر كأنّ الجسر الواحد لم يكن كافياً لمرورهم ، ومرور الوفود الطالبة للصلح – (2) – الوترُ بالكسر ويفتح والتسرةُ : الظلم وأكثر ما يستعمل في العداوة بسبب القتل يجمع على أوتار.
- (3) – حرّ : الحرّي وهو الجدير – (4) – ذروا من وذرّ : ذرّه أي دعهُ يقال ذرّه واحذره وتقول في المضارع يذرّه أي يدعه. وأماتت العربُ ماضيهُ ومصدره واسمَ الفاعل منه فإذا أريد الماضي قيل ترك أو المصدر قيل التركُ أو اسم الفاعل قيل التارك.
- (5) – الضحّلُ : الماء القليل على الأرض لا عمقَ له ومنه « بلدكم محلٌ وماؤه ضحّلٌ »
- (6) – الغمسرُ : الماء الكثير جمعه أغمار من غمّرَ غمراً الماء كذا إذا علاه وغطّاه.
- (7) – التذرُّ من أذره بالأمر إنذاراً وتذرّاً وتذرّاً – (8) – ارعوى الرجلُ عن القبيح ارعواهُ : كفّ عنه ورجع – (9) – العرفُ ضدّ السكر الاسم من الاعتراف بمعنى الإقرار – (10) – القرمُ ج قروم : السيدُ على التشبيه بالقرم من الإبل أي الفحل إذا نُزك عن الركوب والعمل: – (11) – بزكم : سلبكم – (12) – العصبَةُ محرّكة : قوم الرجل الذي يتعصبون له ومنه العصية. (13) – تهلّل : تألأ – (14) – مُقبِل أيامه : أي أيامه الغضةُ الطريّة. – (15) – تحيّر الشيء حصل في الحيّز وهو المكان من حازه إذا ضمّه وجمعه. – (16) – ألا : أداة تنبيه وأصبحت من القوالب الشعرية – (17) – فترّ بالكسر : ما بين طرف الإبهام وطرف السبابة إذا فتحتهما – (18) – جرّ البّيل عبارة عن الخيلاء من الفخر. – (19) – انناشهُ من الملكة : أنقذه. (20) – غآلهُ غولاً : أهلكه وأخذه من حيث لا يدري – (21) – هراقَ الماء يُهريقهُ هراقةً إذا صبّه – (22) – الإصرُ : الثقلُ – (23) – عرّاً فلاناً أمرٌ يعرو : أصابه وعرض له وكذلك اعتراه. – (24) – تفضو مضارع ضفا الشوب : سبغ واتسع – (25) – الوقر : أن يذهب السمع كله – (26) – افتقرَ البرق : تألأ – (27) – الأسوةُ بالضمّ ويكسر : القدوةُ وهي ما يتأسى به الإنسان أي يقتدي به.

الأعلام

- ابنُ أبي السَّيِّطَيْنِ : ابنُ عليِّ بنِ أبي طالب.
- الطَّلَيْقُ ج الطَّلَقَاء والمراد بالطلاق بنو العبَّاس والمشهور أنهم هم الذين خلى عنهم رسول الله يوم الفتح مكة وأطلقهم فلم يسترقهم وهم أبو سفيان وغيرهم. فعلى هذا القول الطلقاء هم بنو أمية. وسبب تسمية الشاعر بنبي العبَّاس الطلقاء أن العبَّاس جيء به إلى رسول الله صلعم أسيراً فيمن أسر في غزوة بدر الكبرى سنة 3 ه أسره أبو اليسر فأخذ رسول الله صلعم الفدية منه وأطلقه.
- وأماً الخليفة الأموي بالأندلس في زمان المعزِّ لدين الله وهو عبد الرحمن النَّاصر أو الحنكَم المستنصر فيسميه الشاعر الطريد.
- أهل النَّصَب : المتدينون بيقظة عليِّ رضي الله عنه ويقال لهم النَّواصب والناصبية من نصب له الحرب والعداوة إذا أظهرها.

أسئلة

- (1) - أترى أن لغة هذه العينات مُخلَّقة أم ميسورةُ الفهم بصفة عامة؟ علَّل اختيارَ ابن هاني لأسلوبه التعبيري ولستوى لفظه بهذه المناسبة. (2) - لا شك أن ابن هاني هو لسان حال المذهب الإسماعيلي والحزب الفاطمي، فإلى أي نوع من الجمهور توجه بهذه التصيدة؟ (3) - هل تجد هاهنا صدقاً لخطة عسكرية تهدف إلى توسع الفاطميين انطلاقاً من مصر؟ (4) - ما هي وسائلُ الترغيب في جوهر وفي جيشه الفاطمي ووسائلُ الترهيب منهما كما وردت في هذه العينات؟ (5) - أين يظهر تشقِّي ابن هاني من أعداء بني عبيد؟

أَسْتَبِي عَلَى الْأَحْرَارِ (من الكامل)

- مناسبة القصيدة :

لَمَّا أَعْتَلَى قَفْصُورُ فُوكَاسِ (Nicephorus Phocas) عَرْشَ الدَّوْلَةِ الْبِيزَنْطِيَّةِ (963 م - 969 م) تَقَدَّمَ الرُّومُ إِلَى حُدُودِ سُورِيَا الشَّمَالِيَّةِ فَاسْتَوْلَى جَيْشُهُ سَنَةَ 358 هـ - 969 م عَلَى أَنْطَاكِيَّةِ الَّتِي كَانَ يَطْمَحُ إِلَيْهَا مِنْذُ زَمَنِ طَوِيلٍ لِأَنَّهَا كَانَتْ مَدِينَةَ الْبَطَارِقَةِ وَالْقُدَيْسِينَ فَاعْتَبِرَتْ مَنَافِصَةَ لِبِيزَنْطَةِ مِنَ النَّاحِيَةِ الدِّيْنِيَّةِ. وَبَعْدَ احْتِلَالِ أَنْطَاكِيَّةِ بِمَدَّةٍ وَجِيزَةٍ حَاصِرَ قَائِدِ قَفْصُورِ مَدِينَةَ حَلَبٍ وَاضْطُرَّ قَرَعَوْيْنَهُ الَّذِي كَانَ إِذْ ذَاكَ قَدْ ثَارَ عَلَى سَعْدِ الدَّوْلَةِ بْنِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْحَمْدَانِيِّ إِلَى عَقْدِ صُلْحٍ مَهِينٍ مَعَ الْبِيزَنْطِيِّينَ سَنَةَ 359 هـ - 970 م وَوَقَّعَتْ حُرُوبَ بَيْنِ الرُّومِ وَالْفَاطِمِيِّينَ بِقِيَادَةِ جَعْفَرِ بْنِ فَلَاحٍ فِي الشَّامِ بَعْدَ احْتِلَالِ أَنْطَاكِيَّةِ.

وَفِي الْعَيْنَاتِ التَّالِيَةِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الرُّومَ قَدْ اسْتَوْلَوْا عَلَى أَنْطَاكِيَّةِ وَأَنَّهَمْ يَهْدُونِ الْمَدِينَةَ الْآخَرَى فِي الشَّامِ وَأَنَّ فَتْحَ مِصْرَ قَدْ تَمَّ نَهَائِيًّا. وَلِذَا يُمْكِنُ تَأْرِيخُ الْقَصِيدَةِ بِسَنَةِ 359 هـ أَوْ بِالسَّنَةِ الْمُوَالِيَةِ.

حَتَّى أَهْمِنَ عَزِيْزُهُ وَأَسْتُضَفِّا
يَرْبِدُ (1) مِنْهُ الْبَدْرُ حَتَّى يُكْسِفَا
بِالْمَشْرِقِيِّينَ (2) وَذَلِكَ حَتَّى خَوْفَا ؟
يَا لِلزَّمَانِ السَّوِّءِ كَيْفَ تَصْرَفَا !
لِلْمُسْلِمِينَ عَلَى الْقَلْبِ (3) وَتَلَفْنَا (4)
فَالْمَنَافِضِلُ الْمَفْضُولُ وَالسَّوْجَةُ الْقَفَا
إِنْ كَانَ يُغْنِي الْحُرَّ أَنْ يَتَأَسَّفَا
أَضْحَوْا عَلَى الْأَصْنَامِ مِنْكُمْ عَكْفَا
مَنْ لَمْ يَجِدْ لِلذَّلِّ عِنْدَكُمْ مَصْرَفَا
إِلَّا بِشَفْرِ ضَاعَ أَوْ دِينَ عَقَا ؟
وَطَرِيقَةُ مَنْ بَعْدَ أُخْرَى نَفْتَمِي
وَتَرَكَزَلَتْ أَرْضُ الْعِرَاقِ تَخْوَفَا
إِلَّا قَلِيلًا وَالْحِجَازُ عَلَى شَمَا (12)

فَغَرُّ أَضَاعَ حَرِيْمَهُ أَرْبَابَهُ
يَصِلُ الرَّنِينَ إِلَى الرَّنِينَ لِحَادِثِ
مَا لِي رَأَيْتُ الدِّينَ قَلَّ نَصِيْرُهُ
هُمْ صَبَرُوا خَدَمَا تَسْوَسُ أُمُورَهُمْ
مَنْ كُلُّ مُسْوَدِّ الضَّمِيرِ قَدْ انْطَوَى
عَبْدَانُ (5) وَتُبِعَ (6) تُبِعَ
أَسْتَبِي عَلَى الْأَحْرَارِ قَتْلُ (7) حِفَاطَتُهُمْ (8)
لَا يُبْعِدَنَّ اللَّهُ إِلَّا مَحْشَرًا
هَلَا اسْتَعَانَ بِأَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ
يَا وَيْلَكُمْ ! أَمَّا لَكُمْ مِنْ صَارِخٍ
فَمَدِينَةٌ مِنْ بَعْدِ أُخْرَى تُسْتَبِي (9)
حَتَّى لَمَقَدَّ رَجَفَتْ (10) دِيَارُ رَبِيعَةَ
وَالشَّامُ قَدْ أُوْدِي 11 وَأُوْدَى أَهْلُهُ

فَعَجِبْتُ مِنْ أَنْ لَا تَعِيدُ 13 الْأَرْضَ مِنْ

أَفْطَارِهَا وَعَجِبْتُ أَنْ لَا تُخَسِّفًا (14)
بِمَجْرَجِيْشِ الرُّومِ قَاعًا (15) صَفْصَفًا
بِمَدَارِجِ الْأَقْدَامِ يُنْسَفُ مِنْسَفًا
قَدْ أَنْ لَظْلَمَاءَ أَنْ تَتَكَشَّفًا
سَيَذُبَ عَنِّ حَرَمِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى
أَحَدٌ تَلَقَّتْ خَلْفَهُ وَتَوَقَّفًا
طَوْعًا إِذَا الْمَلِكُ الْعَنِيفُ تَعَجَّرَفًا (18)
صُرْفُ الْجِيُوشِ أُمْنَتْ أَنْ لَا تُصْرَفًا
مِصْرًا فَهَذَا مُلْكُ مِصْرٍ قَدْ صَفَا
بِصَبِيْرَةِ تَجَلُّو الْقِضَاءِ الْمُسْدَفَا (20)
أَرْضُ الْحِجَازِ وَبِالْمَوَاسِمِ زَلْفَا (21)
وَاسْتَجْمَلْتِ (23) مِمَّا رَأَيْتَهُ تَخَوْفَا
بِمَسَلَا تِلْكَ اللهُ الْعَلِيُّ مُتَكَنَّفَا (25)
فِي بُرْدَةِ تَذْرِي الدَّمُوعِ الذَّرْفَا (26)
تَصْرُ وَسَيْفِكَ ذَا النِّقَارِ 27 الْمُرْهَفَا
لَا يَسْتَقِرُّ تَحَسَّرَا وَتَلَهَّفَا
مَتَفَوَّفَا فِيهَا النَّبَاتُ تَفَوَّفَا
وَهَدَجْتُ (30) بَيْنَ شَعَابِ مَكَّةَ وَالصَّفَا
قَدْ حَامَ بَيْنَ الْمَرَوْتَيْنِ وَرَفْرَفَا
وَالرُّكْنِ (32) مُهْتَزًّا إِلَيْكَ تَشَوْفَا
وَجَعَلْتِكُ النِّزْلِي إِلَيْهِ فَأُزْلَفَا
وَقَضَيْتُ مِنْ نُسْكَ الْمُسَوِّدِ مَا كَفَى
فَيَصِلُ (33)
أُنْثِي عَلَيْكَ فَوَعْدُ رَبِّكَ قَدْ وَقَفَى

وَخَطَبْتُ بِالزُّورَاءِ (34) أُخْرَى مِثْلَهَا

ابن هاني

نفس المرجع ص 429 - 437

- (1) - اربد الشيء بربد: اربداداً : كان أربد اللون من الربرة وهي الغبرة - (2) - المشرقان :
 أراد بهما المشرق الأقصى والمشرق الأدنى. - (3) - قِلا فلاناً قِليّ وقلاء : أبنضه.
 (4) - تَكَفَّفَ : تجمّع من اللَّفِّ وهو ضدّ النَّشْرِ. - (5) - العبدانُ جمعُ عبْدٍ
 (عُبدَانُ عبْدَان) أي هم عبيدُ عبيدٍ - (6) - التَّبِعُ جمعُ تابعٍ - (7) - « قِلاّ »
 هنا يفيدُ معنى التّقي من قولهم « قليلٌ من الرّجال يقول ذلك » أي لا يقول به أحدٌ.
 (8) - الحفاظُ (مصدر) حَافِظٌ عنه : دافعٌ وذبٌّ - (9) - استبى العدو مثل سباه أي أسره
 والغالبُ اختصاصُ الأسر بالرجال والسبي بالنساء. - (10) - رَجَفَ الرَّعْدُ : تردّدَتْ
 هدمته في السحابِ والرّجفة الزلزلة. - (11) - أودى الرّجلُ إبداءً : هلك - (12) -
 الشّئى : حرف كل شيء - على شفا أي قد أشرف على الهلاك - (13) - مادّ الشيء
 ميدياً : تعرّك - (14) - خَسَفَ اللهُ الأرضُ : أساخها وأغابها بما عليها. - (15) -
 القاعُ جمعُ أفرعٍ وأقواعٍ : أرض سهلةٌ مطمئنةٌ. - (15) - الصّفصَفُ : المستوي
 من الأرض الذي لا نبات فيه - (16) - لَوَى عليه يَلْوِي : عطف أو انتظر. - (17) -
 القيادُ والمقودُ : الحيل الذي تقاد به الدابة - (18) - تَعَجَّرَفَ على القوم : ركبهم
 بما يكرهونه ولا يهاب شيئاً - (19) - « فإلى العراقِ وذُرٌّ لِمَنْ... » الخطابُ للمعزِّ
 والمراد بقوله « مَنْ » القائد جوهر. - (20) - أسدَفَ اللَّيْلُ : أظلمَ. - (21) - زَلَفَ :
 تقدّم وتقرّب منه الزلفى وهي القرية - (22) - عَنَّا يَمْنُو : خضع وذلّ - (23) -
 استجفل بمعنى انجفل أي مضى وهرب مسرعاً. - (24) - ازدار افتعل من الزيارة
 (25) - تكثّفه القوم واكتنفوه : أحاطوا به - (26) - الذرّفُ الواحد ذارف : السائلُ
 (27) - ذو الفقار : سيف الرّسول عليه السلام قلّده عليّاً. - (28) - هزج : طرّب
 بصوته - (29) - مليياً : من التلبية في الحجّ دعاء لبيك اللهم لبيك... - (30) - هدج :
 مشى مشية الشّيح وهو مشى رويدٌ في ضعفٍ وارتعاشٍ. - (31) - الحجرُ : أراد به
 حجر إسماعيل في البيت الحرام - (32) - الرّكنُ : هو الرّكن العظيم في مكّة.
 (33) - الفيصل : الحاكم والقاضي - (34) - الزّوراء هي بغداد.

أسئلة

- (1) - اذكر حركة هذه العينات. (2 - في القصيدة صدّي لخطّة عسكريّة ، فما هي؟ ما هو البلد الذي كان الفاطميّون يريدون الاستيلاء عليه؟ - (3) - كيف وصف ابن هاني الوضع السياسي بدار الإسلام في المشرق؟ - (4) - بأيّة طريقة حاول ابن هاني أن يحرك غيرّة المسلمين على دار الإسلام وأن يحثهم على مناصرة الفاطميّين؟ (5) - ما هو الحدث الخطير الذي جرى بالحجاز كما أشير إليه في القطعة؟ - (6) - هل تنحصر قيمة هذا الشعر في الناحية التّاريخيّة أم تتعداها إلى الجمال الفنّي؟ دعمّ جوابك بأدلة دقيقة.

مَاجِيتُ (الكامل)

- تاريخ القصيدة ومناسبتها :

تَضَارَبَتِ الرِّوَايَاتُ فِي خُصُوصِ ظُرُوفِ وَتَارِيخِ وَفَاةِ ابْنِ هَانِي وَيُؤْخَذُ مِنْ بَيْتٍ وَارِدٍ فِي هَذِهِ الْقِطْعَةِ أَنَّ الْمَعزَّ أَصْبَحَ فِي مِصْرَ - وَقَدْ انْتَقَلَ إِلَيْهَا سَنَةَ 362 هـ - وَأَنَّ ابْنَ هَانِي لَمْ يَكُنْ مَعَهُ وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ إِلَيْهَا فَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ قَدْ تُوَفِّي سَنَةَ 361 هـ كَمَا يَذْهَبُ إِلَى ذَلِكَ ابْنُ الْخَطِيبِ فِي «الإحاطة» وَابْنُ خَلْدُونَ فِي «كتاب العبر» بَلْ فِي سَنَةِ 362 بُعِيْدَ انْتِقَالِ الْمَعزِّ إِلَى مِصْرَ.

وَفِي هَذِهِ الْعِيْنَاتِ إِشَارَةٌ إِلَى حَرْبٍ وَقَعَتْ بِفِرْقُلَيْسَ بِالشَّامِ بَيْنَ جَيْشِ الْمَعزِّ وَالْقِرَامِطَةِ وَكَانَ النَّصْرُ فِيهَا لِمُسْكَرِ جَوْهَرٍ وَقَبْلَهَا كَانَ الظُّفْرُ لِلْقِرَامِطَةِ الَّذِينَ احْتَلَوْا دِمَشْقَ وَقَتَلُوا جَعْفَرَ بْنَ فَلَاحٍ قَائِدَ الْفَاطِمِيِّينَ لِأَنَّ ابْنَ طَفَّجَ بِالشَّامِ كَانَ عَاهِدَهُمْ أَنْ يَحْمِلَ إِلَيْهِمْ كُلَّ سَنَةٍ ثَلَاثِمِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ. فَلَمَّا مَلَكَهَا جَعْفَرُ عَلِمُوا أَنَّ الْمَالَ يَفُوتُهُمْ فَهَجَمُوا عَلَى الشَّامِ.

مَا شِئْتَ لَا مَا شَاءَتْ الْأَفْدَارُ
وَكَأَنَّمَا أَنْتَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ
أَنْتَ الَّذِي كَانَتْ تُبَشِّرُنَا بِهِ
هَذَا إِمَامُ الْمُتَّقِينَ وَمَنْ بِهِ
هَذَا الَّذِي تُرْجَى النِّجَاةُ بِحُبِّهِ
هَذَا الَّذِي تُجْدِي شِفَاعَتَهُ غَدَاً
مَنْ آلَ أَحْمَدَ كُلِّ فَخْرٍ لَمْ يَكُنْ
كَالْبَدْرِ تَحْتَ غَمَامَةٍ مَنْ قَسَطَلَ (5)
فِي جِحْفَلٍ هَتَمَ (7) الثَّنَائِيَا وَقَعَهُ
غَمَرَ (9) الرَّعَانَ (10) الْبَاذِخَاتِ (11) وَأَغْفَرَ
الْقُنْنَ (12) الْمُسَيْفَةَ فِي ذَلِكَ التَّيَّارِ (13)
لِلَّهِ غَزَوْتُهُمْ غَدَاةً فَرَأَسَ (14) وَقَدْ اسْتَشْبَتَ لِلْكَرْبَةِ نَارًا

وَالْخَيْلُ تَمْرَحُ فِي الشَّكِيمِ (15) كَأَنَّهَا
عُقْبَانُ صَارَةَ (16) شَاقَهَا الْأَوْكَارُ
مَرَّتْ لَغَابَتَهَا فَلَا وَاللَّهِ مَا
وَعَلَى مَطَاهَا (17) فَنِيَّةٌ شَيْعِيَّةٌ
مِنْ كُلِّ أَغْلَبٍ بِأَسْلِ مَتَخَمَطٍ (19)
قَلِقٌ إِلَى يَوْمِ الْهِيَاجِ مُغْتَامٍ
إِنْ تَخَبُّ نَارُ الْحَرْبِ فَهَوَ بَفْتِكَه
فَأَدَانَهُ فَضْفَاضَةٌ (23) وَتَرِيكَةٌ (24)
حَفُوا بِزَايَاتِ الْمُعَزِّ وَمَنْ بِهِ
هَلْ لِلدَّمْسُوقِ بَعْدَ ذَلِكَ رَجْعَةٌ
أَضْحَوْا حَصِيدًا خَامِدِينَ وَأَقْفَرَتْ
كَانَتْ جَنَانًا أَرْضَهُمْ مَعْرُوشَةٌ (28)

وَاسْتَقَطَعَ الْخَفَقَانُ حَبَّ قُلُوبِهِمْ (29)
وَجَلَّ الشُّرُورُ وَحَلَّتِ الْأُدْعَارُ (30)
ضِدَعَتْ (31) جِيُوشُكَ فِي الْعَجْجَاجِ وَعَانَشَتْ (32)
لَيْلَ الْعَجْجَاجِ فَوَرِدُهَا إِضْدَارُ
عَكَسُوا الزَّمَانَ عَوَائِنًا (33) وَدَوَّخْنَا (34)
فَالصُّبْحُ لَيْلٌ وَالظُّلَامُ نَهَارُ
وَتَبَسَّمُوا فَرَّهًا وَأَخْصَبَ مَاحِلُ
وَاسْتَبَسَّلُوا فَتَخَاضَعَ الشَّمُّ الدَّرَى
أَنْبَاءَ فَاطِمَ هَلْ لَنَا فِي حَشْرِنَا
أَنْتُمْ أَجْبَاءُ الْإِلَهِ وَاللَّهِ
أَهْلُ النَّبُوَّةِ وَالرَّسَالَةِ وَالنُّهْدَى
وَالنُّوْحَى وَالنَّوَابِلِ وَالتَّحْرِيمِ
لَسْتُمْ كَأَبْنَاءِ الطَّلِيْقِ (36) الْمِيرُ تَدِي
وَافْتَرَّ فِي رَوْضَاتِهِ النَّوَارُ
وَسَطُّوا فَدَلَّ الضِّيغَمُ الزَّارُ
لَجَأَ سِوَاكُمْ عَاصِمٌ وَمُجَارُ؟ (35)
خُلُقَاؤُهُ فِي أَرْضِهِ الْأَبْرَارُ
فِي الْبَيْنَاتِ وَسَادَةَ أَطْهَارُ
وَالْتَحْلِيلِ لَا خُلْفٌ وَلَا إِنْكَارُ
بِالْكَفْرِ حَتَّى عَطَّرَ فِيهِ إِسَارُ (37)

رُدُّوْا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ وَتَسْكَبُوا (38) وَتَحَمَّلُوا (39) فَتَقَدَّ اسْتَحَمَّ (40) بَوَارُ
 يُلْهِهِمْ زَمْرُ (41) الْمَثَانِي (42) كَلَّمَا
 أَمْعَزَ دِينَ اللَّهِ إِنْ زَمَانَنَّا
 هَا إِنْ مَصْرَ غَدَاةَ صَرَتْ قَطِينَهَا
 وَالْأَرْضُ كَادَتْ تَفْخَرُ السَّبْعَ الْعَلِيَّ
 وَالِدَهْرُ لَا ذَا بِحَقْوَتَيْكَ (46) وَصَرَفُ هُ
 وَمَلُوكُهُ وَمَلَاكَ أَطْرَ وَارُ
 وَالْبَحْرُ وَالنِّينَانُ (47) شَا هِدَةَ بِكُمْ
 شَرَفَتْ بِكَ الْإِفَاقُ وَأَنْفَسَمَتْ بِكَ الِ
 عَطَرَتْ بِكَ الْأَفْوَاهُ إِذْ عَذَّبْتَ لَكَ الِ
 جَلَّتْ صِفَاتُكَ أَنْ تُحَدَّ بِمَقُولِ (48)
 وَاللَّهُ خَصَّكَ بِالْقُرْآنِ (49) وَفَضَّلَهُ

ابن هاني

الدكتور زاهد علي - نفس المرجع

ص : 365 378

- تنبيه : يمكن الإقتصار في الشرح المفصل بالفصل على وصف الفارس الشيعي في
 الآيات السبعة عشر ابتداء من البيت الحادي عشر .

- تعليق على مبدأ الحلول :

لهذا المبدأ علاقة بتفكير ابن هاني . يقول الإسماعيلية : لما كان في العالم العلوي عقل
 كلي ونفس كلية وجب أن يكون في هذا العالم شخص هو كل وحكمه حكم
 الشخص الكامل البالغ ويسمونه الناطق وهو النبي ومن بعده الإمام . ويذهبون إلى أن
 الإمام من نور الله وأن جسمه أشرف الأجسام وأن جسمه عقل بالنسبة لأجسام البشر
 ويجعلونه كافورياً من غير لحم ودم . وتقديس الأئمة وتألّيههم أحياناً ظاهرة لا يمكن
 نفيها عن غلاة الشيعة وإن ثار عليها بعض الأئمة وأنكرها القاضي النعمان المغربي
 الشيعي . وكان بعض أئمة الفاطميين يتظاهرون بمحاربة هذه البدعة حتى كان زمن
 « الحاكم » بمصر فادعى الألوهية جهراً .

التَّشْرِيحُ اللُّغَوِيُّ :

- (1) - الحَبْرُ جمعُ أحبارٍ وحُبُورٍ: العالمُ الصَّالِحُ وهو مأخوذٌ من تحبيرِ العلمِ وتحسينه.
- (2) - داخُ البلادِ دَوخاً ودَوخها: قهرها واستولى عليها - (3) - الإِصْرُ: الثَّقَلُ والذَّاتُ جمعُ آصارٍ - (4) - الوِزْرُ (مصر) وزَرَ يَزِرُ جُ أوزارٌ وهو مرادفُ الإِصرِ.
- (5) - القسطلُ: غيارُ الحربِ. - (6) - الضَّحيانُ: البارزُ للشمسِ. - (6) - السرارُ: آخرُ ليلةٍ من الشهرِ - (7) - هَتَمَ يهْتَمُ: كَسَرَ - (8) - الغُطامُ مرادفُ الزُّخَّارِ
- (9) - غَمِيرَةُ الماءِ غَمِيراً: غَطَّاهُ. - (10) - الرِّعَانُ جمعُ رَعْنٍ وهو أنفٌ يتقدمُ الجبلِ وهو أيضاً الجبلُ الطويلُ - (11) - الباذخاتُ صفةٌ للجبالِ من بَدَخَ يبدِخُ بَدَخاً: ارتفع - (12) - القِنَّةُ جُ قننٌ: الجبلُ. - (13) - التِّيارُ: موجُ البحرِ من تارَ البحرُ تيراناً إذا تعاضلتُ أمواجهُ - (14) - فراقسُ محرّفٌ عن «فرقلس» وهو اسمُ ماءٍ قربِ سلميةٍ بالشَّامِ. - (15) - الشُّكَيْمُ الوحيدةُ شُكَيْمةٌ: هي من الأجاجِ الحليديةِ المتعرضةِ في فمِ الفرسِ. - (16) - الصَّارَةُ: أعلىُ الجبلِ وجبلٌ في بلادِ العربِ - (17) - مطاها: ظهرها - (18) - الولاءُ: أراد به الولاءُ لعليِّ بنِ أبي طالبٍ وللطَّالبيينِ - (19) - للتخَمَطُ: المتكَبِّرُ الغضبانُ مأخوذٌ من تخمَطَ البعيرُ إذا هدرَ وكذلك خَمَطَ. - (20) - المِصَّارُ: اسمُ مبالغةٍ من تهصرُ الأسدُ فريسته: كسرها. - (21) - القَيْلُ: الملكُ - (22) - جُبَّارٌ: مهذورٌ - (23) - القَضْفاضَةُ: صفةٌ للدَّرْعِ الواسعةِ. - (24) - التَّريكةُ: بَيْضَةُ الحليديِّ. - (25) - المَثَقَفُ: صفةٌ للرَّمحِ المقسومِ من ثَقَفَ. - (26) - البِتَّارُ صفةٌ السيفِ القاطعِ. - (27) - الوِطْرُ: الحاجةُ. - (28) - معروشةٌ: مرفوعةٌ على الخشبِ. - (29) - حَبَسَةُ القلبِ: هنةٌ فيه - (30) - الأَدعارجُ دَعَرٌ بالتحريكِ وهو الفسادُ والشرُّ ومنه الدَّعارةُ. - (31) - صدَعَتُ: مضتُ ومَرَّتْ - (32) - عانَثَتْ: عانَقَتْ - (33) - العَوَّائِنُ الواحِدُ عَثانٌ بالضمِّ: الغبارُ أو الدخانُ - (34) - الدَّواخِنُ الواحِدُ دُخانٌ. - (35) - المُجَّارُ: ظرفٌ مكانٌ أي موضعُ الإِجارةِ، المَلجأُ والمعاذُ. - (36) - أبناءُ الطَّلِيقِ: هم بنو العباسِ عند ابنِ هانئٍ وبنو أُمَيَّةٍ هم آلُ الطَّريدِ. (انظر ما تقدم من شرحِ مَفْصَلِ). - (37) - عَضَهُ إِسَّارٌ: لَزِمَهُ حَبْلٌ. - (38) - نَكَبُوا: تَجَنَّبُوا - (39) - تَحَمَّلُوا: ارتحلوا. - (40) - استَحَمَّ بمعنى حَسَمَ بالبناءِ للمجهولِ أي قَضَى ومنه الحمامُ بالكسرِ بمعنى قضاءِ الموتِ. - (41) - الزَّمْرُ: الغناءُ بالنَّفْخِ في القصبِ وغيره.
- (42) - المَثانِي: آياتُ القرآنِ. - (43) - المَثْنِي: ما بَعَدَ الأوَّلِ من أوتارِ العودِ جُ المَثانِي. والمَثالثُ: ما بَعَدَ الثَّانِي من أوتارِ العودِ. - (44) - بأو: فخرٌ - (45) - المَوَّارُ:

المتحرّك من مار يمور. - (46) - الحقوة : الخصر و «لاذ بحقوقيك» : استجار بك
(47) - التينان الواحد نون وهو الحوت. - (48) - المقولُ : اللسان - (49) - القرآنُ :
مُسَهَّلُ القرآن.

أمثلة

- 1) - اذكر حركة هذه العينات ومراكز اهتمامها. - (2) - ما هو البيت الذي يؤخذ منه
أن المعزّ أصبح مقيماً في مصر ؟ - (3) - صِفْ على مثالِ ابنِ هاني الفارسيّ الشّيميّ
واذكر ما يميّزُ به عن غيره من الفرسان ؟ (4) - أين يظهر غلُوبُ ابنِ هاني في وصف
الإمام ؟ - (5) - بماذا شبّه الشّاعر قوّة فتیان الشيعة ؟ هات أمثلة دالة على ذلك. -
(6) - تأرجح الشّاعر بين أسلوب ملحسيّ غنائيّ وأسلوب خطابيّ تقريريّ تعليميّ أوضح
ذلك بأمثلة دقيقة.

وَصِيَّةُ الْمُغْرِبِيِّ فِي كِتَابِهِ

قال المقرئزي * (اتعاط الحنفاء) :

استدعى المغزّ - وهو بالمصورية في يوم شات، بارد الريح عدة
شيوخ من شيوخ كسامة، وأمر بإدخالهم اليه من غير الباب الذي جرى
الرسم به ، فإذا هو في مجلس مُرَبَّع كبير مفروش باللبود على مطارح ،
وحوله كساء، وعليه جبة، وحواليه أبواب مفتحة تقضي الى خزائن كتب،
وبين يديه مرفع ودواة، وكتب حواليه، فقال « . . يا اخواننا : أصبحت
اليوم في مثل هذا الشتاء والبرد، فقلت لأم الأمراء - وانها الآن بحيث
تسمع كلامي : أترى اخواننا يظنون أننا في مثل هذا اليوم نأكل ونشرب،
وننقلب في المثقل والديباج والحريير والفنك والسّمور والمسك والخمر
والغناء كما يفعل ارباب الدنيا ؟ ثم رأيت ان أنفذ اليكم فأحضركم
لتشاهدوا حالي اذا خلوت دونكم واحتجبت عنكم واني لا أفضلكم في
أحوالكم الا فيما لا بد لي منه من دنياكم وبما خصني الله به من
إمامتكم، واني مشغول بكتب ترد علي من المشرق والمغرب ، أجب
عنها بخطي ، واني لا اشتغل بشيء من ملاذ الدنيا الا بما صان أرواحكم،
وعمر بلادكم، وأذل أعداءكم ، وقمع أضدادكم، فافعلوا يا شيوخ
في خلوتكم مثلما أفعله ، ولا تظهروا التكبر والتجبر فينزع الله النعمة
عنكم، وينقلها الى غيركم، ليتصل في الناس الجميل، ويكثر الخير
ويتنشر العدل .

واقبلوا بعدها على نسايتكم، والزمو الواحدة التي تكون لكم، ولا
تشرهوا الى التكثير منهن والرغبة فيهن، فيتغص عيشكم، وتعود المضرة
عليكم، وتنهكوا أبدانكم، وتذهب قوتكم وتضعف غرائزكم، فحسبُ
الرجل الواحدة، ونحن محتاجون إلى نصرتكم بأبدانكم وعقولكم،

واعلموا انكم اذا لزمتم ما آمركم به رجوت ان يقرب الله علينا أمر
المشرق، كما قرب أمر المغرب بكم - انهضوا، رحمكم الله ونصركم،».

نقل عن عثمان الكماك

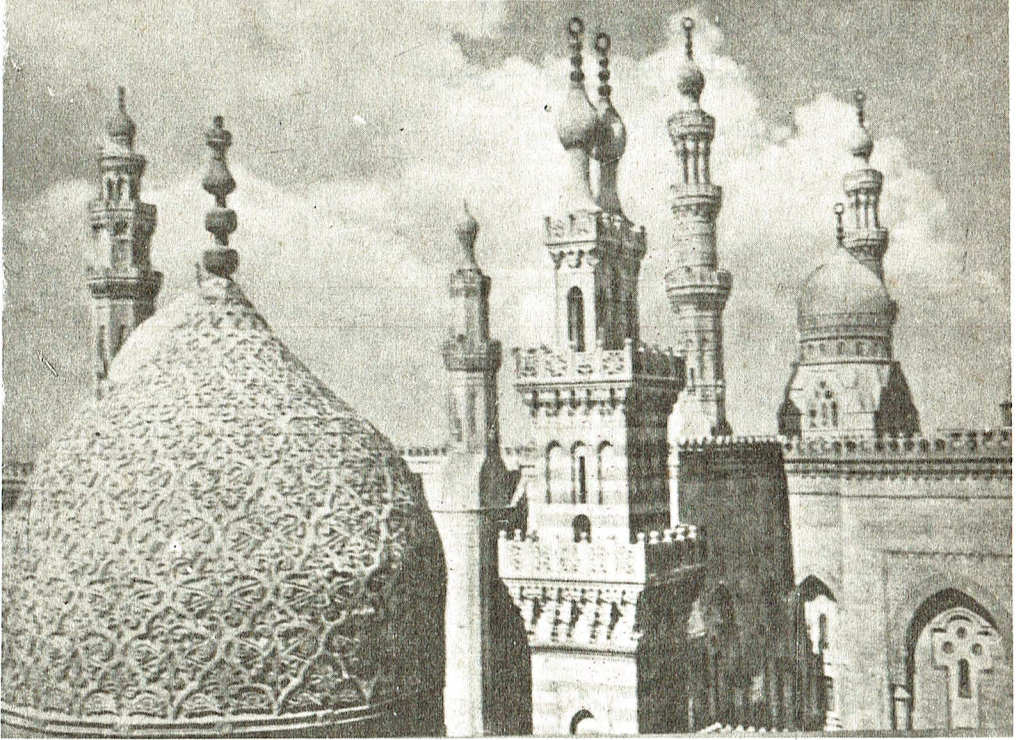
مسلك القاهرة

من أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة
مليس - أبريل 1969. مطبعة دار الكتب 1971

ص: 26 - و27.

- الأعلام

• المقرئزي: (766 هـ 846 هـ) نسبة لحارة «المقارزة» في بعلبك. مؤرخ قضى
أكثر أيامه في القاهرة وتولى فيها الوظائف أقال سنوات في مكة. من مؤلفاته
«الخطط المقرئزية» ذكر فيه ما يتعلق من الأخبار بمصر وأحوالها المدنية والاجتماعية.



صورة الازهر

مُزُوجُ الْمُغْرَابِيَةِ الْقَاهِرَةِ

قال المقرئسي :

« . . . ولما عزم على الرحيل الى مصر أتاهُ بُلُكَّين بن زيري بألفي
جمل من إبل زناتة وحمل له بالقصور من الذخائر وسبك الدنانير على
شكل الطواحين جعل على كل جمل قطعتين في وسط كل قطعة ثقباً
تجمع به القطعة الى الاخرى. فاستعظم ذلك الجند والرعية ، وصاروا
يقفون في الطرق لرؤية بيت المال المحمول . . . »

ألفان من الابل لحمل المال ، فكس من ابل وخيل وبعال
وحمير لحمل الرجال والمتاع ؟ وكم من قباب محمولة
للوماية من الحر والقر لحمل النساء ؟ لا شك ان هذه القافلة التي خرجت
من المنصورية الى سردانيا كانت تمتد من المنصورية الى طريق السبيكة ،
وأن أهل القيروان، التي لم تكن تبعد عن المنصورية الا 800 م في الشمال
كانوا ينظرون القافلة من المنائر والسطوح وأعالي الاسوار وأبراج باب سلم
ومقبرة قريش المشرفة على المنصورية .

قال المقرئسي :

« ... وخرج المعز من المغرب يوم الاثنين لثمان بقين من شوال سنة
361 هـ . » وهو يوافق يوم 7 أغسطس 972 م أي اننا في صميم الصيف
القيرواني الحار .

ثم قال المقرئسي :

« . . . وخرج من المنصورية ، ومعه بلكين ، الى سردانيا » والمنصورية
معروفة منتزه ملوكي بناه الخليفة المنصور اثر انتصاره على ابي يزيد وجعله
لا يبعد الا 800 م عن القيروان في الجنوب منها - ويسمى الآن صبرة .

وسردانيا معروفة. وهي ليست الجزيرة الإيطالية الواقعة شمال صقلية وجنوب كرسكة وانما سميت باسم الجزيرة ذكرى لفتحها. وهي قصور أنيقة وحدائق غناء بين جبال عالية تتمر منها حنية تجلب الماء من الشريشيرة الى القيروان على بعد 40 كم . وهي غرب القيروان في طريق سببلة على الشمال منه.

والمعز الذي كان (يقول بالقال) قصد المنصورية ثم سردانيا لان الاولى تذكره بالانتصار والثانية بالفتح ، ولأنه أراد ان يستريح ويشتم نسيم سردانيا العليل المعطر بعبير الفل والياسمين والورد والقرنفل والعطر ومن يدري ؟ لعله أراد ان تبقى له آخر ذكرى جميلة من هذه المشاهد الافريقية الرائعة .

عثمان الكعك

من أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة
مارس - أبريل 1969 - مطبعة دار الكتب

1971 - ص . 50 - 51

بَدِيْعُ هِنْدِ اللَّهِ [الطويل]

- تقديم :

هذه عينات من آخر قصيدة لابن هاني في مدح المعز لدين الله وقد بعث بها إليه بالقاهرة والشاعر بالمغرب في الزاب مع عياله كما يؤخذ من أحد الأبيات. ولذا يمكن تأريخ القصيدة سنة 362 هـ.

لَدَيْكَ جُنُودُ اللَّهِ مِنْهَا رُجُومُهُ (1) فَمِنْ مَارِجٍ (2) نَارٍ وَكَسْفٍ (3) مُضَرَّمٍ
تَقُودُهُمْ فِي النَجِيْشِ وَالنَّجِيْشِ مُنْسَكٌ (4)

وَكَوْلٌ حَجِيْجٌ مِنْ مُحَلٍّ وَمُخَنَّمٍ رَمٍ
كَمَا سَارَ فِي الْأَنْصَارِ جَدُّكَ مِنْ مَنِيٍّ
فَلَا مُهْجَةَ فِي الْأَرْضِ مِنْكَ مَنِيْعَةٌ
وَلَوْ أَنَّهَا نِيَطَتْ بِمُخَلَّبِ قَسْبُورٍ (8)
لَقَدْ أَعْدَرْتَ فِيكَ اللَّيَالِيَّ وَأَنْدَرْتَ
قُصَارَاكَ مَلِكُ الْأَرْضِ لَا مَا يَرَوْنَهُ
وَلَا بَدَّةً مِنْ تِلْكَ الَّتِي تَجْمَعُ الْوَرَى

عَلَى لَاحِبٍ (11) يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَقْسَمٌ وَمِ
فَقَدْ سَمَّتْ بِيضُ الظُّبَى مِنْ جُفُونِهَا

وَكَانَتْ مَتَى تَأَلَّفَ سِوَى الْهَامِ تَسَامٍ
وَقَدْ غَضِبْتَ لِلدِّينِ بِأَسْطِ كَفِّهِ
وَاللَّعْرَبِ الْمُرْتَبَاءِ دَلَّتْ خُدُودُهَا
وَاللَّعْزِ فِي مِضْرٍ يُرَدُّ سَرِيْرُهُ
إِلَى شَلُوٍ (15) مِيْتٍ فِي ثِيَابِ خَلِيْفَتِهِ
فَلِنْ يَكُنَّ الْعَبْدُ اللَّثِيْمُ نَجَارُهُ (18)
وَلِلسِهْنٍ فِي الْآفَاقِ كَالْمُتَطَلَّمِ
وَاللْفُتْرَةِ الْعَمِيَاءِ فِي الزَّمَنِ الْعَمِيِّ
إِلَى نَاعِبٍ (12) بِالْبَيْنِ يَنْعَقُ أَسْحَمِ
وَيَضَعُ (16) لِحَامٍ فِي إِهَابٍ (17) مَوْرَمِ
فَمَّا هُوَ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ بِالْأَمِ

سَوَامٌ 19 رِتَاعٌ 20 بَيْنَ جَهْلٍ وَحَيْرَةٍ وَمَلَكَ مُضَاعٍ بَيْنَ تَرْكٍ وَدَيْلَمٍ
وَفَاضَ دَمًا مَدَّ الْفُرَاتِ وَلَمْ يَجْزُ لَوَارِدِهِ طَهْرٌ بَغْيِيرٍ تَيْمٌ

فَلَا حَمَلَتْ فُرْسَانَ حَرْبٍ جِيَادُهُ

إِذَا لَمْ تَزُرْهُمْ مِنْ كُمَيْتٍ (21) وَأَذْهَمَ

وَلَا عَذَبَ الْمَاءُ الْقُرَاحُ (22) لِشَارِبٍ وَفِي الْأَرْضِ مَرَوَانِيَّةٌ غَيْرُ أَيِّمٍ (23)

ابن هانيء

الدكتور زاهد علي «تبيين المعاني في شرح

ديوان ابن هانيء» ط. مصر 1352 هـ.

ص 681 - 683

– الشرح اللغوي :

- 1) الرَّجُومُ جمع رَجَمٍ وهو اسمٌ ما يَرَجَمُ به ورجمه رماه بالحجارة ومنه قرآن « لقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ». – 2 – المارج : الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد . – 3 – الكسْفُ من كسف الشيء : قَطَعَهُ والكسفة بالكسر القطعة من الشيء والجمع كسْفٌ وكسَفٌ – 4 – المنسكُ : العبادة والموضع تذبح فيه النسبكية – 5 – الحواريُّون مفردة الحواريّ : النَّاصِرُ وقيل ناصر الأنبياء ومن هنا قيل لرُسل المسيح عليه السلام الحواريون – من حوَر الثياب بيّضها وكل شيء خالص لونه فهو حواري – 6 – الأرقط من الحيات ما فيه رقط وهو سوادٌ يشوبه نقطٌ بيّاضٌ أو يياضٌ يشوبه نقط سواد – 7 – الأرقم : أحببت الحيات 8 – القنسور ج قساور وقساورة : العزيرُ – والأسد – 9 – الروق ج أرواق : السيد الشجاع وأيضاً موضع الصائد – 10 – الأعصم : الممتنع – 11 – اللاّجب : الطريق الواضح 12 – نعب الغراب نعبياً ونعابا : صاح وصوت بالبين على زعمهم -- 13 – الأسحُمُ : الاسودُ والسحمة : سواد كلون القراب الأسود 14 – العَضُدُ : السَّاعِدُ 15) الثَّلُوُ بالكسر والثَّلَا : الجلد والجسد من كُلِّ شيء وكلّ مسلوخة أكل منها شيء فبقيتها شلو – 16 – البضعة بالفتح وقد تكسر : القطعة من اللحم – 17 – الإهاب : الجلد – 18 – النَّجَارُ : الأَصْل والحسب 19 – سوامٌ وسوائم جمع سائمة وهي الإبل الرّاعية التي لا تعلق في العطن – 20 – الرّتاع جمع راتعة (المعنى) يشير الى وزراء الخلافة العباسية وقوادها من ترك وديلم – 21) الكُميت من الخيل ج كُميت (للمذكر والمؤنث) : ما كان لونه بين الأسود والأحمر – 22 – القراح : الماء الخالص – 23 – الأيْمُ من النساء : التي لا زوج لها بكرا كانت أو ثيباً والجمع أيائم وأيامى.

أسئلة

- 1) كيف صور ابن هاني الخليفة العباسي وأهل العراق ؟
- 2) ما هي أمنية الشاعر في هذه القطعة ؟
- 3) أي جنس ناصره ابن هاني ولماذا ؟

مواضيعٌ مقالات

(1) لم يكن ابن هاني في مدحه للمعزّ القاطميّ مجردَ شاعرٍ يمدح أميراً طمعاً في المال ، بل كان شاعراً متحرّياً يدافع عن مذهب يراه حقّاً . ولئن طغت المبالغَة على بعض أقواله فإنّ شعره المدحّي لا يخلو من جمال الوصف وحسن التعبير .

ناقش هذا القول من خلال ما درسته من المعزيات .

(2) لم يظهر قبي شعر الحماسة المشرقيّ على كثرته وصف الأساطيل والمعارك البحريّة ، في حين أنّ شعر الحماسة المغربيّ قد صوّر هذه المعارك البحريّة أدق تصوير فجمع بين التاريخ والفنّ الشعريّ الحربيّ . تناول هذا القول التحليل من خلال ما درسته عن شعر ابن هاني في وصف حروب المعزّ القاطميّ البحريّة .

(3) من أهمّ مميزات أدب الحرب والحماسة في شعر ابن هاني وصف الأساطيل ، ويكادُ هذا الشاعِر يفرد بوصفها في الأدب العربيّ ، فعلّل مَبْلَهُ الى هذا الغرض ويبيّن طرافتهُ فيه .

لِلطَّالِعَةِ

تَحْقِيقُ مَنَاقِبِ الْمُعْتَبَرِينَ الْقَدِيقَاتِ

(حوالي سنة 337 إلى سنة 374 هـ)

تَرْبِيَّتُهُمْ وَتَعْمِيرُهُمْ

تَمِيمُ بْنُ الْعَزِزِ

هو شقيقُ الخليفةِ الفاطمي الخامس العزيز وابن المعز لدين الله الخليفة الرابع. كانت ولادته بالمهدية حوالي سنة 337هـ وشهر في حياته بالانغماس في اللهو والولع بالأدب وكان أميراً مثقفاً ظريفاً وشاعراً ماهراً مُتَرْفِئاً كاد والده المعز أن يوصي بإمامته من بعده ولكنه فضلَ عليه ابنه عبد الله غير أنه مات في حياة والده فعين العزيز ابنه الثالث إماماً من بعده لاستهتار تميم وتعاطفه مع بني عمومته من أبناء القائم وأبناء المنصور الذين لم يطمئن المعز اليهم بل جعل الرقابة عليهم.

وكان العزيز مدةً خلافته مرتبطاً بأخيه تميم ارتباطاً وثيقاً تشهد به مدائح تميم. وقد حزن عليه العزيز حزناً شديداً بعد موته بالقاهرة في ذي القعدة من سنة 374هـ ويذكر ابن تغربردي أن سنة وفاة تميم هي 368 هـ. وتنقسم حياة تميم الى طورين، طور قضاءه في تونس وطور قضاءه في مصر التي انتقل إليها مع أسرته سنة 362 وهو في الخامسة والعشرين من عمره.

وينبغي أن يُحذَرَ من الخلطِ بينه وبين سَمِيهِ تميم بن المعز الصنهاجيّ الأمير الخامس في أسرة بني زيري وقد حكم بالمهدية من سنة 454 الى سنة 501هـ وكان أيضاً شاعراً موهوباً مُبدِعاً .

عن دائرة المعارف الإسلامية (باللسان الفرنسي)
الطبعة الجديدة

تَمِيمُ بْنُ الْمُعْزِ الْفَاطِمِيُّ فِي أَرِيْقَمٍ

ولد الأمير تميم سنة 337هـ في مدينة المهديّة، تلك المدينة التي بناها عبيد الله المهدي واتخذها عاصمة له سنة 308هـ واستقرّ بها هو وآلُ بيته وكبارُ رجالِ شيعته وظلّت كذلك الى ان بنى المنصور بالله مدينة المنصورية سنة 337 بعد نجاحه في اخماد ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي تلك الثورة التي ظلّت زهاء ثلاث عشرة سنة تهدّد الدولة الفاطميّة الناشئة وشغل بها القائم بأمر الله طوّالَ مدّةٍ حُكّمه الى ان قضى عليها ولدهُ المنصور بالله سنة 336هـ.

وُلد تميم بعد الانتهاء من هذه الثورة بعام واحد في خلافة جدّه المنصور بالله وكان تميم الابن الأكبر للمعزّ لدين الله وذلك خلافاً لما ذهب إليه بعض المؤرخين من أنّه كان الابن الثاني أو الثالث.

ونحن نعرف أنّ المعزّ لدين الله رزق بأربعة أبناء ذكورٍ همّ تَمِيمٌ وعبدُ الله ونزارُ الذي لُقّب بالعزّيز وعقيل نشأوا جميعاً في قصر الخلافة بالمهديّة ثم بالمنصورية.

قَرَعَ عَرَعَ الأميرُ تميم في أبته المُلْكِ إلى أن اتخذه لنفسه عبيداً وداراً في القصر بالمنصورية وكان من رسوم الفاطميين تربيةُ أبناء كبار رجال الدولة والمقرّبين إليهم في قصر الخلافة مع الأمراء من أبنائهم ولكننا لا نعرف كيف نشأ تميم ولا نعرف شيئاً عن أساتذته ومربّيه بالرغم مما نعرفه عن شغف جدّه المنصور بالله وأبيه المعزّ بالعلوم وتشجيع الشعراء والأدباء والعلماء على الوفود الى الحضرة وجمع الكتب النفيسة في كلّ فنّ وكان المعزّ يقولُ (حسب ما أورده القاضي النعمان في كتابه «المجالس والمسائرات»): «والله ما تُلذّت بشيء تُلذّي بالعلم والحكمة».

فلا شك أن هذه البيئة الثقافية التي كانت في البلاط الفاطمي بالمنصورية كان لها أثرها في تلوين الأمير الشاعر بهذا الاتجاه الفني الذي اتجه إليه .

والناحية المهمة التي أثرت في حياة الأمير تميم هي صلته ببني عمومته من أبناء القائم وأبناء المنصور بالله. فهؤلاء الأمراء كانوا بالمهدية ولم يطمئن الخلفاء إليهم بل جعل أمر الرقابة عليهم وعلى قصورهم إلى الأستاذ جوذر الذي كان مطلعاً على أسرار هذه الأسرة بل على أسرار الدولة كلها، فكان يعلم أمر الخلاف الشديد بين أبناء عميد الله المهدي من ناحية وأبناء القائم من ناحية أخرى وأمر الخلاف الذي كان بين هؤلاء جميعاً وبين المنصور وأبنائه وقد أدى هذا المنصور إلى أن يصف أبناء عمومته وأقربائه بقوله في رسالة له إلى وليّ عهده المعزّ (واردة في سيرة الاستاذ جوذر): «واعلم يا بني أن الشجرة الملعونة في القرآن هم بنو أمية بالأمس وبنو جدّيك المهدي بالله والقائم بأمر الله لأنّ بني أمية إنما استحقوا ذلك لعداوتهم لجدّك رسول الله ووصيته علي بن أبي طالب، وكذلك استحق هؤلاء ذلك بعد آوتهم لله ولأولياء الله وجمدِهم فضلنا وإنكارهم حقنا فاعلم ذلك وتدبره».

ويذهب ابن عذارى والقاضي النعمان إلى أن هذا الخلاف كان منذ أيام المهدي فقد علم القائم من ابنه القاسم أن الناس يتحدثون بأن المهدي نصر بولاية العهد لابنه أبي علي أحمد بن المهدي فقلق القائم لذلك.

ويروي القاضي النعمان أن إحدى نساء المهدي كانت تقول لولد المهدي ونسائه بعد وفاته: «والله لقد خرج هذا الأمر من هذا القصر (تعني قصر المهدي) فلن يعود إليه أبداً وصار إلى ذلك القصر (تعني قصر القائم) فلا يزال في ذرية صاحبه ما بقيت الدنيا».

فهذا كله يدل على شدة العداة بين أبناء الأسرة الواحدة بسبب السلطان. وهناك سبب آخر هو رغبة أفراد هذه الأسرة نساءً ورجالاً في التصرف في الأسواق ومع العامة. وقد أدى هذا بالأستاذ جوذر المشرف على القصور بل على البلاد كلها نيابةً عن الخليفة الفاطمي أن يمنعه من ذلك ويزجرهم مما اضطرتهم إلى أن يكتبوا المنصور يشكون أمر الأستاذ ويذكرون أنه جاهل متحامل فيما فعله فكتب جوذر إلى ولي العهد المعز لدين الله يذكر عارهم وفضوحهم وما يجري من قبيح أفعالهم ورفع المعز لدين الله كتاب جوذر إلى أبيه المنصور فأجاب المنصور: « ما خفي عنك محلّ جوذر عندي ومكانه من نفسي فكيف يكون عندي جاهلاً متحاملًا ! ولكتهم هكذا سمّوه في كتابهم لمنعه إياهم الانتهاك وحريصه علي سلامتهم ونفي العار عنهم . ولعسري إن من وضع الإحسان في غير موضعه كالزراع في السباح ، فعرف جوذر ماله عندي من الرضا عنه والمحبة له ووكد عليه في فتح الابواب لهم ورفع الحجاب حتى يزداد عارهم وفضوحهم ظهوراً فإن في ذلك صلاحاً للملك وزيناً للدولة وبرهاناً لطالب الحق ومحوّاً للعار المتقدم بينهم وبين جدك ... »

وهكذا ترى أمر الخلاف بين أمراء الفاطميين يشتد ويستفحل منذ عهد المهدي نفسه حتى اضطرت جوذر إلى رصد حركاتهم وتتبع خطواتهم ، فعلم من عيونه أن هناك صلة ما بين هؤلاء الأمراء الساخطين الثائرين وبين الأمير تميم وأن الرسائل تتبادل بين تميم وهؤلاء الأمراء فأرسل المعز لدين الله يستأذنه في القبض على هؤلاء الذين يدخلون رسائل القوم إلى القصر بالمنصورية ولكن المعز أمره بأن لا يعرض لهم حتى إذا مرت عدة أيام كتب المعز إلى جوذر : « يا جوذر كنت خاطبتنا في أمر كتب القصرين إلى دار تميم وغيره فأمرناك بترك التعرض لهم. وإذن الله قد أجرى على فكرك ما فيه التوفيق ونحن ما نظن بأحد سوءاً من الأبعاد

فكيف من الأقارب ! وقد ظهر بنا بعض ما نكرهه فاعمل على حمل ما يكون من كتاب وغيره إلينا ولا تنفذه حتى تعرفنا به من حيث لا يشعر بك أحد البتة إن شاء الله .»

فهذا يدل على أن المعز لدين الله وعامله جوذر ظهر لهما أن هناك فتنة تدبر وأن تميمًا كان أحد أفرادها وأنه كان على صلة بأعداء أبيه. ومن يدري، لعلهم شجعوا تميمًا للقيام بثورة على أبيه بعد أن عدوه بالمساعدة للوصول إلى الملك. إذن كان المعز لدين الله يشك في ابنه الأكبر الأمير تميم شكًا جعله لا يطمئن إليه ولا يثق به ولكنه كظم حنقه على ابنه عساة يرعوي ويعود إلى رُشدِه ...

ونستطيع أن نقول إن تميمًا كان يميل إلى أصحاب الوقيعة والثورة من أقربائه وإن أحمد بن الحسن الكلبي (أمير صقلية من قبيل الفاطميين) إنمّا أراد أن يقتل ابنه طاهرًا لخروجه مع الأمير تميم عن خُطّة الطهارة وهي ناحية خلقية وُصِمَ بها تميم وديوانه يدل على هذه الناحية من أخلاقه. وكل هذه الأسباب جعلت أباه المعز لدين الله بما عرف عنه من حصافة وكياسة مُضطرًا إلى أن يصرف عن تميم ولاية العهد بأن جعلها في ابنه الثاني عبد الله، فقد أخذ المعز عهد ابنه عبد الله على جوذر فقط دون سائر الناس سنة 359هـ فأخفى جوذر هذا السر عن الناس سبعة أشهر. وفي ذلك يقول مصنف سيرة جوذر :

« ثم فعل به (أي بجوذر) ذلك الإمام المعز لدين الله بأن أخذ عليه للأمير عبد الله مفردًا بالمهدية في السقرة التي حمل المال فيها فكتّم الاستاذ ذلك عنه حسب ما أمر به سبعة أشهر ثم ان مولانا أخذ بعد سبعة أشهر على غيره مثل محمد بن علي ومحمد بن الحسن وعسلوج وغيرهم واستكتمهم ذلك وكان الأستاذ اذا تقرر عنده علم ولي العهد لم يلتفت بعد الإمام إلا إليه ...

فلما خرج مولانا الى المهديّة لشدّ ما بالخزائن من الامتعة ثمّ رجع مولانا إلى دار ملكه واحتاج الاستاذ أن يتحرك من المهديّة أمر مولانا أولاده واخوته بالخروج للقائه وجميع رجال الدولة ولم يحدّ مولانا للاستاذ كيف يسلم على الامراء أولاده ولا من يقدم ولا من يؤخر وكان مولانا مشغول الضمير في كيف سلامته عليهم وكانت أعين العوام ذلك الوقت تنظر إلى ولد مولانا الأكبر وهو تميم، فلما قرب منهم الأستاذ عمّل في نفسه على إقامة الحق وإفراد من خصّه الله به فقصد الأمير عبد الله فقبل الأرض بين يديه ثمّ قبل ركابه... ثمّ ركب فلم يلتفت إلى غيره ولا سلم على أحد سواه، فوعدت على قلوب أولئك خجلة ونظر الناس من هذا إلى أمر عظيم.

فهذا يدلّ على أن الناس كانوا ينظرون إلى الأمير الشاعر تميم على أنه سيكون وليّ العهد ولكنّ أباه كان يعلم عنه مالا يعلمه العامة ولذلك صرفه عن ولاية العهد.

ويظهر أنّ تميماً كان محبوباً من نساء القصر مقرّباً إليهنّ فقد غضبن على جوذر لسلامته على عبد الله دون غيره ولم يفتنّ إلى أن المعزّ لدين الله هو الذي عاقب الأمير تميماً بهذه العقوبة التي كان يستحقها بالفعل. هذا كلّ ما نعرفه عن حياة الأمير الشاعر بإفريقية قبل أن يتقل المعزّ لدين الله مع أسرته إلى مصر سنة 362 هـ.

من مقدمة ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي

مطبعة دار الكتب

القاهرة 1957

ص - و - م

تَمِيمُ بْنُ الْعِزِّ الْقَاطِمِيُّ فِي مِصْرَ

قَدِمَ مِصْرَ وَهُوَ فِي الْخَمَاسَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ عَمْرِهِ وَسَكَنَ الْقَصْرَ الْكَبِيرَ فِي الْقَاهِرَةِ وَيُخَيَّلُ إِلَيْنَا أَنَّ الْعِزَّ لَدِينِ اللَّهِ كَانَ شَدِيدَ الْحَرَصِ عَلَى الْأَيْمَانِ إِلَى تَمِيمٍ بِأَيِّ عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ لَعَدَمِ ثِقَتِهِ فِيهِ. فَعِنْدَمَا دَخَلَ الْقَرَامِطَةُ مِصْرَ بِقَصْدِ انْتِزَاعِهَا مِنَ الْقَاطِمِيِّينَ سَنَةَ 363 هـ كَانَ قَائِدُ جَيْشِ الْقَاطِمِيِّينَ لَطْرُدِ الْقَرَامِطَةِ هُوَ الْأَمِيرُ عَبْدِ اللَّهِ وَظَلَّ تَمِيمٌ بِمَعزَلٍ عَنْ كُلِّ عَمَلٍ هَامٍ بَلْ أَهْمَلْ إِهْمَالًا شَدِيدًا جَعَلَتْهُ يَسْأَلُونَ عَنْ ذَلِكَ بِاللَّهْوِ وَالْمَجُونِ.

وَتُوْفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ وَوَلِيَ الْعَهْدَ سَنَةَ 364 هـ وَرثَاهُ تَمِيمٌ بِقَصِيدَةٍ مَطْلَعُهَا :
كُلَّ حَيٍّ إِلَى الْفَنَاءِ يَصِيرُ وَاللَّيَالِي تَعْلَةً وَغُـرُورُ
لَمْ يُظْهِرْ فِيهَا عَاطِفَةَ الْحُزْنِ عَلَى فَنَاءِ أَخِيهِ الصَّغِيرِ وَلَكِنَّهُ
أَلَمَ فِيهَا بِبَعْضِ الْعِبَارَاتِ الْحَزِينَةِ الَّتِي لَا تَنْبَعُثُ مِنْهَا عَاطِفَتُهُ هُوَ .
وَتَطَّلَعَ النَّاسُ إِلَى الْأَمِيرِ تَمِيمٍ مَرَّةً أُخْرَى لِأَنَّهُ يَكُونُ وَوَلِيَ الْعَهْدَ وَلَكِنَّ
الْمُعزَّ لَدِينِ اللَّهِ صَرَفَهَا عَنْ تَمِيمٍ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ وَجَعَلَهَا فِي ابْنِهِ الثَّالِثِ
نِزَارِ الَّذِي لُقِّبَ بِالْعَزِيزِ .

وَتُوْفِّيَ الْمُعزُّ سَنَةَ 365 هـ وَوَلِيَ نِزَارَ الْمَلِكَ فَأَيَّقَنَ تَمِيمٌ أَنَّ الْأَمْرَ خَرَجَ
مِنْ يَدِهِ الْبَتَّةَ وَلَا سِيَّمَا بَعْدَ أَنْ أَنْجَبَ الْعَزِيزُ وَلَدَهُ الْمَنْصُورَ الَّذِي لُقِّبَ فِيمَا
بَعْدَ بِالْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ .

وَيَذْهَبُ ابْنُ الْأَبَّارِ (فِي الْحِلَّةِ السَّيْرَاءِ) إِلَى أَنَّ الْمُعزَّ لَمْ يُؤَلِّ تَمِيمًا
بِمَشُورَةٍ مِنْ جَوْهَرِ الصَّقْلِيِّ بِدَعْوَى أَنَّ تَمِيمًا لَمْ يُنْجِبْ وَلَدًا وَلَكِنَّا نَخَالِفُهُ
فِي ذَلِكَ . فَقَدْ كَانَ لِتَمِيمٍ وَلَدٌ يُدْعَى عَلِيًّا وَبِهِ كَانَ يُكْنَى .

اسْتَسْلَمَ تَمِيمٌ إِلَى حُكْمِ اللَّهِ الَّذِي حَرَمَهُ الْمَلِكُ فَلَمْ نَسْمَعْ بَعْدَ ذَلِكَ
عَنْ فِتْنَةٍ دَبَّرَهَا لِأَخِيهِ بَلْ أَخَذَ يَمْدَحُ أَخَاهُ الصَّغِيرَ كُلَّمَا وَاتَتْ الْفُرْصَةُ
وَيُظْهِرُ فِي مَدِيحِهِ الْخُضُوعَ كُلَّهُ وَالْوَفَاءَ كُلَّهُ وَالْحُبَّ كُلَّهُ .

وكان أخوه العزيزُ يَهَبُهُ وَيُعْطِيهِ. وهبَ له البستانَ المعروفَ «بالمشوق»
بخطَّةِ راشدةٍ وعرفَ المشوقُ بعد ذلكَ باسمِ جنانِ الأميرِ تميم. وجعلَ له
القصورَ على ضِفَافِ بَرَكَةِ الحَبَشِ.

وَيَرَوِي ابنُ الأَبَارِ أَنَّ العَزِيزَ تَنَزَّهَ إِلَى بَرَكَةِ الحَبَشِ فَلَمَّا قَرُبَ
مِنَ قُصُورِ أَخِيهِ تَمِيمٍ سَأَلَ عَنْهُ فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ مِنْ عَرَفِهِ. فَخَرَجَ رَاجِلًا حَافِيًا حَتَّى
لَقِيَهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلاَفَةِ وَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ وَجِبْتَ عَلَى عِبْدِكَ الضِّيَافَةَ
قَالَ: نَعَمْ وَدَخَلَ مَعَهُ إِلَى بُسْتَانِهِ وَقَدْ أَمَرَ بِجَنَابِيَّةٍ مِنَ الجَنَابِ التي كانت
بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَقْسَمَ عَلَى تَمِيمٍ أَنْ يَرْكَبَهَا وَيَسِيرَهُ فَلَمَّا تَوَسَّطَ البُسْتَانَ نَظَرَ
إِلَى ثَمَرٍ يَلُوحُ الذَّهَبُ عَلَيْهِ فَتَعَجَّبَ مِنْهُ وَاسْتَطْرَفَهُ وَدَنَا مِنْ شَجَرَةٍ فَأَخَذَ
مِنْهَا لَيْمُونَةً وَاحِدَةً فَمَرَّهَا وَإِذَا مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا بِالذَّهَبِ:

أَنَا اللَّيْمُونُ قَدْ غُدِيَتْ عُرُوقِي بِيَرْدِ المَاءِ فِي حَرِّ حَرِيَسِ

فَجَعَلَهَا فِي كُمِّهِ وَقَالَ: هَذِهِ ضِيَافَتِي عِنْدَكَ وَأَنْصَرَفَ
إِلَى قُصْرِهِ. فَسَبَّحَتْ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ قَرْهَبٍ صَاحِبِ بَيْتِ المَالِ فَقَالَ لَهُ:
مَا عِنْدَكَ مِنَ الدَّنَائِيرِ ضَرَبَ هَذِهِ السَّنَةَ؟ وَكَانَ ذَلِكَ فِي أَوَّلِهَا
فَقَالَ لَهُ: مِائَةٌ أَلْفٍ وَسِتُّونَ أَلْفًا فَأَمَرَهُ بِحَمْلِهَا مِنْ سَاعَتِهِ إِلَى الأَمِيرِ
تَمِيمٍ مَعَ رَاشِدِ العَزِيزِيِّ وَقَالَ لَهُ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَتَقَرَّأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ
لَكَ: اسْتَعْنِ بِهَذِهِ عَلَى مَوْئِكَ فَتَقْبَلِ الأَرْضَ.

هكذا كانت صلةُ الأخِ الملكِ بأخيه الأكبرِ تميمٍ ولكن هذا الصفاء
كانت تشوبه بعضُ فتراتِ دَخَلِ فِيهَا الوِشَاءُ بِالوَقِيعَةِ بَيْنَ الملكِ وَأَخِيهِ
الشاعرِ وَأَخَذَ الشاعرُ يَرْسِلُ إِلَى الملكِ مَقْطُوعَاتٍ يَذْكَرُ هُؤُلاءِ الوِشَاءِ
الساعينَ بِالشَّرِّ وَيُذْكَرُ العَزِيزَ بِأَخْوَتِهِمَا وَبِرَاءَتِهِ مِمَّا يَقُولُ
الواشونَ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ اضْطَرَّ العَزِيزُ إِلَى أَنْ يَنْفِي أَخَاهُ إِلَى الرَّمْلَةِ، فَأَخَذَ

تميم يشكو الغربة والفراق ويهجو منازل السفر الى الرملة ويحن الى حياته
بمصر حتى أعيد من منفاه ولا ندري كم مكث في فلسطين ولا سبب هذا
لنفي .

من مقدمة ديوان تميم بن المعز الفاطمي

مطبعة دار الكتب المصرية

القاهرة 1957

ص م - س

حياة تميم بن العزّ الداهية

كان تميم يحيا في مصر حياة لتهو وترّف ، وجدّ في البيئة المصرية من المنزهات والديارات ما وافق هواه وميزاجه فأكثر من الخروج الى «المختار» بجزيرة الروضة والى دير القصير بالقرب من قصوره، وشارك المصريين في لهوهم ولاسيما في أيام الأعياد.

والأعياد في العصر الفاطمي كانت كثيرة متنوعة منها الأيام الاسلامية والمسيحية ومنها أيام خاصة بالشيعه عامة وأعياد استنتها فرقة الاسماعيلية ومنها الفاطميون، ومنها ما هو مصري خالص. وكانت الدولة تحتفل بهذه الأعياد مع الشعب، ويكثر فيها اللهو والعبث مع البدخ الشديد والتألق في كل شيء. وقد شاهد الكهني الرحالة بعض هذه الأعياد المصرية وشاركه الأمير تميم فيها فوصفها بقوله : « ما رأيت أجمل من أيام النوروز والغطاس والميلاد والمهرجان وعيد الشعانين وغير ذلك من أيام اللهو التي كانوا يسخون فيها بأموالهم رغبة في التصف والعزف، ذلك أنه لا يبقى صغير ولا كبير إلا أخرج الى بركة الحبش منزهة. فيضربون عليها المضارب الجليلة والسرادقات والقباب والشراعات ويخرجون بالأهل والولد، ومنهم من يخرج بالقينات المسمعات، والممالك والمحترات فيأكلون ويشربون ويسمعون ويتفكهون وينعمون. فإذا جاء الليل أمر الأمير تميم بن العزّ مائتي فارس من عبيده بالعسس عليهم في كل ليلة إلى أن يقضوا من اللهو والنزهة إربهم وينصرفوا. فيسكرون وينامون كما ينام الانسان في بيته ولا يضع لأحد منهم ما قيمته حبة واحدة. ويركب الأمير في عشاري ويتبعه أربعة زواريق مملوءة فاكهة وطعاما ومشروبا فإن كانت الليالي مقمرة وإلا كان معه من الشموع ما يعيد الليل نهارا فإذا مر على طائفة واستحسن من غنائهم صوتا أمرهم بإعادته وسألهم

عمّا عزّ عليهم فيأمرُ لهم به. ويأمرُ لمن يغنيّ لهم ويتقلّ منهم الى غيرهم
بمثل هذا الفعل عامّة ليله. ثمّ ينصرف إلى قصوره وبساتينه التي على هذه
البركة، فلا يزال على هذه الحال حتى تنقضي هذه الأيام ويفترق الناس.

هكذا كانت مشاركة الأمير تميم في الأعياد المصرية : كان كريماً
يُسرفُ في الكرم إلى حدّ السّفه مُقبِلاً على الشّراب محبّاً للسمع مشاركاً
أصحاب اللذة واللّهو والمجون. لا يتورّع عن التّظاهر بذلك بالرغم من
أنّه كان ابن خليفة وأخاً خليفة دولة تدّعي انتحال مذهب إسلامي وأنه
كان يدّعي الانتساب إلى الرّسول الكريم .

من مقدمة ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي

مطبعة دار الكتب المصرية

القاهرة 1957

ص - س - ع

جانب مهمل من شخصية تميم

قال المقرئ في كتابه « انعاظ الخنفاء »:
وفي سنة 355 هـ أمر المعزّ بحفر الآبار في طريق مصر، وأن يُبنى له
في كلّ منزلة قصر ففعل ذلك، ..

ان الجملة التي أوردناها ثمينة جداً مع أنها مقتضبة. فهي لم تذكر
لنا من هي الشخصية اللامعة التي كلّفها المعزّ بالاضطلاع بتلك المهمة الدّقيقة
والشّاقة ؟

النصوص التي بين أيدينا ساكتة عن ذلك، وتأتي الآثار فتخبرنا بوضوح
وبما لا يحتمل شكا أنها شخصية تميم بن المعزّ الشّاعر.

فقد نُقش إسمه بجلاء فوق الأحجار التأسيسية التي عثر عليها وحفظت
بمتاحف ليبيا ولا سيما المرج ومتحف الشحات. فقد ورد فيها باتفاق
شامل : « مما أمر بعمله الأمير تميم بن المعزّ ... ».

فتميم هو صاحب الأشغال والمكلف بهذه التأسيسات التي تبلغ العشرات
ومع ذلك فالنصوص تصوّره لنا شاعراً خليعاً مخلداً للذات ليس إلاّ حتّى
اضطرّ المعزّ الى إبعاده عن الخلافة وتولية أخيه.

من الذي كتب هذه النصوص ؟

ولماذا أهملوا هذا الحادث وألحوا على حوادث أخرى ثانوية الأهمية ؟

ولماذا وصلنا ديوان تميم في القسم المصريّ والمشرقيّ وضاع القسم
التونسيّ ، ولا سيما الليبيّ الذي قد يفيدنا عن أعمال تميم بالقطر الليبيّ
الشقيق وحياته العملية الشغيلة هناك المليئة بالأحداث والتشديد والانجاز.
أليس ذلك إلاّ من أجل مكيدة « تأمر الصمت » التي نسجت أحبولتها
لتميم والتي كان أكبر نا سجيها الأستاذ جوذر ؟

لكن التاريخ لا يظلم أحدا. وطال الزمان أم قصر فإنّ الحقيقة سوف تظهر ويتبين الغثّ من السمين والصحيح من المبهرج المزيف. وإذا كنا قد عرفنا بعد مضي عشرة قرون من تأمر الصمت من هو الذي قام بهذه الاعمال الهرقلية فقد بقي علينا أن نبحث في حفريات عن هذه اللوحات وأن نجمعها، وان نحفظها وأن ننشرها في دراسةٍ منهجيةٍ؟ ويجب الابتداء بنشر ما هو موجود منها .

عثمان الكعك

«مسلك القاهرة من ابحاث الدورة الدولية لتاريخ القاهرة»
مارس افريل 1969 - مطبعة دار الكتب 1971
ص 45 - 48

الفن الفاطمي

مهّد بنو الأغلّب وسائل الحضارة وأسبابها إلى الفاطميين كما أنّهم يسرّوا لهم السبيل إلى مدّة سلطانهم على افريقية والمغرب وجزائر البحر الأبيض المتوسط. فلولا ما بذلوه من مساع جبارة متواصلة للنهوض بالبلاد وانبعاثها لما تهيأ لبني عبّيد أن يحيطوا بهذا الملك العتيد البعيد، ولا تسنّى لهم أن تظهر على أيديهم حضارة عربية من المائة والقوة بمكان عظيم. ولا مرأى أنّ الموسيقى وفنون التلحين كانت أجلّ مظاهر هذا الانبعاث وقد اعتنى بشأنها الملوك الفواطم مدّة إقامتهم بافريقية عناية خاصّة، وساعدهم على ذلك - فيما نظن - انتسابهم إلى النحلة الشيعية التي لم تكن ترأساً في السماع للإيقاع، كما لم تقل بتحرير التصوير بل إنّها كانت تجوّز تمثيل الأحياء من آدميين وحيوان في صور بارزة من الرخام والنحاس أو مرسومة على الجدران والمنسوجات والبسط تمثيلاً واقعياً أو خيالياً متقناً. ولا يخفى ما للتصوير من المزية الكبرى في تشخيص الجانب المهم من الحياة الحضريّة في الدور والقصور إذ أنّها تمثّل في جلاء صورة المجالس الخاصّة بالملوك في خلواتهم علاوة على ما ترشدنا إليه من هيئة اللباس والحلي والرياش وما إلى ذلك من شارات (1) الحضارة والتمدّن.

ومن دواعي الغبطة للتاريخ وللفنّ أن تصل إلينا جملة - ليست بالقليلة - من الألواح المصوّرة ترجع إلى عصر الفاطميين في افريقية وفي مصر، ومن ضمنها لوح رخامي وقع العثور عليه في بعض الأبقاض بمدينة المهديّة طوله 53 سنتيمتر وعرضه 36 سنتيمتر - عليه صورة نصف بارزة تمثل شخصين جالسين الأولى (جهة اليمين) أمير عربي متربع وعليه حلة حرير على زنديه توشيح طراز جميل، وعلى رأسه تاج مرصّع بالأحجار الثمينة. ويتفرّع التاج من أعلاه إلى ثلاثة أفرع مثلثة الشكل على نمط التيجان الكسر.

عند الفرس، وفي وسط الامير نطاق (2) محلى أيضاً بالجواهر، ويده اليمنى كأس - أو جام - من البلور، وبجانب الأمير (الجهة اليسرى) صورة مغنية متربعة أيضاً ويدها مزمار طويل تنفخ فيه.

والظن الغالب أن الأمير الممثل هنا هو رابع الفاطميين معد الملعب بالمعز لدين الله، وكان مشهوراً بوضعه التاج على رأسه كما وصفه شعراء عصره علي بن الأيادي التونسي ومحمد بن هاني وغيرهما. والذي يهمننا بالخصوص من هذا اللوح هي صورة تلك المغنية الجالسة حذو الأمير نظره بصوتها ومزمارها.

وفي متحف الآثار العربية بالقاهرة مجموعة فريدة من ألواح الخشب عليها صور بارزة مختلفة يمثل بعضها مجالس الغناء والطرب وبعضها مناظر للمنادمة ومعاورة الشراب؛ وفي مشاهد أخرى منها ترى أصحاب آلات الايقاع وبين أيديهم العود والبربط والرباب والدف والمزمار والمزهر إلى غير ذلك من الأوضاع الموسيقية وأدواتها. ويرجع تاريخ هذه الألواح إلى القرنين الرابع والخامس للهجرة. يعني إلى زمن فيض الحضارة للدولة الفاطمية في مصر، ولا أخال مجالس اللهو والمنادمة في عهدهم بافريقية كانت تبعد عما يشاهده المتأمل في تلك الألواح، بل هي على نسق ذلك وجراره وترتيبه ورسومه بالسواء. قال المرحوم صديقنا الأثري الكبير الاستاذ زكي محمد حسن (في كتابه التصوير عند العرب): إن تلك الألواح الخشبية مستعملة في تغطية جدار بقصر الخليفة العزيز بن المعز لدين الله، وهي تشمل مناظر منقوشة فيها رسوم مطربين ومطربات وعازفات على آلات موسيقية وراقصين وراقصات. ورسوم الأمير جالساً على اريكة وفي يده اليمنى كأس وفي اليسرى زهرة وعلى رأسه عمامة وإلى يساره الساقى يصب الخمر في كأس وإلى يمينه تابع يقدم إليه صينية ذات غطاء ربما كان المفروض أن تحته شيئاً من الطعام أو الحلوى إلى آخره.

وإذا ما أتيت لنا أن نعلم وفرة الجوارى والحظايا (2) في قصور الفاطميين بقيادة والمهدية والمنصورية مثل « قضيب » و« سلاف » و« خمرة » و« نشوى » وغيرهن جزمنا بلا ارتياب ما كان يوجد بين جدرانها من الفنانين والمغنين وأرباب آلات الطرب والترنيم إذ أن كثرة ربّات الحجال (3) بالقصور دليل قاطع على الاحتفاء بالموسيقى .

حسن حسني عبد الوهاب
(ورقات ج 2 ص 202 206)

الشّرح:

(1) شاراتُ : جمعُ شارة : يقصد بها المؤلف الظواهر المستحدثة في اللباس والأثاث وغيره من الوسائل الحضريّة . ويقابلها في الفرنسية كلمة : (mode) 2 - الحظّايًا : جمع حظيّة : مؤنث الحظيّ . وهي الجارية - السريّة المكرّمة عند أمير أو ملك - 3 - ربّات الحجال : النساء - والتعبير من الكناية - والحجال : الخلائيل -

- أسئلة :

(3) هل توافق المؤلف في ظنّه بأنّ تشييع الفاطميين كان سبباً في ازدهار فنون الغناء والتصوير والنحت والحفر على الخشب ؟ وهل كانت الشيعة أكثر تحرراً من أهل السنّة ؟

2 كيف تبدو لك حياة القصور في العصر الفاطميّ في تونس وفي المشرق من خلال تسجيل ما تضمنته النقائش الرخاميّة والخشبيّة الموجودة في متاحف تونس والقاهرة سواء المشار إليها في النصّ أو المحليّة لشعر نعيم بن المعزّ ؟



حشوة من الخشب قد يكون أصلها من احد ابواب قصر من القصور
الفاطمية وهي تمثل فروعاً نباتية وراسي حصانين — القرن 4م = 10م
«متحف الفن الاسلامي بالقاهرة»

الموسيقى أيام الفاطميين

بسقوط الدولة الأغلبية العتيدة انخرطت فرقة مواليها وفتيانها في خدمة الاسرة الفاطمية، لكنّ هناك ثلة كبيرة من بينهم اختارت الزواج من البلاد والالتحاق بحاشية الأمراء الأمويين بالأندلس عبد الرحمان الناصر و ابنه الحكم الثاني المستنصر بالله (وغيرهما).

وقد ساهم هؤلاء اللاجئون بالقسط الأوفر في تأثيل الحركة العلمية والأدبية والفنية الظاهرة بقرطبة في القرن الرابع للهجرة، كما بسطنا القول فيه من قبل وهنا تجمل الإشارة الى انتقال أحد مشاهير المنشدين القيروانيين وهو أبو القاسم بن أخت الغساني إلى قرطبة. فقد ذكروا أنّ صوته كان أجهر أصوات زمانه وأعذبها وأحلاها، قال المالكي: «إته كان أطيّب الناس مساقا».

والحق إن أبا القاسم نال في بلاده سمعة عالية في الإنشاد بل أنّ شهرته اخترقت البحر وامتدّت إلى الأندلس حتّى أنّ الحكم الثاني أمير قرطبة كان يتمنى أن يراه ضمن حاشيته، فأبلغه الله هذه الأمنية فقصده أبو القاسم بعد سقوط الأغلبة وانخرط في بلاطه إلى أن توفي هناك.

ومن معاصريه مشد آخر لا يقلّ عنه سمعة وهو حسنون الدبّاغ المعروف بابن زبيبة: قال الخشني في طبقاته: «وإليه ينسب اللحن الحسنوني». وأتانا لا نعلم شيئاً عن هذا اللحن ولا عن ماهيته وأصوله.

ومن مشاهير المغنين في آخر القرن الثالث ابن مرزوق ولا نعرف من اسمه أكثر من ذلك، والذي نعلمه عنه أنّه كان يختلف إلى الفيلسوف أبي عثمان سعيد بن الحداد ويحضر مجلس إقرانه. قيل إنه جلس يوماً وأخذ ابن الحداد في تفسير بعض الأحاديث النبوية لأصحابه: فلما توسّط الكلام

سكت سعيد عن بقية الحديث وقطعه، فلما قام ابن مرزوق قال سعيد الحداد لمن حضر : كدنا نخجل جلسنا إذ فطنت أن الحديث الذي سكت عنه فيه ذم الغناء، فتوقعت ان ابن مرزوق يكون معنياً به .

وليس من شك أن أمثال هؤلاء المنشدين والمغنين أصحاب الاصوات الشعبية المنسوبة كانوا كثيرين في خلال القرنين الثالث والرابع، غير أن كتب الطبقات أهملت ذكرهم فيمن أهملت .
وإذا اشرنا الى المغنين أصحاب الاصوات الجميلة الذين اشتهروا فكلامنا لا يعني الرجال فحسب بل كان من النساء من برعت في الغناء وإتقان الألحان بالسواء.

حكى الشيخ أبو الحسن القاسبي : « ان مغنية بالقيروان كانت مشهورة بجمال الصوت تغني في الأفراح والأعراس وكانت تقطن بجوار دار الشيخ مروان بن نصر العابد المتوفى سنة 348 هـ، فقام الشيخ ليلة يتهجد على عادته، فما قدر أن يصلي بسبب علو صوتها وبعد مداه .»

حسن حسني عبد الوهاب

(ورقات ج 2 - ص 199 - 202)

الأعلام :

• عبد الرحمن الناصر : أول خليفة أسوي في الأندلس كان عبده أعظم عهود الحضارة الأندلسية (300 - 350 هـ 912 م - 961 م) .

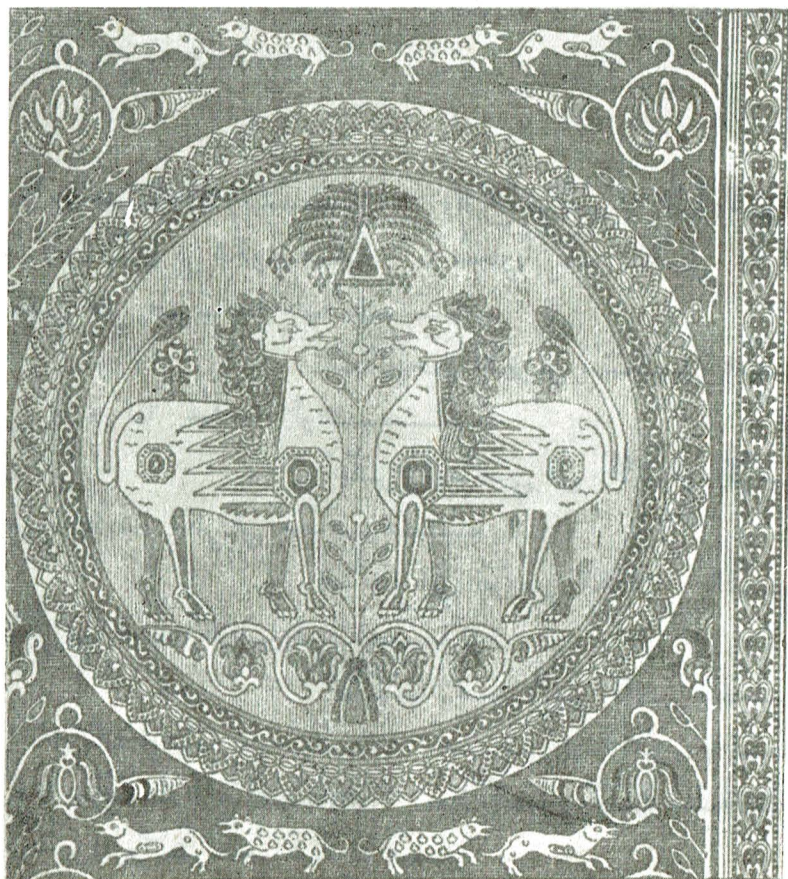
• المالكي (أبو بكر بن عبد الله) من جلة فقهاء المالكية بإفريقية (تونس) وهو صاحب أبي الحسن القاسبي مؤلف «الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين» ورحل المالكي الى مكة وسمع عليه البحاري ثم عاد الى القيروان سنة 408 هـ وعاش المالكي في ذلك العصر الحافل بالعلم والعلماء الفياض بالهزات العظيمة في

ميداني الفكر والسياسة وشهد بعينه انتصار المالكيّة وانهزام الشيعة وزوال مبادئهم
في المغرب على اثر انقلاب بني زيري - وأشهر كتبه «رياض النفوس في طبقات
علماء القيروان وأفريقية وزهادهم وسير من أخبارهم وفضلائهم وأوصافهم» ط
القاهرة 1951 - وتوفي سنة 438 هـ / 1046 م



طبق من الخزف فاطمي . «متحف الفن الاسلامي بالقاهرة»

وَصَفَّ الْمَجَالِسَ وَالرِّيَاضَ وَالصَّبِيَّةَ
وَسَفَرَاتِ



” هَذِهِ حَالُنَا “ من (البنسيط)

– تقديم:

عُرِفَ تميم بن المعزّ بالانصراف الى اللهو فظهر ذلك واضحاً في شعره. ويبدو من خلال هذه القطعة ان الشاعر قد فضل منذ شبابه الأول اختيار الحياة الناعمة المترفة اللامية على الاستعداد لتحمل أعباء الملك ومك مفايد الحكم والرئاسة ، ولذلك كتب تميم الى ابيه المعزّ لدين الله الفاطمي بهذه الابيات يصف لهوه ويبين اختياره طريقة العيش :

كُتِبَتْ يَا وَاحِدَ الْأَمْلاكِ وَالْبَشَرِ وَالرَّاحُ لَمْ تُبَقِّ لِي لَباً وَلَمْ تَنْدِرِ
وَقَدْ بَدَأَ النَّأْيُ فِي شَكْوَى صَبَابَتِهِ مُجَاوِباً لِأَيْنِ الطَّبْلِ وَالْوَتْرِ
وَنَحْنُ فِي طَرْبٍ مَا مِثْلُهُ طَرْبٌ

يَسْتَصْحِبُ اللَّهُو فِي مُسْتَقْبَلِ الْعُمْرِ
وَفِي غِنَاءٍ إِذَا حُثَّتْ أَوَائِلُهُ

أَغْنَى النَّدَامِي عَنِ الْأَنْوَارِ وَالزَّهْرِ
وَمُرَّةِ الطَّعْمِ بِكَرِيٍّ فِي مَعَاصِرِهِمَا

قَدَّافَةٌ فِي نَوَاحِي الْكَأْسِ بِالشَّرِّ
تَسْعَى بِهَا غَضَّةُ الْأَطْرَافِ نَاعِمَةً (3)

كَأَنَّهَا قَمَرٌ فِي نَاطِرِ الْقَمَرِ
إِذَا ذَكَرْنَاكَ أَوْ مَانَا بِأَوْجُهِنَا مُقْبِلِينَ بِهَا لِالتُّرْبِ وَالْمَسَدِ

فَهَذِهِ حَالُنَا مُذْ لَاحَ مُنْصَلَتَا (4) سَيْفُ الصَّبَاحِ وَوَلَّتْ ظُلْمَةُ السَّحَرِ
فَمَرٌّ بِأَمْرِكَ وَأَنْظَرُ شِعْرَ عَبْدِكَ هَلْ

يُطِيقُهُ أَحَدٌ مِنْ ذَلِكَ النَّفْسِ

وَسَوْفَ آتِي إِذَا وَلَّتْ بِمَعْرِ بِهَـ
شَمْسُ النَّهَارِ وَجَاءَ اللَّيْلُ فِي زُمْرِ
أَحْتِ نَحْوَكْ آدَاباً مُكَلَّلَةً
بِجَوْهَرِ اللَّفْظِ فَاشْرَبْنَهَا بِلَا كَدْرِ

قميم بن المعز
الديوان ص 232 . 233

الشرح :

- 1 - صباية : الصباية : الشوق ورقة الهوى والولع الشديد .
- 2 - مرّة الطّم بكثر ، قذافة : صفات لموصوف محذوف وهو الخمر .
- 3 - غضة : طرية ، وناعمة : صفتان لموصوف محذوف وهو الساقية
- معنى البيت : التّحية والاجلال والتعظيم .
- 4 - المنصبت : السيف الصقيل الماضي .

أمثلة :

- 1) أوضع علاقة شعر تميم بحياته اليومية، وبين قيمة الواقعية في الادب. وهل ترى ان الشاعر قد وفق من السّاحية الشغريّة في رسم هذه اللوحة من حياته اليومية ؟
- 2) هل استطاع الشّاعر ان يصرّ لك مجلس الشّراب وان يبرز فيه أهمّ وسائل التّهر واللذّة ؟
- 3) هل جانت لغة الشعر في هذه القطعة واقعيّة المضمون ؟
- 4) اذا كانت واقعيّة المضمون قد سهّلت لغة التّعبير في الشعر فهل خلا هذا الشعر من الصور الادبيّة التي تقوم على التّشخيص ؟



طبق من الخزف يمثل صورة امير على فراشه يسمع الى الضياء ويستريح .

مَجْلِسُ أَنْبِيَاءٍ (من السريع)

- تقديم :

وعن الملوك فلا تسأل ، وأما عن ترفههم ومغالاتهم في البذخ فحدث ولا حرج خصوصاً وقد شهد شاهد منهم واصفاً مجلساً من مجالسهم ، فإليك الأمير تميم بن المعز وهو يصف مجلساً لأخيه « الإمام » العزيز بالله :

مِثْلَ الَّذِي حَازَ مِنَ الْمَجْدِ
وَيَغْمِزُ النَّرْجِسُ لِلْوَرْدِ
صُفْرَةً مِّنْ عُدْبٍ بِالصَّدِّ
مثل انتصاب النهْدِ للنَّهْدِ
فَفَلَاخٌ فِيهِ قَمَرُ السَّعْدِ
بِكُلِّ مُمْتَدٍّ وَاشْتَدِّ
نَاحِ الْقَمَارِيِّ (3) عَلَى الرَّنْدِ (4)
رَائِحَةُ الْكَافُورِ (5) وَالنَّدِّ (6)
مِنَكَ أَبَا الْمَنْصُورِ بِالرَّشْدِ

وَمَجْلِسٌ قَدْ حَازَ مِنْ حُسْنِهِ
يَضْحَكُ لِلتَّفَاحِ نَارُنْجُهُ (1)
وَأَلْبَسَ الْأَتْرُجَ (2) مَا بَيْنَهَا
وَانْتَصَبَ اللَّيْمُونَ مِنْ حَوْلِهِ
قَابَلَهُ وَجْهُ إِمَامِ الْهُدَى
وَأَنْدَفَعَتْ عَيْدَانُهُ وَسَطَّهُ
يُتْبِعُهَا الزَّمْرُ حَنِيناً كَمَا
إِذَا اعْتَلَى الْعَنْبَرُ عَتَّتْ لَه
لَا زَالَتِ الْأَيَّامُ مَعْمُورَةً

الديوان ص 102

الشرح :

- 1 - النَّارِنْجُ : ضرب من اللَّيْمُونَ . (فارسيَّة) .
- 2 - الْأَتْرُجُ : أو الْأَتْرُنْجُ : واحده « الْأَتْرُنْجَةُ وَالْأَتْرُنْجَةُ » : شجر من جنس الليمون .
- 3 - الْقَمَارِيُّ : جنس من الحمام
- 4 - الرَّنْدُ : شجر طيب الرائحة
- 5 - الْكَافُورُ : مادة عطريَّة تستخرج من شجر الكافور وتعمل في الطيب - -
- 6 - النَّدُّ : عود يتبخَّرُ به - -

أسئلة :

- 1) هل ترى تيمماً و صافاً بارعاً ؟ وهل وفق في رسم صورة هذا المجلس الباذخ ؟
- 2) لماذا كان الملوك يغالون في البذخ والترف ؟ وهل « امام الهدى » يغشى مثل هذه المجالس الباذخة التي يدور فيها القناء ؟
- 3) اذا كان الملوك سابحين في نعيم هذه المجالس فكيف كانت حياة العامة ؟

نَيْبَةُ مِعْرَةَ (السريع)

أمر تميم بن المعزّان يتقش في المجلس الذي امتنّ العزيز بالامر بينائه له :

انعم من العيش بما تشتهي
 وأغنم اللذات مستمتعا
 في مجلس أسس بنيانه
 كأنه من حسنه لم ينزل
 شدّ بناه وعلا سمكه
 فلو بدا كسرى (4) له لم يكن

متخذاً إيوانه (3) مقعداً
 ولكنّه أحسن ما شيّداً
 شيده رأي إمام الهدى
 أداني اللحمة (4) لي حسداً
 أولى من الفضل وما جدداً
 من كل ما يكرهه أوردى
 قام من الأمر بما قلداً

تميم بن المعز

الديوان ص 128 - 129

الشرح :

1 - فَنَدَ : فَنَدَ فُلَانٌ فُلَانًا : خَطَأَ رَأْيَهُ وَصَعَفَهُ : لَامَهُ - 2 - الطَّائِرُ
 السَّعْدُ : اليمَنُ وتقاوُل الخير - 3 - الإيوان ايوان كبرى : هو قصر
 كسرى الذي مازال جانب منه قائما الى الان قرب بغداد بالعراق ويسرف

« بالطابق » وقد أدركه الشاعر أبو عبادة البحرى في القرن الثالث الهجرى وهو مازال محافظاً على زخارفه وتصاويره التي تزدان بها جدرانها فوصفه وصفاً دقيقاً مستجلاً الكثير من زخارفه التي تلاشت وقصيدة « ايوان كسرى » من عيون الشعر العربى فى الوصف. اطلبها فى ديوان البحرى وفى كتب الأدب - 4 - كسرى انوشىروان ومعنى لقبه النفس الخالدة - واسمه خسرو اعظم ملوك بني ساسان مشهور بحروبه مع الروم وفتح اليمن والحيشة ، ومعروف بمناصرة العلم والعلماء ومن رعايته للعلم أنه امر بنقل مؤلفات اليونان والسريان والهند الى الفارسية - 4 - اللحمة : القرابة الدموية - ادانى اللحمة : الأقارب .

أسئلة :

- 1) جدد تميم فى بداية النصّ نظرتة الى الحياة من خلال منظار اللذة ، حاول ان توضح هذه النظرة وان تقارن بينها وبين ماورد فى شعر أبى نواس وابن الرومى ، وان تبين هل كان انتماء تميم الى مذهب اللذة من باب التقليد فى الشعر ام من باب الايمان ووجهة نظره الشخصى الى الحياة .
- 2) اعتاد الخلفاء والامراء بناء المساجد والمستشفيات والجسور ونحزانات المياه وغيرها من المنافع العامة، فما قولك فى أمر « امام الهدى » ببناء هذا المجلس المعدّ للهو والشرب ؟
- 3) لماذا قال تميم « يارب صلّ عليه » حين شكر فضل اخيه « العزيز » ودعماً له بالخير، فكيف ينظر الى أخيه الخليفة ؟
- 4) ما هي قيمة هذه النقيشة الشعرية من التآخيتين التاريخية والحضارية ؟



جزئية من باب خشبي كان بأحد القصور الفاطمية تزخره حشوات
برسوم آدمية وحيوانية ونباتية بالحجر البارز .
«متحف الفن الاسلامي بالقاهرة»

رَوْضِيَّةٌ وَهَمْرِيَّةٌ (من الكامل)

- تقديم :

وجد الشاعر تميم بن المعزّ المبدع عن مسؤوليّة الحكم نفسه في فراغ وحزن، والطبيعة الجميلة التي تحيط بالقصور وتغمر المترهات تملأ هذا الفراغ والخمر ترياق يزيل سموم الدهر ويجلي الحزن :

أَمَّا الصَّبَاحُ فَفَقَدَ بَدَتِ رَايَاتُهُ يِضًا وَقَدْ هَزِمَ الظَّلَامُ الْأَكْلَفُ
فَاخْلَطُ صَبَاحَكَ بِالصُّبُوحِ (2) فَلِإِنَّهُ

أَنْفَى لِمُنْتَابِ (3) الْهُمُومِ وَأَتَلَسَّفُ
أَوْ مَا تَرَى شَمْسَ النَّهَارِ وَدُونَهَا

مِنْ مُسْتَهْلِ الْغَيْمِ سَتْرٌ مُسْجَفُ
يَنْجَابُ عَنْهَا تَارَةً فَيُبِينُهَا وَتَغِيبُ طَوْرًا فِي دِجَاهُ فَتَكْشِفُ
فَكَأَنَّمَا لَبَسَتْ قَبَاءَ (4) أَزْرَقًا أَوْ مُدٍ مِنْ خَزَرٍ عَلَيْهَا مَطْرَفُ
وَبَدَا لِنَشْرِ الرُّوضِ مِنْ بَعْدِ النَّدَى

رِيحٌ كَرِيحِ الْمِسْكِ بَلْ هِيَ أَشْرَفُ
وَرَدٌ حَكَى خَجَلَ الْخُدُودِ وَنَرَجَسُ

يَحْكِي الْعَيُونَ بِأَعْيُنِ مَا تُظَرَفُ
فَعَيُونُ ذَاكَ بَعَسَجِدِ (6) مَكْحُولَةٌ

وَخُدُودُ ذَا مِنْ عِنْدَمِ (7) تَتَغَلَّفُ
فَكَأَنَّمَا نَشَرَتْ عَلَيْهِ لَوْنَهَا رَاحٌ عَلَى رَاحَاتِنَا تَتَصَرَّفُ

فَاشْرَبَ فَقَدَ لَوْمَ الزَّمَانِ وَقُطِّعَتْ
عَقْدُ الْوَفَاءِ بِهِ وَقَلَّ الْمُتَصِفُ

وَلَقَدْ نَهَضْتُ بِعَزْمَةٍ مَا تَنْشَنِي
عَمَّا أُرِيدُ وَفَتَكَةَ مَا تَضْعُفُ

فَإِذَا الْخُطُوبُ إِذَا مَضَتْ لَا تَرَعَوِي
 وَإِذَا قَضَتْ بِقَضِيَّةٍ لَا تُخْلِفُ
 فَصَبْرْتُ لِلْمُقَدَّارِ تَحْتَ مُرَادِهِ
 كَيْلًا يَكُونُ تَأْسُفٌ وَتَلَهُّفٌ
 وَعَلَيْتُ أَنَّ لِكُلِّ رِيحٍ هَدَاةً
 وَلِكُلِّ جَارٍ (9) مُنْتَهَى وَتَوَقُّفٌ

تميم بن المعز لدين الله

ص 277 — 278

الشرح :

1 - الأكلف : صفة من الكلف وهو لونٌ بين السواد والحمرة، أو حمرة كثرة تملو الوجه. وفي البيت طباق بين صباح والظلام وبيض وأكلف - 2 - الصبوح : ما يشرب من الخمر صباحاً - المنتاب : الذي يأتي مرة بعد أخرى . وفي البيت جناس بين صباح وصبوح وهو غير تام من حيث اللفظ - 4 - القبياء : ثوب يلبس فوق الثياب - 5 - المطرف : رداء من خز مرتفع ذو اعلام في طرفيه - 6 - العسجد : الذهب - الجوهر كالدر والياقوت. وهنا في النص المسجد يعني الجوهر لأن الأوراق البيضاء الصغيرة هي التي تحيط بقلب زهرة النرجس كما يحيط الكحل بالعين - 7 - العندم : صبغ أحمر ويسمى دم الاخوين أو هو البقم وهو شجر أحمر يختضب به . وتغلف بالطيب : تضمخ به ، والمقصود ان الورد اختضب بالحمرة - 8 - الخطوب : جمع خطب : والخطب هو المصيبة - 9 - الجاري اسم فاعل من جرى.

أسئلة :

(1) هل ترى ان الاهتمام بالطبيعة في شعر تميم ضرب من الهروب من مواجهة ما تنطوي عليه نفسه من حزن وألم ؟

- 2) هل تكشف لك بعض العبارات الواردة في النَّصِّ عن حزن الشَّاعر الذي يعصر قلبه في صمت؟ هل ترى في هذه العبارات المشيرة الى الحزن مفاتيح تلج بها الى قلب الشَّاعر فتعرف مخبَّأته؟
- 3) في تشخيص الطبيعة هل وفق الشَّاعر في تحديد وجه الشبه بين الطَّبيعة والمرأة؟ حاول ان تقارن بينه وبين ابن الرُّومي في هذه النقطة
- 4) على اي شيء بدلَّ استسلام الشَّاعر للقدر واعتصامه بالصبر؟



كسرة من طبق خزفي ذي الطلاء الزجاجي تحمل رسم سيدة تمسك كأسا وقارورة .
- العصر الفاطمي
«متحف الفن الاسلامي بالقاهرة»



طبق من الخزف فاطمي يحمل صورة عازف على العود .



جزء من حشوة من العصر الفاطمي .
«متحف الفن الإسلامي بالقاهرة»

(مواضيع مقالات)

1) شعر تميم بن المعز الفاطمي صورة لحياته . حياة أمير شاب توفّر له المال والفرغ فأقبل على اللذات في مجالس اللهو والشراب في القصور وبين أحضان الطبيعة حيث الماء والخضرة والوجه الحسن. وقد غلبت الرقة ونعومة العيش المترف على شعره فرقاً ولطف في ألفاظه ومعانيه .

– ناقش هذا القول بالاعتماد على شعر تميم .

2) كان لمجالس الأمير تميم في حدائق القصور وبين أحضان الطبيعة المصرية أعمق الأثر في شعره فكثرت الروضيات في ديوانه ونالت الحظّ الوفير فمن الوصف

توسّع في هذا القول مبرزاً خصائص وصف الطبيعة في روضيات تميم .
3) يبدو من خمريات تميم أن الشاعر قد اتخذ اللهو مهرباً من الهموم والأحزان التي لقيها في حياته حينما ضاعت منه الخلافة وتعرض للكيد والحسد من بعض أعوان أخيه الخليفة. لكنّ مجالس الخمر والغناء لم تنسه أحزانه التي ظهرت في شكواه واستسلامه للقضاء والقدر .

* – توسّع في هذا القول محللاً الألم والحزن في شعر تميم .

4) أترى أن أدب تميم بن المعز لدين الله الفاطمي مطابق لحياته مُصَوّرٌ لمأساته ؟

5) بيّن خصائص فنّ التورية والروضية عند تميم بن المعز لدين الله الفاطمي .

أبو الحسن علي المصري القيراني

(حوالي 420 هـ. الى سنة 488 هـ.)

وَلَمَّا دَهَانِي الدَّهْرُ وَأَبْنِي وَأُمُّهُ
بِحَرَبَيْنِ بَكْرٍ مُرَّةٍ وَعَوَانِ
صَدَدْتُ عَنِ البَيْضِ الرَّعَابِيبِ سَاوَةً
وَأَقْسَمْتُ جُهْدًا لَا مَلَكُنْ عَنَانِي

ترجمہ و تفسیر

علي المصري

هو أبو الحسن علي بن عبد الغني الفهري المقرئ الشاعر الضرير المولود في القيروان حوالي سنة 420هـ وهو ابن خالة أو خال أبي اسحاق ابراهيم ابن علي بن تميم القيرواني الحصري .

عند ما زحف الهلاليون على القيروان عاصمة إفريقية سنة 449هـ، غادر أبو الحسن علي الحصري مسقط رأسه وهرب إلى سبتة حيث أقام مدة ثم غادرها إلى الأندلس حوالي سنة 462هـ استجابةً لدعوة قديمة وجهها إليه المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية فأقام في تلك المدينة إلى سنة 468هـ، وبعدها أخذ يتجول في اسبانيا ومرّ بمدن كثيرة وأقام خاصة في مالقة ودانية وبلنسية والمرية ومرسية قبل أن يستقرّ نهائياً في طنجة سنة 483هـ.

وكان خروجُه من بلاط المعتمد بدعوة مُلحّة من ملوك الطوائف المتنافسين في الاستئثار به في بلاطاتهم وفرارا من حسّاده وخصومه الكثيرين الذين ناصبوه العداء لفرط إعجابهم بنفسه وبشاعريته وسعة معرفته ولازدائه أدلّ الأندلس وعلماؤها وبعض صغار ملوكها. وقد لازمته الشعور بالغربة في ذلك البلد.

كان علي الحصري متضلعا في علوم القرآن يدرسها ويُعْتَبَرُ فيها حُجّةً وبرهاناً فلقّب بالأستاذ الأعلى. وكان مترسلا وشاعرا حاذقا ذا قدرة عجيبة على التصرف في القريض بفضل إلمامه الواسع باللغة وامتلاكه اكامل ناصية انقوافي .

ويُعتبرُ علي الحصري أحد أعلام النهضة الأدبية في عهد بني زيري : وله مساهمة الى جانب الأفارقة التونسيين المهاجرين في إشعاع نهضتهم الأدبية في الأندلس حيث كان يُعْتَبَرُ «زعيم جماعة» على حدّ قول ابن بسّام في ذخيرته.

تحتوي مؤلفاته فضلا عن الرسائل التي ضاع أكثرها على :

(1) قصيد تعليمي في قراءة نافع يضم مائتي بيت (ويوجد مخطوطاً بتونس).

(2) « المستحسن من الأشعار » وهو مجموعة مدائح قالها في المعتمد ابن عبّاد صاحب اشبيليا وأهداها الى حاميه عند مروره بطنجة سنة 484 هـ بعد عزله وأسرره من طرف المرابطين (ولعلّ هذه المجموعة هي التي سماها ابن قنفذ « كتاب القصائد »).

(3) « المعشّرات » وهي 29 قصيدة كلّ واحدة في عشرة أبيات أولها وآخرها حرف من حروف المعجم. ويرجح أن الحصري هو مبتكر هذا اللون من الشعر. وغرض المعشّرات هو البكاء على حبّ ضائع كما يفعل انغذريون وليس من المستبعد أن تكون لوعة الشاعر في تلك المعشّرات متأية من خدر زوجته الشابة الجميلة التي كان يتعشقها الشيخ الحصري وهي أمّ ولده عبد انغني الذي فقده بسبب نزيف أصابه بعد أن لطمه أخوه فبكاه الوالد بحرقه في ديوان « اقتراح القريح واجتراح الجريح » وذيله.

(4) « اقتراح القريح واجتراح الجريح » نظمه الحصري بعد موت ابنه المحبوب اواقع حسب النظن سنة 475 بسبب النزيف وهروب أمه، الزوجة الخائنة المشار اليها في القصائد. وجمع هذا الديوان بعد خمسة أعوام ويحتوي زيادة على المقدمات الثلاث على :

أ) قسم نثري فني في الموعظة والابتهال الى الله وارتجاع العزاء .

ب) قسم شعري يضم قصائد مبوبة حسب حروف المعجم التي التزمها جميعاً الشاعر في الروي. وتلك القصائد هي المجموعة الشعرية الوحيدة التي

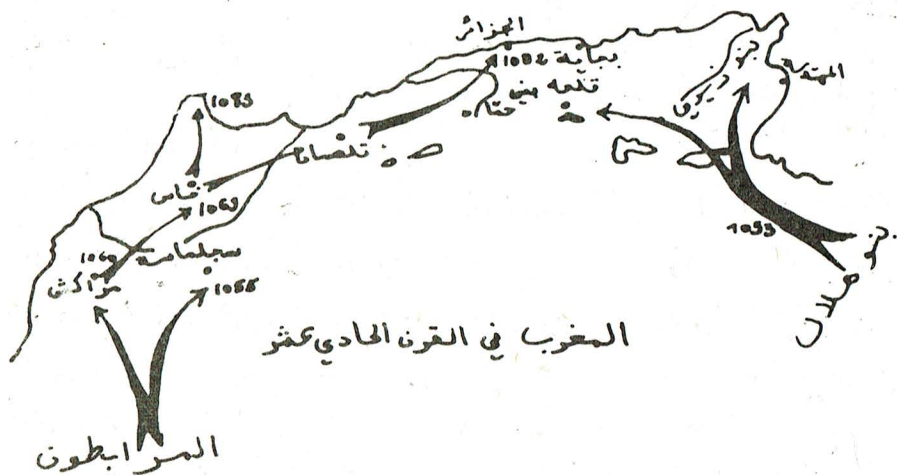
اعتنى الحصري بجمعها في حياته وهي غنية بالإشارات الهامة لعناصر ترجمته وفيها بلغ ذروة الشعر الرثائي .

5) قطع وقصائد متفرقة في كتب الأدب ومنها بخاصة قصيدته التي سارت سيرورة كبيرة وعارضها الشعراء في جميع العصور أعني « يا ليل الصب متى غده ».

وأخيرا يعتبره ابن سناء الملك والصفندي من الوشاحين وقد أورد له هذا الأخير موشح « من علق القيرطاً ».

وجرّ حذق علي الحصري للشعر وتصرفه في قوافيه ولغته عديدا من النقاد الى مقارنته بالمعري الشاعر الضريبر أيضاً في لزومه ما لا يلزم .

عن دائرة المعارف الاسلامية
الطبعة الجديدة باللسان الفرنسي
مقال للشاذلي بويحيى



مميزات العصر الصنهاجي

(من سنة 362 ال سنة 450 هـ.)

مهما تسنى للبلاد الإفريقية أن تنال من رفعة الشأن و غزارة العمران في مدة الأمراء العبيديين فإن تلك الحركة لم تبلغ الشأو الذي وصلت اليه في العصر لصنهاجي الذي هو عصر افريقية الذهبي .
فقد بلغت فيه البلاد ذروة حضارتها بالثروة والعلم والفنون الجميلة ، وَتَبَسَّطَ السكان في العيش ، وركنوا الى البذخ والترف بتدقيق الأموال على طبقات الشعب فمالوا الى اقتناء الكماليات النفسانية ، وجنحوا الى الآداب الرفيعة فزها الأدب وسار الشعر في مدارج الارتقاء وراجت سوق الافكار أيما رواج .

ومن الأسباب التي ساعدت هذه الحركة الفكرية على النماء إقبال الأمراء على العلم والأدب وأخذهم بأيدي أهله رغبة منهم في بث المعارف وتقديرا لأصحاب الفضائل .

ولقد سهَّلَ آل بلكين الصنهاجيون وبخاصة المعز بن باديس على العلماء النزوح إليهم فترَّبوا منزلتهم منهم وأجروا الأرزاق عليهم وبالغوا في إكرامهم وعلَّوا على آرائهم . فلم يبق صاحب قريحة لإقصد بلاطهم ونال جائزة او راتباً ...

وكانت عاصمة البلاد التونسية — بل قاعدة شمال افريقية — هي مدينة القيروان وهي خامسة الأمصار العربية أعني الكوفة ودمشق والقسطاط وبغداد . وبلغت القيروان في العصر الصنهاجي منتهى عمرانها الاسلامي الذي لم تزاحمها فيه قط مدينة من مدائن المغرب فكانت تتدفق حضارة وتموج بأنواع المتاجر والمصنوعات المختلفة ، وقد أخذ السكان الى الحضارة بانتشار البسط والرخاء بينهم فَشَيَّدُوا القصور وأنشأوا الحدائق والمنتزهات

بالعاصمة وخارجها حتى أصبح فحوصها عمارة واحدة تتصل ابنته الأنيقة وبساتينه الغناء بعضها بعضاً، وحسبك في التدليل على ذلك ان القرى المعتبرة التي كانت حول العاصمة تزيد على العشرين قرية وكلها أهلة وقد انطمس اليوم رسمها وصارت برية يعوي من العصر ذبيها والأمر لله وحده.

ولمّا تناهت المدينة بالقيروان الى هذا الكمال تقاطر الناس عليها أفواجا من كل حذب وصوب الارتزاق بالتجارة أو الصناعة أو العلم أو الادب أو بأسباب الملاهي والطرب، فالتقى فيها الحجازي باليميني والعراقي بالشامي والمصري بالأندلسي والسوداني بالرومي والصقلي وسواهم مما لا يدخل تحت حصر .

أجل ! ان القيروان لم تستقل بتبحر العمران وغزارة الحضارة فإن بقية الحواضر الافريقية مثل قابس و صفاقس وقفصة وتوزر وباجة وتونس ولا سيما المهديّة - وهي اذذاك العاصمة الثانية للقطر - قد كان لها حظ وافر من المدينة الاسلامية ومشاركة كبيرة في الحركة الاقتصادية والفكرية. وفي هذا العصر خطر الادب من نشر ونظم في حلة التفتن والرقعة وظهر فيه الاختراع الجديد وتوليد المعاني الرقيقة نظير ما حصل للآداب بالعراق في مبداء الدولة العباسية حينما امتزج الشعر العربي بالآداب الفارسية، والفرس أهل رقة وخيال متسع، فتفتقت القرائح وتولد الابتداع العجيب لتأثير المدينة على الخيال الشعري .

وفي أثنائه وضع فن نقد الشعر وسبّره . ولأدباء القطر الافريقي حق وافر في توسيع هذا الباب الجليل. فَمِنْ أقدَم مَنْ طَرَقَ الانتقاد الادبي ووضع له اساماً متيناً هو الكاتب ابراهيم النهشلي، فإنه ألف كتابه «المتع» الذي أبان فيه أساليب النقد ومناحيه. وتلاه ابن رشيق في تصنيفه «العمدة» في الصناعة الشعرية، ومحمد ابن شرف الذي دون «رسائل الانتقاد»

وتبعهم غيرهم من الكتاب أقصرنا ذكرهم، وبفضل هذه المؤلفات الصالحة للأدب أصبح الشعراء مقيدين بقوانين مضبوطة وأساليب معلومة يجهد الأديب نفسه للاجادة فيها ويجتنب الخروج عن قواعدها.

وفيه أيضاً كثر استعمال البديع، وتركت الالفاظ الوحشية من الكلام جرياً مع تيار الحضارة الظاهرة حينئذ، فأثر ذلك في أساليب الانشاء وتراكيب الشعر. وبذلك اكتسب الادب هيئة جديدة لم يعرفها من ذي قبل.

وجملة القول إن أدباء هذا العصر كانوا أوسع وأرحب أفقاً وأنبيل غرضاً لأنهم كانوا يعبؤون من المحيط الحضري المتمدن الذي عاشوا في وسطه. فلا غرو ان اختلف الأدب في هذا العصر عما كان عليه في الأدوار السابقة .

حسن حسني عبد الرهاب
(مجمّل تاريخ الادب التونسي)
ط. مكتبة المنار - تونس 1968
ص 102 - 105

سؤال :

(1) - ما هي أهمّ مميزات العصر الصنهاجي في نظرك؟ ولماذا؟

محنة الفقيه أبي إسحق العافري في أيام المرزبة باديس

قال الدبّاسغ في معالم الإيمان :

طرأت عليه محنة عظيمة سببها « انه ورد عليه سؤال من مدينة باغية استفتي فيه، وكانت المسألة مسألة طلاق ومراجعة ؛ وذكر السائل ان ولي النكاح كان من الفرقة المعروفة بافريقية بالمشاركة وهم دعاة بني عبيد، فأجاب الشيخ أبو اسحق رحمه الله ان هذه الفرقة على قسمين : أحدهما كافر مباح الدم، والقسم الاخر وهم الذين يقولون بتفضيل علي بن أبي طالب على سائر الصحابة لا يلزمهم القتل ولا يبطل نكاحهم فأنكر عليه جميع فقهاء افريقية بالقيروان وغيرها واحتجوا عليه بأن جماعة من أهل الزهد والعلم والعبادة بالقيروان كانوا أشدّ الناس مباينة بالعداوة والتكفير لبني عبيد وأتباعهم منهم أبو اسحق السبأي ومروان العابد وربيح القطان وأصراهم.

وأرسلوا اليه ان يعاود النظر وأن يرجع عن هذا القول فأبى عن ذلك وانتهت القضية الى المعز بن باديس، فجمع بعض الجمع عنده في المقصورة وناظروه فأظهر الإنابة (1) الى قولهم والرجوع ؛ ثم خلا بأصحابه فأنكروا عليه رجوعه الى قولهم وأنه الحق الذي لا يجب سواه ؛ وكان رأي الفقهاء سدّ هذا الباب للعامة على هؤلاء الكفرة بني عبيد الزنادقة، وأنّ الداخل في دعوتهم وان لم يقل بقولهم كافر لتوليه الكفر، فأظهر أبو اسحق التمسادي على قوله وأنكر الرجوع عنه، فأطلق لفقهاء الفتيا بمقاله هذا بالتضليل والتبديع (2) وقال فيها الشعراء والطلبة عند الفقهاء قصائد كثيرة تضمنت أبا اسحق والتبري منه وأنشدوا الشعر والطلبية عند الفقهاء في دورهم وجمعهم وأمر السلطان بسجل في القضية من التبري من قوله وقيل فيه ما يعظم به اجره، وأمر بقراءته يوم الجمعة على المنبر قبل الصلاة مستهل صفر عام

ثمان وثلاثين وأربعمائة، ثم أمر السلطان بإحضاره بالمقصورة (3) في ذلك اليوم اثر الصلاة وأحضَرَ معه الفقهاء أبا القاسم الليدي فقيه مشيخة الفقهاء وكبيرهم، والفقير أبا الحسن والقاضي أبا بكر بن محمد ابن أبي زيد خاصة من بين سائر الفقهاء، وكان هذان الفقيهان من اشد الناس ميلا الى مذهب الجماعة، وحكم في المسألة الليدي، فحكم ان يقر بالتوبة على المنبر بمشهد جميع الناس وأن يقول كنت ضالا فيما رأيته ورجعت عن ذلك الى مذهب الجماعة، فاستعظم الامر على المنبر وقال : ها أنا أقول هذا بينكم فساعده وقنعوا منه بقول ذلك بمحضر السلطان والجماعة وان يقوله بمجلسه ويشيعه عنه : فافترقوا على ذلك وحصلت على الشيخ منه غضاضة فخرج في صبيحة يومه متوجها الى منستير الرباط وكان في يوم السبت الثاني من صفر من السنة المذكورة وانما خرج من القور مسكنا للقضية ومنسيا لها فتغيب بشخصه ثم عاد الى القيروان.

قال القاضي عياضه (في ترتيب المدارك): « ولا مرء عند كل منصف أن الحق فيما قاله أبو اسحق ولا امتراء إن مخالفتة أولا لرأي أصحابه في حسم الباب لمصلحة العامة لجاج وان رأي الجماعة كان أسد للحال وأولى . وفتواه هذه جرى على العلم وطريق الحكم، ومع هذا فما نقصه هذا عند أهل التحقيق ولا حط منصبه عند أهل التوفيق » .

ثم قال الدبباغ : « توفي يوم الاثنين الثاني من ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة، وحضر جنازته المعز بن باديس في جمع عظيم ودفن بباب سلم وقبره معلوم.

ولأبي الحسن علي بن رشيق - ويريد لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني
 مريثة يرثي بها أبا اسحق :

يا لحرزيتة في أبي إسحق ذهب الحيمام بأنفس الأغلاق

ذَهَبَ الْحَمَامُ بِخَاشِعٍ مُتَبَتِّلٍ (4)
تَبْكِي الْعَيْسُونَ عَلَيْهِ بِاسْتِحْقَاقِ
ذَهَبَ الْحَمَامُ بِيَدْرِ رَشْمٍ (5) لَمْ يَدْعُ

منهُ الرَّدَى إِلَّا هَلَالَ مُحَقَّقِ (6)
وَحَوَّتْ جُنُوبُ الْأَحَدِ بَحْرًا زَاخِرًا ترك البحار الخضر وهي سواقِ
فَالْيَوْمَ أَغْلَقَ كُلُّ فِهْمٍ بَابَهُ لَمَّا فَقَدْنَا فَاتِحَ الْأَغْلَاقِ
مَا الْقَيْرُونَ أَذَقَتْ تُكَلِّكَ وَحَدَهَا قد ذاق تُكَلِّكَ سَائِرُ الْأَفَاقِ .

ولقد أوردت هذه الاخبار عن ابي اسحق لأنها تكشف لنا عما كان يشغل العقول والنفوس آنذاك من قضايا تثير الرأي العام ويقول فيها الفقهاء رأيهم بمحضر السلطان وتثبت في السجلات الرسمية وتقال فيها الخطب في المساجد وينظم فيها الشعر الذي يلقي في مختلف الأماكن ، في مجالس الفقهاء وفي دورهم وفي أماكن أخرى. ثم أوردتها لأنها توضح اتجاه الفقهاء آنذاك وميل الكثير منهم الى مذهب الجماعة وانتصار من يجنح منهم لرأي الجماعة في ذلك القطر. ثم اني أوردتها لأنها تعرض لذكر هذا العدد من الفقهاء الذين كانوا يُوجِّهون الرأي العام في المسائل الفقهية وأصول الدين أمثال ابي القاسم البيدي وأبي اسحق السبائي وأبي بكر بن محمد بن أبي زيد.

الدكتور عبد الرحمن ياغي
(حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها)
ط. دار الثقافة ببيروت 1962 ص 182-185

أسئلة :

- (1) - هل ترى مخالفة في تعصّب الفقهاء على أبي إسحق وفي معارضة حرية الرأي وحرية الإجتهااد؟
- (2) - ما رأيك في استعدادهم السلطان عليه وجبرهم إياه على التراجع عن فتواه؟
- (3) - كيف ترى موقف القاضي عياض من هذه القضية؟
- (4) - هل كان لمثل هذه المحنة ما يشابهها في القرن الثالث الهجري؟
- (5) - هل تعرض الطاهر الحدّاد لمثلها في الثلث الأول من القرن العشرين؟

— أبو إسحاق إبراهيم بن حسن بن إسحاق التونسي : من أئمة المالكية من تلاميذ أبي عمران الفاسي ، صاحب كتاب « التعليقة على الملتونة ». وكان متكلماً في أصول الدين يميل إلى النظر عارفاً بالحديث ، وقد نشأ في العلم ومات عليه ، لم ير مثله الفقهاء وقاراً وسمناً وفيه يقول عبد الحميد الديباجي :

حَازَ الشَّرِيفَيْنِ مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ عَمَلٍ وَقَلَّمَا يَتَأَنَّى الْعِلْمَ وَالسَّمَلَ

وامتحانه المشار إليه في هذا النص كان سنة 438 هـ ورحل من أجله للمسنين ثم رجع للقيروان وفيها توفي سنة 443 هـ ، وحضر جنازته المعز بن باديس في جمع عظيم ودفن بباب سلم ورثاه جماعة منهم ابن رشيق بقصيدة فريدة ذكرت عينات منها في النص. انظر « شجرة النور الزكية في طبقات المالكية » لمحمد بن محمد مخلوف. ط. القاهرة 1350 هـ ص 108 - 109.

— القاضي عيَّاض : (476 - 544 هـ = 1083 - 1149 م) فاض وفقه أندلسي من أعلام المالكية ومؤرخ وشاعر. أجازه أبو بكر الطرطوشي والإمام المازري وابن العربي. اجتمع له من الشيوخ بين من سمع منه وأجاز له نحو مائة شيخ ، ألف فيهم فهرسة سماها « الغنية ». ألف التاليف المفيدة أهمها : « كتاب الشفا في التعريف بحقوق المصطفى » طارت نسخه شرقاً وغرباً وكتاب « مشارق الأنوار على صحاح الآثار » وكتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك . وتولى القاضي عيَّاض التعليم والقضاء في سبتة وقرطبة وتوفي في مراكش. انظر تفاصيل أخرى عنه في كتاب « شجرة النور الزكية في طبقات المالكية » لمحمد بن محمد مخلوف. ط. القاهرة 1350 هـ ص 140 - 141.

الشرح :

- (1) - الإنابة : التوبة . الرجوع إلى الله. - (2) - التبديع : من تبدع : صار مبتدعاً . والبدعة : ما أحدث من العقائد المخالفة للإيمان. - (3) - المتصورة : يتصد بها مقصورة . جامع القيروان الموجودة إلى الآن بجانب المنير. - (4) - مستبئل : من ترك الزواج ، وانقطع عن الدنيا إلى الله وتسلت . - (5) - الرشم : الكتابة. والمقصود من الكلام : علم في الكتابة مشهور بارز كالقمر. - (6) - المحقق : آخر الشهر القمري.

الظروف السياسية لسقوط القيروان

اجتاز موكب المعز بن باديس كما يقول ابن الأثير في كتاب الكامل « فسأل عنهم فقيل : هؤلاء رافضة يسبون أبا بكر وعمر : فقال : رضي الله عن أبي بكر وعمر فانصرفت العامة من فورها الى درب المقلبي من القيروان - وهو يجتمع به الشيعة - فقتلوا منهم » ومن الطبيعي في مثل هذه الأمور أن يتماذى الشعب وأن تتندس فيه عناصر منها من يطمع في النهب ومنها من يشتهي الفساد حتى « قُتل من الشيعة خلق كثير وأحرقوا بالنار ونهبت ديارهم وقتلوا في جميع افريقية ... وأكثر الشعراء ذكر هذه الحادثة فمن فرح مسرور ومن باك حزين ».

وليس المهم في الأمر أن المعز كان راضياً عن هذه الحوادث او غير راض ، وإنما المهم أن الشعب البربري هو الذي أحدثها، وليس يعنينا أي فرصة انتهزها بقدر ما يعنينا دلالتها على ما كان الشعب يضمه للفاطميين وابن الأثير في الكامل وابن تاج في معالم الإيسان وغيرهما يذكرون أن هذه الحوادث حدثت سنة 407هـ.

وكأن الخليفة الفاطمي كان يريد أن يضبط نفسه عن الانفعال ويكضم غيظه أو يُسرّه ولا يعلنه، وكأنه يريد أن يصرف الناس عن الاعتقاد بأنه هو الذي يمد الشيعة في المغرب بما يقويهم ويثيرهم ويؤلف منهم حزباً سياسياً ، فينتهز أقرب فرصة تلت الحوادث ويرسل هدايا ثمينة الى المعز . وقد اطمأنّت الى المعز قلوب البربر ورضي عنه من يتولون الأحكام الشرعية حين رأوه يخضع لأحكامهم .

ولم يبق أمامه أو أمام الزيريين من عدو عتيده في المغرب يسهل على الأعداء إثارتة غير طوائف زناته التي تحركها أيد غريبة عن المغرب قد تمتد إليها من ارض مصر وقد تمتد إليها من الأندلس ، ولكن الظن كان

حليف المعزّ وجيوشه في معظم الحالات. وقد كان مع ذلك ميّالاً للجنوح إلى السلم حين يأنس من خصمه جنوحاً لها كما كان يفعل مع مشيخة زناطة وكتامة ...

وكانّ المعزّ رأى أخيراً أنّ تلك الصلة الواهية التقليدية التي تقوم بين الخلفاء الفاطميين المقيمين في مصر وبين المغرب لم يكن لها لزوم وأنّ من الخير قطعها وإقامة شيء بدلها : ففي سنة 435 هـ كما يذكر ابن الأثير أظهر المعزّ النداء للدولة العباسية وخطب للإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين ووردت عليه الخلع والتقليد ببلاد افريقية وجميع ما يفتحه. وقطعت الخطبة للعلويين من ذلك الوقت وأحرقت أعلامهم . وابن خلكان في ترجمته للمستنصر بالله العبيدي يذكر أنّ المعزّ بن باديس قد قطع الدعوة العبيدية التي كانت قائمة في المغرب في سنة 443 هـ ويذكر بعد ذلك أن صاحب تاريخ القيروان قال إنّ قَطَعَهَا كان في سنة 435 هـ ثم اتبع ذلك بعبارة والله أعلم بالصواب وفي موضع آخر حين يعلل ابن الأثير دخول العرب الى افريقية يذكر أنّ قطع الخطبة تلك كان في سنة 440 هـ ويوافقه في ذلك ابن خلدون .

ومهما يكن من شيء فما اظن أن الامر كان ذا خطر كبير حينذاك فقد كانت الدعوة شكلية تقليدية لا يتبعها نتائج خطيرة ، وانما هي مغضبة قامت بين المعزّ وبين المستنصر في أغلب الظن فأثر المعزّ أنّ يعصف حتى بتلك الدعوة الصورية، ثم أراد أن يمعن في اثارته فلم يكنف بقطع الدعوة وانما هو يستبدل بها دعوة لأمر المؤمنين في المشرق ثم يأمر بعد ذلك كله « بلعن عبد الله المستنصر في الخطب وذلك في يوم عيد الفطر من سنة 440 هـ . »

كان الأمر غير ذي بال بادىء ذي بدء ولكنه يتطوّر ويتخذ اشكالاً

جديدة من المعادات والنفور ومن الموجدة (1) التي تتضخم في الصدور حتى تتخذ لها مخرجاً.

فالمسألة الخطيرة هي إخماد صوت ذلك الحزب السياسي الذي كان يظلم بمهامه في المغرب جماعة الشيعة، فقد فتك بهم وشردوا في أقاليم البلاد حتى مضى منهم من مضى إلى صقلية أو الأندلس أو أنحاء المغرب الأقصى. من هنا كانت الخطورة، ومن هنا بدأ الأمر يتطور ويتخذ الاشكال المدبرة من الخصام فقد تجاوزت الخصومة الكلام المتبادل والقول الذي تنقله الكتب بين الطرفين .

وكان الحسن اليازوري وزير المستنصر قد أشار عليه أن « يشرعوا في إرسال العرب (2) إلى المغرب، فأصلحوا بين زغبة ورياح، وكان بينهم حروب وحقود، وأعطوهم مالا، وأمروهم بقصد بلاد القيروان ومملكتهم كل ما يفتحونه، ووعدهم بالمدد والعدد، فدخلت العرب افريقية، وقام قتال عنيف اتخذ رقعة واسعة من أرض المغرب حتى اضطر المعز إلى ان يشير على الرعية بالانتقال إلى المهديّة لعجزه عن حمايتهم من العرب، وذلك في سنة 446 هـ وأقام المعزّ والناس ينتقلون إلى المهديّة إلى سنة 449 هـ وعندها انتقل إليها في شعبان، فتلقاه ابنه تميم ومشى بين يديه، وكان أبوه قد ولاه المهديّة سنة 445 هـ .

وهكذا مضت المكيدة التي دبرها اليازوري مع المستنصر فأقصت مضجع المعزّ، وانتفع بها الفاطميون في مصر إذ تخلصوا من ضغط الاعراب الذين انزروا في الصعيد وحظر عليهم تجاوز النيل، فكان يخشى منهم ان يقتحموا الحدود وان يندفع بهم إلى الضغط، فلما تسربوا وانتشروا في المغرب تخلصت مصر من نفوس مضغوطة كان يخشى ان تغلي فيها الثورات وانتقلت تلك النفوس النائرة من اعراب بني هلال وبني سليم ورياح

وزغبة واحالوا افريقية الى اضطراب وفساد وتخريب ونهب وسلب حتى
شقيت الأمة بهم شقاء في أقاتها وفي أموالها وفي أنفسها .»

الدكتور عبد الرحمن ياغي
(حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها)

الشرح :

(1) - المَوْجِدَةُ : الحقد. - (2) - العَرَبُ : يقصد بهم أعراب بني هلال ورياح
وسليم وزغبة.

المراثي

نساء القيروان (البيسط)

في سنة 449 هـ فسد الأمر بين المعزّ باديس وبين أعراب هلال
وسليم فنقضوا الصلح المبرم سنة 444 هـ بينهم وبين المعزّ وحاصروا القيروان
وصبرة بجموعهم وعاشوا في الضواحي والأطراف يفسلون ويخرّبون
ويقتلون فانطلق الشعراء يندبون عاصمتهم في قصائد خلّدها التاريخ
كمرثية ابن رشيق ومرثية ابن شرف ومرثية عبد الكريم بن فضال
القيرواني. وارتحل علي الحصري الى سبته في أقصى المغرب وهناك
تحسر على بلده الخرب وبكى القيروان :

فِي كُلِّ يَوْمٍ مَعَ الْأَحْبَابِ لَدَاتُ
فَلَيْسَ فِي الْعَيْشِ مَسْرُورٌ إِذَا فَاتُوا
وَكُلُّ خَلٍّ وَأَنْ دَامَتْ مَسَرَّتُهُ
لَا بُدَّ أَنْ تَقَاضَاهُ الْمَسَائِتُ
لَا تَنَا مَبْتَغِيًا قُونًا تَعِيشُ بِهِ
فَقِي أَحَادِيثٍ مَنْ تَهَوَّاهُ أَقْوَاتُ
وَلَا تَقُلْ تَشْمَتُ الْأَعْدَاءُ مُحْتَضِرِي
إِنْ اغْتَرَابَكَ أَيْضًا فِيهِ إِشْمَاتُ
مَوْتُ الْكِرَامِ حَيَاةٌ فِي مَوَاطِنِهِمْ
فَإِنْ هُمْ اغْتَرَبُوا مَاتُوا وَمَا مَاتُوا
كُنَّا وَكَانَ لَنَا فِي مَا مَضَى وَطَنٌ
لَكِنَّهَا أَسْهُمُ الدُّنْيَا مُصِيبَاتُ
يَا أَهْلَ وِدْدِي لَا وَاللَّهِ مَا انْتَكَبْتِ
عِنْدِي عُهُودٌ وَلَا ضَاعَتِ مَوَدَّاتُ

يَا أَهْلَ وِدْيَ هَلْ فِي الْقُرْبِ مِنْ طَمَعٍ
فَتَشْتَقِي بِكُمْ هَدْيَ الصَّبَابَاتُ
لَشَيْنٍ بَعْدْتُمْ وَحَالَ الْبَحْرُ دُونَكُمْ
لَبَّيْنِ أَرْوَاحِنَا فِي النَّوْمِ زَوْرَاتُ
وَلَمْ أَذُقْ نَوْمَةَ لَوْلَا خِيَالِكُمْ
وَأَبْنِ مِنْ نَارِحِ الْأَوْطَانِ نَوْمَاتُ
إِذَا اعْتَلَلْنَا تَعَلَّلْنَا بِذِكْرِكُمْ
لَوْ أَحْسَنْتَ بَرءَ عِلَاتِ تَعِلَّاتُ
مَاذَا عَلَى الرِّيحِ لَوْ أَهْدَتْ تَحِيَّتَنَا
إِلَيْكُمْ مِثْلَمَا تُهْدِي التَّحِيَّاتُ
أَصْبَحْتُ فِي غُرْبَةِ لَوْلَا مَكَاتِمِّي
بَكَتْنِي الْأَرْضُ فِيهَا وَالسَّمَاوَاتُ
يَكَادُ يُحْيِي الرُّبَى لَوْلَا حَرَارَتُهُ
دَمْعِي وَتَضْبِيحُ فِيهِ مِنْهُ أَنْبَاتُ
كَأَنْتَنِي لَمْ أَذُقْ بِالْقَيْرِ وَأَنْ جَنَسِي
وَلَمْ أَقُلْ «هَا» لِأَخْوَانِي وَلَا هَاتُوا
وَلَمْ تَشْقِنِي الْخُدُودُ الْهَمْرُ فِي يَمَقِّ (١)
وَلَا الْعُيُونُ الْمِرَاضُ الْبَابِلِيَّاتُ
أَبْعَدَ أَيَّامَنَا الْبَيْضِ الَّتِي سَلَفَتْ
تَرُوقُنِي غَدَوَاتُ أَوْ عَشِيَّاتُ
حَتَّى مَتَى تَقْتَضِي الْعَادَاتُ أَنْفُسَنَا
وَلَا يُطَاقُ إِلَى الْأَوْطَانِ عَوْدَاتُ
أَمْرٌ بِالْبَحْرِ مُرْتَحِلاً إِلَى بَلَدِ
تَمُوتُ نَفْسِي فِيهَا مِنْهُ حَاجَاتُ

وَاسْتَأْذَنُ السُّنُنُ عَنِ أَخْبَارِهِ طَمَعاً
 وَأَنْشَنِي وَبِقَلْبِي مِنْهُ لَوْعَاتُ
 هَلْ مِنْ رِسَالَةٍ حَبٌّ أَسْتَعِينُ بِهَا
 عَلَيَّ سَقَامِي فَقَدْ تَشْفِي الرِّسَالَاتُ
 أَلَا سَقَى اللَّهُ أَرْضَ الْفَيْرَوَانَ حَيًّا
 كَأَنَّهُ عِبْرَاتِي الْمُسْتَهْلَاتُ
 وَكَفَّ عَنْهَا أَكْفَ الْمُسْغِدِينَ لَهَا
 وَلَا عَدْنَهَا مِنْ الْخَيْرَاتِ عَادَاتُ
 فَإِنَّهَا لِدَةٌ (2) الْجَنَّاتِ تُرْبَتُهَا
 مَسْكِيَّةٌ وَحَصَاهَا جَوْهَرِيَّاتُ
 إِلَّا نَكُنْ فِي رُبَاهَا رَوْضَةٌ أَنْفُ
 فَإِنَّمَا أَوْجُهُ الْأَحْبَابِ رَوْضَاتُ
 أَوْ لَا يَكُنْ نَهْرٌ عَذْبٌ يَسِيلُ بِهَا
 فَإِنَّ انْهَارَهَا أَيْدٍ كَرِيمَاتُ
 أَرْضُ أَرِيضَةٍ (3) أَفْطَارٌ مُبَارَكَةٌ
 لِلَّهِ فِيهَا بَرَاهِمِينَ وَأَيَّاتُ
 كَمِ مَنْ وَبِيَّ بِهَا لِلَّهِ مُرْتَقِبُ
 حَيَاتُهُ كُلُّهَا نُسُكٌ وَإِخْبَاتُ
 وَكَمِ إِمَامٍ هُدَى فِي مُرْتَقَى مَلِكٍ
 قَدْ تَوَجَّهَتْهُ الْمَعَالِي وَالْمَهَابَاتُ
 أَفْلَامُهُ أَمَّنْ فِي كُلِّ وَاقِعَةٍ
 مِنَ النُّعْمَى وَالْفِتَاوَى وَالْقِرَارَاتُ
 وَكَمِ بِهَا مِنْ ذِكْرِ الطَّبَعِ قَدْ فَضَحَتْ
 فُسَّ بِنِ سَاعِدَةٍ مِنْهُ الْفَصَاحَاتُ

وَفِي سَمَاءِ الْمَعَانِي تَحْتَ أَحْمَصِهِ
 بِكُلِّ فَخْرٍ إِذَا مَا قَالَ لِنَصَاتُ
 لَا بِشْمَتِنَ بِهَا الْأَعْدَاءُ إِنْ رُزِّتَ
 إِنْ الْكُفُوفَ لَهُ فِي الشَّمْسِ أَوْقَاتُ
 وَلَمْ يَزَلْ قَابِضُ الدُّنْيَا وَبَاسِطُهَا
 فِي مَا يَشَاءُ لَهُ مُحْوًو وَإِثْبَاتُ
 هَلْ مَطْمَعٌ أَنْ تُرَدَّ الْقَيْرَوَانُ لَنَا
 وَصَبْرَةٌ (4) وَالْمُصَلَّى وَالْحَنِيَّاتُ (5)
 مَا أَنْ سَجَا اللَّيْلُ إِلَّا زَادَنِي شَجْنًا
 فَأَتْبَعْتَ زَفَرَاتِي فِيهِ أَنْتَاتُ
 وَلَا تَنْفَسْتُ أَنْفَاسَ الرِّبَاضِ ضُحَى
 إِلَّا بَدَتْ زَفَرَاتُ مُتَكَنَّنَاتُ
 هَذَا وَلَمْ تَشْجُ (6) قَلْبِي لِلرَّبَابِ رَبِّي
 وَلَا تَقَضَّتَهُ (7) مِنْ لُبْنَى لُبَانَاتُ (8)
 وَكَمْ دُعِيْتُ لِبُسْتَانٍ فَجَدَدَ لِي
 شَوْقًا وَلَوْ كَانَ فِي مَغْنَاهُ سَلْوَاتُ
 وَلَوْ تَرَانِي إِذَا غَنَّتْ بِلَا بُلْهُ
 أَشْكَو الْبَلَا بِلَ لَوْ تُعْنِي الشَّكِيَّاتُ
 إِنِّي لِأَضْمَأُ وَالْأَنْهَارُ جَارِيَةٌ
 حَوْلِي وَأُضْحِي وَدُونَ الشَّمْسِ دَوَّحَاتُ
 وَلَا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا بِسِطَاءِ يَدِهِ
 مِنْ قَبْلِ أَنْ يُمَكِّنَ الْمَأْسُورَ إِفْلَاتُ
 وَإِنِّي لَجَدِيدِرٌ أَنْ أَمُوتَ أَسْنَى
 لَكِنْ أَسْبَابَ مَحْيَايَ الرَّجِيَّاتُ

علي الحصري

– الشَّرْح :

- القِطْرُ : والقِطْعَةُ منه يَقْمَةُ : القِطْنُ ، وهُنَا يَقْتُ وَيَقْتُ ج يَقَاتِقُ أَي الْبِياضَ الشَّدِيدَ – (2) – لِدَةٌ : مَصْدَرٌ وَلِدَ يَلِدُ : التَّرْبُ وَهُوَ الَّذِي وَلَدَ مَعَكَ أَوْ تَرَبَّى مَعَكَ (أَصْلُهُ وَلَدَ). قَوْلُ : فَلَانَ لِدَتِي ، وَمُثَنَّهُ لِدَانٌ ج لِدَاتٌ وَلِدُونٌ. – أَرِيضَةٌ : صِفَةٌ مِنْ أَرْضٍ يَأْرُضُ أَرَاضَةً الْمَكَانُ : كَثُرَ عَشْبُهُ وَازْدَهَى وَحَسُنَ فِي الْعَيْنِ. – (4) – صَبْرَةُ الْمَنْصُورِيَّةِ مَدِينَةٌ اتَّصَلَ عِمْرَانُهَا بِالْقَيْرَوَانِ فِي عَصْرِ عَلِيِّ الْحَصْرِيِّ بِتَابِهَا إِسْمَاعِيلُ الْمَنْصُورُ الْفَاطِمِيُّ سَنَةَ 337 وَسَمَّاهَا الْمَنْصُورِيَّةَ وَهِيَ مَتْرَلُ الْوَلَاةِ إِلَى حَيْثُ عَمْرَاهُهَا ، وَنَقِلَ إِلَيْهَا الْمَعْرُزُ أَسْوَاقُ الْقَيْرَوَانِ كُلِّهَا وَجَمِيعُ الصَّنَاعَاتِ. – (5) – لِحْنِيَّاتٌ مِنَ الْمَعَالِمِ الْأَثَرِيَّةِ. – (6) – شَجَا يَشْجُو شَجْوًا ، وَأَشْجَى إِشْجَاءَ الرَّجُلِ : أَحْزَنَ. (7) – تَقَصَّى : بَلَغَ الْغَايَةَ – (8) – لُبَّانَاتٌ وَلُبَّانٌ مَفْرَدَةٌ لُبَّانَةٌ : الْحَاجَةُ مِنْ غَيْرِ فَالِقَةِ بِلٍ مِنْ هِمَّةٍ وَالْهَمْسَةُ مَا هُمْ بِهِ مِنْ أَمْرٍ لِيُفْعَلَ. – (9) – الشُّكِّيَّاتُ أَرَادَ الشُّكَاوَى.

– أسئلة :

- (1) – ما هو الشُّعُورُ الَّذِي غَلَبَ عَلَى الْحَصْرِيِّ وَهُوَ بَعِيدٌ عَنْ مَوْطِنِهِ ؟ – (2) – كَيْفَ يَظْهَرُ اِرْتِبَاطُ الشَّاعِرِ بِالتَّرْبَةِ الَّتِي أَنْبَتَتْهُ ؟ – (3) – قُمْ بِإِحْصَاءِ الْمَفْرَدَاتِ ذَاتِ الْوَقْعِ الْخَاصِ فِي نَقْصِ الشَّاعِرِ الْغَرِيبِ ! – (4) – يَسْرِي فِي الْآيَاتِ نَفْسٌ إِسْلَامِيَّةٌ ، بَيْنَهُ وَادَّكَرَ سَبَبَ النِّجَاءِ الشَّاعِرِ إِلَيْهِ ؟

لوعاشق في عهد الغنى (الكامل)

- تقديم

هذه أبيات من مراثية قالها أبو الحسن الحضري وهو في بلاد الأندلس يشكو مصابه في ابنه وغربته وغدر زوجته ويحن الى وطنه :

- حَامَ الْحَمَامُ لِفِرْصَةٍ فَاسْتَفْرَصَهَا (1)
 وَسَرَى إِلَى شِبْلِ الشَّرَى (2) مُتَقَنَّصًا
 ظَفِيرَتِ أَطَا فَرُهُ بِأُصَيْدٍ أُصِيئِدْ
 فَعَجِبْتُ كَيْفَ أَصَابَهُ وَتَخَلَّصَا
 تَسْرِبَتْ يَدَا مَنْ عَانَهُ (4) فَأَعَانَهُ (3)
 فِي أَقْنَعَسِ (5) الْعَزَّ الْمَسِيحِ فَأَقْعَصَا (6)
 وَكَأَنَّمَا أَخَذَ الْقَصَاصَ الْحُسَيْدِي * *
 مَنِّي بَأَنْ هَامَ (7) الْجَنَاحَ وَقَصَّصَا
 يَا مَوْتُ لَا أَشْكُوكَ إِنْ مُصَابَهُ
 قَدَّرَ عَلَيَّ جَرَى وَحَقَّ حَصْحَصَا (8)
 عَجِيلَ السَّرَارُ (9) عَلَيْكَ يَا قَمَرَ الْعُلَا
 مَا ضَرَّ لَوْ مَدَّ الْمَدَى فَتَرَبَّصَا
 لَا يَنْقُصُ الْفَلَكَ الْهَلَالُ وَإِنَّمَا
 الْفُكَّ بَدْرًا كَامِلًا فَتَنْقِصَا (10)
 وَأَبَى قِضَاءَ اللَّهِ فِيكَ عَلَيَّ أَبِ
 مَا كَانَ أَحْرَسَهُ عَلَيْكَ وَأَحْرَصَا
 لَوْلَا (11) الرَّدَى الْجَارِي حَمَّتْكَ حَمِيَّةُ
 تَشِي الْخَمِيْسَ (12) مِنْكَسًا وَمُنْكَصَا (13)
 إِنْ الْكَوَاكِبُ كُنَّ فِي ذَلِكَ الْعُـلَا
 يَوْدَدُنْ لَوْ قَبَلْنَ مِنْكَ الْأَحْمَصَا (14)
 لَكِنْ أَصَابَكَ حَمِينَ غَضْتُ بِكَ الْعَدَا
 قَدَّرَ يُصِيبُ مَعَمَا وَمَخْصَصَا

أَتَرَى أَغْصَكَ ذِكْرُ أُمَّكَ إِذْ نَسَّاتُ
فَلرُبَّمَا مَاتَ المَشُوقُ تَغْصُصًا
غَدَرَتْ أَبَاكَ وَغَادَرَتْكَ لِوَحْشَةٍ
مَا أَنشَزَ (15) البِيضَ الحِيسَانَ وَأَنْشَصَا (16)
وَهَبِ (17) السَّقَامَ مَحَاسِنَاكَ فَمَا لَنَاهُ
أَفُضِّي إِلَى شَفَتَيْكَ حَتَّى قَلَّصَا (18)
وَلَقَدْ رَقَيْتُكَ بَعْدَ أَدْوِيَةِ الدَّوَا
بِاسْمِ الَّذِي لَوْ شَاءَ أَبْرَأَ الأَبْرَصَا
فَإِذَا القَضَاءُ يَقُولُ لِي لَا بُدَّ
تَشْوِي (19) فَتَرَوِي مِنْ مَدَامِعِكَ الحِصَا
لَوْ كُنْتُ فِي غيرِ الجَزِيرَةِ (20) أَعْمَلْتُ
مَصْرًا إِلَى اليَعْمَلَاتِ (21) الرَقِصَا
لَكُنَّيِي حَيْثُ المَعَالِي لَا تُرَى
وَيُعَدُّ جَامِعُ فَضْلِهِنَّ مَلْخَصَا
هَذَا مَحَلٌّ لَا أَحَبَّ حُلُولَه
والمَحَلُّ (22) أَقْصَدَ نِي إِلَيْهِ وَأَشْخَصَا
بِالأَمْسِ عَدَّتْنِي القِرَاءَةُ حَمَزَةً (23)
وَاليَوْمَ عَدَّتْنِي القَرِيضُ الأَحْوَصَا (24)
لَوْ لَا رِيَّاحُ رِيَّاحِ (25) لَمْ أَكُ أَمْتِطِي
ذَا الأَخْضَرَ الطَّامِي (26) وَذَاكَ الأَحْوَصَا (27)
وَطَنٌ بغيرِ غِنَى أَحَبُّ إِلَى الفَتَى
مِنْ غُرْبَةٍ تُغْنِيهِ إِذْ لَا مَخْلَصَا
لَوْ عَاشَ لِي عَبْدٌ الغَنِيِّ هُنَا هُنَا
عَيْشِي وَإِنْ فَارَقْتُ رِيْمًا أَمْخَصَا (28)

عَقِصَ (29) الظَّلَامُ عَلَى الصَّبَاحِ وَلَمْ يَكُنْ
لَوْلَا غَدَاثُهُ الظَّلَامُ فَيَعْقَصَا
أَبِي عَلَى ابْنِ ذُكَاءَ (30) إِنْ ذُكَاءَهُ
فَكَ الْمُعَمَّى وَاسْتَبَانَ الْأَعْوَصَا (31)
أَقْلَامُهُ أَسَلٌ (32) تَرَوُّعُ عَدْوُهُ
وَكَلَامُهُ دُرٌّ يَفُوتُ الْغُوصَا
يُضْغِي إِلَى الذِّكْرِ الْحَكِيمِ وَيَقْتَسِي
قُرَاءَهُ وَسَوَاهُ يُقْفُو الْقُصَصَا
وَيُؤَاظِبُ الْكُتَّابَ لَيْسَ بِخَصَائِصِ
عَنْهُ إِذَا كَانَ الْأَصَاغِرُ خِيَصَا (33)
مُتَعَوِّدًا إِلَّا مَحِصَ لَطَرٍ فَه
عَنْ لَوْحِهِ حَتَّى يَغِيهِ مُمَحِّصَا
كَانَ الْمَارِبُ فِيهِ حَتَّى رَابَنِي
وَرَمَّ بَعَيْنَيْهِ أَبِي أَنْ يَخْمَصَا (34)

علي الحصري

« اقتراح القريح واجتراح الجريح » قافية الصاد

من كتاب « أبو الحسن الحصري القيرواني »

للجيلاني بن الحاج يحيى ومحمد المرزوقي .

ص 387 - 390

- الشَّرْح :

- (1) - اسْتَفْرَصَ : صِيغَةٌ اسْتَفْعَلُ هُنَا بِمَعْنَى وَجَدَ الْفُرْصَةَ أَيِ الْمُنَاسِبَةَ. - (2) - الشَّرَى : مَأْسِدَةٌ بِجَانِبِ الْفَرَاتِ يُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ - (3) - تَرَبَّتْ : عُمِّرَتْ بِالتَّرَابِ ، وَالْفِعْلُ وَضِعَ فِي الْمَاضِي لِلدَّعَاءِ بِالشَّرِّ ، بِالْمَوْتِ. - (4) - عَانَهُ : أَصَابَهُ بِالْعَيْنِ. - (5) - أَقْعَسَ ، مُؤَنَّثُهُ قَعْسَاءُ وَالْجَمْعُ قُعْسٌ ، وَ« عَزَّ أَقْعَسٌ » بِمَعْنَى ثَابِتٌ دَائِمٌ. - (6) - أَقْمَصَهُ : قَتَلَهُ مَكَانَهُ. - (7) - هَامِضٌ يَهِيضُ هَيْضًا : كَسَرَ - (8) - حَاصٌ حَمَّصَةٌ

الحق: بَانَ بعد كَثْمَانَ . - (9) - السَّرَارُ : آخرُ ليلةٍ من الشهر . - (10) - تَنَقَّصَ الشيء : أخذَ منه شيئاً فشيئاً . - 11 - لولا : أداة تقيدهُ امتناع الشيء لوجود غيره . - (12) - الخسيس : الجيش العظيم المركب من خمسة أجزاء وهي المقدمة والمؤخرة والمينة والميرة (الجناحان) والقلب . - (13) - مُنْكَصٌ : اسم الفاعل من نَكَصَ ، وأصل الفعل نَكَصَ يَنْكُصُ نَكْصاً ونُكُوصاً عن الأمر : أَحْجَمَ عنه فهو ناكصٌ - (14) - الأَخْمَصُ : القَدَمُ . - (15) - أَنْشَرَ : صيغة أفعل للمبالغة والكثرة من نَشَرَ يَنْشُرُ نَشْراً ونُشُوراً . نَشَرَتِ المرأةُ بزوجهَا ومنه وعليه : اسْتَعَصَتْ عليه وأَبْغَضَتْهُ . - (16) - ما أَنْشَصَ : مرادفُ ما أَنْشَزَ . - (17) - هَبَّ : الأمر من وهَب . يقال «هَبْنِي فَعَلْتُ» أي احسبني وهي كلمة للامر فحسب تنصب مفعولين . - (18) - قَلَّصَ : الفعل المتعدي إلى مفعول من قَلَّصَ يقلص قلوصاً : تَقَبَّضَ - (19) - تَثَوَّى : مضارع ثَوَى : مات - (20) - الجزيرة : جزيرة الأندلس . - (21) - العملات : جمعٌ مفردة اليعملة وهي الناقاة . - (22) - المحلُّ : جمع المَحُولِ والأَمْحَالِ : الشدة ويعني بها خرابُ القيروان وأهوال الزحف الهلالي عليها . - (23) - حمزة بن حبيب أحد القراء السبعة ولد بالعراق وتوفي بخلوان سنة 156 هـ / 772م . - (24) - الأَحْوَصُ (علي الأنصاري) : شاعر حجازي كان يشبب بالنساء الشريفات فنفسى وسجن وكان لاذع المهجاء يهابه الناس لذلك : ذكره الحصري هنا لشهرته . - (25) - رياح : قبيلة رياح من بني هلال الذين حربوا القيروان سنة 449 هـ . - (26) - الأَخْضَرُ الطَّامِي : كناية عن البحر والشاعر يهابه . - (27) - الأَحْوَصُ : الصفةُ من حاصٍ يحوص حَوْصاً : ضَيْقُ (الأحوص) : الضيق (العين) . - (28) - أحمص : ضامرُ الحشا ، من صفات الجمال . - (29) - عَقَصَ الظلام على الصبّاح : التوى عليه . - (30) - ذُكَاءٌ : اسم علم للشمس غير منصرف ، والكلمة مشتقة من ذكت النار - و« ابن ذُكَاء » : الصبحُ لأنه من ضوء الشمس - (31) - الأَعْوَصُ مؤنثه العوصاء : الغامض الغريب - (32) - أَسَلٌ : جمع مفردة أسلّة : الرمح . - (33) - خَيْصٌ : جمعٌ مفردة خائصٌ ضدّ مؤايب من خاصٍ يخيصُ خَيْصاً : قَلَّ - (34) - خصم الجرحُ : ذهب ورمه .

— أسئلة :

- 1) - عانتى علي الحصري فضلا عن مأساة عمّاه ثلاث نكبات في حياته أشار إليها في هذا القصيد ، فما هي ؟ عيّن الأبيات الدالّة عليها. - 2) - تَمَرَدَ الوالدُ التَّأَكْلُ على القدرِ ثُمَّ انْقَادَ لَهُُ بدافع ديني ، أَوْضِحْ ذلك بأدلة لغوية وتعبيرية تستمدّها من الأبيات. - 3) - هل سلك الحصري في رثاء صبيّه أسلوباً تقليدياً متمثلاً في مدح فقيد أم جاء بجديد في هذا الغرض ؟ ابسُطْ رأيكَ بِدِقَّةٍ. - 4) - أين تنكشفُ نفسيّةُ الضّريرِ في هذا القصيد ؟ - 5) - بماذا يفتخو الحُصري ؟ 6) - اشترك صدر البيت الأول وعجزه في قافية واحدة ، فماذا يسمّى ذلك في البديع والعروض ؟ - 7) - حاول أن تضبط خصائص لغة هذا القصيد من حيثُ الجرسُ الموسيقي والمستوى اللغوي والمهارة في الجناس والطباق والصناعة اللفظية بعامة .

فَهْتَ الزَّمَانِ (الكامل)

لَا رَاقِنِي إِلَّا الْخَدَّادَ لَبُوسٌ (1)
 بِاللَّهِ يَا عَيْدَا تَبَسَّمِ لِلوَرَى
 هَلْ عَادَةُ الْمَشَاقِ لِبَلَّةٍ عَيْدِهِ
 دَمِي الْمَحَلُّ وَمَا نَحَرْتُ وَإِنَّمَا
 وَسَدَدْتُ بِأَبِي عَنِ عِدَائِي ثَلَاثَةً
 نَارُ الْأَسَى فِي أَضْلَعِي مَشْبُوبَةٌ
 قَدْ فُلَّ (6) صَمْصَامٌ (7) لَدَيَّ مُهَنْدٌ
 غَضْنُ الْمَلَاخَةِ غَيْرَ أَنْ وَقَّارَهُ
 تَتَنِّي مِعَاطِنَهَا الْغُصُونُ وَمَا لَهْ

يَبِينُ الْفُصُونُ مِنَ الْحَيَاءِ (9) حَسِيسٌ (10)
 خَفَّتِ الْعُيُونُ عَلَيْهِ مِنْذُ غَرَسْتُهُ

فَذَوَى كَأَنْ لَمْ يُثْمَرَ الْمَغْرُوسُ
 رَبَّانُ مِنْ مَاءِ الشَّيْبَةِ فَأَنْزِرُ (11)
 لَيْسَ الْجَمَالُ فَخْرُوقَ الْمَلْبُوسُ
 وَلَرُبَّمَا دَعَتِ الشَّيْبَةُ لِلْهُدَى

وَأَضَلَّ شَيْبُ الرَّأْسِ وَالتَّقْوِيَسُ
 تَبَاً لِقَوْمٍ لَا يَبْرُونَ هُدَاهُمْ
 حَتَّى تَشِيبَ عَوَارِضُ (12) وَرُؤُوسُ
 أَبْنِي مُذْ مَنْحَتِكَ مَسْبَتَةٌ لِقَمْلًا (13)

لَمْ يُرْضِهَا يَحْيَى وَلَا اذْرِيَسُ
 وَالْقِيَرَوَانَ حَمَى أَيْكَ وَمَنَايَ
 إِلَّا وَرَبُّعُ الْقِيَرَوَانَ دَرِيَسُ
 نَحْنُ الْبُدُورُ التَّيَّرَاتُ وَمَضْرُنَا
 فَتَكَ شُهْبٍ رِمَاحًا مَخْرُوسُ

نخالُ فَوْقَ الخَيْلِ فِي ظِلِّ القَنَا

أَسَدًا وَقَدَّ وَقَدَّ الغَدَاةَ وَطَيْسُ

لكن أَصَابَتْنَا مَصَائِبُ ذَلَّلَتْ

منهنَّ أُمَّ اللَّيْثِ وَهِيَ شَمْسُوسُ (15)

عَبْدَ الغَنِيِّ اشْتَقْتُ هَلَّ لَكَ أَوْبَسَةٌ

فِي الدَّهْرِ تُرْجَى أُمَّ أبوكِ يَتُوسُ (16)

دِمِّي (17) وَإِن مَلِئْتُ دُمِّي وَجَدَ أَثْقَا

كَالْيَدِ بَعْدَكَ مَا بَهَنَ أَيْسُ

قَبَحَتْ مُحَاسِنُهَا وَضَاقَ رَحِيئُهَا

إِنَّ القُصُورَ عَلَى الكَظِيمِ (18) حُبُوسُ

فَارَقْتَنِي وَسُعُودُهُنَّ نَحُوسُ

وَتَزَيَّنَتْ هِنْدُ بَهَا وَلَمِيسُ

طِفْلاً وَيُبْرِمُ أَمْرَهُ وَيَسُوسُ

وَيُصِيبُ مَعْنَى الشَّيْءِ حِينَ يَقِيسُ

عَقِيْبَهُ يَنْكُصُ (20) مِنْهُمَا إِبْلِيسُ

وَنَعْتِكَ أَقْمَارُ مَعِي وَشَمُوسُ

وَمَعَ الحِسانِ الحُورِ أَنْتَ عَرُوسُ

يَرْحَمُهُ رَبُّ العِزَّةِ القُدُوسُ

حَتَّى رَأَيْتُ لَكَ لَوْحَكَ المَلَكُوسُ

يَلْهَى عَنِ الكُتَابِ صَحْبُكَ نَوْمًا

عِنْدَ الصَّبَاحِ وَهَمُّكَ التَّغْلِيْسُ (21)

وَلَقَدْ تَسَوَّءُكَ لِلبَطَالَةِ حَلْقَةٌ

سَرَرْتَهُمْ أَوْ جُمَعَتْ وَخَمِيسُ

لَمْ تَدَّ غَمٌ فِيهِمْ كَأَنَّكَ مُطْبِقُ (22)

وَكَأَنَّ كَلًّا مِنْهُمْ مَهْمُوسُ (23)

نَعَمَاتُ دَاوُدَ (24) قَرَأَتْ بِهَا فَلَوُ ۖ أَصْنَعِي إِلَيْكَ لِأَسْلَمَ - الْقَسِيْسُ ۖ
 شَتَّانُ نَحْنُ سَكَنْتَ طُوبَى آ مِناً ۖ وَسَكَنْتُ حَيْثُ يَرُوْعِنِي النَّاقُوسُ ۖ
 فِي دَارِ إِسْلَامٍ ۖ وَسَلِّمِ لِلْعَدَا ۖ ضَامَ النَّصَارَى أَهْلَهَا وَمَجُوسُ
 لَوْ كَانَ عَمْرُكَ خَمْسَ عَشْرَةَ حَجَّةً ۖ

لَسَطَّأَ عَلَى الْأَعْدَاءِ مِنْكَ خَيْمِيْسُ ۖ
 وَدَعَتِكَ أَعْلَامُ الْعُلُومِ إِمَامَهَا ۖ

وَتَيَمَّمْتِكَ (25) مِنَ الْعِرَاقِ الْعَيْسُ (6)

لَكِنْ طَوَّوْتِكَ يَنْدُ شَدِيدٌ بِطَشُّهَا ۖ

سَيَّانُ مَرُؤُوسٌ ۖ بِهَا وَرَثِيْسُ ۖ

كُتِبَ الْفَنَاءُ عَلَى بَنِي الدُّنْيَا فَلَمْ يَسَلِّمْ سَلِيْمَانُ (27) وَلَا بَلْقِيْسُ (8)

دَمَعْنِي عَلَى الْقَبْرِ الْأَنْبِقِ جَمَالُهُ ۖ أَبْدَاً وَإِنْ حَبَسَ الْحَبِيْبَ حَيْسُ ۖ

إِنَّ الْمَنِيَّةَ عِلَّةٌ فِي بُرْئِهَا ۖ غَلَبَ الْمَسِيْحُ فَكَيْفَ جَالِيْنُوسُ (29)

علي الحصري

« من ديوان اقتراح القريح واجتراح الجريح »

نفس المرجع - ص: 421-425

- الشرح :

- (1) - لَبُوسُ (الأولى) جمع مفردة لِبَسٌ وهو ما يلبسُ من الثياب - (2) - وَلَبُوسُ (الثانية) من الألبسِ واللَّبَسِ بمعنى الالتباسِ أي الشبهة والإشكال. والكلمتان من المشترك. - (3) - التَّعْيِي : مصدر نَعَى يَنْعِي : أخبر بالوفاة. - (4) - الرَّسِيْسُ : مصدر رَسَ يَرِسُ : دَقَّنَ. والرَّسِيْسُ : الدَّفَنُ : ووجع أول الحمى. - (5) - إنسان النجس : ما يرى في سوادها أو هو سوادها. - (6) - فُلٌّ : فعل مُسْتَدٌّ إلى نائب الفاعل : ثَلَمَ. - (7) - الصَّنْصَامُ : صفةٌ لِسَيْفٍ لَا يَنْثَنِي. - (8) - ابْتَرَّ : فعل مُسْتَدٌّ إلى نائب الفاعل على صيغة افعل من بَرَّ يَبْرُ بَرّاً : سَلَبَ قَهراً - (9) - من الحياء : « مِنْ » هنا تَفِيدُ التَّعْلِيلَ أي « من أجل الحياء » - (10) - الْحَسِيْسُ : الصوت الخفي (11) - نَائِرٌ : اسم الفاعل من نار يَنُورُ نَوَراً ونِياراً : أضاء. - (12) - عَوَارِضٌ : جمع

مفردُهُ عارضةٌ : ما يستقبلك من الشيء ، والسنّ التي في عرضِ القم. (13) -
« مَنَحَتَكَ سَبْتَةٌ للعلا » : هنا دليل على أنّ الطفل عبد الغني ولد في مدينة سبتة
وكان الحصري موجوداً بها حوالي سنة 465 وهو في طريقه إلى الأندلس. وولادة عبد
الغني كانت حسب إشارة أخرى في سنة 475 هـ. (14) - يحيى وإدريس : من ملوك
الغرب - (15) - شَمُوسُ : جامحةٌ مُمتعة. (16) - يُوُوسُ : فَعول من يئس :
قَتَطَ - (17) - دَمَنُ : جمع مفردة دَمْنَةٌ : آثار الدار. (18) - الكظيم :
المكروب. (19) - الحلي : جمع مفردة الحليّة : ما يُزَيَّنُ به من مصوغ. (20) - نكصَ
على عَتَبَيْهِ يَنكُصُ نكصاً ونكوصاً : رجع عمّاً كان عليه - (21) - التَغْلِيْسُ :
مصدر غَلَسَ : سار : بغلَسٍ وهي ظلمة آخر الليل. (22) - مُطْبِقُ : اسم الفاعل
من أَطْبَقَ لِطَبَاقاً ، وحروف الإطباق أربعة : ص ض ط ظ. (23) - حروف الهمس
عشرة يجمعها قولك (حثة شخص فسكت) - (24) - داوود : هو الملك النبي. اشتهر
في صباه بمقتل جليات الجبار. وداود أبو سليمان الحكيم وأحد أجداد المسيح أيام ملكه
بين 1000 و 974 ق. م. إليه ينسب سَفَرُ المزامير. (25) - تَيَمَّمَتَكَ : قَصَدَتَكَ. -
(26) - العيسُ : الواحد أَعيس والواحدة عيساء : الإبل البيضُ يخالطُ بياضها سوادُ
خفيف ، وهي كرامُ الإبل. (27) - سليمان الحكيم : ملك بني إسرائيل (نحو
1008 - 978 ق. م) - (28) - بَلْقَيْسُ : اسمٌ أطلقه العرب على ملكة سبا التي جاءت إلى
سليمان الحكيم لتلقني عليه الألفاظ وتسمع أقوال حكيمته. (29) - جالينوس
(galien) (131 - 201) طبيب يوناني. له اكتشافات خطيرة في عالم التشريح. اشتهر
به أئمة أطباء العرب.

— أسئلة :

- 1) - ما نوع الإستفهام في البيت الثالث ؟ (2) - ما هي المناقب التي نسبها علي الحصري
إلى صبيّه ؟ (3) - قُمُ بَضْبُط المعاني الإسلاميّة الواردة في هذه المرثية. (4) - في هذا
الشعر صدى لوضعٍ سياسيٍّ خطيرٍ كان يلقى الحصري زمن إقامته بالأندلس ، فما هو ؟
- 5) - ما هو نوع ثقافة علي الحصري كما تتجلى من هذا القصيد ؟ (6) - أبداع الشّاعر
المنكوب في تصوير لوعته فهل لك أن تبين إبداعه بالاستناد إلى الصّور الشّعرية ولفّة
القصيد وأسلوبه ؟

قَطَعَ الضَّرَامِي كَبِدِي (الكامل)

بدأ مرض عبد الغني بن أبي الحسن الحصري بالرعاف الذي استحال إلى نزيف مزعج وقد صور الحصري تلك الآلام التي كان يعانيها صغيره وهو يختصر :

لا شفاني الدمعُ إلاَّ بالشَّرْقِ
وَبَحَّ (3) عيني سلبتُ قُرَّتْهَا (4)
وَلَدِي فَارَقْتُ لَا بَلَّ كَبِدِي
لا أبالي بعد أن فارقْتُـهُ
لا أحبَّ النَّسْلَ بَعْدَ ابْنِي وَلَا
بأبي غُضِنُ (5) ذوى حين زها
شَقَّتِ الشَّمْسُ عَلَيْهِ جِيْبَهَا (6)
كان دمعي قبل فقداني لهُ
نَهَكَتُهُ عَلَّةٌ مَبْدُوهَا
عَدَرْتَهُ أُمُّهُ لَكِنْ وَفَّتْ
لا تَلْمِني في البُكَاءِ لو كان من
قَطَعَ الضَّرَامِي كَبِدِي
أطفأ السَّقْمُ بِرَغْمِي نُورَهُ
فكلاناً في دَمٍ مُشْتَحِطاً (11)
أذْبِيحُ أم جَرِيحٌ وَجْهُهُ

فَأَدِيمُ (12) الحُسْنِ مِنْهُ مُخْتَرَقٌ
وتلاشى لحمهُ والجِلْدُ رَقٌ
تسرك الأَجْفَانِ قَرَحِي بِالْأَرْقِ
ربمّا نامَ ثلاثاً في نَسَقِ
زادتِ الأوصابُ واشتدَّ القَلْبُ
أم سَقِيمٌ عَبَثَ السَّقْمُ بِهِ
كَرَبُهُ (13) من كَرَبِ كَانَتْ بِهِ
ولقد كان على أوصابهِ (14)
وإذا استيقظَ من نَوْمَتِهِ

وإذا ما أعجبوا من نوميه
 كان يشفيني إذا قبلتُهُ
 كان يشفيني وفيه رمق
 ليلة الموت دعائي فدعا
 وهو يندى عرقاً من ظمئه
 ولقد مرغتُ في مضرعه
 روضة غير من أزهارها

كُلَّ قَان (15) و غَضِيض (16) وَيَقِق (17)
 ذَبُلَ النَّسْرِينُ وَالرَّوْدُ النَّدِي
 فَشَجَا إِذْ لَا الْجُفُونُ انْطَبَقَتْ
 قَلَّص (18) التَّشْنِيجُ (19) مِنْهُ شَفَا
 ضَاعَفَتْ حَزَنِي عَلَيْهِ مَيْتَةً
 وَلَقَدْ أَبْقَى الرَّدَى مِنْ حُسْنِهِ
 تَمَّ أَمْرُ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لَهُ
 لَسْتُ أَلْقَى الدَّهْرَ إِلَّا بِالرَّضَا
 بَرَدَ اللَّهُ فُؤَادِي إِنْ أَنَا
 خَرَقَ الشُّكْلُ جُفُونِي بِالْبُكََا

فمتى يبرقعُ صبري ما خرقُ
 شاقني عرفُ (23) ثرى تحتلهُ
 ليت جنبي منك بالجنب التصقُ

علي الحصري

من « ديوان اقتراح القريح واقتراح الجريح »
 نفس المرجع ص 411 - 417

التشرح :

- (1) - كَلَسُوا : الأمر من كَالٍ بِكَيْلٍ كَيْلًا الشَّيْءُ : عَيَّنَ كَمَيْتَهُ وَمَقْدَارَهُ .
- (2) - إِنْسَانٌ عَيْنٍ : ما يُرَى في سوادها أو هو سوادها. - (3) - وَيَنَحُّ : كلمة تُرْحِمُ وتَوَجِّعُ . - (4) - قُرَّةٌ : مصدر ، يقال « قُرَّةٌ عَيْنِي » أي ما تَقَرُّ به عيني وتُسَرُّ . - (5) - بأبي غَضُنٌ : أي غَضُنٌ مَفْدِيٌّ بأبي - (6) - شَقَّتِ الشَّمْسُ عَلَيْهِ جِيهًا : تعبير مجازي بمعنى طلعت الشمس على النَّجْمِ فَنَابَ . - (7) - وَالْجَيْبُ شَقٌّ الثَّانِيَةُ : بمعنى خرج المَرْزُقُ كَسَابَةً عن الدَّمْعِ . - (8) - مَتَى : اسم شرط جزم فعلين - (9) - مُرْتَفَقٌ : اسم الموصول من ارتفق وأصل الفعل رَفَقَ يَرْفُقُ رَفَقًا فَلَانًا : عامله بِلُطْفٍ - (10) - لِنَضْرٍ وَالضَّرُّ وَالضَّرُّرُ : الشدَّةُ والضيق وسوء الحال. - (11) - مَشْتَحَطٌ : اسم الضال من اشتحط في الدَّمِ وتَشَحَّطَ به : نَضَرَ به واضطرب فيه. - (12) - أديم : جلد - (13) - الكَرْبُجُ ، كَرْبُوبٌ ، والكَرْبِيَّةُ جُ كَرْبٍ ، الحُزْنُ والمَشَقَّةُ - (14) - الوَصَبُ ج أوصاب : المرض والوجع الدائم ونحول الجسم - (15) - قَانٌ أصله قانِيءٌ : شديد الحسرة ، صفة للأزهار. - (16) - غَضِيضٌ : صفة للأزهار. ج أَعْضَاءٌ وَأَعْضَةٌ م. غَضِيضَةٌ ج. غَضائِضٌ : الطريء وهو من غَضِ الزَّهْرُ وغيره : نَضَرَ - (17) - يَقَى : صفة أخرى للأزهار. ج يَقَانٌ : أي شديد البياض - (18) - قَلَّصَ : كَمَشَّشَ وَقَبَّصَ - (19) - للتَشْفِيعُ : مرادف التقليص - (20) - شَيْتٌ : صفة للخر. تقول : « نَعَرَ شَيْتٌ » أي أَفْلَجَ - (21) - « قَلَّصَ التَّشْفِيعُ شَفَةً عن شَيْتٍ » : هذا تضمين لغوي والتضمين هو تصدية فعل بحرف لا يتعدى به عادة لتقوية معنى ذلك الفعل ، فيصبح « قَلَّصَ » يفيد معناه الأول وهو شتج ومعنى ثانياً وهو كشف لأن « عن » يفيد الفصل. - (22) - التَّرْقُوقُ : مصر. تَرَقَّقَ يَتَرَقَّقُ تَرَقُّقًا وَتَرَقُّوقًا : خَفَّ عند الغضب. - (23) - العَرَفُ : مصر. الراتحة مطلقاً وأكثر استعماله في الطبيعة.

أسئلة :

- (1) - ما هي أهم المشاهد والمواقف المؤثرة في هذه المرثية ؟ - (2) - ما رأيك في وصف علي الحضري أوجاع صبيته من حيث التصوير الفني ؟ - (3) - كيف يعلل الشاعر ها هنا مرض صبيته ؟ - (4) - هل تجد في موقف الوالد المتلعثم لرأى صبيته المحتضر المتشحط بدعه ما يندعمُ واجباً حَقَّقَتْ عليه الأخلاق الإسلامية البتة نحو آباؤهم ؟ - (5) - عيَّن البيت الوارد فيه تصريح . - (6) - عيَّن القافية واذكر هل طابقت التديب ؟

بِاقِلِ الرَّعَافِ (الضعيف)

نَيَّرَاتُ الْأَيَّامِ بَعْدَكَ حُلُكُ
يَا هَلَالاً مَتَى ذَكَرْتُ سَنَاهُ
ظِلْمَةُ الْقَبْرِ مِنْ مُحْيَاكَ نُورُ
شُقِّقَتْ هَذِهِ الْقُلُوبُ لِمَنْعَا
عُدُّ فَدُّذُ بِالْخَطَابِ عَنِّي خَطُوبَا

لَأَدِيمِي أَدِيمٍ مِنْهُنَّ عَمْرُكَ
لَلْيَا لِي عِنْدِي قَنَاءٌ وَنَبَالُ
عَجْبًا لِي أَجْرٌ فِي الدَّهْرِ ذَيْلِي
مَرَّ عَيْدِي فَمَا سَفَحْتُ دَمًا إِلَّا
إِنْ أَخَذْنَا سِلَاحَنَا أَوْ تَرَكْنَا
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى هَلَالِ سَعِيدِ
لَمْ يَرْقِنِي حَتَّى بَدَأَ آفَلًا فَاثُ
يَا خَلِيلِي هَلْ بِشَمْسِ الضُّحَى الْيَوْمِ
مَاتَ عَبْدُ الْغَنِيِّ قَرَّةُ عَيْنِي
كَانَ عَبْدُ الْغَنِيِّ رِيحَانَةَ النَّفْثِ
وَإِذَا شِيدَ بَيْتٌ مُجِيدٌ أَثِيلُ (5)
يَافِعُ (6) نَافِعُ زَكِيٌّ ذَكِيٌّ
شِبْهُهُ مِنْ قُطْعَتِ لِمَرَّاهُ أَيْدِ
وَكَأَنِّي يَعْقُوبُ (8) بَشَاءٌ وَحَزْنًا
غَيْرَ أَنِّي يَتَسْتُ مِنْهُ وَيَعْقُو
بَعْدَ أَنْ شَاقَهُ ثَمَانِينَ عَامًا
وَإِذَا صَحَّ خَمْسَ مِئَةٍ مَسَا

وَحْيَاةُ الْغَرِيبِ دُونَكَ هَلْكَ
يَتَنَاشَرُ مِنْ لَوْلُؤِ الدَّمْعِ سَلْكَ
وَتَرَاهُ مِنْ طَيْبِ رِيَّاكَ مَسْكَ
كَ وَإِنْ لَمْ يُشَقَّ عَنْهُمْ مَسْكَ

أَدِيمٍ مِنْهُنَّ عَمْرُكَ
خَيَّلَتْ أَنَّهُنَّ عُرْبٌ وَتُرْكُ
وَأَنَا فِي يَدَيْهِ رَهْنٌ وَمَلْكَ
لَا مِنْ الْعَيْنِ وَالْمَعِيشَةِ ضَنْكُ (2)
فَسَوَاءٌ فِي الْمَوْتِ أَخَذْتُ وَتَرَكْتُ
يَنْقُصُ الْبَدْرُ وَهُوَ يَنْهَمِي وَيَزْكُو
فَطَرَّتْ لِلْعُلَا سَمَاءٌ وَحَبْكُ (3)
مَ كَسُوفٌ وَبِالْبَسِطَةِ دَكُّ
فَسَلَا الثُّكُلُ هَلْ لِعَانِيهِ فَكُّ
سَ وَمَرُّ الضَّنَى إِذَا اشْتَدَّ نَهْكَ (4)
فَعَمَادُ عَبْدِ الْغَنِيِّ وَسَمْكَ
عَقْلُهُ مَعْقَلٌ وَسِيمَاهُ نُسْكَ
وَالَّذِي إِعْتَدْتَهُ لِلْقَطْعِ مَتْكَ
فَالِ اللَّهِ مِثْلَ شِكْوَاهُ أَشْكُو
بُ رَأَى يُوسُفًا وَعُقْبَاهُ مُلْكَ
وَهُوَ يَكِي وَلَوْعَةُ الشُّوقِ تَذْكُو
يَلْبَثُ الْمِصْطَفَى دَفِينًا فَوَشْكَ (9)

ن وخمسٌ وليس في البعث شكٌ
 نتلاقى وثم فبوتٌ ودركٌ
 بطوبى وذآ البكائم صحكٌ
 لك (10) حسامٌ له مضاءٌ وفنكٌ
 بدمٍ طلتهُ من الأنفِ سفنكٌ
 في بحارٍ لم يجرفيهن فلنكٌ
 عبراتٍ فيهن للسر هتنكٌ
 كنت مثل النصار (12) أصفاهُ سبنكٌ
 دأبها في أببك غدرٌ وفركٌ
 أنراها تبكي إذا آب سفنر (13)

ما البقايا منهن الا ثلاثو
 ثم ألقاك في النشورِ وأنسى
 وعسى الله ان يقربني منك
 يا قتيل الرعاف كيف نبأ من
 يا قتيل الرعاف أعزرت علينا
 يا قتيل الرعاف إني غريبٌ
 سجزت (11) بالقليل وامتلات من
 علّة لو أفقت منها لسعدى
 أتري أمرضتك فرقة أم
 أنراها تبكي إذا آب سفنر (13)

إن تسألهم هل عشت أم مت يحكوا
 أنا أبكي عليك ميلء جفوني والأعادي متى بكيتك يبكوا

علي الحصري

(ديوان اقتراح القريح واجتراح الجريح).

من كتاب «أبو الحسن الحصري القيرواني»

للجيلاني بن حاج يحيى ومحمد المرزوقي. ص 351 - 353

الشرح :

- 1 - مسكٌ بفتح الميم : الجلد - 2) - الضنك (مص) من ضنك يزنك : ضاق.
- والضنك : الضيق من كل شيء للمذكر والمؤنث - 3) - الخبيكة : ج حبانك وحبك : طريقة النجوم في السماء. فيقال «السماء ذات الحبك» أي ذات الطرائق الحسنة أو الخلق الحسن - 4) - نهك (مص) نهك ينهك : أفنى - 5) - أثيل :
- بين الأصالة - 6) - يأفع ج يفععة ويقعان : غلام ترعرع وناهر البلوغ - 7) - متك : الأترج والأترنج : ثمر شجره من جنس الليمون يقال له أيضاً «الترنج»

8 - يعقوب : هو النبي المذكور في القرآن. رُزق إثنا عشر ولدا أشهرهم يوسف الحسن. - 9 - « وإذا صحَّ... شكَّ » (البیتان 21 و 22) : تعلم من هذين البيتين تاريخ وفاة عبد الغني. فإذا طرحنا 35 من 500 بقي لدينا 465 يضاف إليها 10 سنوات مضت من الهجرة إلى وفاة النبي محمد عليه السلام كانت النتيجة 475. وعمر الصبي آنذاك 9 سنوات. - 10 - نَبَاً مِنْكَ : أصابك ضدَّ نَبَا عَنْكَ - 11 - سَجَّرَتْ : فعل منسوب إلى نائب الفاعل من سَجَّرَ الماء : فَجَّرَهُ - 12 - النُّصَارُ : الذهب والفضة - 13 - قَوْمٌ سَفَرٌ : أي مسافرون.

اسئلة :

- 1 - مَنْ هو الغريب المُشار إليه في البيت الأول وكيف تطل هطبا الشعور بالخرية؟
- 2 - بِمَنْ شَبَّهَ الشَّاعر صبيّه في البيت السابع عشر؟ - 3 - تَبَيَّنَ الشَّاعر في البيت الثامن عشر قرابةً بين مأساته ومأساة النبي يعقوب ، فما هو وجه الشبّه؟ -
- 4 - أين يظهر النّفس الإسلاميّ ها هنا؟ 5 - كيف صوّر الشاعر الدّهر في حكاية مأساته وهل أتى بجديد في هذا المعنى؟ - 6 - ما هو وجه الطّرفة في إشارك الشّاعر الطّبيعة في لوعته؟ من أين استمدّ صورته الفلكيّة؟ - 7 - حاول أن تضبط الصّفات التقليديّة والصّفات الجديده المذكورة للفقيد في تعداد مناقبه - 8 -
- تنكشف في هذا القصيد براعة علي الحصري اللغوية ، أوضحها بأمثلة دقيقة. - 9 -
- حاول أن تضع هذا الشّعر في مقامه من المطبوع والمصنوع. - 10 -
- قارن بين تصوير ابن الرومي لتزيّف ابنه الأوسط وبين تصوير علي الحصري لتزيّف صبيّه عبد الغني.

فَزِيدِي (مخلع البسيط)

- قديم -

المسلم الشكلاَن لا يطغى عليه اليأس لأنه يلتمس في المعاني الإسلامية ما يستغف عنه الرُّءء كما يبيته موقف الحصري عندما قصد صيا له عزيزاً :

شربت من كوثر الخُلُودِ
لربك المُبتدي المُعيدِ
دمعي وعبد الغني مودي
أحسنت يا مقلتي فزيدي
دمع نثير على الخُدُودِ
بل تحنت - اذلم أمت - عهودي
فأين مني قوى الجليدِ
منذ هوى كوكب السُعودِ
أودعته غير مُستعيدِ
في موقف الوعدِ والوعيدِ
هد اسمهُ قسوة الأُسُودِ
من عزّ وابتسز (5) بالجنودِ
وجدتُ بالمالِ أيّ جُودِ

خذُ يدي واسقني إذا ما
دُعائي أسمعُ هناكَ واضرع (1)
دام بكائي وكيف يرقا (2)
دمعي لعبد الغني نهسب (3)
درّ نظيم (4) وآخر من
دنت له بالسوفاء سُكُلا
دقنت قلبي وحسن صبري
دجا نهاري فكيف ليلى
دفعت قلبي إليك رهناً
دعه يكفنيك شاهداً لي
دينن يقضيه كل حسي
دارت رحاه فبات طحناً
دارت فيك الأساة جهدي

علي الحصري

«ذيل اقتراح القريح واقتراح الجريح»

نفس المرجع ص 464 - 465

تعليق : بحرٌ مخلَعُ البسيط هو «مستفعلن فاعلن فعولن» مرة في الصدر ومرة

في العجز .

- الشرح :

- (1) - اضْرَعُ : الأمر من ضَرَعَ يَضْرَعُ ضَرَعًا وَضَرَعًا يَضْرَعُ ضَرَاعَةً إليه : خَضَعَ وتَدَلَّل. (2) - يَرْقَأُ دَمْعِي : من الرَقْو وهو الارتفاع أي يزول دمعي - (3) النَّهْبُ (مصر) ج النَّهَابُ : الغَنِيْمَةُ . (4) - تَنْظِيمُ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ أَيْ مَنْظُومٌ وكذلك نَثِيرٌ وَالصَّيْفَتَانِ شَعْرِيَّتَانِ. (5) - ابْتَضَّ افْتَعَلَ بِمَعْنَى غَلَبَ.

أسئلة

- (1) - ما هو العنصرُ العقائديُّ الإسلاميُّ الذي اعتمده عليُّ الحصريُّ في البيتين الأول والثاني عندما رجأ صبيتهُ الفقيدُ أن يُعِينَهُ على الفوز بالفسران يوم الحشر واعتبره منقذه من العذاب؟ (2) - ذكر الشاعرُ في البيت الخامس نوعين من الدرِّ، فما هما؟ -
- (3) - يُعَلِّمُكَ عليُّ الحصريُّ في تفجُّعه على صبيه معاني إسلاميةً مثل الصبر في ظروف الفواجع وذلك بصفة مباشرة وواجب البرِّ بالوالدين بصفة غير مباشرة. أوضح ذلك؟ -
- ماذا توحى لك قافيةُ هذه المَثِيَّةِ؟ (5) - بيِّنْ خصائصَ أسلوبِ هذه القطعة.

قَبِي عَلَى رِبَاطٍ (مخلع بسيط)

- تقديم :

عَوْدَتَا الشُّعْرَاءِ أَنْ يَكُونَ الرَّثَاءُ عِنْدَهُمْ غَرَضًا تَقْلِيدِيًّا بِاعْتِبَارِهِ مُجَرَّدَ مَدْحٍ
فَقِيدٌ فَجَاءَ عَلِيُّ الْحِصْرِيُّ فَكَانَ الرَّثَاءُ عِنْدَهُ تَعْبِيرًا عَنِ تَجْرِبَةٍ صَادِقَةٍ وَتَصْوِيرًا لِمَعَانَاةِ
مَأْسَاةِ

وَفَلَّ صَمَّصَمَتِي (3) الصَّرَاطَا (4)
لَمَّا اسْتَوَتْ قَامَتِي شَطَاطَا (5)
قَطَعْتَ مِنْ قَلْبِي النَّيَاطَا (6)
أَفْرَرْتُ عَيْنِي بِهِ اغْتَبِاطَا
لَوْ صَانَهُ اللهُ لِي وَحِاطَا
هَدَاهُ فِي مَهْنَدِهِ الصَّرَاطَا
يُدْنَسُ الْعَرِضُ وَالرِّبَاطَا (8)
وَحَاوَلَ الْحِجَّ وَالرِّبَاطَا
وَأَصْبَحَتْ فِرْوَتِي بَسَاطَا
فَأَيْسَ بُرْهَانَ مَا تَعَاطَى
أَحْسَبُهُ يُذْبَحُ اشْتِحَاطَا
وَكَنتُ أُدْرِي لَهُ نُشَاطَا
فَإِنَّ قَلْبِي عَلَيْهِ شَاطَا
وَاخْتَلَطَتْ بِالْدَمِّ اخْتِلَاطَا

زَوَالِكَ (1) دَهْرِي فَفَلَّ (2) رُكْنِي
طَاطَاتُ لِلْحَادِثَاتِ رَأْسِي
طَالِبْتِي يَا زَمَانَ حَتَّى
طَرَفْتَنِي (7) فِي الْحَبِيبِ لَمَّا
طَمَعْتُ فِي أَنْ يَكُونَ مِثْلِي
طِفْلٌ تَعَالَى وَجَلَّ رَبُّ
طَهْرَهُ وَالْكَيْسِرُ رِجْسٌ
طَابَ فَلَوْ عَاشَ حَازَ عَلَيَّ
طُثْتُ مِنَ التُّكْلِ يَوْمَ أُوْدَى
طَرَفُ الْمُدَاوِي عَمٍ وَإِلَّا
طَيِّبَهُ - لَا سَلَمَتْ (9) مَالِي
طَرَّازُ مَجْدٍ هَدَا سَكُونًا
طَهَ وَيَسَائِينِ عَوْدًا نِي
طَاعَتْ لِعَيْنِي الدَّمُوعُ فِيهِ

علي الحصري

« ذيل اقتراح القريح واقتراح الجريح »

نفس المرجع ص : 469 - 470

الششرح :

- حَوَى الدَّهْرُ الشَّيْءَ : نَحَاهُ وَمَنَعَهُ وَذَهَبَ بِهِ. - (2) - فَلَّ يَفْلُ فَلَاً : تَلَسَّمَ - (3) -
الصَّمَصَامَةُ : السَّيْفُ لَا يَنْتَشِي ، وَيُقَالُ لَهُ أَيْضاً الصَّمَصَامُ ، وَالْكَلِمَةُ صَفَةٌ لِمُوصُوفٍ.
(4) - الصَّرَاطُ : بَضْمُ الصَّادِ صِفَةٌ لِلسَّيْفِ الطَّوِيلِ التَّقْطَاعِ ، وَالصَّرَاطُ بِكسْرِ الصَّادِ :
الطَّرِيقُ - (5) - الشَّطَّاطُ يَفْتَحُ الشَّيْنَ وَكسَرَهَا : حَسَنَ الْقَامَةَ وَاعْتَدَلَهَا. - (6) - النَّوْطُ
(مَص) جَ أَنْوَاطٍ وَنِيَاطٍ مِنْ نَاطٍ يَنْوُطُ نَوْطًا وَنِيَاطًا الشَّيْءَ : عَلَّقَهُ . وَالنِّيَاطُ : مُمْتَلِقٌ
كُلِّ شَيْءٍ - (7) - طَرَفْتَنِي : مِنْ طَرَقَ يَطْرُقُ طَرْقًا : أَتَى لَيْلًا إِشَارَةً إِلَى الْمَوْتِ. - (8)
الرِّيَاطُ : الثِّيَابُ - (9) - «لَا سَلَمَتَ» : الْمَاضِي يَدُلُّ عَلَى الدَّعَاءِ.

أسئلة :

- (1) - ماذا كان الشاعر يتمنى لابنه عبد الغني أن يكون؟ - (2) - ما هي أروع صورة
في وصف مأساة الوالد هاننا؟ (3) - اضبط قائمة في المفردات الإسلامية الواردة في
هذه المراثية. - (4) - ما هي المفردات الدالة على شدة التبايع الحصري لمراى صبيته
المحتضر؟ علل اختياره إياها. - (5) - الأديب الحق هو من يضحكك ويبيحك ،
فهل أبكاك الحصري بيكائه في هذه المراثية؟

ظلمتني يا زمان في (مخلع البسيط)

- تقديم :

شعرُ الحصري في رثاء عبد الغني - على جزائمه وكثرة لفظه غير المألوف - غنائي مهموس لا تشعر وأنت تُردده بصخب الصنعة لأنه نابع من أعماق النفس معبر عن معاناة بأساة صادقة كما تبيته هذه الشكوى :

وَصَاقَ بِي بَعْدَهُ اللَّحَاظُ (1)
نُزِرَهُ فِي حُسْنِهَا اللَّحَاظُ (2)
أَمَّا وَإِنْ كَانَ لِي اتَّعَاظُ
مُحَرِّقٌ حَشْوُهُ شُورَاظُ (6)
وَاللَّفْظُ وَالْحِفْظُ وَالْحِفَاظُ (7)
بَلْ عَدَلَ اللَّهُ لَا أَعَاظُ (8)
فَلَمْ يَكُنْ بَيْنَنَا مِظَاظُ (9)
صَرَفُ زَمَانٍ لَهُ عِظَاظُ
عَلَى ظَبِي (11) سَلَّهَا الْكَظَاظُ (12)
سَيَانَ هَلْ يَنْفَعُ احْتِفَاظُ
لَمْ يَجْلِهْ قَوْمِي الْفِظَاظُ (4)
بِأَسْهُمٍ مَالَهَا دِلَاظُ (15)
وَرُبَّمَا رَقَّتِ الْغِلَاظُ

طَالَتْ لِيَالِي مُذْ تَوَلَّى
ظِلِّي (3) أَرَى رَوْضَتِي ذَوْتَ إِذْ
ظَفْرِي يَدُ الْمَوْتِ قَلَمْتَهُ (4)
ظَهْرِي بِهِ مُنْقَضُ (5) وَقَلْبِي
ظَرْفُ أَبِيهِ عَلَيْهِ يَبْدُو
ظَلَمْتَنِي يَا زَمَانُ فِيهِ
ظَفَرْتُ بِي وَاتَّقَيْتُ رَبِّي
ظَمِئْتُ إِذْ حَالَ دُونَ وَرْدِي
ظَبِي الْمَنِيَا (10) مُغْلَبَاتِ
ظَبْنِي كِنَاسِ (13) وَلَيْتُ غَابِ
ظَلَامٌ خَطْبِ عَلِيٍّ دَاجِ
ظَهَرْتُ لَكِنْ رَمَتِكَ عَيْنِي
ظَعَنْتُ يَا ابْنِي فَذَابَ قَلْبِي

علي الحصري

(ذيل اقتراح القريح واجتراح الجريح)

نفس المرجع - ص 470 - 471

— الشرح :

- 1) - اللَّحَاطُ (الأولى) : فناء الدَّار. - 2) - الاحْطَ (الثانية) : (مص) جمعٌ مفردة اللَّحَاطُ ويجمع أيضاً على الحَاظ : باطن العين. - 3) - « ظَلِّي » : الخطاب لولده الذي شَبَّهه بظله. - 4) - قَلَمَ الظَّفَرُ : قطع ما طال منه ويقال « فلان مَقْلُومُ الظَّفَرِ : ومَقْلَمُهُ » أي ضعيف ذليل. - 5) - مُنْقَضٌ : اسم المفعول من أَنْقَضَ بمعنى أَثْقَلَ. - 6) - الشَّوَاظُ والشَّوَاظُ : لهبٌ لا دخان فيه. - 7) - الحِفاظُ بكسر الحاء : الذبُّ عن الحرم والحميَّة. - 8) - أَعَاظٌ : مضارع مسند إلى نائب الفاعل من عَاظَ مُعَاظَةً وَعِظَاظاً فلاناً وعَاظَهُ : لاجَهُ وَخَصَمَهُ. - 9) - مَظَاظٌ (مص) مَآظٌ فلاناً : خاصمته وشاتمته. - 10) - « ظَبْيِي المَنَايا » الظَّبْيَةُ ج ظَبْيٌ وظُبَاتٌ : حدَّ السيف أو السِّتَان ونحوهما وهنا حدَّ الموتِ - 11) - ظَبْيِي (الثانية) نفس الكلمة بمعناها الحقيقي أي حدَّ السيف - 12) - الكَظَاظ (مص) كَاظٌ : عارك عراكاً شديداً - 13) - الكَنَاسُ ج أَكْنَسَةٌ وَكُنُسٌ : بيت الظبي - 14) - فِظَاظٌ مفردة فِظٌ : الغليظ السبيء الخلق. - 15) - دِلاظٌ (مص) دالظه أي دافعه.

— أسئلة :

- 1) - ما هو موقف الوالد التَّأَكَّل تجاها الدَّهْر وكيف تفسره ؟ (2) - ما هي المفردات الدَّالَّة على حرقة الوالد التَّأَكَّل ؟ علل اختيار الشَّاعِر لها. - 3) - بَدَاً لنا أن هذا الشَّعر المعبَّر عن الألم ليس صاحِباً. أوضِح ذلك بأمثلة تستمدّها من لغة القطعة.

ضِعَّ فِيكَ حَقِّي (مخلع البسيط)

يرجع الحصري مرض ولده وموته الى ثلاثة اسباب : لطامة اخيه وفراق امه وعين الحاسد وهاهنا يقول ان اخاه الاكبر (ابن الجارية) قد لطمه في غياب والده فنتج عن تلك اللطمة رعاف قضى عليه .

... ضُرِبْتَ بِلْ تَمَّ أَمْرُ رَبِّي
ضَمَّكَ بَلْ ضَمَّرَ نَفْسَهُ بِمَا
ضَامَكَ فِي خَلْوَةِ وَعُنْدِي
ضَيَّعَ - لَا كَانَ - فِيكَ حَقِّي
ضَمَّكَ بَلْ رَبُّكَ ابْتِلَانِي
ضَرَجْتَ ثُمَّ اسْتَحَالَ قَيْحًا

وَرَدُّكَ وَالنَّسْرُ جَسُّ الْغَضِيضُ (4)
ضَجَّ (5) أَبُوكَ الْكَتِيمُ (6) مِمَّا
ضَاعَفَ أَحْزَانَهُ بِسَاءِ
ضَرَمْتَ فِي قَلْبِهِ وَهَيْجًا (7)
ضَحَّايَ حَتَّى أَرَكَ - لَيْلُ
ضَلَلْتُ سُبُلًا وَخُنْتُ عَهْدًا
ضَمَنْتَ مِنِّي الْوَقَاءَ حُرًّا
ضَعِيفُ جِسْمٍ قَسْوِيٌّ عَزْمُ
ضَاعَ (9) لَكَ الْمَسْكُ مِنْ قَرِيضِي

وَلَمْ يَحُلْ دُونَهُ الْجَرِيضُ (10)

علي الحصري

«ذيل اقتراح القريح واقتراح الجريح»

نفس المرجع ص 477 - 478

- الشرح :

- (1) - هَاضَ يَهِيضُ هَيْضاً فلان العظم : كَسَرَهُ بَعْدَ الجُورِ . - (2) - الأمرُ مستفيضٌ : مُتَشَرٌّ - (3) - أَرِيضُ صفةٌ من أرضٍ يَأْرُضُ أَرْضَةً المكانُ : كَثُرَ عَشْبُهُ وازدهى وحسن في العين . - (4) - الغضِيضُ : الطريء - (5) - ضَجَّ يَضِجُ ضَجْجاً وَضَجِجاً : صاح وجَلَبَ لفزعهِ من شيءٍ أخافه - (6) - الكَظِيمُ : المكروب . - (7) - وهيجُ (مص) وَهَجَّ يَهيجُ : اتفَسَدَ . - (8) - عَمَّنا يَعْتُونُ عِناهُ وَعَمُّوا الأمرُ عليه : شَتَّ - (9) - ضَاعَ : فَاحَ وانتشر أريجُه . - (10) - الجَرِيضُ : الريقُ يَفِضُ به ، والشَّاعِرُ هنا يشيرُ إلى المثل « حال الجريض دون القريض » أي حال المهم الذي يفصّ به دون الطرق .

أَسْئَلَةُ :

- ١ - اختار الحصري في حكاية مأساة صبيّه عبد الغني أسلوباً تصويرياً قصصياً ، فما هي خصائصه ؟ - (2) - إن اعتبرت أن الشاعر الثاكل توصل إلى إدخالك في جوّ نكبته ، فما هي وسائل تأثيره عليك ؟ - (3) - هل تجد في لغة القطعة وفي معانيها ما يشهد بأن الشاعر كان متعاطفاً مع صبيّة الراحل متعاطفاً شديداً ؟

غالبني الدهر في حبيبي (مخلع البسيط)

عزّت (1) على الواله (2) المعزى (3)

ميتك المرة المساع
 غالبني الدهر في حبيبي
 ومارغت (4) للنوى رواع
 غاب الهلال السعيد عنّي
 وأسكت الجوهر (5) المناغي (6)
 أزهى فأزرى بكلّ باغ (8)
 ذوى ومذوبه غير باغ (9)
 ومقلتيه دمّ الدمّ باغ
 غلّاه من أنفه وقبسه
 حمراء مقبوحة الصباغ
 غلّاة (10) أضرمّت غليلي (11)

غسلته إذ جرى بدمعي
 وكيف أرقبه وهو طاغ
 غيضته (12) ما استطعت حتى
 زاد وأفضى الى الفراع
 غر (13) يا مصابي به وأنجد
 كلّ فؤاد إلّسي صاغ
 غربي وشرقي تحدياني
 حتى بغى القرب كلّ باغ
 غيلان دانّت له القوافي
 ولم يصغ شعره مصاغي
 غظت حسودي فظلّ يلغى
 في شرفي والجسود لاغ (14)
 غيري يسوغ المحال فيه
 والحقّ أولى بالانسباغ
 غاية آمالي استجب لي
 أين الذي فيك من بلاغ

علي المصري

«ذيل اقتراح القريح واقتراح الجريح»

نفس المرجع ص 480 - 481

- الشَّرْح :

- 1 - عَزَزَ الشيءَ : صُعبَ فكَادَ لا يَقْوَى عليه - (2) - الوالهُ : اسم الفاعل من وَلَّاه يَلِّههُ وَآوَأَ : حزن حزناً شديداً حتى كاد يذهب عقله - (3) - الْمُعَزَّى : الصَّابِرُ - (4) - رَغَاً : المبحر يرغو : صارت وضجَّ - (5) - الجواهر يظهر أن المقصود بالجواهر هنا هو الكلام المنظوم - (6) - المناغي اسم المفعول من ناغى : كلَّم بما يعجب - (7) - الباع : قدر مدَّة اليدين - (8) - الباغ : الفرس المختال في مشيه مرحاً. - (9) - وباغ (الثانية) من باغ يبوغ بوغاً : عادَل (10) - غلالسة ج غلالل : ما يدخل في الشيء كالشعار يلبس تحت الثوب - (11) - غليل : عطش شديد - (12) - غَيْضَ دمعته : حبسه. - (13) - غُرَّ : الأمر من غارَ يغورُ الماء : ذهب في الأرض - (14) - لَغَاً يَلْغَى لَغْواً وَلَغِيَّ يَلْغِي لَغْياً في قوله : أخطأ وتكلَّم من غير رويَّة.

- أسئلة :

- 1 - من أروع ما في مرثي الحصري صُورُ التَّزْييف ، فكيف تعلَّل إبداع الشَّاعر فيها وهو لا يرى الصُّورة ؟ - (2) - من بين أسباب مرض عبد الغني وموته يذكر الحصري عين الحاسد ، فهل ترى مبرراً لهذا الاعتقاد عنده ؟

شعر علي الحصري آية من آيات الفن البشري

علّم من أعلام الأدب العربي المعدودين تَبَرُّزُ صورتهُ عملاً قيّةً في هذا الكتاب («أبو الحسن الحصري القيرواني») الذي قضى في اعدادهم. المرزوقي ثم ج. بن الحاج يحيى زما غير قصير طال أثناءه انتظار أهل العلم والأدب فما خاب أملُ الامالِ ولا ضاع سَعْيُ من سَعَى فأعيد الى هذا الأديب الفذّ ضياؤه الساطعُ بعد أقولِ نَجْمِه قرونا.

والكتابُ تعريفٌ بالرجلِ ومحاولةٌ جمع لما بقي من آثاره الأدبية من شعر ونثر. : ومن هذه الاثارِ استخرج المؤلفان ما اكتملت به صورةُ علي الحصري وقد كانت ذاوية في ما ترجم به له القدماء خاصة ابنُ بسّام في الذخيرة.

وُلدَ علي الحصري حوالي سنة 420 بالقيروان ونزح عنها عند خرابها على أيدي أعراب بني هلال فقصد سبتة ثم طوف بالأندلس يستجلبه ملوك طوائفها بأسنى الهدايا ويعب طلابها من بحر أدبه وعلومه اللغوية والقرآنية ويحترق أدباؤها وعلمائها حسداً من أجله فيكيدون له المكائد فيقارعهم راداً حاجياً متحدياً في نخوة و صلف وكبر كبير الى أن هدّ الدهر من قواه بوفاة أعزّ أبنائه عليه عبد الغني حوالي سنة 475 بعد غدر زوجه وفرارها منه وكان بها شغوفاً فاجتاز العُدوة سنة 483 كسير القلب حسيروا واستوطن طنجة يُعلّم القرآن الى ان مات بها سنة 488.

تركت هذه الأحداث في نفس الشاعر الكفيف أثرا أذكت له حساسيته لهيباً أجاجاً فبكى القيروان في رقيق الحنين الى الاوطان ودوت لمذائحه وأهاجيه بلاطات ملوك الطوائف وتهاطلت على علماء المغرب والاندلس تعاليمه والغازه العلمية نثرا ونظما فاستحق لقب «الاستاذ

الأعلى». ولكن الحدث الأعظم في حياة الرجل وفن الأديب هو موت ابنه عبد الغني صبياً يافعاً فتفطر له كبده واحتترقت مهنجته وراح يندب رزه الجلال ويُعدّد خصال صبيته الفذّ ويستعرض أحداث حياته وعزّ آبائه وحسد حسّاده وصموده في وجههم وظهوره عليهم وفي كلّ ذلك كلمه يدمى فتعلو شكواه في أنّه لا تنتهي ويذكر أن الله أوصى بالصبر فيجزع لجزعه ويستغفر من ذنبه هذا في نشر مستجمع يبتدئه بالوعظ والإرشاد والمزهد ويختمه بالابتهاال وطلب العقوب ويضمّ التسمين النثر ثم الشعر في كتاب يجمعه بعد خمس سنوات من وفاة ابنه ويُسمّيه كتاب «اقتراح القريح واقتراح الجريح» وينبذ ما عدا ذلك مما قاله من أشعار فلا يحفل بها ولا يعتني بجمعها بل تركها - كما قال - «لن يعيها فيسرقها أو يدعيها بغير كسب ويملكها بغير نشب» فكانت هذه المصيبة في ابنه سبباً في ضياع أشعار خمسين سنة تقريباً «سحر بها العقول» على حدّ قوله هو فرزيء فيها الادب العربي ولم يبق منها الا شذرات مبعثرة في المخطوطات والمطبوعات جهد المؤلفان في جمع شيء منها .

ووصلنا كذلك «معشرات» علي الحصري وهو فنّ ينظم فيه الشاعِر قصائد على عدد حروف الهجاء كلّ قصيدة ذات أبيات عشرة قافيتها وحرفها الاول أحد حروف المعجم وموضوعها واحد وهو عند الحصري الغزل .

ويذهب بنا الظنّ الكبير إلى أنّها من وحي مأساته بفرار زوجته الشابة، هجرته لشيبته وكان يحبّها الى حدّ الهيام. فاذا صحّ افتراضنا هذا كانت «معشرات» الحصري من الشعر الوجداني الصادق الناشيء عن ضيابة نعلم صحتها ومدى عنفها فتكون بذلك أروع ما عرفه الأدب العربي من أغاني الغزل الصافي الكئيب.

فشعر علي الحصري في « المعشّرات » واقتراح القريح واجتراح الجريح » يكشف لنا عن شاعرٍ وُجداني عديم النّظير في الأدب العربيّ فلا نعرف من كان مثله صادق الصبابة واللوعة في شعرٍ ضمّ قرابة ثلاثة آلاف بيت هو كلهُ «أنة» متواصلةٌ من قلبٍ جريحٍ لا يعرفُ لانسكابِ عاطفتهِ الحرّى نُضوباً. وهكذا يجتمع لدى الحصري الشّاعر لوعة العاشقِ واحتراقُ الثّاكلِ وبراعةٌ لغويّ حَضَعَتْ لمشيئتهِ العربيّة وأسرارها وقوافيها وأوزانها فينشأ من كلّ ذلك شعرُ « المعشّرات » و« اقتراح القريح واجتراح الجريح » آية من آيات الفنّ البشريّ لا العربيّ فحسب .

فالآن حان لأدباء العربية أن يراجعوا النّظر في منزلة رثاء المهلهل والخساء وغزل جميل وصرير الغواني وغيرهم من فحول الشعر « الغنائي » عند العرب حتى يتبوا شاعرُ القيروان الكفيف منزلةً أزاحه عنها حسدُ الأتراب وتعصبُ الأدباء أمثال ابن بسّام وعبد الواحد المراكثي ومررُ الأحقاب وعبثُ الإهمال والنسيان . . .

الشاذلي بويحيى

نقد كتاب « أبو الحسن الحصري القيرواني »
تأليف محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحيى
حوليات الجامعة التونسية
العدد: الأول سنة 1964 ص 125 - 128

اسئلة :

(1) - ما هي أسبابُ مأساةِ علي الحصري كما ذكرها النّاقِد هائنا ، وما هو أعظمُ جدث في حياة ذلك الشّاعر الضّرير ؟ - (2) - حصر النّاقِد خصائص شعر علي الحصري في ثلاث نقاط ، فما هي وهل تبيّن في ذلك الشعر خصائص أخرى ؟ - (3) - ما هي الدّعوة التي توجه بها هذا النّاقِد إلى الأدباء وهل تجد لها مبرراً في ما درست من شعر علي الحصري ؟

النسيب

بِالْإِلَّهِ الصَّبُّ مَتَى غَدُهُ (الخبب)

- تقديم :

قصيدة مدح به الحصري الأمير أبا عبد الرحمن محمد بن طاهر صاحب (مرسية) ويشتمل على (99) بيتا منها 23 بيتا الأولى في النسيب وتخلص في الرابع والعشرين الى مدح صاحبه. وقد ذاعت شهرة القصيدة فطبق الآفاق واقتتن به الشعراء فعارضوه بعشرات القصائد كما اقتتن به المطربون فلحنوه وغنوه :

أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَسْوَعِدُهُ
 أَسْفُ لِلْبَيْنِ يُرَدُّدُهُ
 مِمَّا يَرَعَاهُ وَيَرُصُّدُهُ
 خَوْفُ السَّوَاشِينِ يُشَرِّدُهُ
 فِي النَّوْمِ فَعَزَّ تَصَيُّدُهُ
 لِلسَّرْبِ (5) سِبَانِي أُغْيِدُهُ
 أَهْوَاهُ وَلَا أَتَعَبُّدُهُ
 سَكْرَانُ اللَّحْظِ مُعَرِّبُدُهُ (6)
 وَكَأَنَّ نَعَّاسًا يَغْمِدُهُ
 وَالْوَيْلُ لِمَنْ يَتَقَلَّدُهُ
 عَيْنَاهُ وَلَمْ تَقْتُلْ يَسْدُهُ
 وَعَلَى خَدَّيْهِ تَسْوَرْدُهُ
 فَعَلَامَ جَفَوْنُكَ تَجْحَدُهُ
 وَأَظُنُّكَ لَا تَتَعَمَّدُهُ
 فَعَلَلْ خِيَالِكَ يُسْعِدُهُ
 صَبُّ يَدَيْكَ وَتُبْعِدُهُ
 فَلَيْبِكَ عَلَيْهِ عُوْدُهُ (13)
 هَلْ مِنْ نَظَرٍ يَتَسْرُودُهُ

بِإِلَّهِ (1) الصَّبُّ (2) مَتَى غَدُهُ
 رَقْدَ السَّمَارِ فَأَرْقَهُ
 فَيَكَاهُ النُّجْمُ وَرَقَّ لَسَهُ
 كَلْفُ (3) بَغْزَالِهِ ذِي هَمِّفِ (4)
 نَصَبَتْ عَيْنَايَ لَهُ شَرَكَا
 وَكَفَى عَجَبًا أَنِّي قَنِصُ
 هَنَمٌ لِلْفَتْنَةِ مُنْصَبُ
 صَاحِ وَالْخَسْرُ جَنَّتِي فَمِيدُ
 يَنْضُو (7) مِنْ مَقْلَتِهِ سَيْفًا
 فَيُرِيْتُ دَمَ الْعَشَاقِ بِهِ
 كَلَا لَا ذَنْبَ لِمَنْ قَتَلْتُ
 يَا مَنْ جَحَدَتْ عَيْنَاهُ دَمِي
 خَدَاكَ قَدْ اعْتَرَقَا بَدْمِي
 إِنِّي لِأَعْيِذُكَ (8) مِنْ قَتْلِي
 بِاللَّهِ هَبْ (9) الْمَشَاقِ كَثْرِي (10)
 مَا ضَرَكَ لَوْ دَلَوِيَتْ ضَنْبِي (11)
 لَمْ يُبْشِقْ هَوَاكَ لَهُ رَمَقًا (12)
 وَغَدَاً يَقْضِي (14) أَوْ بَعْدَ غَدِ

بالدمع يفيض مـورده
وظُروفُ الدهرِ تُبَعْدُهُ
لولا الأيَّامُ تُنكِّدُهُ
لنُؤادِي كيف تجلُّدُهُ
غيري بالباطل يُفسدُهُ
عبد الرحمن مُحمَّدُهُ
والحُرَّ الطَّيِّبُ مـولده...

يا أهلَ الشُّوقِ لنا شَرَقُ
يهوى المشتاقُ لِقَاءِ كُمْ
ما أحلى الوصلَ وأعذَّبَهُ
بالبينِ وبالهجرانِ فَيَا
الحُبَّ أعفَ ذوبه أَنَا
كالدهرِ أجَلُ بَنِيه أبو
العَفِّ الطَّاهِرُ مـثزَّره (15)

علي الحصري

من كتاب « أبو الحسن الحصري القيرواني »
لمحمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحيى
مكتبة المنار - تونس 1963
ص 143 - 144

تعاليق :

(1) - « يا ليلُ الصبِّ... » قصيد سار سيرووة كبرى منذ عصر صاحبه إلى عصرنا الحاضر ،
فعارضه الشعراء في بحره وموضوعه ومعانيه ، ومن ضمنهم ابن الأثير الشاعر الكاتب
صاحب « تكملة الصلة » لابن بشكوال وقد قتله المستنصر بتونس سنة 658 هـ. ومن
المعاصرين عارضه أبو القاسم الشابي ومصطفى خريّف وجعفر ماجد وأحمد شوقي وبشارة
الخورى وجميل صدقي الزهاوي وغيرهم كثير. وأقبل المطربون والمنشدون على قصيد
علي الحصري بصوغون له الألحان ولحن الأستاذ محمد عبد الوهّاب معارضة شوقي للقصيد
المذكور. (انظر المعارضات في كتاب « أبو الحسن الحصري القيرواني » لمحمد المرزوقي
والجيلاني بن الحاج يحيى ط. تونس 1963 ص 137 - 201 - 2) - « يا ليلُ الصبِّ متى
غُدُّه ». اختلف الأدباء في إعرابها إلى وجهين : الوجه الأول : (يا ليل الصب)
بفتح اللام الأخيرة في (ليل) وكسر باء (الصب) على أنه منادى مضاف ، ويكون الضمير
في (غده) إما راجعاً إلى الليل فيكون فيه (التفات) أي (يا ليل الصب ، متى غد ليل الصب)

أو واجماً إلى الصب. وفي الجملة تجريد ، فكأن الشاعر يقول (بالإلى متى غدك) الوجه الثاني (يا ليلُ الصب) بضم لام (ليل) وضم باء (الصب) فتكون كلمة (ليل) مبنية على الضم في محل نصب على النداء ، وجملة (الصب متى غده) مبتدأ وخبر.

- شروح :

- 3 - كَلَفٌ : من كَلَفَ يَكْلِفُ كَلْفًا به : أَحَبَّهُ حُبًّا شديداً وأولع به فهو كَلَفٌ. والكَلَفُ : الولوع بالشيء مع شغل قلب ومشقة. - 4 - هَيْفٌ : من هَافَ يَهَافُ وَهَيْفٌ يَهَيْفُ هَيْفًا وَهَيْفًا. - وَهَيْفَتِ الحِسناءُ : ضمر بطنها ورقَّتْ خَصرُتها وهي هيفاء ج هيفٌ. - 5 - السَّرْبُ : ج الأَسرابِ : القطيع من الظباء والطيور وغيرها. - 6 - مُعْرَبَةٌ : هنا شديد الشكر وبإقامة الشديد من كل شيء - 7 - يَنْضُو : مضارع نَضًا السيف من غمده : كَلَفٌ - 8 - أَعِيدُكَ من أَعَوَدَ إِعْوَادًا الرَّجُلَ : دَعَا له بالحفظ وقال له : أَعِيدُكَ بِاللَّحْمَةِ شَدِيدًا اللهُ ، وأَعَادَهُ هنا أي حفظه - 9 - هَبِ : الأَمْرُ من وَهَبَ يَهْبِي هَبًّا هَبًّا : كَرِهَ - نَعَامًا - 11 - الضَّنْيُ : الضمف والمزال من شدة المرض وهنا من فرط العشق - 12 - الرَّمَقُ : بقية الحياة. - 13 - عَوَدٌ وعوائد وعائدات جمع مفردة العائدة وهي التي تزور المريض - 14 - يَقْضِي مضارع قَضَى بمعنى مات - 15 - المْتَرَرُ هو الإزارُ.

- أسئلة :

- 1) ما هو نوع الحب الذي تغني به علي الحصري ها هنا ؟
- 2) هل تمثل روعة هذا النسيب في معانيه أم في الصياغة والخراج أم في المبنى والمعنى معاً حسب نظرك ؟ دعم جوابك بأدلة !
- 3) ماهي الوسائل الفنية التي استعملها الشاعر ليأخذ بمجامع لُبِّ القاريء ويُرَقِّصه على نغمه الحلو ؟
- 4) ما رأيك في تخلص الشاعر من الافتتاح بالنسيب الى المدح ؟

ملاحظة :

يكون من المفيد افتتاح الدرس بصوت فيروز في أغنية «يا ليل الصب» .

- تقديم :

كلمة « المعشرات » جاءت من عددٍ عشرةٍ وأطلقها الحصري على قصائد نظمها على حروف المعجم ، كل قصيدة بها عشرة أبيات مبتدأة ومقفاة بحرف من حروف الهجاء التسعة والعشرين مع لا وهذه القصائد كلها متحدة الموضوع وهو الغزل . ويظهر أن الحصري هو مبتكر المعشرات التي راجت عند الأندلسيين بخاصة وان كان لزوم ما لا يلزم قد وجد عند المعري قبله .

ثلاث سلبن القلب (الطويل)

بَمَلَّتْ (1) بِذَكَرَاهَا وَطَبِئْتُ كَشَارِبِ .
 لَهَا بِالثَّانِي تَارَةً وَالثَّالِثِ
 ثَلَاثُ سَلْبِنِ الْقَلْبِ حُسْنِ عَزَائِهِ
 وَالْبِسْنِي ثَوْبِي خَلِيعِ (2) وَنَاكِثِ (3)
 ثَقَالَةٌ رَدَفِيهَا وَرِقَّةٌ خَضْرَاهَا
 وَسِحْرُ الْعُيُونِ الْقَائِلَاتِ الْبَوَاغِثِ (4)
 ثَقِفْتِ (5) بِعَيْنَيْكَ الْأَسْوَدَ كَأَنَّمَا
 هُمَا سَيْفٌ جَبَّارٌ بِقِتْلَادٍ عَابِثِ (6)
 ثَقِي بِي عَلَى ذَا النَّأْيِ إِنِّي لَتُقْسِمُ
 بِعَيْنَيْكَ لَا أَشْكُو وَلَسْتُ بِحَانِثِ
 ثُبوتاً عَلَى الْعَهْدِ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا
 إِذَا غَيَّرَ الْأَحْبَابَ صَرْفُ (7) الْحَوَادِثِ
 ثَنَّنِي صُرُوفُ الدَّهْرِ عَنْكَ وَمَا انْتَشَى
 فُوَادِي فَجَسْمِي رَاحِلٌ مِثْلُ لَابِسِثِ
 ثَمَارُ الْمُنَى مَنْ يَجْنِيهَا دُونَ الْفَيْسِ
 يَجِدُ طَيِّبَاتِ الْعَيْشِ مِثْلَ الْخَبَائِثِ

تُلِيْمَتْ (8) صفا صبري فأورثني الضننى

فويحُ غريبٍ للضننى منكِ وارثِ

ثَوَايَ (9) على جمر الغضا (10) من فراقكم

فهل من خيالٍ عن غرامِي باحيثِ

علي الحصري

نفس المرجح - ص 215

- تعليل :

- « المعشّرات » : يبدو أن الحصري هو مبتكر هذا النوع من الشعر الدال على امتلاك قائله ناصية القوافي وحذقه التأم اللغة. ومن بين أصحاب « المعشّرات » المتأخّرين عن علي الحصري نذكر أبا محمد عبد الله بن ابراهيم بن هاشم التميمي المتوفى حوالي 500 هـ وقد نظم معشّرات في الحب والزهد ومدح النبي عليه السلام ، كما نذكر أبا محمد عبد الله بن السيد البطلانيوسي (الأبدلسي) المتوفى سنة 521 وله معشّرات في الزهد وأخرى في الغزل ، ومحبي الدين بن عربي الصوفي الشهير المتوفى سنة 638 هـ وغيرهم كثير . (انظر نماذج من معشّراتهم في كتاب «أبو الحسن الحصري القيرواني لمحمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحيى ص 205 - 209)

وموضوع « معشّرات » الحصري هو اليكاء على حب ضائع وليس من المستبعد أن تكون لوعدة الشاعرة متأية من غدر زوجته الشابة الجميلة وهي أم عبد الغني الذي فقدته بسبب زيف . ولا نعلم عن تلك المرأة شيئاً كثيراً . والإشارات الواردة في شعره عنها تفيد أنها فارقت لانها كانت شابة وهو شيخ وكان يجها الى درجة العبادة وذلك هو سرّ تهرقه عليها . وقد تعلقت بشاب بربري انتقلت معه من الاندلس الى الشاطئ الإفريقي (انظر ديوان اقتراح القريح واجترار الجريح ، قافية الطاء ، نفس المرجع ص 339 - 342)

الشرح :

- 1 - تَمَلَّتْ : من تَمَلَّ يَتَمَلَّلُ تَمَلُّلاً : أخذَ فيه الشَّرَابُ فهو تَمَلُّلٌ -
- 2 - الخَلِيعُ : المَتَهَتَكَ - 3 - النَّاكثُ : اسمُ الفاعلِ من تَكَثَّ يَنْكُثُ نَكْثاً العَهْدَ أو البَيْعَ : نقضه ونَبَذَهُ - 4 - البِوَاعُثُ : ضدُّ القَاتِلَاتِ ، مفردة البِوَاعِثَةُ من بَعَثَ بمعنى أثارَ وميَّجَ وأقام - 5 - ثَقِفْتُ : من ثَقِفَ يَثْقِفُ ثَقْفاً : ظفر به أو أدركه - 6 - عَابَثَ : بكسر الشَّاءِ صفةٌ لَجِبَّارٍ - 7 - صَرَفُ الدَّخْرِ وصُرُوفُه : نوابِيه وحدثانُه : - 8 - ثَلَمْتُ : ذهبَ شيءٌ ماله - 9 - ثَوَايَ : الاسمُ من ثَوَى يَثْوِي ثَوَاءً : المكانُ وفيه وبه أقيم - 10 - النِّضَا : الواحدةُ منه غُضَاةٌ شجرٌ خشبه من أصلبِ الخشبِ وجمعه يَبْقَى زمناً طويلاً لا يَنْطَفِي

- أسئلة :

- 1) - عَرَفْتُ الحَبَّ العُدْرِيَّ عندَ جَمِيلٍ والإِبَاحِيَّ عندَ عَمْرِ بنِ أَبِي رِيعةَ ، فما نوع الحَبِّ الذي نَفَثَ به عليّ الحِصْرِيَّ ها هنا وما هي ميزاته ؟ هل تعرف شعراء وأدباء أندلسيين وصفوا مثل ذلك الحَبِّ وتغنوا به ؟
- 2) - هل خيَّرَ الحِصْرِيَّ الصِّفَاتِ الجِمالِيَّةَ للمرأة بالعيان أم اغتسرها من ثقافته الحِصْرِيَّةِ ومن ذوق عصره وهل تكفي الصفات المذكورة في البيت الثالث لأخذ صورة كاملة عن امرأته المثالية ؟
- 3) كيف يبدو لك الشَّاعِرُ العاشقُ ها هنا ؟

مواضيع مقالات

1) جمع أبو الحسن الحصري في غزله بين الوصف والتحليل فتغنى بمفاتيح الجمال وأبدع في تصويرها، وحلل النفوس فكشف عما تعانیه من تباريح العشق والهيام ، فبلغ في غزله الجودة في الوصف، وصفاء الشعر الوجداني في التحليل.
توسع في هذا القول وأيده بأمثلة من غزل الشاعر .

2) حياة الحصري مليئة بالأحداث الفاجعة لكن أعظم حدث في حياة الشاعر وأعظمه اثرا في نفسه وفنه الشعري هو موت ابنه « عبد الغني » الذي أنساه كل الأحداث. وظل يبكيه وكبده تحترق، ويندبه وقلبه يتفطر .

حلل هذا القول مبينا مظاهر الصدق الوجداني في رثاء الشاعر ^{صبيحة} .

3) قيل ان علي الحصري بلغ قمة فن الرثاء في الأدب العربي ، فكيف تعلل تفوقه على الشعراء في هذا الغرض وما هي خصائص رثائه ؟

4) عاني علي الحصري في حياته عدة نكبات كان لها عميق الأثر في شعره بعامة وفي ديوانه « اقتراح القريح واقتراح الجريح » بخاصة . حلل .

منصرفان قیروان نبی و محمد و مینا



مَكْتَبَةُ لِسَانِ الْعَرَبِ

رابطہ پدیل
lisanerab.com

أ. علاء الدين شوقي

www.lisanarb.com



twitter مكتبة لسان العرب



facebook مكتبة لسان العرب



instagram مكتبة لسان العرب



سَفَرَاتُ

فَصْرُ الصُّورِيَّةِ (صَبْرَةٌ)

— تقديم :

قال علي بن محمد الإيادي ه يصف القصر الذي أنشأه المنصور بن القائم بصبرة (المنصورية) سنة 337هـ. بعد انتصاره على صاحب الحمار.

ولمَّا اسْتَطَالَ المَجْدُ واستَوَلَّت العُلَا
 عَلَي النَّجْمِ وامتدَّ الرُّوْقُ المَرَوِّقُ (1)
 بَنَى قُبَّةً لِلْمَلِكِ فِي وَسْطِ جَنَّةِ
 لَهَا مَنظَرٌ يَزْهِي بِهِ الطَّرْفُ مُوْنِقُ
 بِمَمَشُوقَةِ السَّاحَاتِ أَمَا عِرَاصُهَا
 فَخُضْرٌ وَأَمَا طَيْرُهَا فَهَنِي نَطَّقُ (2)
 تَحِيفُ بِقَصْرِ ذِي قُصُورٍ كَأَنَّهَا
 تَرَى البَحْرَ فِي أَرْجَائِهِ يَتَدَفَّقُ
 لَهُ بِرُكَّةٌ لِلْمَاءِ مِلءُ فَضَائِهِ
 تَخِيبُ بِقَطْرِيهَا العِيُونَُ وَتَعْنِقُ (3)
 لَهَا جِدْوَلٌ يَنْصَبُ فِيهَا كَأَنَّهَا
 حُسَامٌ جَلَاهُ القَيْنُ بِالأَرْضِ مُلْصِقُ
 لَهَا مَجْلِسٌ قَدْ قَامَ فِي وَسْطِ مَا نَهَا
 كَمَا قَامَ فِي فَيْضِ الفُرَاتِ الخَوْرَنْقُ (5)
 كَانَ صَفَاءَ المَاءِ فِيهَا وَحُسْنَهُ
 زُجَاجٌ صَفَّتْ أَرْجَاؤُهُ فَهوَ أَرْزَقُ
 إِذَا بَثَّ فِيهَا اللَّيْلُ أَشْخَاصَ نَجْمِهِ
 رَأَيْتَ وَجُوهَ الزَّيْجِ بِالنَّارِ تُعْرِقُ
 وَإِنْ صَافِحَتَهَا الشَّمْسُ لَاحَتْ كَأَنَّهَا
 فِرْعَنْدٌ عَلَى تَاجِ المِعْزِ وَرَوْتَسِقُ (6)

كَأَنَّ شَرَافَاتِ الْمَقَاصِرِ حَوَّلَهَا -

عَذَارَى عَلَيْهِنَّ الْمِائَةُ الْمُنْتَظِقُ
يَدُوبُ الْجَقَاءُ الْجَعْدُ عَن وَجْهِ مَائِهَا
كَمَا ذَابَ آلُ الصَّحْصَحَانِ الْمُرْقِرِ (7)

علي ابن الإبيادي

الأعلام :

• علي بن محمد الإبيادي : نشأ وتربى بمدينة تونس، ثم التحق بخدمة الدولة العبيدية بالقيروان والمهديّة . وكان أشهر شاعر إفريقي في مدة القائم بن المهدي وولده اسماعيل المنصور . وقد عمر طويلاً ومات في أيام المرزّ لدين الله سنة 365 هـ .

الشرح :

- 1 - الرواقُ : سقف في مُقَدِّمِ الْبَيْتِ . - 2 - مَشْرُوقَةٌ : أَي حَسَنَةٌ -
- 3 - نَجَبٌ : أَي تَعَدُّوْ عَدُوًّا فَيَحِبُّوهُ وَالصُّلُوْ مِنْ السِّيرِ دُونَ الْعُنُقِ - 4 - جِلَاحُ الْقَيْسِ : أَي صَقْلُهُ الْجِدَادُ - 5 - الْخُورَنَقُ : هُوَ قَصْرٌ عَظِيمٌ مَشْهُورٌ فِي التَّارِيخِ وَالْأَدَبِ عِنْدَ الْعَرَبِ أَحَدُهُ الْمُنَزَّرُ بِنِ مَاءِ السَّمَاءِ مَلِكِ الْحَيْرَةِ بِالْعِرَاقِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ .
- 6 - الْفَرَنْدُ : السِّيفُ وَجُوهُهُ وَوَشِيهِ وَالْمَقْصُودُ مِنْهُ هُنَا السَّنَاءُ الْبِرَاقِ وَقَدْ كَانَ الْخَطَفَاءُ يَطْبَسُونَ فِي الْمَوْكَبِ تَبْجَانًا مِنَ الذَّهَبِ مَكْتَلَّةً بِالْيَاقُوتِ وَالْجَوَاهِرِ - 7 - الْجَفَاءُ الْجَعْدُ : هُوَ الْمَزِيدُ الْمَتْرَاكِمُ .

أسئلة :

- 1) في أيّ قسم يندرج هذا الوصف ؟ وعلى أيّ الوسائل البلاغية اعتمد الشّاعر في رسم هذه اللوحة الجميلة ؟
- 2) هل تعرف في هذا الوصف وثيقة أثرية ؟

رَوْضَةٌ

نَسَمَ بِالرَّوْضِ خَفَقَ الرَّيَّسَاحُ
وَأَخْجَلَ الْوَرْدَ شُعَاعُ الضَّحَى
وَقَامَ فِي الدَّوْحِ لِنَعْيِ الدَّجَى
مُدًّا وَلِدَ الصَّبْحُ وَمَاتَ الدَّجَى
وَبَوْمَ دَجْنٍ حُجِبَتِ شَمْسُهُ
فَمَا ظَنَّنَا الصَّبْحَ إِلَّا دَجَى

وَأَقْتَدَحَ الشَّرْقُ زِنَادَ الصَّبَاحِ
وَابْتَسَمَتْ فِيهِ تُغُورُ الْأَقَاحِ
حَمَائِمُ تُطْرِبُنَا بِالصَّبَاحِ
صَاحَتْ فَلَمْ نَدْرِ غَنَا أَمْ نُوَاحِ
وَأَشْرَقَتْ فِي لَيْلِهِ شَمْسُ وَاخِ
وَلَا حَسِبْنَا اللَّيْلَ إِلَّا صَبَاحِ

علي بن الإيادي

سؤال :

هل أجاد الشعراء تشخيص الطبيعة ؟

«... فلم أهدركم أبداً...»

قال ابن عبدون الوراق يرثي زوجته وابنته :

قَبْرٌ بِسُوسَةٍ قَدْ قَبِرْتُ بِهِ النُّهْيِ
أَذْرَجْتُ لِحْدِي فِي مَدَارِجِ لِحْدِهِ
أَسْكَنْتُهُ سَكْنِي وَرَحْتُ كَأَنْبِي
فِي الْأَرْضِ لَا بَشَرًا أَرَى مِنْ بَعْدِهِ
عَجَبًا لِمَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِذَاءَهُ
أَوْ مَدَّ كَفًّا فِي الصَّعِيدِ لَسْرَدِهِ
صَمْتُ عَلَيَّ مَسَامِعِي فِي رِقْمَةٍ
وَضَعُفْتُ مِنْ صَعْقِ الصَّرَاخِ وَرَعْدِهِ
وَجَهَدْتُ أَنْ أَبْكِي فَلَمْ أَجِدِ الْبُكَاءَ
مَاءً بِخَدِّي وَالتُّرَابُ بِخَدِّهِ
مَا الشَّانُ فِي جَزَعِي عَلَيْهِ وَحَسْرَتِي
الشَّانُ فِي قُرْبِ الْخَيْالِ وَبُعْدِهِ
طَالَ انْتِظَارِي لِلْهُدُوِّ وَلَيْسَ لِي
جَفْنٌ يُطَابِقُ جَفْنَهِ فِي رَدِّهِ
هَيْهَاتَ قَدْ مَنَعَ الْهُدُوِّ لَنَا طَيْرِي
قَبْرَانِ : ذَا وَلَدٌ وَذَاكَ لِلسُّودَةِ

ابن عبدون الوراق

الأعلام :

• محمد بن عبدون الوراق : من أبناء مدينة سوسة، شاعر وطبيّ الكلام كلف بمذوية اللفظ والمعنى . ماتت امرأته وابنته في آن واحد ففارق مسقط رأسه وقصد جزيرة صقلية سنة 393 والتحق بأمرها ثقة الدولة الكلبي فأحسن وقادته وأضافه لتربية ابنه جعفر، ثم عاد الى وطنه بعدئذ ومات به سنة 400 هـ .

سؤال :

1) على أيّ شيء يقوم السرثاء في هذه المقطوعة حين ترك الشاعسر تعديد مناقب زوجته وابنته ؟

فِرَاقُ الْقَيْرَوَانِ

قال أبو القاسم الفزاري . يفخر ببلده القيروان حين استولى عليه التاجر أبو يزيد مخلد بن كيداد البربري الخارجي . وكان ذلك بمحضر العلماء والوجهاء سنة 333 هـ (944 م) :

عَدِيلٌ حِينَ يَفْتَخِرُ الْفَخُورُ
وَأِسْلَامٌ وَمَمْرُوفٌ وَخَيْسِرُ
عِرَاقُ الْغَرْبِ بَيْنَهُمَا كَثِيرُ
وَكَيْفُ تُقَاسُ بِالسَّنَةِ الشُّهُورُ
وَتَلْكَ اخْتَطَّ سَاحَتَهَا أَمِيرُ (1)
جَوَانِبَهَا دُعَاءَ لَا يَبُورُ (2)
كَأَنَّ صَفَاحَ أَوْجُهُنَّ بُدُورُ
وَلَيْسَ لَهَا جِدَارٌ مُسْتَدِيرُ
فَقَدَسَتْ الْمَوَاضِعُ وَالصَّخُورُ

فَهَلْ لِلْقَيْرَوَانِ وَسَاكِنِيهَا
بِلَادٌ حَشَوُهَا عِلْمٌ وَحِلْمٌ
عِرَاقُ الشَّامِ بَغْدَادُ وَهَذِي
وَلَسْتُ أَقِيسُ بَغْدَادَ إِلَيْهَا
بِلَادٌ خَطَّهَا أَصْحَابُ بَدْرِ
بَنَاهَا الْمَسْتَجَابُ وَقَدْ دَعَا فِي
بَنَاهَا كُلَّ بَدْرِي كَرِيمٍ
هُمْ صَلُّوا بِمَسْجِدِهَا بِرَاحًا
هُمْ وَضَعُوا لَهَا أَسْأَ وَسَاسًا

أبو القاسم الفزاري

الأعلام :

أبو القاسم محمد بن عبدالله الفزاري ، أحد شعراء القيروان المجيدين ، برع في الأدب واللغة واشتهر بالشعر . كان في أول الأمر من مناهضي الفاطميين بلدم مذهبهم الشيعي في شعره موالة لآراء علماء القيروان وصلحائها ، ولما قلب أبو يزيد صاحب الحمارة على إفريقية مدح شاعرنا انتصاره بأشعار كثيرة ثلث فيها الفاطميين ، ثم لما ظفر المنصور بالله القائم الميمني بالتاجر وأتباعه سنة 336 هـ وأمن أهل القيروان مدحه أبو القاسم الفزاري

• أبو يزيد مخلد بن كيداد الخارجي : يدعى صاحب الحمار، ثار بالجريد وهو من أبنائه على الخليفة الفاطمي القائم سنة 326 / 938 م ، ثم تحوّل الى جبال أوراس. أخذ يدعو الى السنة والانكار على مذهب الشيعة وهو خارجي . وزحف على افريقية في مائة ألف مقاتل وامتلك تونس والقيروان وحاصر القائم بالمهدية وهزمه الخليفة المنصور سنة 336 هـ / 947 م .

الشرح :

1 - مؤسس بغداد هو الخليفة المنصور - 2 - يقصد بالمستجاب، الصحابي عقبة بن نافع القهري، مؤسس القيروان .

أسئلة :

- 1) هل كان الشاعر يفخر بالقيروان أم يرثيها ؟
- 2) هل أي اعتبار فضل الشاعر القيروان على بغداد ؟

قَلَّ السَّيِّئَةُ

- تقديم :

هذه القصيدة قيلت في ظروف الواقعة الشهيرة التي وقعت في القيروان وغيرها من بلدان افريقية سنة 407 هـ والتي فُك فيها جمهور الناس بالرافضة من أتباع الفاطميين في عهد المعز بن باديس أحد أمراء بني زيري .

قال ابن رشيق : صنع ابن زنجي هـ في قتل الرافضة قصيدة قدمها شيخنا أبو عبد الله القزاز هـ على جميع ما صنع الناس كلهم ، وكل قصيدة أخذ منها أو ترك الا هذه فإنها اختيرت بأجمعها « وذكر منها ما كان يحفظ :

سَقَى الْغَيْظَ فِي طَيِّ الضَّمِيرِ الْمُكْتَمِ
 دَمَاءُ كِلَابٍ حُلَلَتْ فِي الْمُحَرَّمِ
 فَلَا أَرْقَ اللَّهُ الدَّمُوعَ الَّتِي جَسَّرَتْ
 أَسَى وَجَوَى فِيمَا أُرِيقَ مِنَ الدَّمِ
 هِيَ الْمِنَّةُ الْعُظْمَى الَّتِي جَلَّ قَدْرُهَا
 وَسَادَتْ بِهَا الرِّكْبَانُ فِي كُلِّ مَوْسِمِ
 فَيَا سَمَرًا أَمْسَى عُلَاكَةً مُنْجَسِدَ
 وَيَا خَبْرًا أَضْحَى فُكَاهَةً مُتْهِمِ (1)
 وَيَا نِعْمَةً بِالْقَيْرَوَانَ تَبَاشَّرَتْ
 بِهَا عُصْبُ حَوْلِ الْحَطِيمِ وَزَمَزَمِ
 وَأَهْدَتْ إِلَى قَبْرِ النَّبِيِّ وَصَحْبِهِ
 سَلَامًا كَعَرَفِ الْمَسْكَ عَن كُلِّ مُسْلِمِ
 عَرَوْنَا أَعَادِي الدِّينِ لِأَلِ الرَّمْحِ يَنْشَنِي
 نُبُوءًا وَلَا حَدُّ الْحُسَامِ الْمُصَمِّمِ
 بِكُلِّ فَتَى شَهْمِ الْفُؤَادِ كَأَنَّمَا
 تَسْرَبَلُ يَوْمَ الرَّوْعِ جِلْدَةَ شَيْهَمِ (2)

إِذَا أُمَّ لَمْ تُشَدِّدْ عُرَى مُتَخَوِّفٍ
 وَإِنْ هَمَّ لَمْ يُحْلَلْ حُبًّا مُتَقَدِّمٍ
 مِنَ الْفَيْسِرِ وَآتِيْنِ فِي الْمَنْصِبِ الَّذِي
 نَمَى وَإِلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ يَنْتَمِي
 وَكُنَّا نَظُنُّ الْكُفْرَ فِي جَاهِلِيَّةِ
 فَتَعَسَّأَ لِكُفْرِي جَاهِلِيٍّ مُخَضَّرَمٍ
 سَبَبْتُمْ عَتِيقًا وَالْإِمَامِينَ بَعْدَهُ
 فَلَمْ تُعْتَقُوا يَوْمَ الْحَرِيقِ الْمُضَرَّمِ (3)
 وَسَوَّوْتُمْ نَبِيَّ اللَّهِ فِي خَيْرِ أَهْلِهِ
 وَأَفْضَلِ بِكْرِي فِي النَّسَاءِ وَأَيْسَمِ
 وَكَمْ عَائِرٍ مِنْكُمْ إِذَا صَافَحَ الشَّرِيَّ
 مِنَ الذُّعْرِ قُلْنَا لِلْيَدَيْنِ وَاللِّفَمِ
 فَلَا تَفْسَقْ فِي الْأَرْضِ أَخْفَى مَكَاتِكُمْ
 وَلَا شَاهِقٌ يُرْقَى إِلَيْهِ بِسُلْمِ
 لَقَدْ رَفَضْتُمْ كُلَّ أَرْضٍ وَبُقَعَةٍ
 وَقَدْ صَرَّخَتْ مِنْكُمْ بِسَاعِ جَهَنَّمَ

ابن زنجي الكاتب

الأعلام :

- ابن زنجي الكاتب : أحد كتّاب الدّواوين متأدّب من العصر الصّنهاجي .
- القزّاز القيرواني : أبو عبد الله محمد بن جعفر التيمي النحوي من أشهر
- شيوخ ابن رشيّق وقد ذكره في أنموذجه وكان له شعر مطبوع مفسّوع والغالب على

مؤلفاته علم النحو ومنها كتاب «ضرائر الشعر» وكتاب «مآخذ حل المتني» وغيرها من الكتب التي وصلتنا أسماؤها « وكانت وفاته بالقيروان سنة 412 هـ وقد قارب السبعين .

الشرح :

1 - المُلاحةُ : التَّمَلُّهُ ، مَا يُتَعَلَّلُ بِهِ - 2 - الشَّيْهَمُ : ذَكَرُ الْمُتَنَانِدِ
3 - «العتيق والإمامان بعده» أبو بكر الصديق وعمر وعثمان رضي الله عنهم

أصطحة :

١) لماذا أظهر الشاعر الشَّماتة والحقد حينما قامت العاصفة في القيروان

بندبح الشَّيعة ؟

2) ما هو موقف رجال الأدب في القيروان من هذه القصيدة؟ - 3) هل تعتبر

هذه القصيدة وثيقة تاريخية للمذبحة التي استباح فيها العاصفة دماء الشَّيعة ؟

4) هل ترى أن هذه المذبحة كانت من أسباب قتلوم الاعراب الهلاليين الى

إفريقية ؟

زَمَنُ الضِّيَاعِ

كانت زحفة الاعراب من بني هلال وبني سليم في آخر عهد المعز بن باديس سنة 449 هـ كارثة قاضية على تهدن البلاد التونسية اذ زعزت أركان الحضارة العربية بأفريقية وذهبت بروثها الالامع كأمس الدأبر وحتمت على السكان الجلاء الى اطراف الأصفاع ما بين المشرق والمغرب فأصبح القطر بعد انتقالهم خراباً مما جعل أحد أبنائها الأديباء - وهو علي بن محمد الخولاني المعروف بالحداد المهدي - يندب حاله، وقد اضطر لبيع جميع كتبه في مسقط رأسه ليتقوى بئمنها على مفارقة وطنه والهجرة الى ثغر الاسكندرية، فأنشد قبل السفر :

قَالَتْ وَأَبَدَتْ صَفْحَاةً كَالشَّمْسِ مِنْ تَحْتِ الفِنَاعِ
بَعَتْ الدَّفَاتِرَ وَهِيَ آخِرُ مَا يُبَاعُ مِنَ المَتَاعِ
فَأَجَبْتُهَا وَيَدِي عَلَى كَيْدِي وَهَمَّتْ بِانْتِدَاعِ
لَا تَعَجَّبِي مِمَّا رَأَيْتِ فَتَحْنُ فِي زَمَنِ الضِّيَاعِ

علي ابن محمد الخولاني المعروف بالحداد
(نقلا عن ورقات ج 1 ص 349 - 350)

أسئلة :

- (1) كيف استطاعت هذه الأبيات القليلة أن تصوّر لك مأساة أهل القيروان بطل هذا العمق رغم بساطة التعبير وسهولة اللفظ ؟
- (2) ما هو قوام الصفاء الشمري في هذه المقطوعة ؟

رَبَاءُ الْقَيْرَوَانِ

حَالَتْ عَلَيَّ الْقَيْرَوَانُ فَحَالَ هَهَا
 عَسَا عَهْدتُ الْعَيْشَ فَهَوَ مُنْغَصٌ
 فَخَرَّابُهُمَا فِي كُلِّ يَوْمٍ زَائِدٌ وَجَنَابَةُ الْمَعْمُورِ فِيهَا تَنْقُصُ
 إِنْ كَانَ أَرْخَصَنِي الزَّمَانُ فِإِنَّهُ أَزْدَى إِلَيَّ بَضَائِعاً لَّا تَرْخُصُ
 أَوْ كَانَ غَيْرَ مِنْ طِبَاعِي مَوْضِعِي
 فَالْخَسْرُ إِنْ تَرَكَتْ وَعَمَاهَا تَمْرُصُ
 كَيْفَ الرَّجُوعُ وَطَرْفُ حَالِي عَامِرٌ
 وَجَنَاحُ آمَالِي الْبَكْسِيرُ مُقْتَصِرٌ
 (أبو الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي)

وله أيضاً في نفس الغرض :
 وَمُعْتَفٍ لِي فِي الْمَقَامِ ضَرُورَةٌ بِالْقَيْرَوَانِ وَمَا بِهَا سُلْطَانٌ
 أَلْتَمَى الْهَوَانَ بِهَا وَكَمِ مِنْ عِزَّةٍ
 قَدْ سَاقَهَا نَحْوُ الرِّجَالِ هَسْوَانٌ
 مَا الدَّرُّ يَنْقُصُ فَضْلُهُ فِي بَحْسِرِهِ
 أَنْ لَيْسَ تَعْرِفُ قَدْرَهُ الْحَيْتَانِ
 كَلَّا وَلَيْسَ الْمَسْكُ يَبْطُلُ عَرْفُهُ
 إِنْ ضَيَّعْتَهُ بِجَهْلِهَا الْغِيزْلَانُ
 مَا عَيْبُ ضَوْءِ الشَّمْسِ عِنْدَ بُزُوعِهَا
 إِذْ لَيْسَ بِدَرْكٍ قَدْرَهَا الْعُمَيْيَانُ
 وَاللَّيْثُ لَا تُنْسَى اسْتِطَالَتُهُ بِأَسِهِ إِنْ ضَمَّهُ فِي جَيْشِهِ خَفَقَانُ
 أَوْ مَا تَرَى الدُّنْيَا بِفَقْدِ مَلِيكِهَا
 طَرْفًا وَلَكِنْ مَالَهُ إِنْسَانُ
 (أبو الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي)

الأعلام :

• أبو الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي :

من أهل الفضل والأدب والشعر ، وفد على القيروان سنة تسع وثلاثين وأربعمائة فتقدم بفضله آدابه عند الكبراء وعرف قدره من الفقهاء حكى عنه ذلك ابن رشيح وقال إنّه أول من أدخل كتاب الثعاليبي عندهم وشهد حصار القيروان معهم وفي ذلك يقول حين شاهد حروبها وخرابها وذكر الآيات. ثم ان أبا الفضل محمداً هذا لما أفضى أمر القيروان الى ما أفضى إليه من الخراب انتقل الى سوسة وأقام بها عشر سنين ثم انتبذ من تلك الساحة وركب البحر فنزل بدانية ثم عجل الارتحال الى بلنسية فأكرم مشواه المأمون بن ذي النون بطليلة وتوفي بها سنة 455 هـ ورثي بصراث كثيرة (انظر ترجمته في معالم الايمان للدباغ ط. القاهرة ج 3) .

أسئلة :

- 1) كيف أصبحت القيروان في نظر الشعاع بعد زحفة الاعراب ؟
- 2) كيف صور الشعاع حالته في زمن الضياع ؟ احص الصور الأدبيّة التي أوردتها الشعاع من باب حسن التعليل .

وصف فيل

قال عبد الكريم النهشلي المتوفى بالمهدية سنة 405 يصف فيلاً أهدي إلى الأمير باديس الصنهاجي :

وأضخمَ هندي النَّجَارِ تُعْدُهُ مُلُوكُ بَنِي سَاسَانَ إِن رَابِهَا أَمْرُ (1)
يَجِيءُ كَطَوْدِ جَائِلٍ فَوْقَ أَرْبَعِ

مُضَبَّرَةٍ لُمَّتْ كَمَا لُمَّتِ الصَّخْرُ (2)
لَهُ فَخَذَانِ كَالكَثِييْنِ لُبْدَا

وَصَدْرٌ كَمَا أَوْفَى مِنَ الْهَضْبَةِ الصَّدْرُ
وَوَجْهٌ بِهِ أَنْفٌ كَرَاوُوقِ خَمْرَةٍ

يَنَالُ بِهِ مَا تُدْرِكُ الْأَنْمُلُ الْعَشْرُ (3)
وَأَذُنٌ كَنِصْفِ الْبُرْدِ يُسْمَعُهُ النَّدَى

خَفِيئاً وَطَرْفٌ يَنْفُضُ الْعَيْبَ مُزَوْرُ
وَتَابَانِ شَقًّا لَا يُرِيكَ سَوَاهِمَا

فَنَاتَيْنِ سَمْرَاوَيْنِ طَعْنُهُمَا بَتْرُ
لَهُ لَوْنٌ مَا بَيْنَ الصَّبَاحِ وَلَيْلِهِ

إِذَا نَطَقَ الْعُصْفُورُ أَوْ عَلَسَ الصَّقْرُ (4)

عبد الكريم النهشلي

الأعلام :

• عبد الكريم النهشلي : شاعر من العصر الصنهاجي مقدم عارف باللغة خبير
بأيام العرب وأشعارها. هو صاحب كتاب « المتع » وأستاذ ابن رشيق القيرواني

الأمير باديس الصنهاجي (386 - 406 هـ)

انتصب بعد أبيه المنصور الصنهاجي على أمانة إفريقية واحضل بولايته وتقليد
الخطيفة الفاطمية إياه أمور المغرب سنة 387 هـ / 997 م حارب قبيلة زناتة النائرة
في المغرب الأوسط حيث استقلّ عنه حنّاد .

الشرح :

1 - الفجأ : الأصيل - 2 - مُضَبَّرَةٌ : مكتنزة اللحم والعظام، يقال جمل مضبور ومضبر
الراووق : إناء كالابريق ذو عتق طويل. 4 - عَلَسَى : صَحِيحًا .

أستطاعة :

- 1) على أي الوسائل البلاغية اعتمد الشاعر في وصف الفصيل ؟
- 2) هل استطاع الشاعر ان يقدم صورة واضحة للعالم والفضائل عن الفصيل
من خلال الكلمة ؟ فكيف تبدو الطاقة التصويرية للكلمة ؟

اختلاف الناس وقلة انصافهم

قال أبو الحسن علي بن أبي الرجال الكاتب يشكو اختلاف الناس وقلة

انصافهم :

أَيَا رَبِّ إِنْ النَّاسَ لَا يُنصِفُونَنِي
 وَلَمْ يُحْسِنُوا قَرَضِي عَلَى حَسَنَاتِي
 إِذَا مَا رَأُونِي فِي رَحَاءٍ تَرَدَّدُوا إِلَيَّ وَأَعْدَائِي لَدَى الْأَزْمَاتِ
 وَمَهْمًا أَكُنْ فِي نِعْمَةٍ حَزِنُوا لَهَا
 ذَوُّ أَنْفُسٍ فِي شِدَّةٍ جَدِيلَاتِ
 ثِقَاتِي مَا دَامَتْ صِلَاتِي لَدَيْهِمْ
 وَإِنْ عَنْهُمْ أَخْرَجْتُهُمَا فَعَدَائِي
 سَأَمْنَعُ قَلْبِي أَنْ يَحِنَّ إِلَيْهِمْ وَأَصْرِفُ عَنْهُمْ قَالِبًا لِحِظَاتِي
 وَالزِّمُّ نَفْسِي الصَّبْرَ دَابًّا لِعَلَّتِي
 أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا كَفَافٌ وَصِحَّةٌ وَأَمِنْ ثَلَاثٍ هُنَّ طَيْبٌ حَيَاتِي

الحنين إلى الوطن

غاب الرئيس أبو الحسن علي بن أبي الرجال مدة عن القيروان فاشتاق إلى رؤية

من كان بها من الأهل والاحباب فأنشد :

رَلِي كَبِدٌ مَكْلُومَةٌ مِنْ فِرَاقِكُمْ
 أَطَامَنُهَا صَبْرًا عَلَى مَا أَجِنْتُ
 نَمْتَكُمُ شَوْقًا إِلَيْكُمْ وَصَبُورَةً
 عَسَى اللَّهُ أَنْ يُدْنِي لَهَا مَا تَمَنَّتْ
 وَعَيْنٌ جَفَاها النَّوْمُ وَأَعْتَادَهَا الْبُكَاءُ
 إِذَا عَنَّ ذِكْرُ الْقَبْرَوَانِ اسْتَهَلَّتْ

علي بن أبي الرجال

قال ابن رشيقي معقباً : « لو أن أعرابياً تذكر نجدا فحنن به إلى الوطن أو تشوق فيه إلى بعض السكن ما حسبته يزيد على ما أتى به هذا المولّد الحضري المتأخر العصر ».

الأعلام :

• عليّ بنُ أبي الرّجالِ : هو أبو الحسن علي بن أبي الرّجال الشيباني رئيس ديوان الإنشاء في الدّولة الصنهاجيّة بالقبروان، ومربّي المعزّ بن باديس الذي ربّاه تربية عالية ولقّنه العلوم. كان مقرباً من السّلطان كما كان موقّراً محترماً من طرف الأدباء، فابن رشيقي ينظر اليه نظرتّه إلى حامٍ كبير يحميه ويحمي أدبه، واليه أهدى كتابه « العمدة » كما قدّم له ابن شرف « مسائل الانتقاد ». وتوفي ابن أبي الرّجال في سنة 426 هـ.

أسئلة :

- 1) هل توافق الشاعر في نظرتّه إلى الحياة في البيت الأخير من المقطوعة الأولى ؟
- 2) كيف كان ابن رشيقي ينظر إلى الشعر ؟ وبأي معيار كان يقيّمه في تعليقه على القطعة الثانية ؟

أَطْلَالِ مَدِينَةِ قَرْطَاجِنَةَ

- تقديم :

قال محرز بن خلف من قصيدة في صف أطلال قرطاجنة :

خَلِيلِي مُرًّا بِالْمَدِينَةِ وَأَسْمَعًا مَدِينَةَ قَرْطَاجِنَةَ ثُمَّ وَدَّعَا
طُلُولًا بِهَا تَبْكِي لِفَقْدَانِ أَهْلِهَا

كَمَا نَدَبَ الْأَطْلَالُ كَسْرِي وَتُبَعًا
وَقَوْلًا لَهَا : مَا بَالُ رَبْعِكَ دَارِسًا

وَمَا بَالُ وَقْدِ قَدْ بَنَّاكِ وَوَدَّعَا
وَحَلَاكِ مِنْ بَعْدِ اجْتِمَاعِ وَغَيْطَةِ

وَمَنْ بَعْدَ تَشْيِيدِ خَلَاءِ وَبَلَقَعَا
نُصْفَقُ فِيكَ الزَّبْحُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

وَقَرَّقَ مِنْكَ الدَّهْرُ مَا قَدْ تَجَمَّعَا
فَمَزَّقَ ذَلِكَ الشَّمْلَ بَعْدَ اجْتِمَاعِهِ

فَلَلَهُ دَهْرٌ مَا أَغْرَّ وَأَفْجَعَا
أَنَاهَا الْجَلْنَدِيُّ بَعْدَ أَلْفِ تَوَالِيَا

فَأَوْصَلَ مِنْهَا كُلَّ مَا قَدْ تَشَطَّعَا (1)
أَقَامَ بِهَا مُسْتَأْثَرَ الْمَلِكِ طَاغِيَا وَمُغْتَصِبَا كُلِّ السَّفَانِ مُقْتَمَعَا

إِلَى أَنْ رَمَتْهُ الْحَادِثَاتُ بِصَرْفِهَا
فَجَرَّرَ ذَيْلًا خَاصِعًا مَتَضَرَّعَا

وَمِنْ بَعْدِهِ الرُّومَانُ يَا صَاحِ قَدْ بَنَى
طَيَّاطِرَهَا ثُمَّ الْقِنَاةَ فَمَا بَدَّعَا (2)

وَأَلْفَ مِنْ بَعْدِ الْعَرِيضَةِ فَرَضَهَا
وَشَدَّ بِيَعُضٍ بَعْضَهَا فَتَجَمَّعَا

تَرَاهَا كَمَا تَمَثَّلَ الْعِقْدِ فِي الْجَيْدِ نَظَّمَتْ
فَلَا بَعْضُهَا يَعْלו عَلَى الْبَعْضِ إِضْبَعًا
فَلَمَّا انْتَهَى بُنْيَانُهُمْ ثُمَّ أَوْصَلُوا
بِهَا مِنْ زُلَالِ الْمَاءِ مَا قَدِ قَرَعَا
وَقَرَقَهُ بَيْنَ الْقُصُورِ جَدَاوِلًا
وَأَفْرَطَهُ حَتَّى أَعَمَّ وَأَشْبَعَا
فَلَمْ يَغْنِ عَنْهُمْ مَا بَنَوْهُ وَشَيَّدُوا
وَمَا مُتَّعُوا فِي الدَّهْرِ مَعَ مَنْ تَمَتَّعَا
وَمِنْ بَعْدِهِ الْبَلْشَارُ أَقْبَلُ زَا حَفَا
بِكُلِّ هُمَامٍ لِلْحُرُوبِ تَدَرَّعَا (3)
مِدِينَةَ قَسْرَطَا جَنَّةً بَعْدَ مَرُوقِ سَفِ
أَتَوْهَا مِنَ الْجَامُورِ فِي لَيْلَةٍ مَعَا (4)
وَسَارُوا إِلَى مَنْ سَارَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ
فِيَا لِفِرَاقِ الْقُصُومِ مَا كَانَ أَسْرَعَا
وَقَدَّ وَوَسَدُوا بَعْدَ الْحَرِيرِ جَنَادِلًا
وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا لِلْحَسْرَاتِ مَدْفَعَا
فِيَا صَا حَبِي إِنْ جُزْتُمَا بِرَبُوعِهَا
خَلِيلِي إِلَّا نَادِيَانِي وَسَمَّعَا
فَلَنْ تَسْمَعَا إِلَّا الصَّدَى بَعْدَ هَاتِفِ
مُجِيبًا لَهَا ثُمَّ الرِّيَّاحَ الزَّعَّازِعَا

محرز بن خلف

الأعلام :

هو الولي الصالح والواعظ الكبير ويتصل نسه بأبي بكر الصديق ، كان يشتغل بتربية الصبيان وتعليمهم العربية وأصول الدين ومكارم الأخلاق حتى لقب بالمريني محرز . و مدرسته التي دفن بها معروفة باسمه داخل مدينة تونس . توفي في عهد الامير المعز الصنهاجي سنة 413 هـ وقد تجاوز سنه سبعين عاماً . ولأهل تونس فيه احترام كبير حتى لقبوه بسلطان المدينة .

الشرح :

- 1 - الجَلَنْدِي : كأن المقصود هنا الامة الفينيقية التي أسست قرطاجنة .
- 2 - الطَّيَّاطِيرُ : لفظ لاطيني ومعناه مسرح التشخيص وهو المسرح الماثلة رسومه الان والقناة : هي الخنايا الرومانية المشاهدة آثارها من زغوان الى قرطاجنة .
- 3 - البَلْدَشَارُ : اسم قائد مشهور للروم البيزنطيين وهو الذي امتلك قرطاجنة سنة 533 م وجعلها تابعة لقيصر القسطنطينية .
- 4 - الْجَمَامُورُ : جزيرتان صغيرتان في مدخل خليج تونس .

أسئلة :

- 1) اضبط سير النصّ وبين نوع ارتباطه .
- 2) هل وفق الشاعر في اتخاذ الأطلال موضوعاً للشعر التعليمي ؟
- 3) لماذا اتخذ الشاعر أطلال قرطاجنة موضوعاً تعليمياً يقوم على سرد الحوادث وتقرير النهاية المحزنة .
- 4) هل ترى أن القصيدة وثيقة أثرية سجل فيها الشاعر اهم المعالم الفينيقية والرومانية الباقية ؟
- 5) بماذا يمتاز شعر « سيدي » محرز ؟

ليلة بمالقة

قال أبو طاهر التجيبي (*) :

« كنت بمدينة مالقة - من بلاد الأندلس - سنة ست وأربعمائة ، فاعتللت بها مُدَيِّدة انقطعت فيها عن التصرف ولزمت المنزل وكان يمرّ ضني حينئذ رفيقان كانا معي ، يلَمَّان من شعبي ويرفقان بي ، وكنت إذا جئني الليلُ اشتدَّ سهري وخفقت أوتار العبدان والطنابير والمعازف في كلِّ ناحية واختلطت الأصوات بالغناء فكان ذلك شديداً عليّ وزائداً في قلبي وتألُّمي ، فكانت نفسي تعاف تلك الضروب طبعاً وتكره تلك الأصوات جبلةً وأودّ لو أجد مسكناً لا أسمع فيه شيئاً من ذلك ويتعذر عليّ وجوده لغلبة ذلك الشَّان على أهل تلك الناحية وكثرته عندهم ؛ وإنِّي لساهر ليلة بعد إغفاءة في أول ليلتي وقد سكنت تلك الألفاظ المكروهة وهدأت تلك الضروب المضطربة ، وإذا ضُربُ خفيّ معتدل حسن لا أسمع غيره ، فكانت نفسي أنست به وسكنت إليه ولم تنفر منه فغارها من غيره ، ولم أسمع معه صوتاً ، وجعل الضرب يرتفع شيئاً فشيئاً ونفسي تتبعه وسمعي يصغي إليه إلى أن بلغ في الارتفاع ما لا غاية وراءه ، فارتحت له ونسيت الألم وتداخطني سرور وطرب وخيل اليّ أن أرض المنزل ارتفعت بي وأن حيطانه تمور حولي ، يشهد الله وكأتمّاً أنشطت من عقال وكان لم يكن بي ألم . »

أبو طاهر التجيبي

الأعلام :

أبو طاهر اسماعيل بن أحمد بن زيادة الله التجيبي : ويعرف أيضاً بالبرقي ، من أبناء القيروان وسكن المهديّة ، أخذ عن أبي إسحق الحصري وعاصم بن رشيق وابن شرف ، وتجوّل في

الآفاق افزار الأندلس ومصر وأقام مدة في صقلية وكان عالما بفنون الأدب ، مستبحرا في اللغة شاعرا مجودا وكاتبا رقيقا .

السئلة :

- (1) في اي قسم من اقسام الأدب يندرج هذا النص ؟
- (2) بماذا يمتاز أسلوب التجميعي في هذا النص ؟

الْيَاسِينُ

قال إبراهيم الحصري (٥) يصف الياسين قبل افتتاحه :

خَلِيلِي هُبًّا وَانْفُضًا عَنْكُمَا الْكَسْرَى
 وَقُومًا إِلَى رَوْضٍ وَنَشْرٍ عَبِيْقِ
 فَقَدْ رَاحَ رَأْسُ الْيَاسَمِينِ مُنَوَّرًا
 كَأَقْرَاطِ دُرِّ قُمَعَتٍ بِعَقِيْقِ
 يَمِيلُ عَلَى ضَعْفِ الْغُصُونِ كَأَثْمًا
 لَهُ حَالَتَا ذِي غَشِيَّةٍ وَمُفِيْقِ
 إِذَا الرِّبْعُ أَدْنَقَتْهُ إِلَى الْأَرْضِ خَلَقَتْهُ
 نَسِيمَ جَنُوبٍ ضُمُخَتْ بِخَلُوقِ (١)

وقال في وصف كلام الكتاب البلغاء :

« لهم من لطائف الإبداع ، وتوليدات الاختراع أفكار يصبو إليها القلب والظرف ويقطر منها ماء الملاحاة والظرف وتمترج بأجزاء النفس وتسترجع نافر الأنس . ولهم كلام طرررؤوا ديباجه ورضعوا تاجه ونظموا عقوده ورقموا بروده ، فهو كما قلت :

بَدِيْعٌ نَشْرِيْقٌ حَتَّى غَسَدَا
 مِنْ مُذْهَبِ الْوَشْيِ عَلَى وَجْهِهِ
 كَزَهْرَةِ الدَّنِيَا وَقَدْ أَقْبَلْتِ
 أَوْ كَالنَّسِيمِ الْغَضِّ غِبَّ الْحَيَا
 يَجْرِي مَعَ الرُّوحِ كَمَا نَجْرِي
 دَيْبَاجَةٌ لَيْسَتْ مِنَ الشُّعْرِ
 تَرُودُ فِي رَوْقِهَا النَّضْرِ
 بِخِتَالٍ فِي أَرْبَابَةِ الْفَجْرِ

ابراهيم الحصري

الأعلام :

ابو إسحق إبراهيم الحصري: من شيوخ ابن رشيق، ابن خالة أبي الحسن علي الحصري الشاعر وهو شاعر مثله وكاتب، له ديوان شعر وكتاب «زهر الآداب وثمر الألباب» وله «ذيل زهر الآداب او جمع الجواهر في الملح والنوادر» وهو الذي ذكر عنه ابن رشيق أن شباب القيروان كانوا يجتمعون عنده ويأخذون عنه وقد رأس عندهم وشرف لديهم وسارت تأليفاته وانتقلت عليه الصلوات من الجهات. مات بالمنصورة قريبا من القيروان سنة 413 هـ.

الشرح :

(1) الخلق: نوع من الطيب .

استلمة :

- (1) بين قيمة التشبيه كأداة تصوير في وصف الياسمين في المقطوعة الاولى.
- (2) أي المحسنات البديعية استعملها إبراهيم الحصري في وصف النثر؟
- (3) ايها أجمل الرصف عن طريق النثر أم عن طريق الشعر؟

حَرْبُ مَرْبِةَ

قال ابن حمديس يهتئء عليّ بن يحيى الصنهاجي بانتصاره على الزرمان
ويصف المعركة التي دارت في جزيرة جربة بالجنوب التونسي :

لَأَمْرٍ أَدَمَّتْ الْحَصْرَ فِي حَرْبِ جَرْبَةِ
وَمَا حَرَّبُوهَا إِلَّا مُدَاوِمَةَ الْحَصْرِ

وَتَرَكُّكَ بِالزَّرْقِ اللَّهَازِمِ أَهْلَهَا
وَبِالْبَيْضِ صَرَعَى فِي الْجَزِيرَةِ كَالْجَزْرِ

وَمَا ضُوبِقُوا مِنْ قَبْلِ هَذَا وَأَمَّا
بِقَدْرِ الثَّهَابِ النَّارِ تَغْلِيَةُ الْقَدْرِ

بَسِيرِ جِيُوشٍ فِي الْبُحُورِ إِلَيْهِمْ
تُحِيطُ بِهِمْ زَحْفًا مَعَ الْمَدِّ وَالْجَزْرِ

إِذَا انْتَقَلَتْ بِالصَّبْدِ قُلْتُ تَعَجُّبًا
مَتَى انْتَقَلَ الْأَجَامُ بِالْأُسْدِ الْهَضْرِ

مُجَرَّدَةً بِيضِ الْحُتُوفِ خَوْافِقًا
بِهَا الْعَدَبَاتُ الْحُمْرُ فِي اللَّجَجِ الْخَضْرِ

وَكُلِّ مَادِيرٍ يَتَتَى بِمَجَاذِفِ
مُشَاكِلَةِ التَّشْيِيهِ فِي الْأَنْمَلِ الْعَشْرِ

... وَلَمَّا رَأَوْا أَنْ الْمُخَنَّقَ مِنْهُمْ
سَدَدَتْ بِهِ مَجْرَى التَّنَفُّسِ فِي الصَّدْرِ

أَنَابُوا وَتَابُوا عَنْ ذُنُوبِ قَدَمَتِ
بِرْغَمِهِمْ مِنْ قَطْعِهِمْ سُبُلَ الْبَحْرِ

فَإِنْ نَشَرُوا مَا بَيْنَهُمْ لَكَ طَاعَةً
وَقَدْ طُوِيَتْ مِنْهُمْ صُدُورٌ عَلَيَّ غَمْرُ

فَمَنْدَكَ نَارُ تَرْكَبُ الْمَاءَ تَحْوَهُمْ
لَهَا زُنْدٌ بِقَدْحِنَ مِنْ زُنْدٍ بِنْرِ
وَنَبْلُ كَنْبَلِ الْأَعْيُنِ النَّجْلِ أَرَمَلَتْ
تَطِيرُ بِرَيْشٍ مُسْتَعَارٍ مِنَ النَّسْرِ
نُصَلُّ لِلْأَعْدَاءِ فِي الْحَرْبِ بِالرَّدَى
إِذَا نُصَلَّتْ هَاتِيكَ فِي السَّلْمِ بِالسَّحْرِ

ابن حمديس الصقلي

«الديوان» ص : 225 - 226

ط. بيروت 1379 هـ 1690.

أسئلة

- 1) ما هي الخططة التي اتبعتها جيش الأمير علي بن يحيى الصنهاجي لأجللاء الترمان عن جزيرة جربة ؟
- 2) وصف ابن هاني في معزياته الأساطيل والمعارك البحرية وشاركه ابن حمديس نفس الغرض في بعض قصائده، فاتسم أديهما بالطرافة من هذه الناحية، فكيف تعلق اشتغالهما واشتغال الشعراء المغاربة بهذا اللون من أدب الحماسة ؟ كيف أصبح ميزان القوى البحرية في البحر الأبيض المتوسط في عصر ابن حمديس ؟ وما هو الرأي السائد عن قوة الترمان حسب ما أشار إليه الشاعر ؟
- 4) هل وفق الشاعر في تشخيص المعركة البحرية بصور تختلف عن صور المعارك البرية المهدودة في شعر الحرب ؟

انتظار الفرج

قاله أبو الفضل ابن النحوي. في انتظار الفرج :

قَدْ آذَنَ لَيْلِكَ بِالْبَسَجِ (1)
 حَتَّى يَغْشَاهُ أَبُو السَّرْجِ (2)
 فَإِذَا جَاءَ الْإِبْسَانُ تَجِي
 لِسُرُوحِ الْأَنْفُسِ وَالْمُهْجِ
 فَاقْصُدْ مُحْيِي ذَاكَ الْأَرْجِ
 فَدَوُّو سَعَةَ وَدَوُّو حَرْجِ
 فَلِي دَرَكٍ وَعَلَى دَرَجِ
 لَيْسَتْ فِي الشُّثِيِّ عَلَى عَوْجِ
 ثُمَّ انْتَسَجَتْ بِالْمُنْتَسِجِ
 فَبِمُقْتَصِدٍ وَيَنْتَعِرِجِ
 قَامَتْ بِالْأَمْرِ عَلَى الْحُجَجِ

اشْتَدِّي أَرْمُو تَنْفَرِجِي
 وَظَلَامَ اللَّيْلِ لَهُ سَرْجِ
 وَسَحَابُ الْخَيْرِ لَهُ مَطَرِ
 وَقَوَائِدُ مَوْلَانَا جَمَلِ
 وَلَهَا أَرْجٌ مُحْيِي أَبْدَا
 وَالخَلْقُ جَمِيعاً فِي يَدِهِ
 وَتَزُولُهُمْ وَطَلُوعُهُمْ
 وَمَعَائِشُهُمْ وَعَوَاقِبُهُمْ
 حِكْمٌ نُسِجَتْ يَبْدِ حَكَمَتْ
 فَإِذَا اقْتَصَدَتْ ثُمَّ انْعَرَجَتْ
 شَهَدَتْ بِعَجَابِئِهَا حُجَجِ

أبو الفضل ابن النحوي

هو أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف شهر بابن النحوي التوزري :
 قرأ ببلده وبالقيروان ثم دخل المغرب وطاف في أنحاءه واستقر أخيراً بقلعة بني
 حماد قرب بجاية وتصدر للتدريس. وهو من كبار العلماء. وله مؤلفات جليلة.
 توفي سنة 513 هـ.

الشرح :

1 - البَسَجُ : ضياء الصبح 2 - أبو السَّرْجِ : الشمس

أسئلة :

- 1) في أي قسم من أقسام الأدب تندرج هذه القصيدة ؟
- 2) هذه القصيدة تُغني كموثع ديني فلماذا اختيرت لهذا اللون من الأثناد ؟

الرفيق الصبراني
(توفي حوالي 425 هـ)

ترجم الرقيق القيرواني

هو إبراهيم بن القاسم أبو اسحاق المعروف بالرقيق - والرقيق لقب له وليس هو اسمه كما ظن بعض الكتاب - منهم ابن خلدون - أنه لقب أبيه فوسمه بابن الرقيق وهو وهم. مؤرخ قيرواني جليل وأديب بليغ في مقدمة كُتَّابِ افريقية المجيدين في عصر حضارتها الزاهرة، وقد يعتبر بحق إماما للتاريخ التونسي. ولد في منتصف القرن الرابع للهجرة في حوالي الوقت الذي انتقل الفاطميون فيه من افريقية الى مصر. باشر خطة الكتابة الخاصة وسمي بكتاب الحضرة في الدولة الصنهاجية وحافظ على هذه الخطة ما يقرب من نصف قرن أي في أيام المنصور ابن يوسف ابن زيري وابنه باديس وابنه المعز. وصاحب الأمراء في أسفارهم وحروبهم لقبائل المغرب الأوسط. وسافر مرتين أو ثلاثا سفيرا عن مخدميه الصنهاجيين الى مصر بقصد تأكيد علائق الولاء التي تربط امارة افريقية بالدولة الفاطمية (في سنة 386 هـ من جانب المنصور) (وفي سنة 388 هـ من جانب الأمير باديس بن المنصور) -

وله شعر كثير عليه طلاوة وحلاوة وقد عرّف به ابن رشيق في الأنسودج وقال عنه ابن خلدون : « ابن الرقيق مؤرخ افريقية والدول التي كانت بالقيروان لم يأت من بعده الا مُقلِّدٌ ». توفي حوالي 425 هـ.

أمّا تأليفه على كثرتها فلم يصلنا منها الا النادر وقد استمد من كتابه « تاريخ أفريقية والمغرب » (في عشرة مجلدات - مفتود) كبار المؤلفين المغاربة (عشر على قسم صغير منه) .

وله كتاب « أخبار بني زيري الصنهاجيين » (في 4 مجلدات - مفتود) .

وكتاب « قطب السرور في وصف الأنبذة والخمور » (في جزأين وهو الكتاب الوحيد الموجود له الآن .

و« كتاب الاغانبي » نحا فيه نحو أبي الفرج الأصبهاني السخ ...

الحاجب عبد الوهاب ولعم بالفناء

كان عبد الوهاب بن حسين بن جعفر . حاجب الدولة في مدة المنصور (الضنهاجي) وقيل وقد عرف به أخص أصحابه ابراهيم الرقيق (في كتاب قطب السرور في وصف الأنبذة والخسور) بقولاه :

« وممن أدر كته وعاشرته عبد الوهاب بن حسن بن جعفر الحاجب وذكرته ما هنا لانه يلحق بالأسماء المتقدمين غير خارج منهم ولا مقصر عنهم، بل كان واحد عصره في الغناء الرائع والأدب البارع والشعر الرقيق واللفظ الأنيق ورقة الطبع وإصابة النادر والتشبيه المصيب والبديهة التي لا يلحق فيها مع شرف النفس وعلو الهمة. وكان قد قطع عمره وأفنى دهره في اللهو واللعب والفكاهة والطرب، وأعلم الناس بضرب العود واختلاف طرائقه وصنعة اللحون كثيرا ما يقول الأبيات الحسنة في المعاني اللطيفة ويصوغ عليها الألحان البديعة المعجمة اختراعاً منه وحذفاً، وكانت له في ذلك قريحة وطبع. فكان إذا لم يزره أحد من اخوانه حضر مائدته وشرابه عشرة من أهل بيته منهم (جيش) ولده، وعبد الله ابن اخيه وعلي وابراهيم واسماعيل بنو قيس وعامر الشطرنجبي وبعض غلمانه. كل هؤلاء يغنون ويجيدون، فلا يزالون يغنون بين يديه حتى يطرب فيدعو بالعود ويغني لنفسه ولهم، وكان (بشارة) الزامر الذي يزم عليه من حُداق زَمَرَةِ المشرق. وكان بعيد الهمة سمحا بما يجده، تغفل عليه ضياعه في كل عام أموالاً فلا تحسول السنة حتى يُفسد ذلك ويستسلف غيره، فكان لا يطرأ من المشرق مغن الا سأل من يقصد لهذا الشأن فيدلّ عليه، فمن وصل اليه منهم استقبله بصنوف البر والإكرام ولم يدعه الى أحد من الناس، فلا يزال معه في صبوح وغبوق وهو يسجد له في كل يوم كرامة حتى يأخذ ما عنده من صوت مطرب أو حكاية نادرة.»

ولا يسعنا في هذا إلا أن نشنّي الثناء العطر على مؤرخنا
 (ابراهيم الرقيق) في التعريف الرائع الذي وصّف به حياة صاحبه الفنان في
 مجالس أنسه وقد أضاف منةً أخرى بسرد حكاية طريفة عن الحاجب
 المذكور تدلّ على شغفه بالألحان وإجلاله لها وتقديره لمن ينتسب اليها.

مغنون من المشرق في المغرب

قال الرقيق : « وجلس (الحاجب عبد الوهاب) يوماً وقد زاره
 رجلان من إخوانه وحضر أقرباؤه فطعموا وشربوا وأخذوا في الغناء،
 فارتج المجلس اذ دخل عليه بعض غلمانه فقال : « بالباب رجل غريب
 عليه ثياب سفسر ذكر أنه ضعيف، فأمر بإدخاله فإذا رجل سُنَّاطٌ (1)
 رث الهيئة فسلم عليه فقال : أين بلد الرجل ؟ قال البصرة، فرحب
 به وأمره بالجلوس، فجلس مع الغلمان في صفة وأُتِيَ بطعام فأكل
 وسُقي أقداحاً ودار الغناء في المجلس حتى انتهى الى آخرهم. فلما سكتوا
 اندفع الرجل يغني بصوت ندي وطبع حسن :

أَلَا يَا دَارُ مَا الْهَجْرُ لَسُكَّانِكَ مِنْ شَانِي
 سَقَيْتِ الْغَيْثَ مِنْ دَارٍ وَإِنْ هَيَّجْتِ أَشْجَانِي
 وَلَسَوْ تَشْتِ لِمَا اسْتُسُّ سَقَيْتِ غَيْثًا غَيْرَ أَجْفَانِي
 وَمَا الدَّهْرُ بِمَأْمُونٍ عَلَيَّ تَشْتِيتِ خِلَانِي

فطرب عبد الوهاب وصاح وتبين الحدق في اشارته والطيب في
 طبعه وقال : « يا غلام خذ بيده الى الحسام وعجّل عليّ به » فأدخل
 الحسام ونظف ثم دعا عبد الوهاب بخلعة من ثيابه فألقيت عليه فأجلسه
 عن يساره وأقبل عليه وبسطه فغنى له :

قَوْمِي امْرِجِي التَّيْرَ بِاللُّجَيْنِ وَاحْتَمَلِي الرِّطْلَ بِالْيَدَيْنِ
 وَاعْتَنِمِي غَفْلَةَ اللَّيَالِي فَسَرُّمًا أَيْقَظَتِ لِحِينِ
 فَفَقِدْ لِعَمْرِي أَقْرَ مِنَّا هَلَالُ سُؤَالِ كُلِّ عَيْسِنِ
 ذَاتُ الْخَلَا خَيْلٍ أَبْصَرَتْهُ كَنْصَفِ خَلْخَالِهَا الدُّجَيْنِي

فشرب عبد الوهاب ثم قال : زدني . فغناه :
مَنْ لِي عَلَى رَغْمِ الْحَسُودِ بِقَهْوَةٍ بِكْرِ رَبِيَّةِ حَانَةِ عَذْرَاءِ
مَوْجٍ مِنَ الذَّهَبِ الْمُذَابِ تَضُمُّهُ
كَأْسٌ كَقَشْرِ الدَّرَةِ الْبَيْضَاءِ
وَالنَّجْمُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ كَأَنَّهُ عَيْنٌ تُخَالِلُ غَفْلَةَ الرَّقَبَاءِ
فشرب عبد الوهاب ثم قال : زدني . فغناه :

وَأَنْتَ الَّذِي أَشْرَقْتَ عَيْنِي بِمَا تَهَا
وَعَلَّمْتَهَا بِالْهَجْرِ أَنْ تَهْجُرَ الْغَمَضَا
وَأَغْرَيْتَهَا بِالذَّمْعِ حَتَّى جَفُونَهَا
لَيْتُنْكَرُ مِنْ فَقْدِ الْكَرَى بَعْضُهَا بَعْضَا
فَمَرَّ يَوْمٌ مِنْ أَحْسَنِ الْأَيَّامِ وَأَطْيَبِهَا وَوَصَلَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَلَمْ يَزَلْ
عِنْدَهُ مَقْرَبًا مَكْرَمًا .

وكان المغنى خليعاً ماجناً مشتهراً بالنبيذ ، فخلاه وما أحب ، ثم
وُصِفَ له الأندلس وطيبها وكثرة خمورها فمضى إليها ومات بها .
وعلى هذا الحال كان يفعل الحاجب عبد الوهاب بكل طارئ
يطراً عليه من المشرق ولو ذكرتهم لطال الكتاب .»

ابراهيم الزريق القيرواني

(من كتاب قطب السرور في وصف الأنبة
والخمور)

— مخطوط —

نقلا عن «ورقات» ج 2 ص 208-212
لحسن حسني عبد الوهاب

الأعلام :

• الحاجب عبد الوهّاب بن حسين بن جعفر :

قال المعلق حسن حسني عبد الوهّاب : « مات الحاجب عبد الوهّاب في خلال سنة 387 (997 م) في قصره بالمنصورية حذو القيروان بعد أن قام بسفرات بين البلاط الصنهاجي وبين الخلفاء وقد ترك ابنا يسمى محمودا تولّى وظيفة والده بعده واقتضى أثره في أدبه وفنه وكرمه وقد اشتهر محمود بالكرم الحائمي وشبهه المؤرخون آل بيته (ببرامكة أفريقية) عاش محمود في مدة باديس وابنه المسز .

حسن حسني عبد الوهّاب

(ورقات ج 2 ص 216 - 218)

الشرح :

1 - السَّنَابُ : الرجل لا لحية له، أو خفيف اللحية .

أسئلة :

- 1) كيف تبدو لك طريقة الرقيق في رسم شخصية الحاجب عبد الوهّاب حينما عرّف به ؟
- 2) هل اقتصر دور المغاربة في القضاء على الأخذ من المشرق أم كان لهم فضل للنامية والإبداع في صناعة الألحان ؟
- 3) كيف كانت حياة الحاجب عبد الوهّاب ورجال طبقة في عهد الصنهاجيين قبل حراب القيروان ؟

النزهة في سلقطة (١)

قال (الرقيق) في كتابه «قطب السرور في وصف الأبنسة والخمور»
في ذكر أخبار الحاجب عبد الوهاب :

«وَتَنَزَّهْنَا مَعَهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ إِلَى الْإِنْدِيَّةِ فَبَكَّرْنَا يَوْمًا وَمَعَنَا طَيُورٌ
وَكِلَابٌ صَيْدٌ وَتَوَجَّهْنَا إِلَى نَحْوِ (سَلْقُطَةِ) فَأَخَذَ الْأَطْيَارُ حَجَبًا وَأَرَانِبَ
وَنَزَلْنَا بِكِرْمٍ ظَلِيلٍ وَأَتَيْنَا بِمَا اصْطِيدَ لَنَا مِنَ السَّمَكِ ، فَأَسْرَ غُلْمَانَهُ فَحَضَرُوا
حَضْرَةً وَأَوْقَدُوا نَارًا وَجَعَلُوا بِشْرُونَ مِنْ صَيْدِنَا وَيَلْقُونَهُ إِلَيْنَا وَيَدِيرُونَ
السُّكُوسَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ فِي أَلْدِ عَيْشٍ وَأَطْيَبِهِ إِلَى أَنْ غَيِمَتِ السَّمَاءُ وَأَتَتْ
بَطْلٌ وَرِذَاذٌ ، وَكَانَ فَصْلُ الرَّبِيعِ ، فَقَالَ عَبْدُ الْوَهَابِ الْآنَ اكْتَمَلَ يَوْمُنَا
وَدَعَا بِاللَّوَاةِ فَكَتَبَ :

يَا طَيْبَ يَوْمٍ غَنَمْنَا طَيْبَ لَدَّتِهِ حَتَّى وَصَلْنَا بِهِ الْإِصَالَ بِالْبُكْرِ
وَتَحَنُّنُ نَشْرِبُهَا صَهْبَاءَ صَافِيَةً

وَتَشْتَوِي صَيْدَتَنَا فِي مُحْكَمِ الْحُمْرِ
فَالجَوَّ يَحْضَبُ وَجْهَ النَّارِ مِنْ بَرْدِ

وَأَنْتَارُ تَحْضَبُ وَجْهَ الْجَوِّ بِالشَّرْرِ
ضِدَّانِ حَوْتُهُمَا سَلْمٌ لِأَنْفُسِنَا تَرَاجَمًا بِحَصَى الْيَاقُوتِ وَالْدُرِّ
فَنَانَعِمُ بِهِ وَوَأَحْبَهُ بِاللَّهْوِ حُلَّتَهُ

وَاعْبُدِيهِ فِي الدَّهْرِ مِنْ أَيَّامِكَ الْغُرِّ

وقام (جيش) ولده ويده زورق قضة فجعل يلتقط به ما استقر
من قطر المطر ويمزج به كأسه فنظر إليه أبوه وقال :

وَكَأْسٍ شَرِبْنَاهَا بِسَاءِ قَرَارَةٍ يُلْقِطُهَا السَّاقِي بِزُورْقِ قِضَّةٍ
فَمَا زَالَ يَسْقِينِي وَيَمَزُجُ كَأْسَهُ

بِزُورْقِهِ حَتَّى حَظَيْتُ بِسُكْرَةٍ

فَيَا غَيْثُ خَيْمٍ فِي تَلَاغِبِ جَمَّةٍ
 فَلَسْمٍ أَنْسٍ فِيهَا طِيبَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
 ثم انصرفنا عن ذلك الموضع (سلقطة) فصاغ الشعرين لحناً
 وغنى فيهما حتى الصباح.

قال الرقيق : « ونظر يوماً إلى (بشارة) غلامه وكان مليحاً ظريفاً
 يتولى السقي فأعجبه فقال :

أَحَامِلَهَا مِنْ لَوْلُؤٍ وَعَقِيقِ
 أَدْرَمَا عَلَيْنَا يَا لَكَ الْخَيْرُ إِنَّنَا
 وَمَا زَجَّهَا مِنْ سَلْسَلٍ وَرَحِيقِ
 سَلَكْنَا إِلَى اللَّذَاتِ كُلِّ طَرِيقِ

ومن شعره وغنائه :

حَبَّاءُ ظَبْيٍ وَصَلُّهُ
 حَبَّاءُ بِوَرْدٍ أَحْمَرٍ
 أَبَدًا يُشَابُ بِصَدِّهِ
 دَعَا عَذَارِهِ فِي خَدِّهِ
 وَبَنَفَسَجٍ فِي نَضْدِهِ
 فَحَكَّتْ تَحِيَّتُهُ سَوَا

ومن شعره وغنائه وكان قد عرف الأيام حتى معرفتها فقطعها اغتناماً :
 كُنْ عَنِ الْعَدْلِ ذَا صَمَمٍ وَأَنْفٍ عَنِ نَفْسِكَ النَّدَمِ
 وَأَقْطَعِ الدَّهْرَ بِالسَّرْوِ رِ عِلَى رَغْمٍ مِنْ رَغْمِ
 فَالذِّي تَبَغْيِي وَتَرْجُوهُ قَدْ خَطَّاهُ الْقَلَمُ

ابراهيم الرقيق

(قطب السرور في وصف الأنبة والخسور)

1 - سلقطة : واسمها Sellecta مدينة قديمة على ساحل البحر بالقرب من (قصور
 الساف) من دائرة المهديّة وكان لها شأن في التاريخ وهي اليوم مكان اصطيف لسكان
 لحسن موقعها وصفاء البحر بها .

أسئلة :

- (1) لماذا كان الحاجب عبد الوهّاب ورجال طبقتة يسمون الى التّزّهة ؟
- (2) أي جانب من حياة الحاجب عبد الوهّاب تصوّره لك هذه التّزّهة ؟
- (3) كتابّة الرّقيق القيرواني توفيق بين التّاريخ والأدب فهل تجد ما يثبت ذلك في هذا النّصّ ؟
- (4) هل ترى شها بين أسلوب الرّقيق القيرواني وبين أسلوب الأصبهاني

ابن رَسِيْقِ القَبْرَوَانِي

(1064 — 995 هـ 463 — 390)

ترجمہ ابن رشيق القيرواني

أبو علي الحسن بن رشيق الأزدي ، يبدو أن أباه مملوك رومي كان يحترف الصياغة. ولد في المحمدية (المسيلة) بالجزائر بين سنتي 385 - 390 هـ 995 - 1000 م - درس أولا في مسقط رأسه وتعلم الصياغة وهي صناعة أبيه ثم رحل الى القيروان عام 406 هـ 1015 - 1016 م فاتخذ الميز بن باديس الصنهاجي شاعر البلاط فأثارت تلك الحظوة حفيظة معاصره ابن شرف القيرواني . ولما سقطت القيروان تحت ضربات الهلاليين عام 449 هـ 1057 م هرب المزيويصحبته شاعره المحبوب الى المهديّة حيث توفي الامير عماد 453 هـ . 1061 م وذهب ابن رشيق الى مازر بصقلية وتوفي بها سنة 463 هـ 1064 م

تساقفه :

كان ابن رشيق مؤرخا وشاعرا وفقهيا ولغويا ، ومن شيوخه ابو محمد عبد الكريم بن ابراهيم النهشلي والنحوي ابو عبد الله محمد بن جعفر القزاز وغيرهما .

مؤلفاته :

ترك ابن رشيق التصانيف التالية :

أ - ديوان شعر مفقود الأصل ، وديوانه المطبوع الآن هو جمع ما تضمنته كتب الأدب قام بجمعه وتحقيقه الدكتور عبد الرحمان ياغي
ب - للعمدة في صناعة الشعر ونقده .

ج - قراضة الذهب في نقد اشعار العرب . وهي رسالة تبحث في سرقات الشعراء .

د - الأنموذج كتاب مفقود توجد نطف منه خاصة في « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » لابن فضل الله العمري وهو مؤرخ وفقه من القرن الثامن الهجري .

المعز بن باديس

إن العميدين لما بارحوا إفريقيا بقصد مصر سنة 362 هـ. عهدوا
لأمراء صنهاجة واستخلفوهم على البلاد المغربية من فاس إلى بركة
طرابلس قتولى منهم أبو الفتح يوسف وهو أول من قاد جيوش صنهاجة
وعقد الألوية وخطب له على المنابر وأمر ببناء عدة مدن منها أشير ومليانة
والجزائر ... وخلفه في الأمر ابنه المنصور (سنة 373 هـ.) الذي أظهر
مدة استيلائه دراية وعدلاً كبيراً. وعقبه ابنه أبو مناد باديس سنة 386 هـ.
فكان معظم أيامه حروباً ومكافحة لأعدائه ولكن كان الانتصار
في كل ذلك حليفه لجزمه وثباته إلى أن وافاه الأجل المحتوم فخلفه
ابنه المعز.

ولد أبو تميم المعز بالمنصورية أو صيرة يوم الخميس لخمس مضت
من جمادي الأولى سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة وتربى في حجر جدته
فاطمة وتدعى السيدة لاشتغال والده باديس بحروبه ومقاومة الثائرين.
على أن ذلك لم يمنعه من الاعتناء بتربية ابنه فإنه قد أضاف إليه من يلقبه
العلم ويدربه على سياسة الملك. وفي مقدمة مربييه أبو الحسن علي بن أبي
الرجال الشيباني أحد الدهاة من أشرف مدينة تاهرت، فتلقى المعز
ما يناسب تهذيبه أبناء الأمراء حتى ترعرع علماً وأدباً. ولما أدركت المنية
والده باديس آخر ليلة من ذي القعدة سنة 406 هـ. بمدينة الحمديّة
تفاوض مدبرو الدولة بينهم فاتفق رأيهم على تولية المعز وكان وقتئذ
في التنزه صحبة جدته بالمهدية. ولما وصل الخبر إلى القيروان خرج
عامل البلد ومعه العلماء وأكابر صنهاجة فعزّوا المعز وهنّأوه وجعلوا
نظر الإمارة لجدته التي باشرت الأمور بأحسن طريقة وقلّت مع
حفيدها إلى القيروان تحت ظلال البنود وقد ظهرت عليه مخائل الملك وفرح
الناس بما رأوا منه من العقل والتجانية وشمائل الكرم على صغور السن.

وفي ذي الحجة سنة 407 هـ. بعث إليه الحاكم الفاطمي خليفة مصر سجل تسميته مع سيف مكلل بالدر ليس له قيمة ولقبه بشرف الدولة وكتب له تشریفاً لم يكتب مثله لأحد من أجداده قبلاً فاقبل المعز ذلك في موكب نشرت فيه الألوية وضربت الطبول واصطلفت الجنود ذات اليمين وذات الشمال وأرجع المعز الوفد لصاحب مصر بهدية جسيمة من جملة ما فيها ثلاثمائة وخمسة وثلاثون برزونا بالسروج المحلاة وعدد كبير من العيد.

وبعد تلك المدة بقليل توفيت جدة المعز وحاضنته المذكورة فتغالى في تجهيزها لمودته لها. قيل انه عمل لها تابوتاً من العود الهندى مرصعاً بصفايح الفضة وسمره بمسامير الذهب وزنها ألف مثقال وأدرجت في مائة وعشرين ثوباً وذر عليها من المسك والكافور ما لا حد له وقلد التابوت بإحدى وعشرين سبحة من نفيس الجواهر. وقومت التجار ما صرف عليها فبلغ مائة ألف دينار... وحملت إلى المنستير فدفنت بها وأمر المعز بخمسين ناقة ومائة رأس من البقر وألف شاة فتحرت ووزعت على الفتمراء وفرق في ممانها على ضعيفات الحال من النساء عشرة آلاف دينار. كماً تفرّد المعز بعد فقد جدته الحنونة عليه عزم على الاقتران بأميرة تناسب مقامه فابتدأ في حركة العرس سنة 413 هـ. فابتنى قصرًا عجيباً خارج صبرة نصبت حوله القباب المفروشة بالبسط والأثاث الثمينة لاقتبال الضيوف وصنع لجلوسه إيواناً بديع الجمال لم ير مثله حسناً وزخرفة. وحمل المهتر على عشرة بغال كل بغل عليه عشرة آلاف دينار. وحضر من آلات الملاهي والمغنين والمغنيات ما لا يوصف وقد وافت الجموع والهدايا من جميع الآفاق وتناشدت الشعراء المدائح الرائقة وتم الزفاف على أكمل صورة وأحسن نظام.

وزهد أيام المعز وعلا صيته وشاعت أخباره في الأنحاء فوافته

الوفود من الملوك منها هدية أرسلها سنة 423 صاحب السودان تشتمل على
عبيد وحيوانات غريبة وزرافات يقول في وصفها الحسن بن رشيق :

وَأَتَتْكَ مِنْ كَسْبِ الْمُلُوكِ زَرَافَسَةٌ
شَتَّى الصَّفَاتِ لِكَوْنِهَا أَثْنَاءُ
جَمَعَتْ مَحَاسِنَ مَا حَكَّتْ فَتَنَّا سَبَّتْ

فِي خَلْقِهَا وَتَنَافَتْ الْأَعْضَاءُ
تَحْتِثُّهَا بَيْنَ الْخُصَافِ (1) مَشِيَّةٌ

بَسَادٍ عَلَيَّهَا الْكِبْرُ وَالْخِيَلَاءُ
وَتَمُدُّ جِيدًا فِي الْهَوَاءِ يَزِينُهَا
فَكَأَنَّهُ تَحْتِ اللَّوَاءِ لِلسَّوَاءِ

حَطَّتْ مَا خَرُّهَا وَأَشْرَفَ صِدْرُهَا
حَتَّى كَأَنَّ وَقُوفَهَا إِقْعَاءُ (2)
وَتَخَيَّرَتْ دُونَ الْمَلَابِسِ حَلَّةً

عَيَّيْتُ لِصَنْعَةٍ مِثْلِهَا صَنْعَاءُ .
وأنته بعثة أخرى من ملك الروم سنة 426 هـ تحمل هدية جليلة
قبلها الأمير في قصره بصبرة وأرجعها بما يلائم المقام.

ولبت المعز في عزه ونخوة ملكه الى حدود سنة 435 وفيها تغير
مشرب سياسته بسبب ثورة داخلية أوقعها الشعب على المتمسكين بمذهب
الشيعة الذي كان بثه العبيديون مدة استيلائهم على افریقیة وقتل
أهل القيروان الشيعة أو الرافضة كما كانوا يسمونهم في ذلك العهد ،
أشنع قتلة ومثّلت بهم العامة أبشع تمثيل في الحواضر والوادي ولم
يتمكن المعز من تعطيل هاته الحركة بل اضطر لمساعدة الأمة رغماً
على تسامحه وكرهه لسفك الدماء فبذت علانية دعوة الفاطميين وخلع
طاعتهم لما كان يكرهه من البغضاء وحمل جميع أهل المغرب على

التمسك بمذهب الإمام مالك وحسم مادة الخلاف في المذاهب بعد أن خطب للخلافة البغدادية فوافاه من القائم بأمر الله العباسي تقليد يعترفه بالاستقلال سنة 439 هـ أتى به الوزير أبو الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي الدارمي ، فلماً بلغ الأمر مصر عظم ذلك على المستنصر بالله القاطم فدبر أحد وزرائه وهو أحمد بن علي الجرجاني مكيدة يتقسم بها من سكان افریقیة وأميرها فأشار بتسريح أعراب الصعيد لإجازة النيل وتسريهم الى البلاد المغربية وعانهم المستنصر بالأموال فتسربوا كالجراد المنتشر ولما انتهت جموعهم الى افریقیة سنة 440 هـ وكانو يعدون زهاء اربعمائة الف مقاتل يقن المعز الخطر فخرج بنفسه في مقدمة الجنود من صنهاجة وزناتة والتقى بهم قرب جبل حيدران. وهناك وقعت مقاتلة مات فيها من الجانبين خلق عظيم وآخر الحال اضطر المعز الى الرجوع الى المنصورية وضرب عليها سورا أحاطه مع سور القيروان سنة 444 هـ ولم يخن ذلك عنها شيئاً فلما رأى المعز ما حلّ بالبلاد وما آل اليه أمره ركن الى الصلح على رفع الحرب مع الاعراب بعد أن امر سكان القيروان بالانتقال الى المهديّة لما يتحققه من تحصنها. وخرج المعز مع آل بيته وحشمه المنصورية ونزل بالمهديّة على عامله بها ابنة الأكبر تميم رمضان سنة 449 هـ وانطلقت اذذاك أيدي الهلالين المفسلين على القيروان فعاثوا في أرجائها بالفساد والتخريب والنهب حتى صيروها أثراً وبقي المعز بالمهديّة مع بعض الخواص مكرماً مبجلاً وقد استخلف في تسير الأمور ولده تيمماً الى ان وافاه الاجل المحضوم إثر ضعف في الكبد في الخامس والعشرين من شعبان من سنة 453 ودفن يرباط المنستير حيث مدفون آبائه وأبنائه.

وللحسن بن رشيق من مرثية في ولي نعمته :

لِكُلِّ حَيٍّ وَأَنْ طَالَ الْمَدَى هَتَكَ
لَا عِزُّ مَمْلَكَةٍ يَبْقَى وَلَا مَلِكٍ
وَلَى الْمُعْزَى عَلَى أَعْقَابِهِ فَسَرَمَى
أَوْ كَادَ يَنْهَدُ مِنْ أَرْكَانِهِ الْفَلَكَ

حسن حسني عبد الوهاب

« بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها

ابن رشيق »

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط - تونس 1330 هـ

الإسكان :

• صنّعاء : عاصمة اليمن مشهورة في القديم بالنسيج وأنواع البرود الموشاة
كما اشتهرت بصناعة السيوف وغيرها من الأدوات أيام ازدهار بلاد اليمن قبل الإسلام
بعده قرون.

• جبيل حيدرآن : يقع غربي قابس في الجنوب الشرقي التونسي.

الشرح :

(1) - الخوافق : جمع خافقة : الأعلام. - (2) - إقعاء : مصدر أقمى : جلس
على مؤخرته كما يجلس الكلب والذئب وغيرهما من الحيوان.

أسئلة :

- (1) - كيف تهازل لك معالم شخصية المعز بن باديس من خلال هذا العرض ؟
- (2) - المعز الصنهاجي كان سميّاً للمعز الفاطمي ، فهل تشابهت شخصيتهما من حيث
المآثر الثقافية والسياسية والمواقف السياسية ؟

عصر الطوائف والأديان بآفريقية

(من سنة 450 هـ. إلى سنة 600 هـ.)

بينما كانت افريقية رافلة في حلق الهنأة والبسط والرشاء وبينما كان ساكنوها في رعد من العيش يُظلمهم كنف الأمراء من البيت الصنهاجي المولعين بالعلم والأدب إذ طرق البلاد طارق خارجي خلخل أركان تمدنها وزعزع دعائم عمرانها بالتخريب والسبي والنهب، فتلاشت حضارتها النضرة وانتشرت ايدي سبا، ونعني بهذا الحادث زحفة الأعراب من بني دلال وبني سليم النازحين الى القطر الافريقي في أواسط القرن الخامس على آخر عهد المعز بن باديس .

وكانت نتيجة تلك الزحفة المخربة تقلص ظل الدولة الصنهاجية وخروج الأعمال الافريقية عنها بانحياز كل جهة بل كل مدينة الى رئيس من الأعراب أو غيرهم . وسرت ربح الانقسام والتجزيء، فاشتعلت الفتنة في أنحاء القطر، ففارق البلاد القادرون على ذلك من السكان ، بحيث قصد الأندلس والمغرب كثير من السراة والأغنياء وأهل العلم والقرائح ، وهاجر قسم منهم الى المشرق فاستوطنوا مصر والشام والحجاز والعراق وما وراء النهر، ودامت حركة الانجلاء عن اوطان، واستمر انقشال في العزائم الى ان انتصبت الدولة الحفصية الظاهر أمرها أول القرن السابع .

وبالرغم من ذلك فإن البلاد التونسية في أثناء هذا العصر المظلم لم يعزل صقعها من العلم والادب على قدر ما كانت تسمح به الظروف الحرجة والأخطار الناشئة من عدم تسدّل الأمن وتشاغل النفوس عمّا يبروقها ويطرّبها ويلهيها ويبعث اليها عوامل الانتاج .

قلنا ان ضعف الدولة الصنهاجية وتضعضع شوكتها كان سبباً

في استقلال زعماء افريقية وما من زعيم الا وقد ادعى الإمارة لنفسه
واتخذ سخريا شعائر الملك وشاراته كألقاب التعظيم والشرف
وضرب السكة وحاشية متسعة من وزراء وحجاب وشعراء تقليدا
للسلطانات العظيمة.

وَتَفَسَّرْتُسُوا شِيحاً فَكُلَّ قَبِيلَةَ فِيهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَمِنْبَسْرُ
وقد سرى داء الانقسام وذهاب الوحدة السياسية في ذلك العصر
الى سائر الممالك الاسلامية من المشرق الى المغرب وفي مثال الاندلس
ما يغني عن الاطناب والشرح .

وأشهر الطوائف المستقلة بالجهات التونسية هم :

أولاً : بنو مدافع بن جِامع الهلاليون ، انحازوا بقباس وعملها
ودامت دولتهم الى سنة 554 هـ .

ثانياً : بنو جبارة بن مكي ، استقلوا بسوسة الى سنة 554 هـ
وكان لهم حاشية زاهرة وشعراء .

ثالثاً : بنو خراسان ، وكانوا عمالا من قبل صنهاجة بمدينة
تونس فلما اختل الأمر على الدولة شقوا عصا الطاعة في وجهها
وجنحوا الى الاستبداد ودام استقلالهم من سنة 458 هـ الى سنة 553 هـ .

رابعاً : بنو الرّند ، في قفصة والجريد الى سنة 575 هـ . وما زالت
هذه الطوائف مستبدة بالأمصار حتى انتزع ذلك منهم رئيس الموحدين
عبد المؤمن بن علي ونقلهم كلهم من اماراتهم الى المغرب ومحا من
افريقية آثارهم .

- أمّا آخر الامراء من البيت الصنهاجي فإنّهم انزوا بالمهدية وما
حولها لحصانة معقلها ، وقد ازدان بلاطهم بالعلماء الأجلاء والفلاسفة
والأدباء الذين قصدوهم من أطراف البلاد مثل أمية بن عبد العزيز بن

أبي الصلت . الفيلسوف الاندلسي الشهير والامام المازري . الفقيه المجتهد
وعبد الجبار بن حمديس الصقلي . الشاعر المطرب وأضرابهم ،
فازدهت الآداب - لا سيما الشعر - على حين كانت الفتنة تأكل أطراف
البلاد والعدو الخارجي - ونعني به الترمان - يترصب الفرص للوثوب والايقاع
بالجميع ، وربك فعال لما يريد .

ومن غريب ما يلاحظ في عصر الطوائف أنه بالرغم من قلة
اتساع الامارات المستقلة فيه ومن ضعف قوتها فإنّ الفنون الادبية
ازدهرت في أثنائه بنبوغ جماعة من الشعراء الفحول ولو أن أسلوبهم
في النظم قد تغير كثيرا عما كان عليه اسلوب أسلافهم . وذلك أنهم
كانوا ينظمون القصيدة وليس لهم هم إلا اتقان ألفاظها وأساليبها الشعرية
وبذلك أصبح الشعر صناعة يتنا كان يمثل نفثات صادرة عن شعور
يُحسُّ به الشاعر فيعبر عنه في نظمه . وفي الحقيقة أن هذا الاسلوب
ابتدأ يظهر على كلام شعراء الدور الصنهاجي المتقدم . لكنه في هذا
العصر وضح وضوحا جلياً . وقد صار فيما بعد القاعدة الاساسية في
النظم والنثر .

حسن حسني عبد الوهاب

(مجمّل تاريخ الادب التونسي)

مكتبة المنار - تونس 1968

ص 155 - 158

- الأعلام :

• أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت : انظر ترجمته في القسم الخاص به .

• الإمام المازري (أبو عبد الله محمد بن عمر التميمي) من جلّة أئمة المالكية ، وأصله من مازر بصقلية. له تأليف تدل على فضله في الفقه المالكي منها « شرح الثلثين » و« شرح البرهان » وكتابه الكبير هو « كتاب التعلّقة على المدوّنة » وكتاب الرد على الإحياء للقرظالي المسمّى « الكشف والأنباء على المترجم بالإحياء ». وكان الإمام المازري عارفاً بالطب وله فيه مؤلفات. ومات بالمهدية سنة 536 هـ ودفن بالمنستير. ولما خشي على قبره من البحر نقل لمقامه المشهور به إلى هذا الوقت ، وقد أمر بنقله علي باشا باي ابن حسين باي سنة 1176 هـ. انظر ترجمة الإمام مفصّلة في كتاب « شجرة النور الزكية في طبقات المالكية » لمحمد بن محمد مخلوف (المنستير) ط. القاهرة 1350 هـ ص 127 - 128

• عبد الجبار ابن حمديس الصقلي :

• عبد الجبار ابن حمديس الصقلي : ولد في مدينة سقّوقومة على الساحل الشرقي من جزيرة صقاية سنة 447 هـ 1055 م من أصل عربي أزدي إلا أنه يمتزج في شعره بموطنه « الثغر » أكثر من اعتزازه بالقبيلة ولما استولى النورمان على صقلية وغربي البحر المتوسط هاجر إلى إفريقية ومنها إلى الأندلس والتحق ببلاط المنتصد بن عبّاد في إشبيليا وأطال المدائح فيه ، ثم عاد إلى إفريقية وعاش متنقلا بين أغصان وسلا والمهدية وبجاية وبونة وطانجة وقابس في عهد الطوائف بعد سقوط القيروان. وليس في ديوان ابن حمديس إلا قصيدة واحدة ذكر فيها أنه يمدح تيمماً بن المعزّ الصنهاجي. وبعد وفاة تميم سنة 501 هـ أقبل ابن حمديس على ابنه يحيى (501 - 509 هـ) ومدحه بقصائد كثيرة. ثم مدح ابنه علي (509 - 515 هـ) في عديد من القصائد مجلت بعض الأحداث في زمانه وخاصة مقاومة علي بن يحيى بن تميم الصنهاجي للأساطيل الرومية. وجاء حسن بن علي بعد أبيه وعاش ابن حمديس عشرة أعوام أخرى في حكمه ومدحه ببعض القصائد وفي إحداها يتشفع لأهل سفاقس وكانت روابطه بتلك المدينة قوية. ومات ابن حمديس ودفن ببجاية سنة 527 هـ - 1133 م وله ديوان شعر مطبوع صحّحه وقدم له الدكتور إحسان عبّاس. ط. دار صادر بيروت 1960.

أسئلة :

- (1) - لماذا لم يؤثر سقوط الدولة الصنهاجية في الأدب بالاضمحلال ؟
- (2) - ما هي أهمّ المميزات في أدب هذا العصر كما أثبتتها حسن حسني عبد الوهاب.

بلاط المعز بن باديس وهمايين

إن الأخلاق الحميدة التي فُطرَ عليها المعز بن باديس والتربية الصحيحة التي تلقاها من حالة صغره قضيا عليه باختلاط العلماء وتقريب الأدباء واختيار صحبتهم والأنس بمجالسهم عمّن سواهم لا سيما ان العصر والوسط يساعدان على ذلك. ففي المدّة التي ساس فيها أمور افريقية - ما يزيد على أربعين عاماً - كان المعز لا يسمع بعالم جليل أو شاعر فصيح الا ويدنيه من حضرته ويضمه لخاصته حتى سار بذكره الركبان وانتجعه الادباء على بعد الدار وصار بلاطه كما وصفه ابن خلكان: « محطّ بني الآمال ». كيف لا وقد احتوى هذا البلاط على اكثر من مائة شاعر بليغ نخصر بالذكر من بينهم أولا (أبا الحسن علي بن أبي الرجال الشيباني) مربي المعز وكاتب سره . . ثم (الحسن ابن رشيق) و(محمد بن أبي سعيد بن شرف القيرواني) المتوفى سنة 460 هـ غريم ابن رشيق وصاحب التآليف وخصوصاً في نقد الادب وقد توقفنا أخيراً الى نشر شيء منها تحت عنوان « رسائل الانتقاد » وهي من أجمل ما وضع الواضعون في هذا الفن الجليل الذي كاد أن يكون مفقوداً في التصانيف العربية . . و(أبا اسحاق ابراهيم الحصري) توفي سنة 453 هـ. أكبرهم سناً كان على ما قال ابن رشيق « شيبان القيروان يجتمعون عنده ويأخذون عنه وهو رأس عندهم وشرف لديهم. » وللحصري عدة تآليف نفيسه منها كتاب « زهر الآداب » وكتاب « المصون في سر الهوى المكنون » و(محمد بن ابراهيم التميمي الكمونسي) الذي يقول في مدح المعز :

إليكَ ابن باديسَ على حين قُوسَتَ

قناتي وأفشيتي الدهرُ غُرةَ أدَمي

قَطَعَتْ نِبَاطَ الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِ مُظْلِمٍ
 مُضِيًّا وَمَا فِيهِ عَصَا لُخَيْمٍ
 تَبَسَّمَ لَمَّا حَلَّهُ اللَّيْثُ بَأَكْبَرًا
 وَلَسُوْلًا بُكَاءُ اللَّيْثِ لَمَّ يَتَبَسَّمُ

و(محمد بن عطية بن حيان الكاتب) وكان من حملة الأقلام في أيام باديس ثم لما تولى المعز أقره على خطته في الديوان وقرببه و(ابراهيم الماردي القيرواني) وكان يضرب به المثل في جودة الخط وتزويقه وقد انفرد في افريقية بالقلم الرياشي الخافي انفرادا كليا لا يدانى فيه ولا ينازع . وله في الأدب سرعة حفظ ليست لأحد في زمانه. حكى ابن رشيق قال : « شهدته يوما وقد صنعت أبياتا أربعة في شكر سيدنا أول تقريره ابياي وصنع محمد بن شرف ستة في ذلك وصنع معد بن جبارة اثني عشر بيتا وأنشد كل واحد منا شعره فقال ابراهيم الماردي لمعد ان شعرك قديم وأنا أحفظه فضحك معد مستهزئا ، وقال له : هات ، فأنشده الى آخره ثم التفت اليها وقال : وكذلك أنتما فأسمع أبياتنا فحمار معد حتى عرفته حالته. و(عبد العزيز بن محمد القرشي الطارقي) قال ابن رشيق : « منشأه وتأدبه بالبادية من ساحل البحر تعرف قريته ببني طارق ثم وفد القيروان وهو شاعر فخم الكلام وأكثر اشتهاره بالنثر دون النظم اذ كان فيه فارس الفرسان وواحد الزمان ما بين تزويق مقامة مبتدعة أو خطبة غير مقترعة الى الرسائل السلطانية والمكاتبات الإخوانية . » وأورد له من قصيدة قالها في احدى انتصارات المعز :

وَيَسُومُ كَأَنَّ الشَّمْسَ دُونَ عَجَاجَةٍ
 حَشَّاشَةً قُنْدِيلٍ سَيْفَ زَجَاجِهَا (1)

ذَرَا ابْنُ نَصِيرِ الدَوْلَةِ العُرْبِ فَادْبَرَتْ

كَتَائِبُ سَدِّ الخَائِقِينَ عَجَّاجُهُمَا

ومنهم (أبو الفضل محمد بن عبد الواحد الدارمي البغدادي) ولد سنة 383 هـ وتوفي بطليطلة سنة 454 هـ الذي وفد من بغداد رسولا عن أمير المؤمنين القائم بأمر الله العباسي الى المعز وانتظم في سلك رجاله . وكان هذا الوزير أديباً فصيحاً وكاتباً بليغاً .

وانتصر على من سَمَّيْنَا من الأدباء الذين كان يجمعهم ديوان المعز إذ لو أردنا استقصاء أخبارهم وإيراد من تحصلنا عل معرفته لطال بنا الموضوع وقد اشترطنا الاختصار .

وبالجملة يمكننا ان نقول عن بلاط المعز انه كان أزهى وأفضل دائرة ملوكية في ذلك العصر وانه يفوق بلا ريب بلاط ملوك الطوائف بالأندلس المعاصرين لها بسبب كرم وأدب الأمير وتوسط البلاد الافريقية وموقعها الذي جعلها بمثابة رابطة طبيعية بين المشرق الاسلامي ومغربيه يمر عليها ضرورة كل من يقصد أحد الطرفين . وبذا يصح ما وصف به ابن خلكان من أن دائرة المعز كانت « محط بني الآمال » .

حسن حسني عبد الوهاب

« بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها

ابن رشيق »

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط — تونس

1330 هـ ص 51 — 53

الإعلام :

• ابن خَلِّكان : (608 - 681 هـ - 1211 - 1282م) ولد في لُدْبُل (المراق) في حلب ودمشق والقاهرة. وفي القاهرة أصبح نائب قاضي القضاة ثم عين قاضياً أدمشق. صاحب كتاب « وفيات الأعيان » وهو من أهم المصادر في التراجم وفي الآداب المريئة .

الشرح :

١) سَيْفَ زُجَاجُهَا : تَشَمَّقُ زُجَاجُهَا.

أسئلة :

١) كيف يبدو لك الأمير المعز بن باديس في تنشيط الحركة الثقافية والده وتطورها؟ وهل توافق ما جاء في النص من أن عصره كان العصر الذهبي في المغرب

الفنون بين تونس والأندلس

تكاثر عدد المغنّين والمغنيات بأفريقية في القرن الخامس قبل الزخفة الهلالية لدرجة أن كثيرا منهم كان يفارق أوطانه ويروم البلاد البعيدة ليعيش فيها بفسنه ويطلب منها الرزق، فترى منهم من يقصد المشرق كمصر والشام والعراق، وبعضهم يؤم الأندلس لتشابه الأوضاع المغربية في القطرين. ومن بين هؤلاء الراحلين (عتيق المغني) فإنّه خرج من المهديّة - مسقط رأسه - بعد ان حصلت له شهرة بها وقصد غرناطة واتصل بأمرها الصنهاجي (باديس بن جبوس) فأقام عنده بقية حياته ينشد له الأشعار ويؤقّعها على العود ألحاناً مختلفة مما لقّنه في وطنه أو اخترعه بنفسه، على وفرة ما كان يوجد عندئذ في جزيرة الأندلس من الملحنين والمغنّين المقتدرين الماهرين .

ولا نستغرب البتّة من نجاح المغني المهدي اذ طالما اقتبست الأندلس من افريقية أوضاعا من الادب وأصنافاً من الفن ، واستعارت منها طرائف الغناء العربي في أول عهدنا الاسلامي ، ويضاف الى ذلك ما رواه (التيفاشي) * بالنقل عن ابن سعيد الغرناطي * : « من ان مشاهير الملحنين الأندلسيين كثيرا ما كانوا يتخيرون من اشعار أدباء افريقية مقطوعات من أقوالهم يصوغون عليها تلاحين مناسبة » منها فيما ذكر التيفاشي (في كتابه « متعة الأسماع في علم السماع ») شعر الحسن بن رشيق القيرواني الذي لحنه (ابن باجة) * الفيلسوف . وهذّبه المخترع (ابن حاسب) كبير الملحنين بالأندلس وهو قوله :
وَمِنْ حَسَنَاتِ الدَّهْرِ عِنْدِي لَيْلَةٌ
مِنَ الدَّهْرِ لَمْ تَتْرُكْ لِأَيَّامِنَا ذَنْبًا

نَعْمَنَا بِهَا نَنْفِي الْكَرْيَ عَن جُفُونِنَا
 بِلَوْلُؤَةِ مَمْلُوءَةِ ذَهَبًا رَطْبًا
 وَمِلْنَا لِتَقْيِيلِ الثُّغُورِ وَكُثْمِهَا
 كَمَثَلِ جِيَّاعِ الطَّيْرِ تَلْتَقِطُ الْحَبَّ
 كما لَحَنَ الأندلسيون بعض أشعار (محمد بن شرف) . أو (أبي
 الحسن علي الحصري) و(عبد الكريم الحلواني) وكلهم من مهاجري
 القيروان الى الأندلس .

وتزايد نزوح الأدباء وأصحاب الفنون الى الاصقاع البعيدة
 وَطَوَّحَتْ بِهِم أَيْدِي النَّوَى لَمَّا حَدَثَتْ الْكَارِثَةُ الْكَبِيرَى : هجوم
 بني هلال وبني سليم على افريقية، فما بقي شاعر ولا فنان الا
 وقد فارق وطنه والتجأ الى بعض البلاد وان كانت قاصية نائية،
 فدخل بعضهم جزيرة صقلية والمغربيين الأوسط والاقصى والاندلس، وقصد
 البعض الآخر أقطار المشرق وأصبحت الحضارة العربية الافريقية
 كأمس الدابر.

اللهم الا بقية ضئيلة انحازت الى الساحل التونسي - المهديية
 وما جاورها - استندت الى رعاية أوأخر الامراء الصننهاجيين، وانتصب
 بعضهم في مدينة تونس وقد استقلَّتْ بِهَا اسرة (بني خراسان من
 الطوائف) * حيث أحيوا سننا انقرضت من الحضارة القيروانية .

على ان حركة الهجرة لم تحصل من طرف واحد بل ان البلاد
 التونسية بمجرد ما استقرت بها دويلات (الطوائف) قَصَدَ عواصمها
 الكبيرة أدباء وفنانون ماهرون سريعاً ما انخرطوا في خدمة أمرائها
 ورؤسائها. ومن بين هؤلاء الوافدين الاجلاء الذين يستحقون الالتفات
 بصفة خصوصية الحكيم النابغ (أبو الصلت أمية ابن عبد العزيز بن

أبى الصلت) الدانسي الاشيلي ، فانه ولد في سنة 460 هـ (1067م) بدانية من مدائن الاندلس وتعلم بإشبيلية مقر الفن ودرس الحكمة ومارس الآداب والفنون الرفيعة، ثم خرج من وطنه في سن الثلاثين وقصد المهديّة حيث نزل على أميرها الأديب يحيى بن تميم بن المعز بن باديس، وأقام في حاشيته الى ان أرسله سفيرا الى ملك مصر ، لما رأى فيه من الخصال النادرة والعلم الغزير من أدب وفلسفة وطب مع إتقان الفنون بأنواعها وأوضاعها وقبول أمية في القاهرة بما يستحق من التقدير لدُنّ الامراء والحكماء وسائر الطبقات .

وهناك دارت عليه دائرة غريبة كانت من أفيد النوائب وأفجع المحن عليه وعلى العلوم بصفة عامة، وذلك انه تعهد لبعض الأمراء المصريين بإخراج مركب محمل بالبخائع الثمينة غرق في بحر الاسكندرية فباشر أمية أعمال الإخراج بأدق الوسائل الفنية وجلب السفينة الى ان طفت على الماء لكنها رسبت لانقطاع الجبال والارسان، فحقت عليه الامير وأمر بسجنه، فسيق الى دار فيها خزانة كتب جليلة القدر، خلا فيها امية سنوات انكب على المطالعة وأمتن معلوماته في الفلسفة والطب والتلحين، ثم أطلق سراحه فعاد الى المهديّة وانتظم في خدمة الامراء الصنهاجيين يحيى وعلي والحسن وهو آخرهم ، والى الاول منهم قدم « الرسالة المصرية » التي وصف فيها ما رآه في ديار مصر من الآثار ومن أخلاق السكان وذكر من اجتمع بهم فيها من الادباء والاطباء والمنجمين وغيرهم .

كما ألف للأمير يحيى المتقدم كتاب « حديقة الأدب » على أسلوب « يتيمة الدهر » للشعالي، وقدم للأمير علي بن يحيى رسالة فائقة في الموسيقى، وله رسالة في « العمل بالاسطرلاب » وكتاب في « الهندسة » الى غير ذلك من المصنفات الشاهدة بطول باعه في العلوم والفنون .

ولم يزل مكسراً لدى الملوك الى ان كانت وفاته بالمهدية يوم
الاثنين مستهل المحرم سنة 529 هـ (نوفمبر 1134) ودفن تحت الرباط
الكبير بالمنستير .

والذي يهمنا من ترجمة حياته هي الناحية الفنية - والموسيقى
خاصة - فقد كان فيها كما قال ابن اصبعة (في طبقات الأطباء) :
« كان أوحد في العلم الرياضي، متقناً لعلم الموسيقى وعمله، جيد
اللب بالعود » وزاد على ذلك علي بن سعيد الغرناطي عند التعريف به
عبارة ذات اهمية عظيمة جدا وهي قوله (حسب ما نقله المقرئ في
« نفع الطيب ») : « كان يكتنى بالأديب الحكيم وهو الذي لحن الأغاني
الافريقية واليه نسب الى الآن ».

وإذا ما اردنا تحليل هذه الجملة الأخيرة يتبين لنا أن أمية هو
الذي نهج للافريقيين - في القرن السادس هـ - طريقة جديدة في تلاحينهم
وبكل أسف لا ندرى ما هية هذه الطريقة أهي مشرقية الوضع
اذ انه أقام عشرين سنة في مصر ، أم هي أندلسية الاسلوب ؟ وقد
نشأ هنالك ولم يفارق وطنه الا بعد الثلاثين من العمر. وقد يجوز
من ناحية أخرى انه أخذ الأساليب التي كانت متبعة في افريقية نفسها
منذ قديم الزمان وهدبها ورتبها ووضع لها قانونا يعتمد عليه ،
فهذه كلها أسئلة لا يتيسر الجواب عنها إلا اذا أمكن الوقوف على
تأليفه في الفن الموسيقي .

وعلى كل فإننا نستفيد من النص المتقدم أن طريقة أمية بقيت متبعة في
إفريقية الى أيام (علي بن سعيد الغرناطي) . الذي استوطن تونس ومات بها في
منتصف القرن السابع للهجرة يعني عنفوان الدولة الحفصية . ونحن
نعلم من جهة أخرى ان الحضارة التونسية في مدة ملوك بني حفص كانت
أصولها أندلسية أكثر منها مشرقية .

حسن حسني عبد الوهاب

« ورقات » ج 2 ص 224 - 230

الأعلام :

أحمد بن يوسف بن أحمد بن أبي بكر بن حمدون بن حجاج القيسي شرف الدين ، ويتسبأ
أوائله الى بلدة (تيفاش) الكائنة الآن بشمال عمالة قسنطينة من القطر الجزائري - ومولده
بقفصة في الجنوب التونسي سنة 580 هـ (1184م) وقرأ بسقط رأسه حيث استقر اجياده
وآبؤه من زمن بعيد - وهو من اسرة علم وادب ، لاسيما محمد عم ابيه الذي منح امير
الموحدين عبد المؤمن بن علي حين فتح افريقية 555 هـ (1160) - وابوه قاض - وقد انتقل
احمد في صغره الى عاصمة تونس وقرا بجامعة الزيتونة ثم سافر الى مصر ودرس بها -
وعند رجوعه الى بلاده ولاه أبو زكرياء الأكبر - أول ملوك بني حفص - خطة القضاء
ببلده قفصة ، وبعد حين ترك الوظيفة وقصد المشرق واصابته في هذه السفرة كارثة اذ غرق
ابنائه الثلاثة ونجا هو « على لوح مسلوبا من الاهل والمسال » على حد قوله. وكانت زوجته
قد ماتت قبل خروجه من تونس بايام. وبعد تجوال في الشرق استقر نهائيا في القاهرة حدود
سنة 630 هـ واختلط بالطبقة العالية من الرؤساء والاعيان والادباء ومنهم ابو الحسن علي بن
سعيد القرناطي المؤرخ الاديب الاندلسي المشهور صاحب كتاب (المغرب في محاسن المغرب)
والف تيفاشي مصنفات عديدة لم يصل اليها الا النزر القليل وفي مقدمتها:

أ - « فصل الخطاب في مبارك الحواس الخمس لأولى الألباب » وهو موسوعة كبيرة في
مختلف العلوم والتاريخ والادب في اكثر من اربعين كتابا ومن اشهر اجزائه كتاب
« ازهار الافكار في جواهر الاحجار » يوجد هذا الاخير مخطوطا في كثير من المكتبات
ومنه نسختان عند حسن حسني عبد الوهاب (وقد نشره المتشرك الهولاندي (راو Rau)
مع ترجمة لاطينية سنة 1818.

وقد اغرت مجموعة « فصل الخطاب » معاصره جمال الدين محمد بن منظور صاحب
(لسان العرب) على اختصارها وسميها « نثار الازهار في الليل والنهار » وقد اعتنى احمد
فارس الشدياق بطبعه في الجواثب 1298 هـ وهو كل ما ظهر للخارج من هذه الموسوعة الخطيرة.
ب - « الدررة الفائقة في محاسن الأفارقة » (مفقود).

ج - « الديقاج الخسرواني في شعر ابن هاني » (وهو شرح على ديوان محمد بن هاني
التونسي الاندلسي الخ...

وتوفي التيفاشي في القاهرة سنة 651 هـ / 1253م ودفن بمقبرة لتصر حيث قبور بن هشام
النحوي وابن خلدون وسواهم من العلماء الاعلام...

كتب « متعة الاسماع في علم السماع » لتيفاشي (مخطوط) (يوجد بالمكتبة العاشورية)

• ابن باجة : (أبو بكر محمد بن يحيى الصائغ) ولد بمدينة سرقسطة (الأندلس) في أواخر القرن الخامس الهجري (أواخر القرن الحادي عشر للميلاد) وهاجر إلى إفريقية حيث نال حظوة في بلاط المرابطين بفاس. انصرف إلى العلوم الطبيعية والفلك والرياضة والطب وكان شاعراً مطبوعاً ووشاحاً مشهوراً وملحناً بارعاً. مات مسموماً سنة 533 هـ – 1138 م في فاس وبها دفن. شرح «أرسطو». له كتاب «تدبير المتوحّد» و«رسالة الوداع».

• بنو خراسان : من ملوك الطوائف أسرة استقرت في مدينة تونس بعد غزوة بني هلال وكانت تليها من قبل الصنهاجيين. كان زعيمها هو الذي حكم البلاد حكماً مطلقاً وأبرم معاهدة مع العرب ليضمن تموين المدينة وحماية المسافرين وابتنى لنفسه قصرًا وجمع حوله الأدياء ثم غلب على أمره (1128م). دام استقلال هذه الأسرة من 458 إلى 551 هـ .

• طبعت «الرسالة المصرية» في القاهرة ضمن رسائل نشرها عبد السلام هارون.
• عطي بن سعيد الفرناطي (أبو الحسن) مؤرخ وأديب أندلسي من القرن السابع اختلط بالتيفاشي وله كتاب «المغرب في محاسن المغرب».

صُورَةٌ عَنِ الْمَجَالِسِ الْأَدَبِيَّةِ بِإِفْرِيْقِيَّةٍ

يقول ابن رشيّق (في الانموذج) : حدّثني بعض أصحابنا قال : حضرت مجلس أبي محمد بن عبد العزيز بن أبي سهل البقال وقد احتفل ، اذ دخل يعلى بن ابراهيم بن عبد الخالق . مُغَضَّباً تظهر عليه الوجْمةُ فقال له الشيخ : ما بالك يا أبا الحسن وجماً ؟ قال : أتيت أخانا الفضل جعفرًا كاتب المعز - يعني المعز بن سيف العزيز بالله - زائراً فحجب ، و والله لولا المحافظة لكانت قطعة . ثم قال لأحد التلاميذ : مدّ دلي فكتب :

أَتَيْتُكَ زَائِراً فَحُجِّبْتَ عَنِّي وَلَمْ يُعْرَفْ مَكَانُكَ بِالْحِجَابِ
فَلَا تَحْسَبْ بِأَنِّي ذُو اغْتِنَامِ لِأَكْتَلِ عِنْدَ مِثْلِكَ أَوْ شَرَابِ
فَلِي نَفْسٌ عَلَى اللَّوَاءِ قَرَّتْ ، جَوَانِبُهُمَا وَتَقْنَعُ بِالتُّرَابِ
وَتَطْمَعُ فِي ذُرَى الْخَيْلَاءِ كِبَرًا إِذَا سِيَمَتْ بِضِيقِ الْإِكْتِسَابِ
وَلَوْلَا أَنِّي فِي خُلُقِي اتِّشَادًا تَرَكْتُكَ بَعْدَهَا خَلِيقَ الْإِهَابِ
وَلَكِنِّي رَأَيْتُ الصَّبْرَ أَوَّلِي بِمِثْلِي فَانْتَصَرَفْتُ إِلَى الْعَتَابِ
فأشفق الشيخ من ذلك إشفاقاً شديداً وخشي عادية جعفر وبادرته لانه كان شاعراً حاذقاً صاحب معان وتوليد ، وَبَلَغَتْهُ الأبياتُ ، فاعتذر من الحجاب ، ولم يُجب عنها بحرف موزون تقاية من شر يعلى وقطعاً للسانه « . . .

ونقرأ في بدائع البدائه (لابن ظفّير الأزدي) قول ابن شرف : « استدعاني المعز بن باديس يوماً واستدعى أبا علي الحسن بن رشيّق الأزدي وكنّا شاعري حضرته وملازمي ديوانه ، فقال أحب ان نصنع بين يدي قطعتين في صفة الموز على قافية الغين . فصنعنا حالاً من غير أن يقف أحدهما على ما صنعه الآخر ، فكان الذي صنعه :
يَا حَبْدًا الْمَوْزُ وَإِسْعَادُهُ مِنْ قَبِيلِ أَنْ يَمْضَغَهُ الْمَاضِغُ

لَا نَإِ إِلَىٰ إِنْ لَا مَجَسَّ لَسِيهِ فَالْقَسَمُ مَلَأَنُ بِهِ فَارِغُ
مِيَانُ قُلُنَا مَا كَلُّ طَبِيبُ فِيهِ وَإِلَّا مَشْرَبُ سَائِغُ
وَالَّذِي صَنَعَهُ ابْنُ رَشِيقُ :

مَوْزٌ سَرِيعٌ أَكَلُهُ مِنْ قَبْلِ مَضْغِ الْمَاضِغِ
مَأْكَلَةٌ لَا كَلَّ وَمَشْرَبٌ لَسَائِغِ
يُخَالُ وَهُوَ بِالسَّائِغِ لِلْحَلِيقِ غَيْرَ بِالسَّائِغِ
فَأَمَرْنَا لِلْوَقْتِ أَنْ نَصْنَعَ فِيهِ عَلَى حُرُوفِ الذَّالِ . فَعَمَلْنَا وَلَمْ
يَرِ أَحَدُنَا صَاحِبَهُ مَا عَمِلَ فَكَانَ الَّذِي عَمَلْتَهُ الْأَيْبَاتُ الْمَتَّةَ مِنْ
الرَّجَسِ :

هَلْ لَكَ فِي مَوْزٍ إِذَا
ذُقْتَاهُ قُلُنَا حَبْدًا
فِيهِ شَرَابٌ وَغِذَا
يُرِيكَ كَالْمَاءِ الْقَدَى
لَوْ مَاتَ مِنْ تَلَذُّذَا
بِهِ لَقِيلَ ذَا بِذَا

وما عمله ابنُ رَشِيقُ :

لِلَّهِ مَوْزٌ لَذِيذٌ يُعِيدُهُ الْمُسْتَعِيدُ
فَوَاكِهِ وَشَرَابٌ بِهِ بُدَاوَى الْوَقِيدُ
تَرَى الْقَدَى الْعَيْنُ فِيهِ كَمَا يُرِيهَا النَّيِّدُ

قال ابن شرف : فأنت ترى هذا الاتفاق لما كانت القافية واحدة
والقصد واحدا . ولقد قال من حضر ذلك اليوم : ما ندري ممَّا نتعجب ،
أمن سرعة البديهة أم من غرابة القافية أم من حسن الاتفاق !

أمَّا نحن فلسنا نتعجب من هذا الاتفاق ، فليس في الأمر ما يشير
العجب ، لأن الاتصال الطويل العريض بينهما قبل أن يجمعهما ديوان

المعز جعل تالتيهما للأمر من الخارج متشابهاً متقارباً ؛ وأخذهما عن مشاهير عصرهما أمثال أبي الحسن القابسي ، وأبي اسحق الحصري ، والقزاز ، وغيرهم جعلهما « قارئين على شيخ واحد » كما نقول في أمثلتنا العامية. فإذا اجتمع إلى ذلك كله شرط القافية الواحدة والقصد الواحد لم يعد في الأمر غرابة ؛ ولم يكونا يصدران عن طاقة فنية في ذلك ؛ ولم يكونا يتناولان الموضوع كما يقع في داخل نفوسهما أو في وجدانهما وإنما هما يتناولانه تناولاً موضعياً من خارج النفس ؛ وإذن فالتعجب يقوم لو أبعدهما الاختلاف وليس من اتفاقهما وتلاقيهما لأن استحالة الاتفاق تكون في تناول الداخلي للموضوع حين يقع في الوجدان وما أقل مكان الأدب في ذلك الحين يصدر عن الوجدان أوعن داخل النفس وإنما كان يتخذ لما تتخذ له الصحف في هذه الأيام؛ ولهذا كان حرص ذوي السلطان على أصحابه يشترونهم ليكونوا أبواقاً تزعق للسلطان وأيديها تصفتق في مواكبه وألسنته تلهج بالثناء عليه وعلى كل ما يصدر عنه وأصداء لرغباته وشهواته :

الدكتور عبد الرحمان ياغي

(حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها)

ط. دار الثقافة ببيروت 1962

ص 156 - 157 - ص 195 - 197

الإعلام :

- يعلى بن ابراهيم بن عبد الخالق الإبريسي : انظر ترجمته في نص مجالس النهو في القيروان
- ابن شرف القيرواني : انظر ترجمته في القسم الخاص به .
- ابو الحسن القاسبي : انظر ترجمته في نص « اعتناء الملوك الفاطميين بتثقيف ابنائهم بإفريقية » (القسم الخاص بابن هاني)
- ابو اسحاق الحصري : انظر ترجمته في النص الموالي
- القزاز : ابو عبد الله محمد بن جعفر التميمي النحوي القيرواني - كان عالما بالعلوم العربية يغلب عليه النحو واللغة وكان شاعرا مطبوع الشعر توفي بالقيروان سنة 412 عن نحو سبعين سنة .

اسئلة :

- 1) هل رسم لك هذا النص صورة واضحة عن المجالس الأدبية في مجالس للمخاضة ومجلس الأمير؟
- 2) ما هو موقف الدكتور ياغي من هذه المجالس؟ وما هو رأيك في هذا النوع من الأدب؟

بِأَسْمَاءِ اللَّهِ فِي الْقِرْدَانِ فِي عَصْرِ نَبِيِّ زَيْرٍ

في ترجمة عبد الكريم النهشلي * يقول ابن رشيّق (في الأنموذج):
« حدثني من أتق به قال : كنتُ في مجلس شراب والكأس في يد عبد
الكريم فصفقنا والرواقص ترقص فصفق عبد الكريم فأسقط الكأس
في حجره وعليه ثياب نفيسة فألفها فقلنا له : ما هذا ؟ فقال : ما علمت
أنّ الكأس في يدي ».

في مثل هذه المجالس كانت تُدار الكؤوس وترقص الراقصات
وتلعب الخمر بالرؤوس ويتشّى بالرقص رجالُ الأدب، وكانوا يتخيرون
لمثل تلك المجالس نفيس الثياب وكانت تقع منهم أعمال وحرركات
تضحك سائر من في المجالس، تلك هي ثمرة اللهو والفساغ والشراء
ووفرة الجوارى والراقصات وهي أمور لا تتوفر في البيئات البادية
ولأنما تكثر في البيئات التي اختلط أهلها بمختلف الأجناس ورأوا
مختلف الحضارات، وهذه الأجواء في المجتمعات تُهيئُ للصّلات بين
الرجل والمرأة، فيكثر العشق وما ينتج عن العشق من نتائج، فيعلّى بن
إبراهيم الأربسي * يدور حول مكان بعينه ويكثر من الدوران ويصطحب
معه ابن رشيّق ثم يقول ابن رشيّق : « فعلمت أن له خيراً ثم كشفت
عن القصة بعد ذلك فإذا دار عشيقته هناك وصحبته إلى تلك الناحية
فأنشدني :

وَمَا بِي أَنْ أَفْنَى عَلَيْكَ تَأْسُفًا وَلَا أَنْ قَلْبِي فِي هَوَاكَ يَدُوبُ
وَلَكِنِّي أَخْشَى بِهَجْرِكَ تَنْقِضِي حَيَاتِي وَمَا لِي مِنْ رِضَاكَ نَصِيبُ
فالعشق في هذه المجتمعات مُيسرٌ حتّى للشيوخ من الأدباء ولا ضمير
عليهم في ذلك...

ولم يكن ابن رشيّق مثلاً ببناءى عمّا كان يجري في بيئته الاجتماعية
كان يرتاد مجالسها ويشارك فيما يشارك فيه أصحابها وترقص أمامه
الراقصات وتدور عليه الكؤوس ويصفق مع المصفقين ويلهو ويعبث مع
اللاهين والمابئين ويلبس نفيس الثياب وكان ممن يفسون دور الخمارين

وكان من ندمائه الغلمان الذين يتخذون في تلك الدور ليجلبوا الرواد إليها وكان يقول في ذلك كله شعرا :

وَمِنْ حَسَنَاتِ الدَّهْرِ عِنْدِي لَيْلَةٌ
مِنَ العُمُرِ لَمْ تَتْرُكْ لِأَيِّمِنَا ذَنْبًا
خَلَوْنَا بِهَا نَنفِي الكَرَى عَنِ عِيُونِنَا
بِلُؤْلُؤَةٍ مَمْلُوءَةٍ ذَهَبًا سَكَبَا
وَمِلْنَا لِتَقْبِيلِ الخُدُودِ وَلِثَمِّهَا
كَمَيْلِ جَنَاحِ الطَّيْرِ يَلْتَقِطُ الحَبَّاءَ

وفيما وصل إلينا من مقتطفات شعرية لابن رشيق نجد الخمر تحتل مكاناً بارزاً ؛ ومهما يكن في الأمر من تقليد في وصفها إلا أن الإقبال عليها والقول فيها يدل على أن القوم قد ألقوها وألقوا ما يقال فيها ، فصاحبنا مفتون بالمدامة من غير أن تمزج ، يريدها صرفة :

قَدَرُ المُدَامَةِ فَسَوْقِ قَدَرِ المَاءِ
فَارغَبْ بِكَاسِكَ عَنِ سَوَى الأَكْفَاءِ
مالي ومزجُ الراحِ إلّا في فَمِي
بالرِيقِ مِن فَمِ غَادَةٍ حَسَنَاءِ

ثم يقول بعد أن مضت عليه سنون وخلّف شابهه وراءه :
فَرَعْتُ سَنِي عَلَى مَا فَاتَنِي نَسَمًا
مِنَ الشَّبَابِ وَمَنْ بِاللَّهُوِ لِشَيْبِ ...

الدكتور عبد الرحمان ياغي

(حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها)

ط . بيروت 1962 ص 295 - 298

الإعلام :

• عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي : شيخ ابن رشيق منشأه بالمحمدية؛ شاعر قوي
واستاذ النقد بالقيروان . مِصْطَفَ كتاب «المتع في علم الشعر وعمله» ينقل عنه ابن رشيق
كثيراً في العمد.

• يعلى بن إبراهيم الأربسي : أصله من مدينة الأريس وتأدبه بالقيروان وكان مليح
الكلام لألفاظه حلاوة وعليها طلاوة . يذهب إلى الفلسفة في شعره ويغرب في عبارته وربما
تكلف قليلاً حسب رأى ابن رشيق فيه - مترسل عالم بالطب والهيئة.

أسئلة :

- (1) - كيف تبدولك بيئة الأدباء والخاصة في عصر ابن رشيق وما هو موقفه منها؟
- (2) - ماهي علاقة شعر ابن رشيق بحياته وبيئته من خلال ما ورد في النص من شعر؟

النقد الأدبي في أرقية أيام بني زيري

كانت بيئة ابن رشيق * تتلاقى فيها الأصداة النقدية من المشرق ومن المغرب فتمتزج بما فيها من أصوات : كان فيها اللغويون وللعروضيون وكان لهم رأيهم في الشعر وفي اللغة والغريب والمحسنات اللفظية والبلاغية وكان فيها النقداء الأدباء الشعراء، كان فيها القزّاز وأمثاله وكان فيها عبد الكريسم النهشلي * وأضرابه.

كتب عبد الكريسم النهشلي * كتابه «المتع» في النقد تناول فيه رأيه في الشعر وأثر البيئة في الأدب ؛ وكتب أبو إسحق الحصري * كتابه «زهر الآداب» اختار فيه (على حد قوله) «قطعة كافية من البلاغات في الشعر، والخبر، والفصول، والفقر مما حسن لفظه ومعناه واستُدلّ بفحواه على مغزاه ولم يكن شاردا حوشياً ولا ساقطاً سوقياً... وهو كتاب يتصرف الناظر فيه من نشره إلى شعره ومطبوعه إلى مصنوعه، ومحاورته إلى مفاخرته، ومناقشته إلى مساجلته وخطابه المبهت إلى جوابه المُسكت وتشبيحاته المصيبة إلى اختراعاته الغريبة وأوصافه الباهرة إلى أمثاله السائرة وجِدّه المعجب إلى هزله المطرب وجزله الرائع إلى رقيقه البارع. وقد نزعَت فيما جمعت عن ترتيب البيوت وعن إبعاد الشكل عن شكله وإفراد الشيء من مثله، فجعلت بعضه مسلسلاً وتركت بعضه مُرسلاً ليحصل محرر النقد مقدّر السرد قد أخذ بطرقتي التأليف واشتمل على حاشيتي التصنيف».

ويتناول ابن شرف * في رسالة «أعلام الكلام» الشعر والشعراء ومنازلهم في الجاهلية وإسلامهم ومذاهبهم، قديمهم وحديثهم وكيف كانت الأشعار قبل امرئ القيس وأمثاله، سواذج فجدد فيها، وكيف

أنّ الطبع مُعلِّمٌ حاذقٌ والذكاء جواد سابق ؛ وأخذ يعرض لكل شاعر
ولأخباره المشهورة ومميزاته الخاصة ،

فقال عن أبي نواس مثلاً : « فأما أبو نواس فأول الناس في حرم القياس ،
وذلك أنه ترك السيرة الأولى ونكب عن الطريقة المثلى ، وجعل الجد هزلاً
والصعب سهلاً فهلهل المشدد ولبيل المنضد وخلخل المنجد وترك الدعائم
وبنى على الطامى والعائم ، وصادف الإفهام قد كلت وأسباب العريية قد
تخلخت وانحلّت والفصاحات قد سثمت ومثّلت فمال الناس إلى ما عرفوه
وعلقت نفوسهم بما ألتوه فتهاودوا شعره وأعلوا سعره شغفوا بأسخفه
وكلفوا بأضعفه ، وكان ساعده أقوى وسراجيه أضوى لكنه عرض
الأنفق وأهدى الأوفى وخالف فشهّر وعرف وأغرب فذكر واستظرف ،
والعلوم تجار هذه الأغلاق . وأسواقهم أوسع أسواق . فشعر ابى نواس نافق
عند هذه الأجناس كاسد عند أنفد الناس ، وقد فطن إلى استضعافه وخاف
من استخفافه . فاستدرك بفصيح طرّده طرفاً جذ اللسان الاول وحدده ،
وهو محدود في كثرة التظاهر . على من غض منه بالحق الظاهر ، ليس إلا
لخفة روح المجنون وسهولة الكلام الضعيف اللحنون على جمهور
العوام لا على خواص الأنام . »

ثم يضى في إبداء رأيه في الشعراء المشهورين من المشرق ، ويتقل إلى
شعراء المغرب ويبدى فيهم رأيه من غير منهج نقدي شامل ولا تحليل منهجي
معلل ؛ ثم يعرض في آخر الرسالة لأبيات متفرقة من أشعار حكمية ولأبيات
من أحسن المراثي وأفصحها وارجعها ولما يعجبه من المدح .

وتبقى في إفريقية هذه الطريقة في النقد الأدبي تناول أخباراً نقدية
متناثرة وأحكاماً على الأدب متفرقة وآراء في الشعراء جزئية غير
متقضية إلى أن يجيء ابن رشيق فيختص في نقد الشعر عامة ويسوّب

البحث ويجمع له عدته وينظم منهجه... ولقد وصل إلينا مما خلفه لنا ابن رشيقي من تراث في النقد آثار ثلاثة: العمدة، والأنموذج (من خلال شذرات محفوظة في كتب الأدب وخاصة في مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري) وقراءة الذهب.

الدكتور عبد الرحمان ياغي

(حياة القيروان وموقف ابن رشيقي منها)

ط. دار الثقافة ببيروت 1962

ص 398 - 401

الأعلام:

- ابن رشيقي: انظر ترجمته في القسم الخاص به
- عبد الكريم النهشلي: انظر ترجمته في نص "مجالس اللهوف في عصر بني زيري"
- ابن اسحاق الحصري (ابراهيم بن علي بن تميم) أديب قيسرواني صاحب كتاب «زهر الآداب» وكتاب «المصون في سر الهوى المكنون» وله ديوان شعر - مات بالمنصورية قريبا من القيروان سنة 413 هـ 1023 م وشهر الحصري نسبة الى قرية الحصر كانت حذو القيروان
- ابن شرف القيسرواني: انظر ترجمته في القسم الخاص به.

اسئلة:

- 1) كيف يبدو لك النقد قبل ابن رشيقي من خلال الفقرات الواردة في النص؟
- 2) كيف يبدو لك حكم ابن شرف على ابي نواس؟

تقسيم :

اكتمل النقد الأدبي في القرنين الرابع والخامس في المشرق العربي والاندلس على يد ثلثة من أعلام النقد منهم : قدامة بن جعفر في كتاب «نقد الشعر» والأمندي في «الموازنة بين الطوائين أبي تمام والبحتري» والقاضي الجرجاني في «الوساطة بين المتنبي وخصومه» وابن شهيد الأندلسي في «رسالة التواضع والزوابع» وابن شرف القيرواني في «مسائل الانتقاد» وابن رشيق القيرواني في كتابه «أنموذج الزمان في شعراء القيروان» وفي رسالة «قراضمة الذهب» كتاب «العقدة في صناعة الشعر ونقده» .

والنقد عند ابن رشيق على نوعين نظري وتحليلي ، وهو بمعناه العلمي الصحيح درس الأثر وفهمه وتقييمه بإبراز نخبوته وعموبه ثم الحكم له أو عليه .

العرب أفضل الأمم ، وحكمتها أشرف الحكم ، لفضل اللسان على اليد ، والبعد عن امتهان الجسد ، إذ خروج الحكمة عن الذات ، بمشاركة الآلات ، إذ لا بد للإنسان من أن يكون تولى ذلك بنفسه ، أو احتاج فيه إلى آلة أو معين من جنسه .

وكلام العرب نوعان : منظوم ، ومشور ، ولكل منهما ثلاث طبقات : جيدة ومتوسطة وردیثة ، فإذا اتفق الطبقتان في القدر ، وتساوتا في القيمة ، ولم يكن لإحدهما فضل على الأخرى كان الحكيم للشعر ظاهرا في التسمية ، لأن كل منظوم أحسن من كل مشور من جنسه في مُعترف العادة ، الأثرى إن الدرّ - وهو أخو اللفظ ونسيبه وإليه يُقاس ، وبه يُشبهه - إذا كان مشورا لم يؤمن عليه ، ولم يُستفح به في الباب - له كُسب ، ومن أجله انتخب ، وإن كان أعلى قدرًا وأعلى ثمنًا ، إذا نُظِمَ كان أصون له من الابتذال ، وأظهر لحسنه مع كثرة الاستعمال ، وكذلك اللفظ إذا كان مشورًا تبسّد في الأسماع ،

وتدحرج عن الطباع ، ولم تستقر منه إلا المفردة في اللفظ وإن كانت أجملته ، والواحدة من الألف ، وعسى أن لا تكون أفضله ، فإن كانت هي اليتيمة المعروفة ، والفريدة الموصوفة ، فكسب في سقَط (1) الشعر من أمثالها ونظرائها لا بعبأ به ، ولا يُنظر إليه فإذا أخذه سلكُ الوزن ، وعقد القافية ، تألفت أشتاته ، وازدوجت فرائده وبناته ، واتخذته اللابس جمالا ، والمدخر مالا ، فصار قِرْطَـةَ الآذان ، وقلائد الأعناق ، وأمانى النفوس ، وأكابل الرؤوس ، يُقلب بالأسن ، ويُخبأ في القلوب مصوناً باللب ، ممنوعاً من السرقة والغصب .

وقد اجتمع الناس على أن المنشور في كلامهم أكثر ، وأقل جيدا محفوظاً وأن الشعر أقل ، وأكثر جيدا محفوظاً ، لأدب في أدناه من زينة الوزن والقافية ما يقارب به جيد المنشور .

وكان الكلام كُتبهُ منشوراً فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها وطيب أعرافها وذكر أيامها الصالحة وأوطانها النازحة وفرسانها الأنجاد وسحائبها الأجواد لتهز أنفسهم إلى الكرم وتدلّ أبناءها على حسن الشيم فتوهّموا أعاريض جعلوها موازين الكلام فلمّا تمّ لهم وزنه سموه شعرا لأنهم شعروا به أي : فطنوا .

وقيل ما تكلمت به العرب من جيد المنشور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون فلم يحفظ من المنشور عشره ولا ضاع من الموزون عشره .

ولعلّ بعض الكتّاب المتصرّين للنثر الطاعنين على الشعر يحتج بأن القرآن كلام الله تعالى منشور وأن النبي (صلى الله عليه وسلم) غير شاعر لقول الله تعالى : (وما علّناهُ الشعر وما ينبغي له) ويرى أنه قد أبلغ في الحجّة وبلغ في الحاجة والذي عليه في ذلك أكثر مما لآل الله تعالى إنّما بعث رسوله أمياً غير شاعر الى قوم يعلمون منه حقيقة ذلك حين استوت الفصاحة واشتهرت البلاغة آية للنبوة وحجة على

الخلق وإعجازا للمعاطين وجعله مشورا ليكون أظهر برهانا لفضله على الشعر الذي من عادة أصحابه أن يكون قادرا على ما يجه من الكلام وتحدثي جميع الناس من شاعر وغيره بعمل مثله فأعجزهم ذلك، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (قُلْ لَنْ أَجْتَمِعَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) فكما أن القرآن أعجز الشعراء وليس شعر كذلك أعجز الخطباء وليس بخطبة والمرسلين وليس بترسل. وإعجازه الشعراء أشد برهانا ألا ترى كيف نسبوا النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى الشعر لما غلبوا وتبين عجزهم؟ فقالوا هو شاعر لما في قلوبهم من هيبة الشعر وفخامته، وأنه يقع منه مالا يُلْحَقُ، والمثور ليس كذلك فمن هنا قال الله تبارك وتعالى « وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشَّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ » أي لَتَقُومَ عَلَيْكُمْ الْحُجَّةُ وَيُصْحَقُ قَبْلَكُمْ الدَّلِيلُ ويشهد لذلك رواية يونس عن الزهري. أنه قال: معناه ما الذي علمناه شعرا وما ينبغي له أن يبلغ عن الشعر. وقال غيره أراد وما ينبغي له أن يُبَلِّغَ عَنَّا مَا لَمْ نُعَلِّمَهُ أَي لَيْسَ هُوَ مِمَّنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ، لأمانته ومشهور صدقه ولو أن كون النبي (صلى الله عليه وسلم) غير شاعر غض من الشعر لكانت أمية غضا من الكتابة، وهذا أظهر من أن يخفى على أحد.

واحتج بعضهم بأن الشعراء أبدا يخدمون الكاتب، ولا تجد كاتباً يخدم شاعرا وقد عُمِّيتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبِيَاءُ، وإنما ذلك لأن الشاعر واثق بنفسه، مُدِلٌ بما عنده على الكاتب والمالك، فهو يطلب ما في أيديهما ويأخذه، والكاتب بأي آية يفضل الشاعر فيرجو ما في يده؟ وإنما صناعته فضلة عن صناعته، على أن يكون كاتب بلاغة، فأما كاتب الخدمة في القبانون وما شاكلة فصانع مُسْتَأْجَرٌ مع أنه قد كان لأبي تمام. والبحتري. فهأرمة (2) وكتاب، وكان

من عميان الشعراء كتاب أزمّة كيشار وأبي علي البصير. وكان ابن الرومي من أكبر كتاب الدواوين، فغلب عليه الشعر، لأنّه غلاب. وكما نجد من يمدح السوقة من الشعراء فكذلك نجد للسوقة كتابا، وللتجار الباعة، في زمننا هذا وقبله.

ولم أهجم بهذا الردّ، وأورد هذه الحجة لولا أنّ السيد . - أبقاء الله - قد جمع النوعين وحاز الفضيلتين، فهما تقطعان من بحر، ونوّارتان من زهره، وسيرد في أضعاف هذا الكتاب من أشعاره ما يكون دليلا على صدق ما قلته ان شاء الله تعالى.

ومن فضل الشعر ان الشاعر يخاطب الملك باسمه، وينسبه الى أمه، ويخاطبه بالكاف كما يخاطب أقتل السوقة، فلا يُنكر ذلك عليه، بل يراه أوكد في المدح وأعظم اشتهاراً للممدوح، كل ذلك حرص على الشعر، ورغبة فيه ولبقائه على مرّ الدهور واختلاف العصور، والكاتب لا يفعل ذلك الا ان يفعله منظوما غير منشر، وهذه مزية ظاهرة وفضل بيّن.

(العمدة)

لابن رشيق القيرواني

ج : 1 / ص : 19 - 20 - 21 - 22
تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد
ط. القاهرة : 1374 - 1955

الأعلام :

بونس : محدث من طبقة مالك .
الزهري : هو المعروف بابن شهاب الزهري محدث شهير راي

عشرة من الصحابة وجمع نحو ألفي حديث عنهم وعن غيرهم. أقام في الشَّام وقيل انه أول من دوّن الحديث. مات حوالي 125 هـ وهو ابن 72 سنة .

• أبو تَمَّام : هو حبيب بن أوس الطائي ولد في جاسم (سوريا) شاعر عباسي تنقّل في بلاد الشَّام والعراق ومصر . مدح الخلفاء ولا سيما المعتصم واتصل بكثير من الامراء. حفظ من قصائد الشعراء كثيرا. له ديوان طبع عدّة مرّات . وله مختارات شعريّة ضمّنها كتاب « الفحول » وبعض قصائد شعراء الجاهليّة و« الحماسة » وقد ضيّته درر الشعر العربي من الجاهليّة الى العصر العباسي . وتوفّي أبو تمام حوالي سنة 231 هـ / 846 م في الموصل.

• البحتري : هو أبو عبادة البحتري : ولد في بادية منبج (الشام) شاعر عربي طائفي . اختص بخدمة التوكّل ووزيره الفتح بن خاقان. عاد الى منبج وتردد على بغداد وسانراء بمدح بهما الخناء والامراء. اشتهر بوصف العمران والطبيعة. ديوانه طبع عدّة مرّات ولد كتاب « الحماسة » على مثال حماسة أستاذه أبي تَمَّام . توفّي في منبج سنة 284 هـ / 897 م .

• أبو علي البصير :

شاعر بليغ مترسّل. انظر القهرست لابن النديم ص 184. ط. القاهرة .

• السّيدُ : يقصد به عليّاً بن أبي الرّجال : انظر ترجمته في القسم

الخاص به

الشرح :

- 1) السَّقَطُ : يجمع على أسقاط : مالا خير فيه من كل شيء . .
- 2) قَهَّارمة : جمع قهرمان : هو كالحازن والوكيل المحافظ لما تحت يده وانصاحهم بأسور الرجل ، بلفظة الفرس.

أسئلة :

- 1) على أي شيء اعتمد ابن رشيقي في تفضيل العرب على سائر الامم ؟ وهل ترى في موقفه أثر العقليّة الميريّة القديمة ؟
- 2) أين تظهر أسس الطوريقة العلمية في التقيد النظري عند ابن رشيقي ؟

3) اعتبر ابن رشيق الأدب صناعة ، فهل يتجلى مذهب في مصطلحاته النقدية ومعايره الجمالية ؟

4) والد ابن رشيق مملوك رومي احترف الصياغة وعلم ابنه صناعته ، فهل ظهر أثر تلك المهنة على لغة ابن رشيق الناقد الادبي ؟

5) الشعور قلد مشترك بين جميع الناس غير أن الشعراء تميزوا عن غيرهم بما أسماه ابن رشيق « فطنة » وسمّاه القاضي الجرجاني « ذكاء » فهل ترى في ما ذهب اليه تأثرا بالتصور الجاهلي للشعر وهو إلهام من تابع جني ، والشاعر عند الجاهليين هو الكاهن ؟

6) هل ترى مبررا لتفضيل ابن رشيق الشعر على النثر ؟

7) كيف يظهر لك تعصب ابن رشيق للشعر من خلال عرضه لمفهوم إعجاز القرآن واعتباره نوعاً خاصاً من الكلام ليس شعراً ولا نثراً ؟

عَمَّا لِقَرَوْنِيَّةُ

الشعرُ يقومُ بعد النَّبِيَّةِ من أربعة أشياء، وهي : اللفظ والوزن والمعنى والقافية، فهذا هو حَدُّ الشعرِ، لأنَّ من الكلامِ موزوناً مقفى، وليسَ بشعر؛ لعدمِ القَصْدِ والنِّيَّةِ، كأشياء اتزنت من القرآن ومن كلام النبي (صلى الله عليه وسلم)، وغير ذلك مما لم يُطلق عليه أنه شعر، والمتَّزِن : ما عُرِضَ على الوزن قبله . . .

وقال بعض العلماء بهذا الشأن : بُني الشعر على أربعة أركان وهي : المدح والهجاء والنسيب والرثاء .

وقالوا قواعد الشعر أربع : الرغبة والرغبة والطرب والغضب : فمع الرغبة يكون المدح والشكر ، ومع الرغبة يكون الاعتذار والاستعطاف ، ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب ، ومع الغضب يكون الهجاء والتوعُّد والعتاب المُوَجَّعُ .

... وقال قوم : الشعر كلُّه نوعان : مدح وهجاء . فإلى المدح يرجع الرثاء والافتخار والتشبيب وما تعلق بذلك من محمود الوصف : كصفات انطلول والآثار ، والتشبيهات الحسان . وكذلك تحسين الاخلاق . كالأمثال والحكم والمواعظ والزهد في الدنيا، والقناعة . والهجاء ضد ذلك كلِّه، غير أن العتاب حال بين حالين، فهو طرف الكل واحد منهما، والبيت من الشعر كالبيت من الابنية : قراره الطبع . وسسكه الرواية، ودعائمه العلم، وبابه الدربة، وساكنه المعنى، ولا خير في بيت غير مسكون وصارت الأعاريض والقوافي كالموازين والأمثلة للأبنية، أو كالأواخي(1) والأوتاد للأخبية، فأما ما سوى ذلك من محاسن الشعر فإنما هو زينة مستأنفة ولو لم تكن لاستغني عنها.

قال القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني . صاحب كتاب الوساطة :
الشعر علم . من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ثم تكون
الدربة مادة له وقوة لكل واحد من أسبابه فمن اجتمعت له هذه
الخصال فهو المحسن المبرز ويقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الاحسان ،
وقال لست أفضل في هذه القضية بين القديم والمحدث والجاهلي
والمخضرم والأعرابي والمولود إلا أنني أرى حاجة المحدث إلى الرواية
أمر ، وأجده إلى كثرة الحفظ أفقر فإذا استكشفت عن هذه الحال
وجدت سببها والعللة فيها أن المطبوع الذكي لا يمكنه تناول ألفاظ
العربي الا رواية ولا طريق إلى الرواية الا السمع وملاك السمع الحفظ .

(العمدة)

لابن رشيق القيرواني

ج : 1/ص : 119 - 120 - 121 - 122

تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد .

ط . القاهرة : 1374 هـ - 1955

الأعلام :

• القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني : انظر ترجمته في نص

« يده الوساطة » في القسم الخاص بالمتني . (الجزء الثاني)

الشرح :

1 - الأواني : هي الركائز .

أسئلة :

- 1) لماذا لم يرض ابن رشيق والقاضي الجرجاني وغيرهما من الأدباء النقاد عن التصريف التقليدي للشعر عند قدامة بن جعفر وهو : « الشعر كلام موزون مقفى دال على معنى » ؟
- 2) ما هي العناصر الجديدة الهامة التي أضافها القاضي الجرجاني وابن رشيق الى التصريف التقليدي للشعر ؟
- 3) ما هي العناصر التي يقوم عليها الشعر في نظر ابن رشيق ؟ وهل هي مطابقة لما قرره القاضي الجرجاني في تحديد الشعر ؟ وهل ساق النقاد عناصر الشعر حسب تصنيف ترتلي حسب الأولوية ؟

القرناء والمحدثون

كلّ قديم من الشعراء فهو محدث في زمانه بالإضافة الى مَنْ كان قبله، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول : لَقَدْ أَحْسَنَ هَذَا الْمُؤَلِّدُ حَتَّى هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَّ صَبِيانَنَا بِرِوَايَتِهِ، يَعْنِي بِذَلِكَ شِعْرَ جَرِيرَةَ وَالْفَرَزْدَقِ، فَجَعَلَهُ مُؤَلِّدًا بِالْإِضَافَةِ إِلَى شِعْرِ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْمُخَضَّرِمِينَ، وَكَانَ لَا يَعُدُّ الشُّعْرَ إِلَّا مَا كَانَ لِلْمُتَقَدِّمِينَ .

قال الأصمعي . : جلست إليه ثمانني حجج (1) فما سمعته يحتاج بيت إسلامي . وسئل عن المولدين فقال : ما كان من حسن فقد سبقوا إليه، وما كان من قبيح فهو من عندهم، ليس النمط (2) واحدا : ترى قطعة ديباج، وقطعة مسيح (3) وقطعة نطع (4)، هذا مذهب أبي عمرو وأصحابه : كالأصمعي ، وابن الأعرابي . - أعني أن كل واحد منهم يذهب في أهل عصره هذا المذهب ، ويقدم مَنْ قبلهم - وليس ذلك الشيء إلا لحاجتهم في الشعر الى شاهد وقلة ثقتهم بما يأتي به المولدون ثم صارت لاجحة (5) .

فأما ابن قتيبة . فقال : لم يَقْصُرُ اللهُ انْشِعْرَ والعلم والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص بها قوما دون قوم . بل جعل الله ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كلّ دهر . وجعل كلّ قديم حديثاً في عصره . وممّا يؤيد كلام ابن قتيبة كلام علي (رضي الله عنه) « لَوْ لَا أَنْ الْكَلَامُ يُعَادُ انْفِدَ » فليس أحدهنا أحقّ بالكلام من أحد، وإنّما السبق والشرف معا في المعنى على شرائط ... وقول عنترة « هل غادر الشعراء من متردّم » يدل على أنه يُعَدُّ نفسه مُحَدَّثًا قَدْ أَدْرَكَ الشُّعْرَ بَعْدَ أَنْ فَرَّغَ النَّاسُ مِنْهُ وَلَمْ يَغَادِرُوا لَهُ شَيْئًا وَقَدْ أَتَى فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ بِمَا لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَيْهِ مُتَقَدِّمٌ وَلَا نَازِعُهُ لِإِسَاءَةِ مُتَأَخِّرٍ وَعَلَى هَذَا الْقِيَاسِ يُحْمَلُ قَوْلُ أَبِي تَهَامٍ . وَكَانَ أَمَامًا فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ غَيْرَ مُدَافِعٍ : يَقُولُ مَنْ تَقَرَّعُ أَسْمَاعَهُ كَمْ تَرَكَ الْأَوَّلُ لِالْآخِرِ

فنفض قولهم « ما ترك الأول للآخر شيئاً » :

وإنمّا مثبّل القدماء والمحدثين كمثبّل رجلين ابتداءً هذا بناء فأحكمه وأتقنه ثم أتى الآخر فنقشه وزينه فالكلفة ظاهرة على هذا وان حسن والقدرة ظاهرة على ذلك وان خشن.

وسمعت القاضي أبا الفضل جعفر بن أحمد النحوي . وقد سئل عن ذي الرمة . وأبي تمام فأجاب بجواب يقرب معناه من هذا لم أحفظه .

وقال أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع . وقد ذكر أشعار المولدين : انما تروى لعذوبة ألفاظها ورقتها وحلاوة معانيها وقرب مأخذها ولو سلك المتأخرون مسلك المتقدمين في غلبة الغريب على أشعارهم ووصف المهامه والقفار وذكر الوحوش والحشرات ما رويت لأن المتقدمين أولى بهذه المعاني ولا سيما مع زهد الناس في الأدب في هذا العصر وما قاربه وانما تكتب أشعارهم لقربها من الافهام وان الخواص في معرفتها كالعوام فقد صار صاحبها بمنزلة صاحب الصوت المطرب : يستميل أمة من الناس الى استماعه وان جهل الألحان وكسر الأوزان . . . وقائل الشعر الحورشي بمنزلة المغني الحاذق بالتغنى غير المطرب الصوت : يُعرض عنه الا من عرف فضل صنعته على أنه اذا وقف على فضل صنعته لم يصلح لمجالس اللذات وانما يُجعل معلماً لا محطرات من القينات يُقومهن بحذقه، ويستمتع بحلوقهن دون حلقه، ليسلمن من الخطأ في صناعتهن ويضطربن بحسن أصواتهن .

(العمدة)

لابن رشيق القيرواني

ج : 1 / ص : 09 - 91 - 92

تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد.

ط. القاهرة : 1374 هـ - 1955

الأعلام :

- أبو عمرو بن العلاء : إمام اللغويين في البصرة أخذ عنه الاصمعي وأبو عبيدة وأبو زيد . وهو من الأعلام في القرآن والقراءات توفي سنة 160 هـ .
- جرير : هو أبو حذرة جرير بن عطية الخطمي (33 هـ / 114 هـ - 653 - 732 م) ولد في بادية اليمامة (البحرين). امتاز بالهجاء لاسيما هجوه خصميه : الاخطل والفرزدق وقد كون بمعيتهما ما يسمّى بالثالوث الاموي المعروف بشعراء النقاوض . ديوانه مطبوع ومتداول ، ويتضمّن الفنون الشعرية التقليدية من مدح وهجاء وفخر وغزل ورتاء . وغزله قد طبع بالرقعة .
- الفرزدق : هو همّ بن غالب بن صعصعة الدارمي التميمي (نحو 21 هـ - 114 هـ - 641 - 732 م) : من شعراء العهد الاموي . ولد بالبصرة ، قضى حياته في مدح الناس وهجوهم ، واشتهر بالهجاء الذي داربته وبين جرير منذ سنة 683 م حتى آخر حياتهما . له نفس شعري قوي ولغة وافرة الالفاظ والتعابير . ديوانه مطبوع .

- الاصمعي : وردت ترجمته في القسم الخاص بالجاحظ . (الجزء الثاني)
- ابن الاعرابي : هو أبو عبد الله محمد بن زيا «الكوفي» المعروف بابن الاعرابي (768 / 844 م) . من أكابر أئمة اللغة ولد في الكوفة أخذ الادب عن معاوية الضرير والمفضل الضبي والكسائي . وأخذ عنه ابن السكيت ونعلب . توفي في سامراء له : « كتاب أسماء خيل العرب وفرسانهم» . و« كتاب التّوارد » .

- ابن قتيبة : انظر ترجمته في نص : « كلّ قديم في عصره » القسم الخاص بأبي نواس . (الجزء الثاني)

- أبو تمام : انظر ترجمته في نص « الشعراء » في القسم الخاص بابن رشيق
- القاضي أبو الفضل جعفر بن أحمد النحوي : قاض أديب معاصر لابن رشيق .
- ذو الرمة : لقب غيلان بن عتبة . شاعر أموي كان يتردد على البصرة والكوفة . أغرم بحب « مئة » فأكثر من ذكرها في شعره حتى عرف بها .
- توفي (نحو 117 هـ - 735 م) ودفن في البادية . عاصر جرير والفرزدق . له ديوان يحوي ثلثي لغة العرب على ما قيل .

- أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع الضبيّ : ولد في تيسر (مصر)

وتحوي فيها (1003 م). شاعر بغدادي الأصل. له «ديوان» و«كتاب المنصف»
بين فيه سرقات المتنبي .

الشرح :

- 1 - حَجَجٌ : جمع حَجَّةَ : وهي السَّنَّةُ ، الحول. -
- 2 - الْمَسَطُ : هنا يراد به الطَّرِيقَةُ والمَنْهَبُ والنَّوْعُ .
- 3 - الْمَسِيحُ : التَّنْذِيلُ الخشن .
- 4 - النَّطْعُ : قطعة من الجلد قُشِرَ على المحكوم عليه بضرب العنق .
- 5 - اللِّجَاجَةُ : مصتر لَجَّ يَلْجُ : عَنَدَ في الخِصْمَةِ .
- 6 - قَسْرَى : يَقْشِرِي : الماء في الحوض جمعُه . مصلرُه : قَسْرَى وقَرباً

أسئلة :

1) ما هي المنطيات الموضوعية التي اعتمدها ابن رشيق في تفسير موقفه
النقدي ازاء مشكلة «القدماء والمحدثين» ؟ والى اي نقاد من القدماء كان ابن
رشيق أميل ؟

2) هل تلاحظ أن ابن رشيق كان يقول بسنة تطور الانسان وتطور الادب ؟

افتتاح القصائد

وللشعراء مذاهب في افتتاح القصائد بالنسب ؛ لما فيه من عطف القلوب، واستدعاء القبول بحسب ما في الطبع من حب الغزل ، والميل الى اللهو والنساء ، وان ذلك استدراج الى ما بعده .

ومقاصد الناس تختلف : فطريق أهل البادية ذكر الرحيل والانتقال ، وتَوَقُّع البين، والإشفاق منه ، وصفة الطلول والحمول، والتشوق بحنين الإبل ولع البروق ومَرَّ النسيم. وذكر المياه التي يلتقون عليها، والرياض التي يحلُّون بها من خزامى، وأقحوان ، وبهار (1) وحنوة (2) وظيَّان (3)، وعَرَار ، وما أشبهها من زهر البرية الذي تعرفه العرب، وتنتهه الصحاري والجبال، وما يلوح لهم من النيران في الناحية التي بها أحبابهم، ولا يعدون النساء اذا تغزلوا ونسبوا فإن وقع مثل قول طرفة :

وَفِي الْحَيِّ أَحْوَى يَنْفُضُ الْمُرْدَ شَادِنٌ

مُظَاهِرٌ سَمَطِي لُؤْلُؤِي وَزَبْرَجِدِ

فإنَّما هو كناية بالغزل عن المرأة .

وأهل الحاضرة يأتي أكثر تغزلهم في ذكر الصدود والهجران والواشين الرقباء ومنعة الحرس والأبواب وفي ذكر الشراب والندامى، والورد والنسرين والنيلوفر ، وما شاكل ذلك من النواوير البلدية، والرياحين البستانية، وفي تشبيه التفاح والتحية به، ودس الكتب ، وما شاكل ذلك ممَّا هم به منفردون . . وقد ذكروا الغلمان تصرِّحاً ، ويذكرون النساء أيضاً، منهم من سلك في ذلك مسلك الشعراء اقتداء بهم، واتَّباعاً لما ألفتَهُ طباعُ الناس معهم، كما يذكر أحدهم الإبل ويصف المفاوز على العادة المعتادة، ولعله لم يركب جيلاً قط، ولا رأى ما وراء الجبانة، ومنهم من يكون قوله في النساء اعتقاداً منه، وان

ذَكَرَ (4) فَجْرِيًّا عَلَى عَادَةِ الْمُحَدِّثِينَ، وَسُلُوكًا لَطَرِيفَتَهُمْ لِنَلَا يَخْرُجَ عَنِ سُلُوكِ أَصْحَابِهِ، وَيَدْخُلُ فِي غَيْرِ سُلُوكِهِ وَبَابِهِ، أَوْ كِتَابَةً بِالشَّخْصِ لِرَقَّتِهِ أَوْ حُبِّ رِشَاقَتِهِ . . وَهَذَا مِمَّا لَا يُطَلَّبُ عَلَيْهِ شَاهِدٌ لِكَثْرَتِهِ.

(العمدة)

لابن رشيق القيرواني

ج : 1/ص : 225

تحقيق : محمد مجيب الدين عبد الحميد

ط. القاهرة : 1374 هـ - 1955

الشرح :

- 1) البهار : نبت طيب الرائحة. ويقال له : عين البقر أو بهار البقر .
- 2 - الحنوة : نبات صحراوي .
- 3 - الظيان : نبات صحراوي .
- 4 - ذَكَرَ : تَفَرَّزَ بِالمَذَكَّرِ ،

أسئلة :

- 1) كيف تطلعت اعتناء ابن رشيق وسائر النقاد بافتتاح القصيد ؟
- 2) كيف يبدو لك أثر البيئة في الغزل الذي تمهل به القصائد ؟

الشعر

تقديم :

كان ابن رشيقي شاعرا كاتبا قد جمع بين « شقي البلاغة »، وشهرته بالكتابة لم تلحق الضيم بشهرته بالشعر فقد كان في عصره شاعر البلاط المحفوظ عند الأمير المعز الصنهاجي . وكثيرا ما كان يصنع الشعر حسب طلب الأمير . قال ابن رشيقي : وكنت قد صغت بين يدي سيدنا من أمره الهالي زاده الله علواً :

الشَّعْرُ شَيْءٌ حَسَنٌ	لَيْسَ بِهِ مِنْ حَرَجٍ
أَقَلَّ مَا فِيهِ ذَهَابٌ	بِأَهْمٍ عَنِ نَقْصِ الشَّجِي
يُحْكِمُ فِي لَطَافَةٍ	حَلَّ عُقُودِ الْحُجَجِ
كَمْ نَظْرَةٌ حَسَنَهَا	فِي وَجْهِ عُدْرِ سَمَجٍ
وَحُرْقَةٌ بَرْدَهَا	عَنِ قَلْبِ صَبِّ مُنْضَجٍ
وَرَحْمَةٌ أَوْقَعَهَا	فِي قَلْبِ قَاسٍ حَرَجٍ
وَحَاجَةٌ يَسَّرَهَا	عِنْدَ غَزَالِ غَنَجٍ
وَشَاعِرٌ مُطَّرِحٌ	مُغْلِقِ بَابِ النَّرَجِ
قَرَّبَهُ لِسَانُهُ	مَنْ مَلِكٍ مُتَّوَجِّ
فَعَلَّمُوا أَوْلَادَكُمْ	عَقَّارَ طَبِّ الْمَهَجِ

ابن رشيقي القيرواني

(العمدة) ج : 1 / ص - 46

تحقيق : محمد مجي الدين عبد الحميد

ط . القاهرة : 1374 - 1955

أسئلة :

- 1) حدد تعريف ابن رشيقي للشعر كما يراه في هذه القطعة.
- 2) كيف تبدو وظيفة الشعر حسب نظر ابن رشيقي؟ هل ترى فيها أثر العصر البيئي؟
- 3) هل حدد لك منزلة الشاعر في هذا العصر؟

فحلُ إوزٍ

تقديم :

كان ابن رشيقي القيرواني شاعرا رقيق العبارة حسن الדיباجة بارع الوصف دقيق التصوير كأنه في ذلك يطبق ما قرره في كتابه العمدة من نظرية في الوصف وهي : « وأحسن الوصف ما نعت به الشيء حتى يكاد يمثله عياناً للسامع »

نَظَرْتُ إِلَى فَحْلِ الْإِوزِ فَخَلَّتُهُ
مِنَ الثَّقَلِ فِي وَحْلِ وَمَا هُوَ فِي وَحْلِ
يُنْقَلُ رِجْلَيْهِ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ
كَمُنْتَعِلٍ لَا يُحْسِنُ الْمَشْيَ فِي النَّعْلِ
لَهُ عُنُقٌ كَالصَّوْلَجَانِ وَمَحْطَمٌ
حَكَى طَرْفَ الْعُرْجُونِ مِنْ يَانِعِ النَّخْلِ
يُدْأِخِلُهُ زَهُوً فَيَلْحَظُ مِنْ عِلٍ
جَوَانِبَهُ الْخَاطِمْتَهُمُ الْعَقْلِ
يَضُمُّ جَنَاحِيَهُ إِلَيْهِ كَمَا ارْتَدَى
رِدَاءً جَدِيداً مِنْ بَنِي الْبَدْوِ ذُو جَهْلِ

ابن رشيقي

طهر النفوس قبل البنات

آلِمَا حُسَّ الدَّعَاؤُ مِنَ الصَّالِحَاتِ

قال ابن رشيقي :

« دخل بكر الصابوني * على صاحب له فوجد عنده جماعة من إخوانه يشربون منهم ابن أبي حفص الكاتب ورأى برذونته قائماً في السقيفة، فقال لهم :

— كم لكم ها هنا؟

فشرب معهم نهاره أجمع وليله وأراد الانصراف من الغد، فافتقد رداءه ودراهم كانت معه ، وسأل القوم فما وقع على عين ولا أثر ، فقال لابن أبي حفص : « سألتك بالله إلا ما نزلت بنا إلى هذا العبد الصالح فاستوهبت لنا منه دعوة بأن يوضح الله سارقنا أو يجمع علينا ما راح منا فإنه صائم النهار قائم الليل ».

فقال ابن أبي حفص : « وأي عبد يكون هذا؟ »

قال بكر : برذونك يا سيدي

فضحك الجماعة وجبروا ما ضاع »

أبو الحسن ابن رشيقي

(نقلًا عن « وورقات » ج 2 ص 221 — 222)

هَيَّانُ هَبَّكَ

قال ابن رشيقي (في الأنموذج) :

« جلست يوماً في دكان (أبي لقمان الصفار) مع جماعة من شعراء القيروان وأبو لقمان (والدراكادو) يلعبان بالشطرنج ونحن نضحك لما يجري بينهما من غريب المهاترة. فقال الدراكادو : - أَجْزِيَا أَبَا لُقْمَانَ :

« حَيْتَانُ حُبُّكَ فِي طَنْجِيرٍ بَلَوَاتِي »

فقال أبو لقمان :

« وَفَحْمٌ وَجَهْكَ فِي كَانُونٍ أَحْشَاتِي »

فقال أحمد بن إبراهيم الكموني : « قسيمك خير من قسيمه ، فزها أبو لقمان وقال : أدافع في بديع الشعر وهذا شعري في التهاته (1) . »

أبو الحسن ابن رشيقي

(نقلا عن « ورقات » ج 2 ص 430 - 431)

الأعلام

• بكر بن علي الصَّابُونِي : من ظرفاء شعراء القيروان مات سنة 409 هـ

: الشرح :

1 - التَّهَاتِهِ : التَّهَاتِ وَالْأَبَاطِيل .

: أسئلة :

(1) كيف تصور لك هذه الطرائف البيعة الاديبة في القيروان ؟

(2) كيف تبدو لك مشاركة ابن رشيقي دعابة الظرفاء ؟

مَرثِيَةُ الْقَيْرَوَانِ

تقديم :

بعد انتصار الهلاليين في معركة جبل حيدران قرب قابس أخذت الفتن الداخلية تهزّ الإمارة الصنهاجية ، فخرج بعض المغامرين عن طاعة المعزّ بن باديس وأعلنوا استقلالهم ببعض الولايات . وأمام الهزيمة وتكاثر الفتن وجد المعزّ نفسه ضعيفاً فترك القيروان الى المهديّة ولاية ابنه تميم . وانقضّ الأعراب على القيروان فأوقعوا بها أعظم نكبة عرفتها في التاريخ فخرّبوا عمرانها ونهبوا وسلبوا، فتسرّد أهلها في الاصقاع ، وتحولت المدينة الزاهرة العامرة بالعلم والادب الى خرائب وقد هجرها أهل العلم والأدب وأغلب السكّان وكان ذلك في رمضان من سنة 449 هـ .

وفي المهديّة ملجئه قال ابن رشيّق القيرواني هذه القصيدة الطويلة يرثي فيها مدينته الشهيدة، وقد عارض هذه القصيدة الطويلة أبو البقاء الرنديّ .
في مرثية الأندلس التي مطلعها :

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نَقْصَانُ فَلَا يُغَرُّ بِطَيْبِ الْمَيْشِ إِنْسَانُ

ملاحظة : الأستاذ ان يقتصر على شرح عينة بقع عليها اختياره .

كَمْ كَانَ فِيهَا مِنْ كِرَامِ السَّادَةِ
بِيضِ الْوُجُوهِ شَوَامِخِ الْإِيمَانِ
مُتَعَاوِنِينَ عَلَى الدِّيَانَةِ وَالتَّقَى
لِلَّهِ فِي الْإِسْرَارِ وَالْإِعْلَانِ
وَمُهَذَبِ جَمِّ الْفَضَائِلِ بِأَذِلِّ
لِنَوَالِهِ ، وَلِعَرْضِهِ صَوَانِ
وَأَيْمَتِهِ جَمَعُوا الْعُلُومَ وَهَذَبُوا
سُنَنَ الْحَدِيثِ وَمُشْكَلَ الْقُرْآنِ

عَلَّمَاءَ إِنْ سَاءَ لَتَهُمْ كَشَفُوا الْعَمَى
 بِفَقَاهَةٍ وَفَصَاحَةٍ وَبَيَانِ
 وَإِذَا الْأُمُورُ اسْتُبْهِمَتْ وَاسْتُغْلِقَتْ
 أَبْوَابُهَا وَتَنَازَعَ الْخَصْمَانِ
 حَلَّوْا غَوَا مِضَّ كُلِّ أَمْرٍ مُشْكَلٍ
 بِدَلِيلٍ حَقِّ وَأَضِيحِ الْبُرْهَانِ
 هَجَرُوا الْمَضَاجِعَ قَاتِلِينَ لِرَبِّهِمْ
 طَلِبًا لِخَيْرٍ مُعَرَّسٍ وَمَعَانِ
 وَإِذَا دَجَا اللَّيْلُ الْبَهِيمُ رَأَيْتَهُمْ
 مُتَّبِعِينَ تَبْتُلُ الرُّهْبَانَ
 فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ أَكْرَمِ مَنْزِلِ
 بَيْنَ الْحَسَنِ الْحُورِ وَالْغُلَمَانِ
 تَجَرُّوا بِهَا الْفِرْدَوْسَ مِنْ أَرْبَابِهِمْ
 نَعْمَ التَّجَارَةُ ، طَاعَةَ الرَّحْمَنِ
 الْمُتَّقِينَ اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ
 وَالْعَارِفِينَ مَكَائِدَ الشَّيْطَانِ

* * *

وَتَرَى جَبَابِرَةَ الْمُلُوكِ لَدَيْهِمْ
 خُضِعَ الرَّقَابِ نَسْوَا كَسَّ الْأَذْقَانِ
 لَا يَسْتَطِيعُونَ الْكَلَامَ مَهَابَةَ
 إِلَّا إِشَارَةَ أَعْيُنٍ وَبَنَانِ
 خَافُوا إِلَهَهُ فَخَافَهُمْ كَسَلِ الْوَرَى
 حَتَّى ضِرَاءُ الْأُسْدِ فِي الْغَيْرَانِ

تُسِيكَ هَيْبَتُهُمْ شِمَاحَةَ كُلِّ ذِي
 مُلْكٍ وَهَيْبَةَ كُلِّ ذِي سُلْطَانٍ
 أَحْلَامُهُمْ تَسْرِينُ الْجِبَالِ وَفَضْلُهُمْ
 كَالشَّمْسِ لَا تَخْفَى بِكُلِّ مَكَانٍ
 كَانَتْ تُعَدُّ الْقَيْسِرُونَ بِهِمْ إِذَا
 عُدَّ الْمُنَابِرُ زَهْرَةَ الْبُلْبُلِ دَانَ
 وَزَهَتْ عَلَى مَضْرٍ وَحَقَّ لَهَا كَمَا
 تَسْرَهُو بِهِمْ وَغَدَّتْ عَلَى بَغْدَانَ (1)

حَسُنَتْ وَلَمَّا إِذْ تَكَامَلَ حُسْنُهَا
 وَسَمَا إِلَيْهَا كُلَّ طَرْفٍ رَانَ
 وَتَجَمَّعَتْ فِيهَا الْقَضَائِلُ كُلُّهَا
 وَغَدَّتْ مَحَلَّ الْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ
 نَظَرَتْ لَهَا الْأَيَّامُ نَظْرَةَ كَاشِحٍ
 تَرْنُو بِنَظْرَةِ كَاشِحٍ مَعْيَانِ (2)
 حَتَّى إِذَا الْأَقْدَارُ حُمَّ وَقُوعُهَا
 وَدَنَّا الْقَضَاءُ لِمُدَّةٍ وَأَوَانَ
 أَمْدَتْ لَهَا فِتْنًا كَلِيلٍ مُظْلَمٍ
 وَأَرَادَهَا كَالنَّاطِحِ الْعَيْدَانِ (3)
 بِمَصَائِبٍ مِنْ قَادِعٍ وَأَشَائِبٍ
 مِمَّنْ تَجَمَّعَ مِنْ بَنِي دِهْمَانَ (4)
 فَتَكُونُوا بِأَمَّةٍ أَحْمَدَ ، أَتْرَاهُمْ
 أَمِنُوا عِقَابَ اللَّهِ فِي رَمَضَانَ

نَقَضُوا الْعُهُودَ الْمُبْرَمَاتِ وَأَخْفَرُوا
 ذِمَّتَ الْإِلَهِ وَلَسَمَ يَفُؤا بِضَمَّانِ
 فَاسْتَحْسَنُوا غَدَرَ الْجَوَارِ وَأَثَرُوا
 سَبِيَّ الْحَرِيمِ وَكَشَفَةَ النَّسْوَانَ
 سَامُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَأَظْهَرُوا

مُتَعَسِّفِينَ كَوَا مِنْ الْأَضْغَانَ (5)
 الْمُسْلِمُونَ مُقَسَّمُونَ تَنَالَهُمْ
 أَيْدِي الْعُصَاةِ بِذِلَّةٍ وَهَوَانِ
 مَبَايِنَ مُضْطَرَعٍ وَبَيْنَ مُعَذِّبٍ
 وَمُقْتَلٍ ظُلْمًا وَآخِرَ عَانَ
 يَسْتَصْرِخُونَ فَلَا يُغَاثُ صَرِيحُهُمْ

حَتَّى إِذَا سَمِعُوا مِنَ الْإِرْتَانِ (6)
 بَادُوا نَفُوسَهُمْ فَلَمَّا أَنْفَذُوا

مَا جَمَعُوا مِنْ صَامِتٍ وَصَوَانِ (7)
 وَاسْتَخْلَصُوا مِنْ جَوْهَرٍ وَمَلَأِ بِسَ

وَطَرَائِفَ وَذَخَائِرَ وَأَوَانِ (8)
 خَسِرُوا حِفَاةً عَائِدِينَ بِرَبِّهِمْ

مِنْ خَوْفِهِمْ وَمَصَائِبِ الْأَلْوَانِ

* * *

هَرَبُوا بِكُلِّ وَوَلِيدَةٍ وَقَطِيمَةٍ
 وَبِكُلِّ أَرْمَلَةٍ وَكُلِّ حَصَانِ (9)

وَبِكُلِّ بِكْرٍ كَالْمَهَاةِ غَرِيرَةٍ
 تَسْبِي الْعُقُولِ بِطَرَفِهَا الْفَتَّانِ (10)

خُودٍ مُبْتَلَّةٍ الْوِشَاحِ كَأَنَّهَا
قَمَرٌ يَلُوحُ عَلَى قَضِيبِ الْبَانِ (11)

وَالْمَسْجِدُ الْمَعْمُورُ جَامِعُ عُقْبَةَ
خَرِبِ الْمَعَاظِنِ مُظْلِمُ الْأَرْكَانِ (12)

قَمَرٌ فَمَا تَغْشَاهُ - بَعْدُ - جَمَاعَةٌ

لِصَّلَاةِ خَمْسٍ، لَا وَلَا لِأَذَانِ
بَيْتٌ بِهِ عُبِدَ الْإِلَهُ وَبُطِّلَتْ

بَعْدَ الْغُلُوبِ عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ
بَيْتٌ بِوَحْيِي، اللَّهُ كَانَ بِنَاؤُهُ

نِعْمَ الْبِنَا وَالْمُبْتَسَى وَالْبَانِي
أَعْظَمُ، بِتِلْكَ مُصَيِّبَةً مَا تَنْجَلِي

حَسَرَاتُهَا أَوْ يَنْقُضِي الْمَلَوَانَ (13)
لَوْ أَنَّ تَهْلَانَا أُصِيبَ بِعَشْرِهَا

لَتَدَكَّدَ كَتَمْنَهَا ذُرَى تَهْلَانِ
لَتَدَكَّدَ كَتَمْنَهَا ذُرَى تَهْلَانِ

حَزِنْتَ لَهَا كُورُ الْعِرَاقِ بِأَسْرِهَا
وَقُرَى الشَّامِ وَمِصْرَ وَالْخُرَسَانَ (14)

وَتَزَعَزَعَتْ لِصَبَابِهَا وَتَنَكَّدَتْ

أَسْفَا بِلَادُ الْهِنْدِ وَالسُّنْدَانَ
وَعَقَسَا مِنْ الْأَقْطَارِ بَعْدَ خِيَلِهَا

مَا بَيْنَ أَنْدَلُسٍ إِلَى حُلُوَانِ

وَأَرَى النُّجُومَ طَلَعْنَ غَيْرَ زَوَاهِرٍ
 فِي أَفْقِهِنَّ وَأَظْلَمَ القَمَرَانَ (15)
 وَأَرَى الجِبَالَ الشُّمَّ أَمَسَتْ خُشْعًا
 لِمُصَابِهَا وَتَزَعَزَعَ الثَّقَلَانِ
 وَالْأَرْضُ مِنْ وَلَسِهِ بِهَا قَدْ أَصْبَحَتْ
 بَعْدَ القَرَارِ شَدِيدَةَ المَيْلَانِ
 أَتُرَى اللِّيَالِي بَعْدَ مَا صَنَعْتَ بِنَا
 تَقْضِي لَنَا بِتَوَاصُلٍ وَتَدَانِ
 وَتُعِيدُ أَرْضَ القَيْرَوَانَ كَعَهْدِهَا
 فِيمَا مَضَى مِنْ سَالِفِ الأَزْمَانِ
 مِنْ بَعْدِ مَا سَلَبْتَ نَضَائِرَ حُسْنِهَا
 أَيَّامٌ وَاخْتَلَفْتَ بِهَا مَيْتَانَ (16)
 وَغَدَتْ كَأَنَّ لَمْ تَعْنِ قَطُّ وَلَمْ تَكُنْ
 حَرَمًا عَزِيزَ النَّصْرِ غَيْرَ مُهَانَ (17)
 أَمَسَتْ وَقَدْ لَعَبَ الزَّمَانُ بِأَهْلِهَا
 وَتَقَطَّعَتْ بِهِمْ عُرَا الأَقْرَانِ
 فَتَفَرَّقُوا أَيْدِي سَبَا وَتَشَتَّتُوا
 بَعْدَ اجْتِمَاعِهِمْ عَلَى الأَوْطَانِ

ابن رشيق القيرواني

لعبد الرؤوف مخلوف

ط . دار المعارف بمصر 1964 ص 96 - 100

الشرح :

- 1 - بَعْدَان : كذا بالأصل - وبغدانُ : لغة في بغداد - 2 - المَعْيَتَان : من العين بمعنى الحاسد، الشَّدِيد الإصَابَة بالعين. - 3 - العِيدَان : كذا بالأصل، ولعلَّهَا المَلَسَوَان : اللَّيْلُ والنَّهَار - 4 - الفِتَادَع : من فِدَع يَفْدَع : خَدَشَهُ وشَقَّقَهُ شَقًّا يَسِيرًا - الأَشَائِب : جمع أَشَابَة وهي أَخْلَاط النَّاس . والدَّهْمَاء : العَامَّةُ . والمَقْصُود أَن المَغِيرِينَ كَانُوا مِنَ الأَخْسِلَاطِ والدَّهْمَاء .
- 5 - الأَضْفَان : الأَحْقَاد - 6 - الإِرْنَانُ : صَوْت البِكَاء - 7 - الصَّامِتُ : من المَالِ الذَّهَبِ والْفِضَّةِ - الصَّوَانُ : ما تَصَان فِيهِ البُيُوتُ او الكُتُبُ وَيَقْصَدُ بِهِ الأَثَاثُ .
- 8 - أَوَان : جمع اِنَاء : وَأَصْلُهَا أَوَانِي - 9 - الحِصَانُ : المَرْأَة العَفِيفَة ، والعَفِيفَة بِالنِّزَاجِ . - 10 - المَهَاةُ : البَقْرَة الوَحْشِيَّة ، تُشَبَّهُ عَيُونُ النِّسَاءِ بِعَيْنِهَا - 11 - الخُودُ : الصَّيْبِيَّةُ فِي مَقْتَبِلِ العَمْرِ . 12 - جَامِع عَقِبَة : هُو جَامِع القَيْرَوَانِ المَعْرُوفُ وَهُوَ مِنْ أَجْمَلِ الأَثَارِ الإِسْلَامِيَّةِ بِإِفْرِيقِيَّةِ . - 13 - المَلَسَوَانِ : هُمَا اللَّيْلُ والنَّهَارُ ، الوَاحِدُ مِنْهُمَا : مَلَأٌ : وَالمَلَأُ البِرْهَة مِنَ النَّدْهِرِ - 14 - فِي هَذَا البَيْتِ وَفِي البَيْتِ التَّالِيِ يَلِيهِ : دَلَالَة عَلَى تَضَامُنِ دِيَارِ الإِسْلَامِ ، وَاهْتِزَازِهَا لِنَكْبَةِ القَيْرَوَانِ .
- 15 - التَّمَسَّرَانِ : الشَّمْسُ والقَمَرُ . التَّعْبِيرُ مِنْ بَابِ التَّغْلِيْبِ كَمَا يَقُولُونَ « العُمَسَّرَانِ » يَعْنُونَ عَمْرَ وَأَبَا بَكْرٍ - 16 - مَيَّتَانِ : كَذَا فِي الأَصْلِ . - 17 - كَذَّانٌ لَمْ تَغْنَنَّ : تَزْدَهَرُ وَالتَّعْبِيرُ مَأْخُوذٌ مِنَ القُرْآنِ : « كَذَّانٌ لَمْ تَغْنَنَّ بِالأُمَمِ »

الأعلام :

• أبو البقاء الرُّنْدِي شاعر أندلسي مشهور بمرثيته للأندلس بعد إجلاء المسلمين عنها وسقوطها في يد الأسيبان توفي سنة 1285 م.

أسئلة :

- 1) حدّد سير النّصّ وعيّن مراحلها مبيّناً مدى ارتباطها العضوي ضمن الوحدة الموضوعية للقصيد .
- 2) كيف تبدو لك منزلة القيروان العلمية من خلال هذه المرثية ؟ .
- 3) كيف تبدو لك نظرة الشّاعر إلى الأمراء الصنهاجيين ؟
- 4) ما هي الأعمال الوحشيّة التي ذكرها الشّاعر لتصوير أهوال الكارثة ؟

- 5) لماذا ركّز الشّاعر على تصوير ما لحق جامع عقبة ؟
 6) كيف تبدو لك حالة المسلمين في ذلك العصر ؟ وما هو موقف الشّاعر من حالتهم تلك ؟
 7) كيف تبدو نظرة الشّاعر الى الحياة بعد نكبة القيروان ؟
 8) لماذا اعتمد الشّاعر تفسير الحوادث في البناء الشعري لقصيدته ؟
 9) أي مظاهر الصدق اكثر وضوحاً في القصيدة ، الصدق العاطفي أم الصدق الفنّي ؟ وعلى أيّهما كان اعتماده ؟
 10) - عيّن قيمة هذه المرثية من حيث مضمونها الانسانيّ.
 11) هل وفّق الشاعر في اختيار القافية ذات الجرس الحزين الملائم لجزء الشّاعر الفنّي ؟
 12) قارن بين قصيدة ابن الرومي في رثاء البصرة وقصيدة ابن رشيق في رثاء القيروان .

مراجع

- 1) ابن رشيق : « العمدة في محاسن الشعر وآدابه » تحقيق محيي الدين عبد الحميد 1955
 2) ابن رشيق « قراصة الذهب » مطبعة النهضة نشر الخانجي 1926
 3) حسن حسني عبد الوهاب « بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق » ط . تونس 1330
 4) حسن حسني عبد الوهاب « مجمل تاريخ الأدب التونسي » ط . تونس 1968
 5) عبد الرؤوف مخلوف « ابن رشيق القيرواني » ط . دار المعارف بمصر 1964
 6) عبد الرحمن ياغي « حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها » . ط . بيروت 1961.
 7) الحبيب الجنحاني « القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب » العربي ط . الدار التونسية للنشر 1968.
 8) الوزير السراج « الحلل السندسية في الأخبار التونسية » ط . الدار التونسية للنشر 1970 الجزء الأول القسم الأول ص 278 — 282.
 9) الشيخ محمد النيفر « عنوان الأريب عما نشأ في المملكة التونسية من عالم أديب » ط . تونس 1351 هـ ج 1 ص 52 — 54.

ابن سرف القيرواني

التعريف بابن سرف

هو ابو عبد الله محمد بن ابي سعيد بن سرف الاجد ابي القيرواني من ابناء
القيروان البارعين في المنثور والمنظوم في عصر بني زيري بالقيروان
والمهدية . تتلمذ لابي الحسن القاسبي وابي عمران القاسمي ولما اشتدت
فتنة الاعراب على القيروان خرج منها سنة 447 هـ الى الاندلس فسكن
المرية وتردد على ملوك الطوائف بها مادحا .
كانت بينه وبين ابن رشيق منافرة .
له تآليف نفيسة منها « أبكار الأفكار » و « الاعلام » والمقامة
المعروفة بـ « مسائل الانتقاد » في نقد الاشعار .

أَهْلُ الْقَيْرَوَانِ

تقديم :

كان لخراب القيروان وقع شديد في نفوس أهلها وبالخصوص الشعراء منهم ، فقد تفجرت نفوسهم مرثي حزينه يكون فيها مدينتهم الزاهرة التي حولتها النكبة الى خراب . وهذا ابن شرف أحد أدباء القيروان يبكي القيروان ويصور الكارثة التي حلت بها فخرتها وشردت أهلها :

أَهْلُ الْقَيْرَوَانِ أَنَّهُ شَجَوِي
عَنْ فُوَادٍ بَجَا حَسْمِ الْحُزْنِ يَصْلِي
حِينَ عَادَاتٍ بِهِ الدِّيَارُ قُبُورًا
بَلِّ أَقُولُ : الدِّيَارُ مِنْهُنَّ أَخْلِي
ثُمَّ لَا شَمْعَةَ سِوَى أَنْجُسٍ تَخُ
طُو عَلَى أَفْقَهَا نَوَاعِسَ كَسَلِي
بَعْدَ زُهْرِ الشَّمَاعِ تُوَقَّدُ وَقَدًّا
وَمَتَانِ الذُّبَالِ تُفْتَلُ فَتَلَا (1)
وَالْوُجُوهِ الْحَسَانِ أَشْرَقَ مِنْهُنَّ
وَيَقْفُضُنَّهُنَّ مَعْنَى وَشَكْلًا
لَوْ رَأَيْتَ الدِّينَ كَانَتْ لَهُمْ سَهْنُ

لُكْ وَعَرًّا قَدْ صَيَّرُوا الْوَعْرَ سَهْلًا
بَعْدَ يَوْمٍ كَأَنَّمَا حَشَرَ الْخَلْدُ
سَقُ حَفَاةً بِهِ عَوَارِي رَجَلِي (2)
زَحْمَةَ الْحَشْرِ وَالصَّحَائِفُ تُتَلِي
وَلَهُمْ زَحْمَةٌ هُنَالِكَ تَحْكِي
سَخْلَقُ يَبْكُونَ وَالسَّرَائِرُ تُبْلِي
وَعَجِيجٌ وَضَجَّةٌ كَضَجِيجِ الدُّ

مِنْ أَيْمَانِي وَرَاءَ هُنَّ يَتَامَى
وَتَكَالَى أَرَامِلًا حَامِلَاتٍ
وَحَصَانٍ كَأَنَّهَا الشَّمْسُ حُسْنًا
فَاتَ كُرْسِيِّهَا الْجِلَاءُ فَأَاضَحَتِ
مَلَأُوا حَسْرَةً وَشَجْوًا وَتُكْلًا
طِفْلَةً تَحْمِلُ الرِّضَاعَ وَطِفْلًا
كَفَنَتْهَا الْأَطْمَارُ نَجْلَاءَ كَحَلَا

فِي ثِيَابِ الْجِلَاءِ لِلنَّاسِ تُجَلَى (3)
جَارَ فِيهِمْ زَمَانُهُمْ وَأَوْلُو الْأُمَمِ
رَفَضَرُوا بِرَجُونِ فِي الْأَرْضِ عِدَلَا
تَرَكَوْا الرَّبْعَ وَالْأَثَاثَ وَمَا يَشُدُّ
لَبَسُوا الْبَسَالِيَّاتِ مِنْ خَشَنِ الصُّسُو
قُلْ لَا حَامِلٌ مِنَ النَّاسِ ثِقَلًا

فِ وَعَادَ النَّبِيَهُ فِي النَّاسِ غُفْلًا (4)
وَيَادِيَاتِ عَقْرَاءُ تُسْعِدُ سَعْدِي
وَسَعَادُ تُجِيبُ بِالنُّوحِ جُمْلًا
لَيْسَ مِنْهُمْ مَنْ يُودَعُ جَارًا
لَا وَلَا حُرْمَةً تُشِيَعُ أَهْلًا
كُلُّهُمْ عَتَدَى الْفِرَاقِ عَلَيْهِ

فَافْتَحَسْنَ الْجِلَاءَ حَفْلًا فَحَفْلًا
فَإِذَا الْقَفَرُ ضَمَّهُمْ فَوْقَ الدَّهْرِ
رُلَّهُمْ غَيْرَ ذَلِكَ النَّبْلِ نَبْلًا
مِنْ نَعَائِبِ حَامِلِينَ نِيُوبًا
عُضْلًا: ذَابِلًا وَنَبْلًا وَنَصْلًا (5)
وَشَيْطَانِينَ رَامِحِينَ يُلَاقُوا
نَ بِجُونِ الْفَلَا مَسَاكِينَ عَزْلًا
فَتَرَى لِلظُّهُورِ نُجْمًا عَتْلًا
وَتَشَقُّ الْبِطُونُ تُغْسَلُ غَسْلًا
فَإِذَا مَطْمَعٌ أَصَابُوهُ فِي أَحَدٍ
شَاءَ قَوْمٍ عَمَّوْا بِذَلِكَ كُتْلًا
فَإِذَا نَجَّتِ الْمَقَادِيرُ مِنْهُمْ
رَاحِلًا بِالْخَلَاصِ يَحْمِلُ رَحْلًا
لَقِي الْهُونَ فِي الْمَدَلَّةِ أَنِّي
كَانَ مِنْ سَائِرِ الْبِلَادِ وَحَلَا
لَيْسَ يَلْقَى إِلَّا أَمْرًا مُسْتَطِيلًا
طَالِبًا عِنْدَهُ حَقُودًا وَذَحْلًا
فَتَرَى أَشْرَفَ الْبَرِيَّةِ نَفْسًا
نَاكِسًا رَأْسَهُ بِلَا طَفٍ نَذْلًا
فَهُمْ كَلَّمَا نَبَتَ بِهِمْ أُرْ
ضٌ مَطَايَا الْفِرَاقِ خَيْلًا وَرَجُلًا

مَزَقُوا فِي الْبِلَادِ شَرْقًا وَغَرْبًا يَسْكُبُونَ الدَّمُوعَ هَظْلًا وَوَبْلًا
لَا بِلَا فِي النَّسِيبِ مِنْهُمْ نَسِيبًا يَتَعَزَّى بِهِ وَلَا الْخَلَّ خِلًا
لَيْتَ شِعْرِي هَلْ عَوْدَةٌ لِي فِي الْغَيْبِ

جِإِ إِلَى مَا أَطَالَ شَجْوِي أَمْ لَا !

ابن شرف القيرواني

(من كتاب «الذخيرة» لابن بسام)

ط القاهرة : 1945

القسم الرابع - المجلد الأول

الشرح :

- 1 - الذِّبَالُ : جمع ذُبَالَةٍ ، وهي فتيلة السَّرَاجِ - 2 - رَجُلِي : جمع راجل الماشي على قدميه ، غير الرَّاكِبِ .
- 3 - الْجِلَاءُ : بكسر الجيم الكُحْلُ . الْجِلَاءُ : بفتح الجيم هجرة الأوطان ، تُجْلَى : العروس تظهر مجلوة والمعنى المراد في البيت أن الفتاة فاتها الزَّوْجُ واضطرت للهجرة مكشوفة المحاسن بعد أن كانت مستورة . وفي التعبير جناس بين جِلَاءٍ وَجِلَاءٍ وَتُجْلَى .
- 4 - الْغُفْلُ : يجمع على غُفْلَاءِ . وَالْغُفْلُ من السَّرْجَالِ الذي لا يرجى خيره ولا يخشى شره - 5 - الْعُصْلُ : جمع أعصل وهو صفة للناثب المعقوف كتاب الأفعى . والذِّبَالُ : الدَّقِيقُ : صفة لسنان الرَّمْحِ .

أسئلة :

- 1) اضبط سير النَّصِّ وعيِّن مراحلَه موضِّحاً ارتباطها العضوي ضمن الوحدة الموضوعية
- 2) عيِّن الصُّورَ الأدبيَّةَ التي اعتمدها الشَّاعر لتصوير مظاهر النَّكبة .
- 3) ما هي قيسمة هذه الصُّورة الأدبيَّة من النَّاحية الفنَّية في الشُّعر ؟
- 4) هل اكتفى الشَّاعر بالتصوير أم تجاوزَه إلى المحسنات البديعة ؟
- 5) هل وفقَّ الشَّاعر في التوازني بين الصدق العاطفي والصدق الفنِّي في

القصيدة ؟

- 6) قارن بين قصيدة ابن رشيق وقصيدة ابن شرف في رثاء القيروان .

بَعْدَ نَكْبَةِ الْقَيْرَوَانِ

قال ابن شرف من قصيدة وصف فيها ما كان من صيانة الحرير في أوطانها
ثم ما صارت إليه من الانكشاف في الحل والترحال وركوب ظهور الخطوب والاهوال:

بَعْدَ خَطُوبٍ خَطَبْتَ مُهْجَتِي وَكَانَ وَشَكُّ الْبَيْنِ امْتَارَهَا
ذَا كَبِدٌ أَفْلَاذُهَا حَوْلَهَا قَسَمَتِ الْغُرْبَةُ أَعْشَارَهَا
أَطَافِلُ مَا سَمِعْتَ بِالْفَلَا قَطَّةً فَعَايَنْتَ الْفَلَا دَارَهَا
وَلَا رَأَتْ أَبْصَارُهَا شَاطِئًا ثُمَّ جَلَّتْ بِاللُّجِّ أَبْصَارَهَا
وَكَانَتْ الْأَسْتَارُ أَفَاقَهَا فَعَادَتِ الْأَفَاقُ أَسْتَارَهَا
وَلَمْ تَكُنْ تَعْلُو سَرِيرًا عِلَا إِلَّا إِذَا وَافَقَ مِقْدَارَهَا
ثُمَّ عَلَتْ كُلَّ عَشُورِ الْخُطَا تَرْمِي بِهَا الْأَرْضَ وَأَحْجَارَهَا
وَلَمْ تَكُنْ تَلْحَظُهَا مُقَلَّةً لَوْ كَحَلَّتْ بِالشَّمْسِ أَشْفَارَهَا
فَأَصْبَحَتْ لَا تَنْقِي لِحْظَةً إِلَّا بِأَنْ تَجْمَعَ أَطْمَارَهَا

ابن شرف القيرواني

من كتاب «الذخيرة» لابن بسام

ط . القاهرة 1945

القسم الرابع - المجلد الاول

أسئلة :

- 1) لماذا كانت الغربة والتشرد أهم مظاهر النكبة عند الشعاعير ؟
- 2) ما هو المضمون الإنساني لمأساة الشعاعير ؟
- 3) أي العنصرين الشعريين أشد ظهوراً ، عنصر الصدق النبوي أم عنصر الصدق العاطفي ؟

وَدِدْتُ أَنِّي طَائِرٌ

قال ابن شرف القيرواني من قصيدة يندب فيها موطنه :

بِأَقْبِرِ وَأَنْ وَدِدْتُ (1) أَنِّي طَائِرٌ فَأَرَاكَ رُؤْيَةً بِأَحْثِ مُتَأَمِّلٍ
 آهًا وَأَيْةً أَهَّهَ تَشْفِي جَوَى قَلْبِ بَنِي رَانَ الصَّبَابَةِ مُصْطَلِي
 أَبَدْتُ مَقَاتِيحَ الْخُطُوبِ عَجَائِبًا
 كَانَتْ كَوَآمِنَ تَحْتِ غَيْبٍ مُفْهَلٍ
 زَعَمُوا ابْنَ آوَى فِيكَ يَعْوِي وَالصَّدَى

بِذُرَاكِ بِصُرْخِ كَالْحَزِينِ السُّكَلِ
 بِأَبِيرٍ (2) رُوْطَةَ وَالشَّوَارِعِ حَوْلَهَا مَعْمُورَةٌ أَبَدًا تَغْصُ وَتَمْتَلِي
 بِأَرْبُعِي فِي الْقُطْبِ مِنْهَا كَيْفَ لِي بِمَعَادِ يَوْمٍ فِيكَ وَمِنْ أَيْنَ لِي!
 بِأَلَوْ شَهِدْتُ إِذَا رَأَيْتُكَ فِي الْكَسْرِ
 كَيْفَ أَرْتَجِعُ صِبَايَ بَعْدَ تَكْهَلِ
 لَا كَثْرَةَ الْإِحْسَانِ تُنْسِي حَسْرَةَ

هَيْهَاتَ تَذْهَبُ عَلَّةٌ بِتَعْلَلِ !
 وَإِذَا تَجَدَّدَ لِي أَخٌ وَمُنَادٍ جَدَّدْتُ ذِكْرَ إِخَاءِ خَيْلِ أَوْلِ
 « لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنْ آخَرَ عَهْدِهِمْ
 يَوْمَ الرَّحِيلِ فَعَلَنْتُ مَا لَمْ أَفْعَلِ » (3)

ابن شرف القيرواني

(من كتاب « الدخيرة » لابن بسام)

القسم الرابع - المجلد الاول

الشرح :

- 1 - وِدِدْتُ : بكسر الـدال الأولى : تمنيت - 2 - في الطبعة « يا بيد » وهو خطأ - فينبغي أن يقرأ هكذا « يا بشر » لأن المقصود تلك البشر المعروفة الى الآن والتي تسميها العامة « برّوطة » وهي بشر عليها نا عورة يديرها جميل . -
- 3 - البيت لجريير ، ضمّنه ابن شرف في قصيدته .

أسئلة :

- 1) كيف يبدو لك شعور الشّاعر بالغربة من خلال حنينه الى وطنه ؟
- 2) لماذا أكثر الشّاعر من التّداء ؟ وما هو المضمون النفسي للنساء ؟
- 3) كيف تبدو لك علاقة الشّاعر بوطنه في البيت السّابع ؟

هَمَائِمُ أَضْلَانِ الْوُكُورِ

قال ابن شرف هذه الأبيات بعد خروجه من القيروان وقد ركب سفينة فاصداً الأندلس:

كَأَنِّي وَأَفْرَاخِي إِذْ اللَّيْلُ جَنَّتْ
 وَبَاتَ الْكُرَى بَجْفُو جُفُونَا وَيَطْرُقُ
 حَمَائِمُ أَضْلَانِ الْوُكُورِ فَضَمَّهَا
 تَجَانُّسُهَا حَتَّى تَرَاءَى الْمَفْرَقُ
 إِذَا أَفْسَزَعَتْهُمْ نَبْوَةٌ زَا حَمَوْا لَهَا
 ضُلُوعِي حَتَّى وَدَّهْمٌ لَوْ تَفْتَسِقُ
 وَيَصْفُرُّ جِسْمِي عَن جَمِيعِ احْتِضَانِهِمْ
 فَيَثْبُتُ ذَا فِيهِ وَذَا عَنهُ يَزْهَقُ
 كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْكُنُوا ظِلَّ نَعْمَةٍ
 لَهَا بِهَجَّةٍ مِلءَ الْعُيُونِ وَرَوْنَقُ
 إِلَى أَنْ غَدَوْا قِنَ الْفِيَا فِي فَتَارَةٍ
 تُبَاعُ وَفِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ تُعْتَقُ
 وَطَسُورًا عَلَى مَوْجِ الْبِحَارِ كَأَنَّنَا
 قَدَّيْ قَدٍّ وَثِقْنَا أَنَّنَا لَيْسَ نَفْرَقُ
 وَتَحْنُ نُفُوسٌ تَسْعَةٌ لَيْسَ بَيْنَنَا
 وَبَيْنَ الرَّدَى إِلَّا عُوَيْدٌ مُلَقَّتُ

(من كتاب «الذخيرة» لابن بسام)

ابن رشيقي القيرواني القسم الرابع - المجلد الاول

أسئلة

- 1) كيف عبّر الشاعر عن التكبّة والمأساة ؟
- 2) ما هو المضمون الانساني للصورة الادبية في أول المقطوعة ؟
- 3) على أي شيء يقوم الفن الشعري في هذه المقطوعة ؟

نقد الشعر

تقديم :

جمع ابن شرف بين المشور والمنظوم فكان أديباً كاتباً شاعراً كأغلب أدباء القرنين الرابع والخامس للهجرة، وقد كتب في النقد كسعاصره ابن رشيق .
فإليك هذه العينة من كتابته النقدية :

قلت لأبي الريان : يا أبا الريان لقد رأيت لك نقداً مصيباً ورأياً عجبياً
ولقد أرغب في أن أنال منه نصيباً ؛ فقال : النقد هبةٌ في الموالد وفيه
زيادة طارف الى تالد، ولقد رأيت علماء بالشعر ورواةً له ليس لهم نفاذ
في نقده ولا جودةً فهمم في رديئه وجيده ؛ وكثير ممن لا علم له
يفطن الى غوامضه والى مستقيمه ومتناقضه .

قلت : أنا شديد الرغبة الى فضلك في أن تُسهمني في ميزك وعقلك ما
أستهدي بسراجه على مستقيم منهاجه فأقف من سرائره على بعض ما وقفت
وأعرف من مفاخره ومعايبه جزءاً ممّا عرفت .

قال : نعم أول ما عليه تعتمد وإيائه تعتقد ألا تستعجل باستحسان
ولا باستقباح ولا باستبراد ولا باستصلاح حتى تُنعم النظر وتستخدم الفكر
واعلم أن العجلة في كل شيء هوطيء زلوق ومركب زهوق وأن من
الشعر ما يملأ لفظه المسامع ويرد على السامع منه قعاقع فلا ترعك شماعة
مبناه وانظر الى ما في سكناه من معناه . فان كان في البيت ساكن فتلك
المحاسن وان كان خالياً فاعدهه جسماً بالياً . وكذلك إذا سمعت ألفاظاً مستعملةً
وكلمات مبتذلة فلا تعجل باستضعافها حتى ترى ما بين أضعافها فكم من
معنى عجيب في لفظ غريب . والمعاني هي الارواح والألفاظ هي الأشباح ،
فإن حسناً فذلك الحظ الممدوح وان قبيحاً أحدهما فلا يكن الروح .

قال : وتمحفظ من شيئين : أحدهما أن يحملك لإجلالك القديم المذكور على العجلة باستحسان ما تسمع له ، والثاني أن يحملك لإصغارك المعاصر المشهور على التهاون بما أنشدت له فان ذلك جور في الأحكام وظلم من الحكام حتى تَفَحَّصَ قوليهما فحينئذ تحكم لهما أو عليهما. فهذا باب في اغتلاقه استصعاب وفي صرف العامة وبعض الخاصة عنه إتعاب؛ وقد وصف تعالى في كتابه الصادق تَشَبُّثَ القلوب بسيرة القديم وذمها من المحدث الجديد فقال حاكياً لقولهم : « إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ » وقال تعالى : « لَنْ نَعْبُدَ إِلَّا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا .. فَلَا يَرُوعُكَ أَنْ تَجْرَى عَلَى مَنَاجِئِ الْحَقِّ فِي جَمِيعِ الْخَلْقِ ، فِيهِ قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَبِهِ أَحْكَمُ الْإِبْرَامِ وَالنَّقْضِ .

ابن شرف القيرواني

(مسائل الإنقاد)

ط. شارل بلات الجزائر 1953 ص 44 — 48

أسئلة :

- 1) حدد تعريف ابن شرف للنقد .
- 2) عين القواعد التي حددها ابن شرف للنقد الموضوعي .
- 3) هل ترى تقارباً في المنهج النقدي بين ابن رشيق وابن شرف ؟
- 4) حدد مظاهر الصنعة الأدبية في أسلوب ابن شرف وقارن بينه وبين أسلوب ابن رشيق في العمدة .

مراجع لدراسة ابن شرف

- 1) ابن شرف « مسائل الإنتقاد » ط. شارل بلات الجزائر 1953 .
- 2) ابن بسام « كتاب الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة » ط القاهرة 1945
القسم الرابع المجلد الأول .
- 3) الشيخ محمد النيفر « عنوان الأريب عما نشأ بالمسماكية التونسية من عالم اديب »
ط تونس 1351 هـ ج 1 ص 56 - 57
- 4) حسن حسني عبد الوهاب « مجمل تاريخ الأدب العربي » ط تونس 1968
- 5) الوزير السراج « الحلال السندسية في الأخبار التونسية » الدار التونسية للنشر 1970
الجزء الأول القسم الأول ص 279

تعمیم بن المعز بن باویس

(422 - 501 هـ)

عَيْشٌ لَذَّةٌ

تقديم :

تربى الأمير تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي في قصور المنصورية ولما بلغ أشده أولاه أبوه على المهديبة فأقام عاملاً عليها الى وفاة أبيه. وحينئذ خلفه على إمارة افريقية وقاسى حروباً مع الأعراب الهلاليين ، وكان ينظم الشعر الجيد ويجيز البلغاء حتى قصده الشعراء من جميع الآفاق ومولده سنة 422 ووفاته سنة 501 هـ

مَا الْعَيْشُ إِلَّا مَعَ التَّهَجِيرِ وَالذُّلْجِ
أَوْ الْمُدَامِ وَصَوْتِ الطَّائِرِ الْهَزْجِ
وَالشُّرْبِ بَيْنَ الْغَوَايِنِ وَالْقَيْسَانِ مَعَا
فَإِنَّ أَوْجُهَهَا تُغْنِي عَنِ السُّرْجِ
وَالْقَصْرِ وَالْبَحْرِ وَالْبُسْتَانِ فِي نَسَقِ
وَتَحْنُ فِي مُشْرِفٍ مِنْ مَنْظَرٍ بِهِجِ
وَالْكَأْسِ دَائِرَةً فِي كَفِّ غَانِيَسَةٍ
بَيْضَاءَ فِي دَعَجٍ صَفْرَاءَ فِي نَعَجِ (1)

تميم بن المعز بن باديس
صاحب المهديبة

الشرح :

(1) التَّعَجُ : البياض الخالص .

أستقامة :

- (1) كيف تبدو لك حياة الأمير في قصره وبستانه من خلال هذه القطعة ؟
- (2) هل تلاحظ شيئاً في الشعر وطريقة العيش بين هذا الأمير وسميته الأمير تميم الفاطمي ؟

تَقَلَّبَ الدَّهْرُ

قال تميم بن المعز الصنهاجي في قلب الدهر :
يَا دَهْرُ مَا أَفْسَاكَ مِنْ مُتَلَكِّوْنَ فِي حَالَتَيْكَ وَمَا أَقْلَكَ مِنْصِفَا
وتروحُ لِلنَّكْسِ الْجَهْلِ مُمَهِّدًا وَعَلَى اللَّيْبِ الْحُرِّ سَيْفًا مُرْهَفًا
وإِذَا صَفَوْتَ كَدَرْتَ شَيْمَةً بَاخِلِ
وَإِذَا وَقَيْتَ نَقَضْتَ أَسْبَابَ الْوَقَا
لَا أَرْتَضِيكَ وَإِنْ كَرُمْتَ لِأَنْتَنِي
أَدْرَى بِأَنَّكَ لَا تَدُومُ عَلَى الصَّفَا
زَمَنٌ إِذَا أُعْطِيَ اسْتَرَدَّ عَطَاءَهُ
وَإِذَا اسْتَقَامَ بَدَا لَهُ فَتَحَرَّفَا
مَا قَامَ خَيْرُكَ يَا زَمَانُ بِشَرِّهِ
أَوْلَى بِنَامَا قَلَّ مِنْكَ وَمَا كَفَى
تميم بن المعز الصنهاجي

مَنَافِي

رَأَيْتُكَ قَاعِدًا عَن كُلِّ خَيْرٍ وَأَنْتَ الشَّهْمُ فِي قَالُوا وَقَلْتُ
وَطَرَارًا لَهُ لُطْفٌ وَحَذَقٌ وَالْفَاطُ يُنَسِّقُهَا وَسَمَّتُ (1)
وَتَقْتُ إِلَيْهِ مِنْ حَسَبٍ وَبَيْتٍ وَلَوْلَا ذَلِكَ مِنْهُ لَمَا وَتَقْتُ
وَقَدْ يَبْعُدُ الْوَعُودَ وَلَيْسَ يُوْفِي وَلَيْسَ بِقَائِلِ يَوْمًا فَعَلَنْتُ
كَحِزِّ (2) الْمَاءِ فَوْقَ الْمَاءِ طَافَ يَسْرُوقُ وَمَالَهُ أَصْلٌ وَتَبَسْتُ
كَذَلِكَ زَهْرَةُ الدَّفْلِيِّ تَرَاهَا تَشُوقُ الْعَيْنَ حُسْنًا وَهِيَ سَحَتْ (3)

تميم بن المعز الصنهاجي

الشرح :

1 - البَطْرَارُ : النَشْبَالُ الذي يشقُّ ثوب الرجل ويسرق ما فيه . 2 - خز الماء :
ما يعلو سطحه من طحلب . 3 - سَحْتُ : خبث .

أسئلة :

- 1) هل لشكوى الشعاعر من الدهس علاقة بما كان يلقاه من الهلاليين
أثناء حكمه ؟ هل يشبه من هذا الوجه سَمِيَّةُ تَمِيمَا بنِ الْمُعَزِّ القَاطِمِيَّ ؟
- 2) لماذا يعتمد الشعاعر في الشعر التعليمي على ضرب المثل ؟

أبو الصلت الميموني

(460 - 529 هـ)

رَبِّهِمْ أَبِي الصَّلْتِ أُمِيَّةَ بِنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ

هو : أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت : كان فاضلاً في علوم الأدب صَنَّفَ كتاباً سماه «الحديقة» على أسلوب «تيممة الدهر» للثعالبي وكان عالماً بفنّ الحكمة (الطب) «ذا منطوق في المنطق بذّ سبحان وائل» كما يقول العماد الأصفهاني وكان يقال له الأديب الحكيم . ولد بدانية سنة 460 و قدم الاسكندرية مع أمه سنة 489 هـ و جرت عليه محنة فسجنه الأفضل شاهنشاه ملك مصر فألف له وهو في الحبس رسالة « العمل بالاسطرلاب » وله تأليف مفيدة متقنة منها كتاب « الوجيز في الهيئة » وكتاب « الادوية المفردة » وكتاب في المنطق سماه « تقويم الذهن » وكتاب سماه « الانتصار في الرد على علي بن رضوان في رده على حنين بن اسحاق في مسائله » - وقد انتقل أبو الصلت الى المهديّة بافريقية فقبله أميرها علي بن يحيى بن تميم الصنهاجي وأنزله منزلة رفيعة واستوطنها وولد له بها عبد العزيز. فنشأ في طلب العلم والأدب واعتنى به أبوه أبو الصلت أمية حتى برع وقال الشعر الفائق. وتوفي صاحب الترجمة بالمهديّة مستهل سنة 529 هـ ودفن بالمنستير.

مدح حسن بن علي بن يحيى بن تميم

قال الاديب الحكيم أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت من قصيدة
في مدح حسن بن علي بن يحيى بن تميم . وقد كثر الإرجاف بخروج أسطول
(رجار) . صاحب صقلية الى افرريقية وقد قصد المهديبة فعلا في سنة سبع عشرة
وخمسمائة . ونزل الافرنج بجزيرة الديماس - قرب البقالطة - المتصلة
بالبر فلاقاهم رجال الحسن وأنخنوا فيهم القتل حتى أرجعوهم خاسرين :

لَلْفُظْكَ يُهَنْجِرُ الرَّوْضَ الْمُهَيْجِجُ
وَدُونِ ثِيَابِكَ الْمَسْكَ الْأُرَيْجِجُ
وَأَنْتَ الشَّمْسُ مَطْلَعُهَا ذُرَاهَا
وَلَيْسَ سِوَى الدَّسُوتِ لَهَا بُرُوجُ
وَأَنْ قَدْ حَتَّ زِنَادُ الْحَرْبِ يَوْمَئِذَا
وَكَانَ لِنَارِ مَعْرَكَةٍ أَجِيحُ
تَرَكْتِ بَرَاءِيكَ الْأَبْطَالَ فِيهَا
وَمِنْ تَحْتِ الْعَجَاجِ لَهَا عَجِيحُ
نَمَّاكَ بَنُو الْمُعَزِّ فَطَلْتِ فَسَرَعَا
كَذَا الْخَطِيئِ يُنْمِيهِ الْوَشِيحُ (1)
وَأُمَّ جَنَابِكَ الْعَافُونَ طُرُورًا
كَمَمَا يَتَّيَّمُ الرُّكْنَ الْحَجِيحُ
وَأَعْنَدَاهُمْ سَمَاحُكَ فَاسْتُمِيحُوا
وَلَوْلَا السِّحْرُ لَمْ يَقْضِ الْخَلِيحُ
وَلَمَّا أَنْ تَوَعَّدَكَ النَّصَّارِي
كَمَمَا يَتَّوَعَّدُ الْأَسَدَ الْمُهَيْجِجُ
أَنْتَكَ غُزَاتُهَا بِالْقُرْبِ تَنْتَرِي
لِيُنْفِضَ مَا تُعَالِجُهُ الْعُلُوجُ

وَحَوْلِكَ مِنْ حِمَانِكَ كُلِّ ذَمِيرٍ (2)
 لَهُ فِي كُلِّ مُشْتَجِرٍ وُلُوجُ
 وَمَقْرَبَةٍ (3) تُفَرِّجُ كُلَّ كَرَبٍ
 إِذَا مَلَّتْ مِنَ الرَّكْضِ الْفُرُوجُ
 إِذَا كُسِيتَ دَمَ الْإِبْطَالِ عَادَاتُ
 وَدُونََ لُبُوسِهَا الذَّهَبُ النَّيْسُجُ
 وَقَدِ رِبَعَتْ قُلُوبُ الشُّرُكِ حَتَّى
 كَانَتْ لَهَا بِأَنْدَلُسٍ ضَجِيحُ
 فَبَلَغَهُمْ رَسُولُكَ كَيْ يَتَقَرَّوْا
 فَإِنَّ الْأَمْرَ بَيْنَهُمْ مَسْرِيحُ
 وَإِنَّا الدَّاخِلُونَ إِلَى بَلَدٍ رَمُ
 إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ خُرُوجُ
 لِأَنَّا الْقَوْمُ تَرْضِينَا الْمَذَاكِي
 إِذَا صَهَلَتْ وَتَوْنُنَا الرَّهُوجُ (4)
 بَقِيَتْ لَنَا وَالْإِسْلَامُ رُكْنًا
 نُجَانِبُهُ الْخُطُوبُ وَلَا يَعِيحُ (5)
 وَلَا غُمْدَتُ لِنُضْرِكَ الْمَوَاضِي
 وَلَا حُطَّتْ عَنِ الْخَيْلِ السُّرُوجُ
 شَأَى (6) الدَّرِّ الْقَرِيضُ بِكُمْ وَتَاهَتْ
 عَلَى أَدْرَاجِهِ هَذِي السُّدْرُوجُ

أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت
 (من كتاب « جريدة القصر وجريدة العصر » للعماد الأصفهاني)
 قسم شعراء المغرب - الدار التونسية للنشر

1966 ص 204 - 206 .

الأعلام :

- حسن بن علي الصنهاجي : حاكم المهديّة من 515 هـ الى 543 هـ .
- رُجَسَارُ : هو رُجَارُ الثَّانِي : (نحو 1095 – 1154 م) ملك صقلية النورمندي .
- ازددت علي ايتامه العلوم والفنون باحتكاك الثقافتين اليونانيّة والعربيّة في بلاده وهو الذي كتب له الجغرافي العربي الشّريف الإدريسي المشهور « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » ورسم له البلدان على كرة من فضّة .

الشرح :

- 1 - البوشيجُ : شجر الرماح - 2 - الذمّسُ : الشجاع الشّديد
- 3 - المقرّبةُ : الفرس القربيّة المعدّة للركوب أو للغارة - 4 - الرّهوجُ :
- ج رهج : الغبار ويعني هنا غبار الحبر وعجاجها - 5 - لا يعييج : لا يبالي
- 6 - شأى : ناز وسبق .

أسئلة :

- 1) اظبط سير النص وعين مساحله الهامة
- 2) ما هي المناقب التي أضناها الشاعر علي ممدوحه؟
- 3) هل عبر الشاعر عن شعوره الديني في مدحه الأمير حسن؟
- 4) هل ترى الشاعر متقلدا أم مجددا في وصف الحرب؟

وَصَفَ قَصْرَهُ

قال الحكيم أبو الصلت أُمِيَّةُ بن عبد العزيز بن أبي الصلت يمدح يحيى بن تميم بن المعز . الصنهاجي ويصف قصره :

... لِلَّهِ مَجْلِسُكَ الْمُنِيفُ قِبَابُهُ بِمُوطِدٍ فَوْقَ السَّمَاءِ مُؤَسَّسٌ
 مُوفٍ عَلَى حُبِّكَ (1) الْمَجْرَةَ تَلْتَقِي
 فِيهِ الْجَوَارِي بِالْجَوَارِي الْخُنُسِ
 تَتَقَابَلُ الْأَنْوَارُ مِنْ جَنَبَاتِهِ
 فَالليلُ فِيهِ كَالنَّهَارِ الْمُشْمَسِ
 عَظَفَتْ حَنَابِيَاهُ دُوَيْنَ سَمَائِهِ
 عَظَفَ الْأَهْلَةُ وَالْحَوَاجِبُ وَالْقَسِي
 وَاسْتَشْرَفَتْ عُمُدُ الرَّخَامِ وَظُوهَرَتْ
 بِأَجَلٍ مِنْ زَهْرِ الرَّبِيعِ وَأَنْفَسِ
 فَهَوَاؤُهُ مِنْ كُلِّ قَدٍّ أَهْنِيفِ
 وَقَرَارُهُ فِي كُلِّ خَدٍّ أَمَلَسِ
 فَلَاكَ تَحْيِيرَ فِيهِ كُلِّ مُنْجَمِ
 وَأَقَرَّ بِالتَّقْصِيرِ كُلِّ مَهَنْدِسِ
 فَبَدَا لِلْحَظِّ الْعَيْنِ أَحْسَنَ مَنَظَرِ
 وَغَدَا لِطَيْبِ الْعَيْشِ خَيْرَ مَعْرَسِ
 فَطَاطَعَ بِهِ قَمَرًا إِذَا مَا أَطْلَعَتْ
 شَمْسُ الْخُدُورِ عَلَيْكَ شَمْسُ الْأَكُوسِ

فَالنَّاسُ أَجْمَعُ دُونَ فَضْلِكَ رُئِبَةً
وَالْأَرْضُ أَجْمَعُ دُونَ هَذَا الْمَجْلِسِ

أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت

(من : كتاب «خريدة القصر وحريرة العصر» قسم شعراء المغرب)

ص 227 — 228 المدار التونسية للنشر 1966

الإعلام :

• يحيى بن تميم بن المعز الصنهاجي (456 هـ 509) أحد الأمراء الصنهاجيين بالمهديّة . أنشأ أسطولا عظيماً غزا به بلاد الأفرنج منها جنوة وسردانيا تونسي متأثراً بجراحه بعد أن وثب عليه ثلاثة من اخوته الطامعين في الملك .

التشرح :

الحبك : مفردة حبيكة وهي طريق التجموم في السماء .

أسئلة :

1) ما هي مظاهر البذخ في هذا القصر ؟

أَبِي صَطْرَلَابِ

تقديم :

أَبِي الصَّلْتِ أَمِيَّةَ رِسَالَةَ بِعِنْوَانِ « الْعَمَلُ بِالْإِصْطِرْلَابِ » أَلْفَهَا لِمَلِكِ مِصْرٍ وَهُوَ فِي الْحَبْسِ . فَلَا عَجَبَ أَنْ يَصِفَ فِي هَذِهِ الْقِطْعَةِ الشَّعْرِيَّةِ الْإِصْطِرْلَابَ بِمِثْلِ هَذِهِ الدَّقَّةِ ، دَقَّةِ الْعَالِمِ وَهُوَ يَعْبَأُ بِأَشْيَاءِ .

أَفْضَلُ مَا اسْتَصْحَبَ النَّبِيلُ فَلَا
تَعْدُلُ بِهِ فِي الْمَقَامِ وَالسَّفَرِ
جِرْمٌ إِذَا مَا التَّمَسَّتْ قِيَمَتَهُ
جَلَّ عَنِ التَّبِيرِ وَهُوَ مِنْ صُفْرِ
مُخْتَصِرٌ وَهُوَ إِذْ تُفْتَشُّهُ
عَنْ مَلْحِ الْعِلْمِ غَيْرُ مُخْتَصِرِ
ذُو مَقْلَةٍ تَسْتَبِينُ مَا رَمَقَتْ
عَنْ صَائِبِ اللَّحْظِ صَادِقِ النَّظَرِ
تَحْمَلُهُ وَهُوَ حَامِلٌ فَلَكَا
لَوْ لَمْ يُدْرَ بِالْبِنَانِ لَمْ يُدْرَ
مَسْكَنُهُ الْأَرْضُ وَهُوَ مُنْبِئُهَا
عَنْ جُلِّ مَا فِي السَّمَاءِ مِنْ خَبَرِ
أَبْدَعَهُ رَبُّ فَكْرَةَ بَعُدَتْ
غَايَتُهَا أَنْ تُقَاسَ بِالْفَكْرِ
فَاسْتَوْجَبَ الشُّكْرَ وَالثَّنَاءَ لَهُ
مِنْ كُلِّ ذِي فِطْنَةٍ مِنَ الْبَشَرِ

فَهُوَ لِذِي النَّبِّ شَاهِدٌ عَجَبٌ
عَلَىٰ اخْتِلَافِ الْعُقُولِ وَالْفَطْرِ
وَإِنَّ هَذَا النُّجُومَ بِأَيْتَانِ
بِقَدْرِ مَا أُعْطِيَتْ مِنَ الصُّورِ

أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت

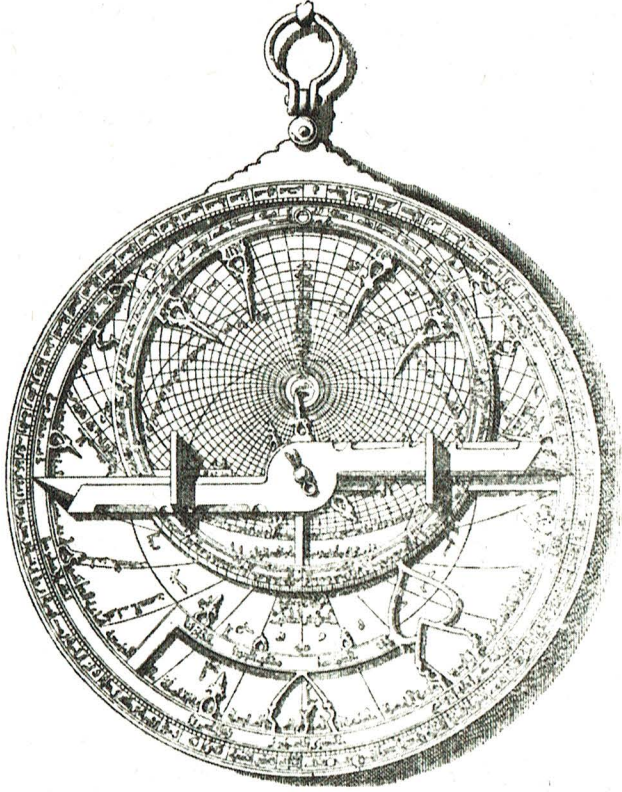
(من كتاب «خريدة القصر وجريدة العصر» للعماد الاصفهاني)

قسم شعراء المغرب ص 222 – 223

الدار التونسية للنشر 1966

أسئلة :

- (1) ما هي عناصر الوصف العلمي في هذا النص ؟
- (2) هذه القطعة من الأدب التعليمي ، فما هي خصائص هذا الأدب ؟



اسطرلاب عربي قديم (متحف العاديات الأسباني)

البراني

تقديم :

الأديب الطريف يحول المواضيع التافهة الى طرائف أدبية تشيع الدعابة
والموانسة والإمتاع، وأبو الصلت أمية أديب جمع الى دقة الوصف الطريف
والإمتاع :

وَلَيَاةَ دَائِمَةَ الْعُسُوقِ بَعِيدَةَ الْمَمْسَى مِنَ الشُّرُوقِ
كَتَيْلَةَ الْمُتَيْسِمِ الشُّوقِ أَطَالَ فِي ظُلُمَائِهَا تَأْرِيقِي
أَخْبِثْ خَلْقَ لِالْأَذَى مَخْلُوقِ يَسْرَى دَمِي أَشْهَى مِنَ الرَّحِيقِ
يَعْبُ فِيهِ غَيْرَ مُسْتَفِيْقِ لَا يَتَّسِرُكَ الصَّبُوحَ لِلْغُبُوقِ
لَوْ بَتُّ فَوْقَ قِمَّةِ الْعَيْوُقِ (1) مَا عَاقَهُ ذَلِكَ عَن طُرُوقِ
كَعَاشِقٍ أَسْرَى إِلَى مَعشُوقِ (2) أَعْلَمَ مِنْ بُقْرَاطَ * بِالْعُرُوقِ
مَنْ أَكْحَلَ مِنْهَا وَبَنَاسَلِيقِ يَفْصُدُهَا بِمِضْعِ رَقِيقِ
مَنْ خَطَمَهُ الْمُدْرَبِ الذَّلِيقِ فَصَدَ الطَّبِيبِ الْحَازِقِ الرَّفِيقِ

أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت

(من كتاب «خريدة القصر وجريدة العصر» للعماد الاصفهاني)

قسم شعراء المغرب ص 240 - 241

الدار التونسية للنشر 1966

الاعلام :

• بقُسرَاط : (نحو 460 – 377 ق م) ولد في جزيرة كوس : أشهر الأطباء
الاقدميين، جعل للأمراض مصدرين : الهواء والغذاء. نقلت بعض مصفاته
الى العربية منها : «تقدمة المعرفة» و«طبيعة الانسان» .

الشرح :

(1) العيسوق : نجسم يتلسو الشريسا . 2 - الأكلحل والباسليق : عرقان
في الذراع .

أسئلة :

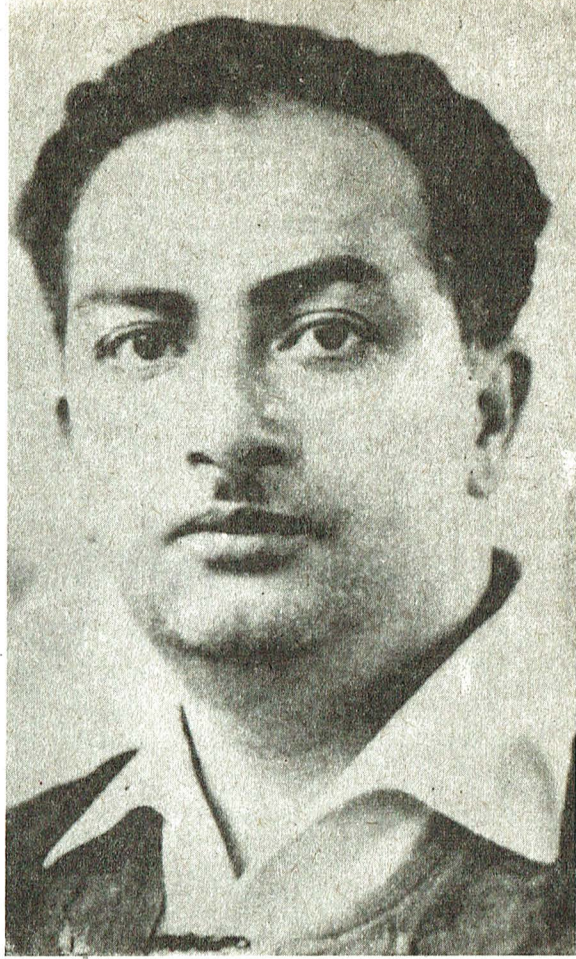
- (1) أين تبدو لك الطرافة في مثل هذا الادب الوصفي ؟
- (2) كيف يبدو لك الشعاعر كوصف وانسان ظريف ؟
- (3) هل للوصف علاقة بحياة الشعاعر وثقافته ؟ أوضح ذلك ؟

موضوع مقالة

1) كان لكنبة القيروان وخرابها أعظم الأثر في نفوس أبنائها الذين تشرّدوا في الافاق، وأنشاء الغربية والتشرّد تعدّدت المراثي الطافحة بالبكاء والحنين إلى مدينة العلم والادب والحضارة التي تحوّلت إلى خرائب حلل هذا القول معتمدا مراثي القيروان في شعر ابن رشيّق وابن شرف والحصري وغيرهم.

2) كان للمجلس الأدبية في القرنين الرابع والخامس بالقيروان والمهدية شايده الأثر في تطور ادب وازدهار الثقافة، والأخبار المروية عن هذه المجالس تصور لنا الحياة الثقافية في المدينتين، كما تصور جانباً من حياة الأدباء في جدهم ولهوهم، وجانباً من الحياة الاجتماعية،
- توسّع في هذا القول وأيده بأمثلة من الشعر والأخبار.

بروق القليله



صورة
المشير خيريف
مدة اشتغاله بكتابة
- برق الليل -
(اهداء المؤلف)

خيريف

التَّرفيفُ بالبشْرِ خريفٌ

كاتب قصصي ولد سنة 1917 وأصله من نفطة بالجريد التونسي وهو شقيق الشاعر مصطفى خريف صاحب ديوان « شوق وذوق » وصديق أبي القاسم الشابي. وفي صباه أمّ الكتاب ثم التحق بالمدرسة العربية الفرنسية ، وبعدها تردد على الغلدونية وعلى معهد الدراسات العليا وأحرز شهادة انتهاء الدروس به، فكانت ثقافته مزدوجة كلاسيكية.

وفي بداية حياته العاملة احترف البشير خريف التجارة بسوق القبابجية طيلة خمسة اعوام من عام 1942 الى عام 1947 فكان يبيع الأقمشة ويتأثر بجو الحياة التقليدية في ظلال الاسواق العتيقة وفي الأحياء الشعبية بالعاصمة، فتنتطح مشاهد منها في ذاكرته لتُنخرجها مخيلته من بعد لوحات قصصية طريفة.

وبالإضافة الى الزّاد الحاصل له من مدرسة الحياة والمدارس الحكومية والحرّة التي كان يؤمها خاصّة بالليل فإنّ آفاقه الثقافية اتسّعت بمطالعاته الخارجية، فكان يقبل على قراءة الكتب القديمة ويتأثر بالخصوص بـ « سيرة الرسول » لابن هشام وبالأغاني لأبي الفرج، فيغترف منها العبرة والأدب ويتدرّب بقراءتها على الاسلوب الجميل حسب شهادة صديقه محمّد فريد غاري.

وللمعاصرين كان يقرأ مصطفى لطفي المنفلوطي وخليل مطران وخاصة مسرحياته ويلتهم الصحف الوطنية والجرائد الهزلية مثل « السردوك » و« الشباب » و« الوطن » ويجد فيها أدباً شعبياً يستسيغه ذوقه ويتزود به للكتابة القصصية في آثاره الزاخرة بألوان شتى من الشعبيات .

وتزوَج البشير خريف في الثانية والعشرين من عمره، وفي سنة 1947 غادر مهنة التجارة لياشر التدريس، فعيّن في قرية السند على بعد

خمسة وثلاثين كيلومترا من مدينة قفصة في الجنوب وهناك قضى رفقة زوجته وأولاده ستين تقريبا بعدها الى عين دراهم بأقصى الشمال فمكث بها الى سنة 1952، ثم عاد الى العاصمة، وانضم في اواخر سنة 1958 الى أسرة مجلة « الفكر » بناي قدماء الصادقية الى جانب أخيه الشاعر مصطفى خريف، والأديب زين العابدين السنوسي صاحب مجلة « العالم الأدبي »، ورئيس مجلة الفكر محمد مزالي، والباحث محمد فريد غازي وثلة من الأدباء الناشئين .

واكتشف القراء البشير خريف في قصة « حبك درباني » أو « إفلاس » التي نشرت تباعاً على صفحات « الفكر » وفي آثار قصصية أخرى نشرتها تلك المجلة قبل ان تظهر في كتب مخصصة. وأثارت قصة « افلاس » التي مزج فيها الفصحى بالعامية في الحوار حفيظة المحافظين، فكالوا له الانتقاد ولكنّ أديبنا صمد أمام التهجمات وواصل العمل في صمت المؤمن برسالته الأدبية.

وللبشير خريف نتاج قصصي خصب نشرت الفكر قسماً كبيراً منه أثناء الأعوام العشرة الفارطة، فله « خليفة الاقرع » و« رحلة الصيف » و« محفظة السمّار » و« النقرة مسدودة » و« المروض والثور » وقد جمعت في كتاب بعنوان « مشموم الفلّ » (ط. الدار التونسية للنشر سنة 1971) ؛ وله « إفلاس أو حبك درباني » 1958 و« برق الليل » الفائزة بجائزة بلدية العاصمة لسنة 1960، وصدرت له بالدار التونسية للنشر سنة 1969 قصة « الدقلة في عراجينها » التي دخل بها « عالم الأدب من أوسع أبوابه » كما قال مدير « الفكر » .

فَرِيفَ بِحَدِّكَ عَنْ نَفْسِهِ

ولدتُ سنة 1917 بنفطة من أب نفطي وأم تونسية. قرأت بمدرسة السلام القرآنية ثم بمكتب دار الجلد الى الشهادة الابتدائية سنة 1932، فالتحقت بالمدرسة العلوية وبعد سنتين فصلت عنها فركنت الى الكتابة أتسلى بها. فكتبت مشاريع تمثيلات ومقالات. مارست من الصناعات صناعة صناديق الحلقوم وصناعة الشاشية وأسست برّاقة بيع الكاسكروت والاموناضة يرادس. وتوفي والدي سنة 1937 وأصدر أخي مصطفى جريدة الدستور فأعنته فيها ونشرت أقصوصات ونقدا مسرحياً ودخلت مدرسة الفلاحة بسمنجة وغادرتها في نفس العام وتزوجت سنة 1938 وعملت كاتباً لدى حمام. وعزّ عليّ ان يكون لي أولاد فلا أقدر أن أتبع تعليمهم فدخلت مدرسة الخلدونية وتحصلت على البروفي وكنت فتحت حانوتاً لبيع الحرير والحرائر في سوق الكبابجية، وكانت الحرب، فالتجأنا الى حمام الأنف وأنشأت نصبة لبيع التوابل وعند الرجوع الى الحاضرة رجعت الى حانوت الحرائر. فعملت سنوات طيّبة في السوق السوداء ثم انتهت الحرب وكسدت الحركة فكنت اشغل وقتي بحفظ المتون والمعلقات وتصحيح معلوماتي من نحو وصرف. وفي سنة 1947 شاركت في امتحان الدبلوم فأحرزت عليه وثبت لي الخسران في التجارة فانخرطت في سلك التعليم وتنقلت بعائلي من السند الى أريانة الى عين دراهم الى فرانسفيل. وكان طول المسافة بين محل سكناي والمدرسة باعثاً الى حفظ ما تيسر من القرآن واقتضى جدول الأوقات ان اعمل بعد الظهر فقط، فتوفرت لي الأصباح لدراسة التاريخ التونسي وخاصة القرن العاشر الهجري. رعن لي أن أكتب قصة طويلة تشمل مدة الاحتلال الاسباني. ثم انتقلت الى مدرسة نهج النفاثة وأصبحت - عافاكم الله - بمرض انجرت عنه رخصة طويلة. فكتبت أثناءها حبك درباني.

فناآل رضا من أعمد رأهم في الأدب كأخي مصطفى والدكتور العميري والأستاذ محمد مزالى الذي فآح لي صحائف مجلة الفكر ، وجازف بنشرها رغم المترمتين وطلب منى غيرها فاقتطعت من دراستى للتارىخ قصة « برق الليل » وقدمتها لآائزة البلدية فنالآها. ووجدت راحة عظيمة اذ ففرغت للكتابة فنشرت « خليفة الاقوع » و« النقرة مسدودة » و« الدقلة في عراجينها » و« محفظة السمار » الخ ... والآن اعمل في تمثيلية تحت عنوان سارة البلاط.

الببشير خريف

« من رسالة بعث بها إلى المؤلفين »



التي هي من جنس
التي هي من جنس
التي هي من جنس

- أوت ١٥٤٤
- بستر
- الشمس
- نومر
- ديسمبر ١٥٥٥
- جانفي
- ببتمبر
- مارس
- أبريل
- ماي
- يونيو
- يوليو

تفشيح ما مط العصب
تفشيح ما مط العصب
تفشيح ما مط العصب
تفشيح ما مط العصب
تفشيح ما مط العصب
تفشيح ما مط العصب
تفشيح ما مط العصب
تفشيح ما مط العصب
تفشيح ما مط العصب
تفشيح ما مط العصب
تفشيح ما مط العصب
تفشيح ما مط العصب

عينية من مسودة برق الليل.
(إهداء المؤلف)

طارد الرطوبة النفسية بمرور العضمي غايرها
يجب ان يكون في رفة الكبد في قسطها طرية الطبع

ان كان يتأثر به طبعه ينميل بطلائف النسوة والصلبان
الطالوتين والضعف وعود من قبل والابرو والاصابع
والعظومات وفلانك الودع والرفان والاصابع
والغلو وسورته الخرب والعضب الطلوت

ولا يكاد يصفى الا بال
ان تتنقل من صوروب
بسادته في صلبه فيكون
التي هي من جنس

أخذ خزرة الكوتة
مطار الصباغ

باي الكلف
الطويح

محميا بصودي يرفع عفتة في طلب العصب
الضمية بصوت الجمل وعند الطي يكون قد
وصل الى الحوصلة حيث معالم الكبد. يجتازها
سريعا الى حوصلة العزائين فيجذبها في حوصلة
ويصحبها بصوت جمل الطالوتين
مير ططير

تقديم قصّة برق الليل

هذه قصّة شعبية إنسانية عاطفية تاريخية في ثلاثة فصول تجري أحداثها زمن الحفصيين في القرن العاشر الهجريّ عندما قدم الياس خبير الدين بربروس الى العاصمة التونسية ففرّ سلطانها الحسن الحفصي ليستجد بالامبراطور « شارلكان » ثمّ عاد بنجدة الإسبان الذين احتلّوا البلاد وعاثوا في الحاضرة فسادا سنة 1535.

وقد استطاع البشير خريف بمهارة فائقة أن يخرج قصّة « برق الليل » ويحبك عقدها الغرامية في إطار تلك الأحداث الخطيرة وأن يحيي فترة من تاريخنا بصورة سهلة ترسخ في الأذهان.

وبطل القصة شابّ زنجيّ خفيف الروح ذكيّ سبي صغيرا من بلاد السودان وجلب مع أمّه في قافلة العبيد الى شاطيء قابس حيث فصل عنها ثم سيق الى تونس فاشترى الشيخ حامد بن النخلي الكيميائي الذي وهب حياته للبحث عن حجر الفلاسفة وإكسير الحياة واستعان به في أعماله بمخبره فوقع « برق الليل » في شرك حبّ عنيف واستأثر بقلب امرأة شابة تدعى « ريم » اعتادت أن تصعد كلّ ليلة الى سطح دارها لتستشق الهواء الطلق طوال غيبة زوجها الشيخ الذي ذهب الى الحجّ بعد أن بنى جدارا سدّ به باب المنزل .

وذات ليلة سمعت دقاّ مطرباً وأنغاماً غير مألوفة ارتاحت لها نفسها فتتبّعت مصدرها فوق السطوح واذا بها ترى « برق الليل » يرقص على الإيقاع العذب رقصاً بديعاً بين قوارير رتبها ترتيباً منسجماً ودقّ عليها بمطرقين وعمد الى قراب من جلد فاتخذه طبله وقوى النغم بجرس أثبتته في قلنسوته فاستقامت له الألحان وانتابته نوبة جنونية في دورانه

فأصببت نحاسة الزئبق بضربة كسرتُها فتبدد السائل وأحرق رجلي برق اللّيل
فسمع ضحكات فرفع رأسه الى كوة في السقف فرأى صاحبة الوجه الجميل
فتخلل حبّها جميع أعضائه.

ومرت الليالي والشّابة لا تظهر، وذات ليلة رأى - وهو في أشدّ
خمرته - الوجه الجميل على صفحة المرأة فطاش عقله وسهّأ عن صغير
النحاسة حتى انفجرت وحطمت جانباً كبيراً من المخبر بقواريره الثمينة
ومساحيقه النادرة وأفاق «الكيميائي» حامد بن النخلي بدوي الانفجار
وهرّول يستجلي الخبر فوجد عبده يرقص وقصص المجذوب فاستشاط غضباً
لأنّ الزنجي أفسد عليه ما كان ينتظره من اكتشاف إكسير الحياة فانهدم
عليه ضرباً حتى لاذ «برق الليل» بالفرار الى الزقاق بلا رجعة .

ونزلت «ريم» من السطح فوجدت زوجها الحاج ينتظرها -
وكان قد عاد من بيت الله منذ أيام - وأفاق فجأة في تلك الليلة فلم يجدها
الى جانبه فتحيّر وخرج يبحث عنها فرأها تنزل من السطح فسألها عن
سبب صعودها اليه في تلك الساعة المتأخّرة، فتلعثمت فصفعها ونطق
بطلاقها ثلاثاً فكانت الكارثة لأنّ الزوج ندم على ما فرط منه وهو مغضب
وأراد استرجاع مطلّقتة. واذ كان لا بدّ له من اتّخاذ محلّ في مثل
ذلك الحال، فقد اختار «تياًساً» شاءت الصدفة أن يكون «برق الليل»
ولما دخل الزنجي على عروس ليلة اندهش لمراى صاحبة الوجه
الجميل التي طالما تعبدها في المرأة وهي تطلّ عليه من كوة المخبر. ومن
الغد رفض أن يطلق وأفلت من قبضة الشيخ المطلّق بالثلاث فلم تحلّ
له الزوجة، فخرج ينشد العبد وكان سيّده الأوّل الشيخ النخلي يجدّ في
البحث عنه لندمه على التفريط في مساعد ذكيّ خبير بشؤون المخبر .

ومنذ ذلك الحين تطوّرت الأحداث بسرعة وتوالى الأزمات وزاد
العمل القصصي تعقّداً عندما زحف الأتراك على العاصمة بقيادة خير

الدين واذاك نشأت صداقة سرعان ما توطدت بين الزنجي ومغامر من جيش الانكشارية اسمه « شعشوع » تونسيّ الاصل مهنته التجديف وكان قبل خروجه من البلاد قد اختطف من « دارِ جواد » فاطمة المرأة الناشزة عن زوجها الشيخ وقد بدا لشعشوع أنّها مظلومة وكانت ذات حسن ودلّ فأحبّها وان كان ينقل قلبه حيث شاء من الهوى ؛ وقبض على شعشوع وحكم عليه أن يجذّف بمركب السلطان ، فجرّه ذلك الى المغامرة ولم يلبث ان انضمّ الى رجال خير الدين بربروس وهكذا عاد الى تونس مع حملة القائد التركيّ.

ولما كان شعشوع يشكو ضيقاً مالياً عرض « برق الليل » عليه أن يبيعه ويقبض ثمنه لأنّه لا محالة هارب وراجع اليه، ففعل واشترته عجوز أرادته ممرّضا لوحيدها المصاب بداء غريب وتوسّمت في الزنجي علامات الفطنة واقتنعت بخبرته في التمريض.

ظلّ « برق الليل » أيّاما يسهر على المريض ثم هرب من بيت مولاته العجوز وتكرّر شيخاً أسمر يمشي في الأزقة يبيع اللعاب والحلواء وموادّ التجميل ، وعمد الى دميّتين بيضاء وسوداء معطّرتين آلى على نفسه ان يبعث بهما الى جميع منازل الحاضرة لتعرفه صاحبة الوجه الجميل زوجته ليلية. وهكذا توالى أيّامه بالأزقة حتّى انفتح باب دار ذات يوم فرأى « ريما » فأخذ ينتف لحيته المستعارة ويمسح وجهه بمياه العطورات فعرفته الشّابة ولكنّ الزوج ظهر من منبرج الزقاق يزور أنسابه فعرف الزنجي وألّقى عليه القبض وأخذ يجرّه حتّى وصل به باب المنارة فأفلت « برق الليل » من يديه وعدا الى القصبة فاصطدم بمولاه الأول الشيخ حامد بن النخلي وصار العبد محلّ نزاع بين الرّجلين ولحقت بهم العجوز أمّ المريض ووجد العبد نفسه بين قوى ثلاث تجذّبه الى نواح ثلاث مختلفة حتّى خرج « شعشوع »

مائدة القصبة يستجلي خبر الضجيج، فعرف رفيقه الأسود، فانتصب قاضياً،
ولبى رغبة صاحبه، وحكم بأن يصبح « برق الليل » ملكاً للزوج ويطلق
المرأة، وبهذه الصورة تيسر للزنجي أن يرى صاحبة الوجه الجميل.

ثم جاء الزحف الإسباني على تونس وتمكن « برق الليل » من إجلاء
الغزاة عن العاصمة بتسميم ماء بئر قريبة من القصبة فشرب الجنود
الاسبانيون الماء الموبوء فتهافتوا وأخذهم الرعب فأجلوا عن البلاد.

وفي النهاية يشاهد برق الليل في لقاء أخير مع صاحبة الوجه
الجميل وهو يودعها وفي قلبه غصة وقد أخذ عصا التسيار وأثبت فيها
صرة ووضعها على كتفه وذهب مع نسيم الفجر.



«الجيش الاسباني يستبيح العاصمة وفي الصورة الثانية يظهر بوضوح
 — مشهد حي من الغنيمية» المجموعة المحفوظة بالقصر
 الملكي بمدريد . أهدت الصورة وسمحت بادراجها إدارة
 التراث القومي الإسباني (رسالة سعادة سفير إسبانيا
 بتونس للمؤلف بتاريخ 72/8/25) .

الخبر عن استيلاء خير الدين باجا - على الحاضرة والخطبة بها للسلطان سليم

خير الدين هذا من رجال الدنيا بل والآخرة، فهو كما قال بعض الأدباء « خير الدين والدنيا »، وهي أخباره تأليف مستقل (1).

وأصله من جزيرة مدلي (2)، رابع اربعة من الاخوة، اثنان أسن منه، وهما : اسحاق وعرو وج، وأصغرهم إلياس، باعوا انفسهم من الله تعالى واستبشروا ببيعهم وربحوا، وذلك هو الفوز العظيم.

وكان عروج صاحب اسطول يغزو به في البحر، وساعدته الاقدار بالنصر والمغانم. وألقتسه الريح الى جزيرة جربة، فحط بها بعض أثقاله. وأتى لتونس، وسلطانها يومئذ أبو عبد الله محمد بن الحسن الحفصي .. وهاداه بتحف مما غنم، وحسان من الجوارى، فوقع ذلك من السلطان موقعا حسنا. واستأذنه في الإقامة بأسطوله في بعض مراسي المملكة، فأذن له، على شرط أن يرفع اليه خمس ما يغنمه، فرضي عروج بذلك، وسافر الى جربة.

فكان من الاتفاق ان وجد بها أخاه خير الدين، قد دخلها لخوف بادرة من الدولة العثمانية، أيام السلطان سليم، فاتفق رأي الأخوين على الغزو، والإقامة بالمملكة التونسية، فرجعا معاً الى الحاضرة وأتيا السلطان محمد بن الحسن، فأكرم نزلهما، وبالغ في العناية بهما وخلع عليهما وأذنهما في الإقامة بالمملكة والغزو بأساطيلهما على شريطة رفع الخمس.

ثم رجعا لجربة، وسافرا بعد زمن الشتاء، فاستوليا على مغانم كثيرة وارسلا الخمس للسلطان محمد على كيفية حافلة، فوقع ذلك منه أعظم موقع، وأرسل لهما ولأعيان من معهما الخلع.

ثم توجه خير الدين، ومعه أخوه، الى بجاية والاندلس، وكابدا حروباً شديدة.

ورجع الى مدليّ واجتمع بأهله، ثم رجع الى تونس وجمع اسطوله وغزا، فحصل له العدد الكثير من الغنائم والاسرى، وطار صيته، فكتبه العلماء والاعيان من أهل بجاية يستصرخونه في إنقاذها من يد العدو، فتوجه لها ومعه أخوه عروّج، وحاصرها بأسطوله، وأصيب عروج وقطعت يده في الحرب، وضيق عليها الحصار، ولما أشرف على الفتح نفذ ما عنده من البارود، فكتب السلطان محمد بن الحسن يستمدّ منه البارود فتغافل عنه تخوفاً على ملكه المشرف على الانقراض. والتقدير وراء التدبير ثم اشترى البارود وتمّ له الفتح.

وتوجه للجزائر فاستولى عليها واطمأنت بها قدمه، مع أخيه عروج، وضعف تأميلهما في محمد بن الحسن الحفصي حيث منعهما البارود وقت الاضطرار. فاضطرّ خير الدين الى العزم على السفر لدار السلطنة فجمع العلماء وأعيان البلاد وفاوضهم في ذلك، فمنعوه وتضرعوا له ان لا يخرج من بينهم حتى تضع الحرب اوزارها، وقال له العلماء : « يجب عليك المّقام بهذه البلدة الإسلامية لحمايتها، ولا رخصة لك في تركها نهبة للمفترس » فأجابهم بأنّه بقي منفردا بلا معين من اخوته، « وقد رأيتم ما فعله بنا صاحب تلمسان من بني زيان، واستعانته علينا بغير أهل ملّتنا حتى كفانا الله امره، وصاحب تونس الحفصي لا رأي له في نصرنا واعانتنا، وأسلمنا للعدوّ بمنع البارود، لولا لطف الله، فالرأي ان نصل أيدينا بالقوة الإسلامية— وهو السلطان سليم خان — ونعتمد عليه في حماية هذه المدينة، ولا يكون ذلك الا بالبيعة والدخول في طاعته، بالدعاء له في الخطب على المنابر، وضرب السكة باسمه، لِنَتَقِيّاً ظلّ حمايته»، فاستكانوا لذلك ورضوا به، فأعلنوا بالدعاء له على المنابر، وكتبوا بذلك

للحضرة السلطانية، وبعثوا له من السكة المضروبة باسمه في الجزائر، وحمل خير الدين له هدية فاخرة. ولما علم بذلك محمد بن الحسن داخلته الغيرة الملكية، واشتد حذره من خير الدين، وتحقق انه اذا وصل يده بالدولة العثمانية، سهل عليه الاستيلاء على المملكة التونسية، وندم على إضاعة الخزم، فركب متن الفساد والفتنة بين نواب خير الدين، وكاتب صاحب تلمسان يحذره غائلة خير الدين، وجرت بذلك حروب يطول شرحها، وطالت مدة مغيب خير الدين، لأن السلطان العثماني استعان به في بعض حروبه، نحو ثلاث سنين.

ولما رجع للجزائر وجسه عزمه لتلافي حال تونس، وسلطانها يومئذ الحسن بن محمد بن الحسن، فوصل الى بنزرت واستولى عليها، ودخل أهلها في طاعته، وأقام بها الدعوة العثمانية على المنبر.

ولما علم الحسن عدم القدرة على المدافعة، وانحلال عرى دولته خرج من تونس هاربا بما خفّ حمله في لُمةٍ من خواصه، مستجيرا بنواجع الأعراب، ولما علم خير الدين خروجه جاء من بنزرت الى حلق الوادي، ودخل الحاضرة بغير دفاع، واستولى على سرير ملكها، ودعا لاسلطان العثماني عل منبرها ورسم اسمه على السكة، وذلك سنة ست وثلاثين وتسعمائة (936 هـ - 1529 م)

وثار عليه أهل ربض باب السويقة. وبعثوا لسلطانهم الحسن، ووقعت ملحمة مات فيها كثير من الجهتين، وكان محلها من باب ينتهي من القصبة الى باب البنات وحومة العلوج، وركب خير الدين بنفسه لاطفاء نار الحرب فسكس الثائر، وكف عسكره عن القتال، ونادى في الناس بالأمان.

ولما سكنت الثائرة، قدم السلطان الحسن في طوائف من الاعراب، ودخل البلاد وحده مختفياً، واجتمع بعصابته وأشياعه، ودبروا في استئصال خير الدين ومن معه، فقصده القصبة صباحاً، وبها خير الدين، فخرج لهم بعسكره فهزمهم ووالى عليهم القتل والأسر، حتى نادوا بطاعة السلطان سليم خان، وطلبوا من خير الدين الامان، فبذله لهم واستقر في القصبة والنصر له، ونجا الحسن الحفصي الى الاعراب « برأس طِمِرَّةٍ ولجسام (3) ». ثم ان خير الدين كاتب الاعراب ورغبتهم في جمع كلمة المسلمين وحذرهم سوء عاقبة الفتنة في الاسلام، فأجابوه على شرط أن يبقي في أيديهم ما أعطاه لهم بنو أبي حفص من الاقطاعات، فالتزم لهم بذلك وشرط عليهم أن يكون مشتاهم بالصحراء، وان يكفوا اليد العادية. ثم بعث الى نائبه بالجزائر في ارسال عسكر وأربعمائة فارس. ولما وصلوا اليه وزعهم في الجهات، لسا راى من حال أهل المملكة.

وشملت العافية في الظاهر، وبعث خير الدين بهدية الى السلطان العثماني، وبها الدنانير المضروبة باسمه في تونس.

ثم ان السلطان الحسن داخل أشياخ العرب في الثورة على خير الدين فأجابوه وجاهروا بالثورة والعصيان، والتفوا عليه حول القيروان.

فخرج لهم خير الدين بقوة من العدة وكثير من العدد واستصحب المدافع على العجلات - ولم تكن معروفة يومئذ في المغرب - فطاشت عقولهم، ورأوا ما لا قبيل لهم به، وخامرهم الرعب، فولوا منهزمين، وأثنخ فيهم بالقتل والأسر، فبادروا بطاعة السلطان العثماني وطلبوا الامان، فأمنتهم وكتب لهم بذلك، فوفدوا عليه، وجدد عليهم البيعة، ورجعوا لاطوانهم.

ولما رأى السلطان الحسن أن لا قدرة له على مقاومة خير الدين، لوى عنانه الى الصبنيول، فركب اليه البحر مستصرخاً، وأخبره ان البلدان والبوادي من أهل المملكة معه، وبذل له ما ارضاه في العاجل والآجل.

ولما بلغ خبر ذلك الى خير الدين بالحاضرة، احتقر عدوة وأضاع الحزم، اعتمادا على علو كعبه وشيوع صيته، فجاءه أهل الحاضرة وطلبوا منه ان يحضر أسطوله لدفاع الصبنيول، قبل نزوله الى البر، فلم يصنع لهم، وغالب ما يأتي على الشجعان من هذا الباب .

فأصبح أسطول الصبنيول ناشرا أجنحته بحلق الوادي، ونزل للبر بمحل يقال له « برج هيون » قرب حلق الوادي، وأنزل عساكره ومدافعه وآلات حربه، وسفنه - وراءه - غادية رائجة، بما يلزمه من ضروريات الحرب والجيش.

فخرج لهم خير الدين في اثني عشر ألفا من صناديد المقاتلين، وصدقوا العزيمة في القتال، فاستولى على البرج المذكور، ورجع بمن معه الى المدينة، فاضطرب عليه أهلها : فبعضهم تمسك بطاعته وهي طاعة الله تعالى، وجنح البعض لطاعة سلطانهم ابن ابي حفص، فجمع اعيان الناس وتكلم معهم، فاختلفوا عليه « ولا يزالون مختلفين » فتركهم وخرج بمن معه الى الحرب. وجاءه المدد من الاعراب، ظاهرهم معه وقلوبهم عليه، فانهزموا بالجيش، وهذا دأبهم اذا أكرهوا على القتال.

ثم رجعت لهم الكثرة على الصبنيول، وأبلى خير الدين في ذلك اليوم البلاء الحسن، وحرص على الموت فوهبت له الحياة ورجع الى القصبه مهزوماً، فوجد من بها من الاسرى - وكانوا كثيرين - انتهبوا الفرصة واستولوا عليها، وغلبوا ابوابها دونه، وقاتلوه من اسوارها، فلوى عنانه الى الجزائر فوصلها بعد غص الريق من شدة الحر والعطش والجوع وقتال البوادي.

ودخل السلطان الحسن بجيش الصبنيول الى الحاضرة، ولقيهم الاعراب مستبشرين، فقاتلهم الصبنيول، ودخل السلطان القصبه. ونادى في الناس بالأمان - وفي باطنه ضده - والدول اذا حان اوان انقراضها ،

وأشرفت على ما قدّر من أجّل سلطانها، تهاونت بأمانها، وجعلته وسيلة لغدرها وطغيانها، ولا إيمان لمن لا أمان له. وهو من اعظم الأدلة على الانسلاخ من الخلال الحميدة، والمؤذن بانقراض العزّ والسلطان .

وذلك ان الصبنيول اشترط على هذا السلطان الحسن استباحة البلاد ثلاثة ايام، والتزم له بذلك، ولا علم لاحد من أهلها بذلك. فبينما الناس في سكون عافية واغترار بخُلْبِ ذلك الامان، وأسواقهم مفتوحة، اذ هجم عليهم عسكر الصبنيول - على حين غفلة - وامتدت أيديهم لاغتيال النفوس ونهب الاموال، وفر الى جبل زغوان من أمكنته الفرصة، بنفسه وأهله.

يقال : في هذه الواقعة مات الثلث من أهل تونس، ونجا الثلث، وأسر الثلث، والمأسور يفتدى ان كان له مال، وبلغت الفدية الف دينار وتغيرت البلاد وطُمت أعلامها، وكان ذلك سنة احدى واربعين وتسعمائة (941 هـ / 1535 م).

وملك الصبنيول حلق الوادي، وبنوا به قلعتهم الباقي أثرها، وشحنوها بالرجال والآلات، وجاوروا السلطان مجاورة الغالب للمغلوب والقوي للضعيف، وشرعوا في استمالة قلوب الناس.

ثم ان السلطان الحسن نهض الى القيروان لافتكها من يده الشابي فكان كمن طلب أمرا ولات أوان، فخرج له بأهل القيروان والتقى الجمعان بباطن القرن، فكانت الهزيمة على الحسن الحفصي، فركب البحر مستنجدا بالصبنيول، لاخذ المهديّة والقيروان، وأقسم ان يفعل بهم ما فعل بأهل تونس، ومادري المسكين أن الله بالمرصاد .

احمد بن ابي الضياف

«إتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان»

ج 2 ص 9 - 14

ط : تونونس 1963

- (1) لعلمه يريد كتاب غزوات «عروج وخير الدين» الذي عرّبه عن التركية أحد خرجات الترك لمنتمى الحنفية بالجزائر الشيخ محمد بن علي القلمي وقد طبع سنة 1934 بالجزائر
 - (2) جزيرة يرنسانية تسمى Mytilène ويتلفظ بها الاتراك Midilli
 - (3) الطمورة هي الفرس الجواد الطويل القوائم.
- من قول حسان بن ثابت : ترك الاحبة أن يقاتل درتهم ونجسا برأس طمورة ولبام.

مخارِج

بَرْقُ اللَّيْلِ

تقديم :

تفتح قصة « برق الليل » فتطالعك من أول وهلة صورة بطل زنجي طلعة فطن، خفيف الروح، مرح، لطيف الجمال، فنان، عبقرى الإيقاع والشطح

بدأ حياته عبداً للسيد حامد بن النخلي ، ذلك العالم الذي وهب حياته للبحث عن حَجَرِ الفلاسفة وإكسير الحياة . وهو، وإن لم يظفر بهما ، فقد اكتشف قوانينَ عظيمةً للطبيعة في تركيب المعادن وافتعالاتها. وكان مخبئاً في غرفة بناحية العزافين ، به أربع نوافذ متقابلة ، تفتح للجبهات الأربع ، وكوة في السقف ، يستعملها العالم الشيخ مطلقاً إلى السطح عندما تقتضي أشغاله رصد النجوم .

وكان بالغرفة رؤوف ملاً بالقوارير والأعشاب والجماجم والحيوانات المحنطة من بوم وهُدُود وخزانات بها معادن وكتب ومساحيق وبواقيل من السوائل المختلفة الألوان . وبالجدار جداول واسطرلابات معلقة وفي الأرض تحت الرفوف أفران وموازين ومكاييل وأنايق .

اشترى هذا العبد ليعينه في أعمال لم تعد يدهه المرثستان تحسنانها ، فوجد فيه فطنةً وحنفاً وخفة روح ، حتى أنه صار يعتمد عليه في بعض العمليات .

وكان برق الليل في السابع عشرة من عمره ، قسطلي السواد ، لأمعاً يستدير وجهه الضاحك بين أذنين كبيرتين في إحداهما خرص من المرجان الأحمر وتآلق عيناه النجلاوان في بياض ناصع وبصر حديد . وله أنف أفطس تشرق تحته أسنان بيضاء صافية ، طويلة قوائمه ، خفيفة حركاته .

فَهُمْ كَثِيرًا مِنْ أَسْرَارِ الْمَعَادِنِ وَالْمَسَاحِقِ وَالسَّوَائِلِ وَأَخَذَ
 عَنْ سَيِّدِهِ حُبَّ الْإِطْلَاعِ وَالتَّجْرِبَةَ فَأَصْبَحَ هَذَا يَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ ،
 فَيَسْكَتُ بِسُهُمَاتٍ دَقِيقَةٍ كَأَنَّهُ يَسْكُبُ سَائِلًا مَا فِي مَخْلُوطِ
 مَا عِنْدَ اسْتِوَاءِ عِطَارِدٍ وَالسُّهْمَا وَرُحْسَلٍ فِي مُثَلَّثٍ قَائِمِ الزَّوَيَةِ .
 وَلَا يَأْتِي هَذَا إِلَّا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ، وَقَدْ انصَرَفَ الْعَالَمُ
 الشَّيْخُ ، مِنْذُ الْعِشَاءِ الثَّانِيَةِ يُسْرِعُ عِظَامَهُ الْوَاهِنَةَ . فَيَلْبِثُ
 الْغُلَامُ فِي انْتِظَارِ غَلِيَّانِ الْعَمَّاقِيرِ وَقِيَامِ زَاوِيَةِ النُّجُومِ ، فَيَطُولُ
 لَيْلُهُ وَيَأْخُذُهُ الضَّجَرُ .

تَفَكَّهَ بِتَفَاعُلِ الْعَقَاقِيرِ ، وَلَعِبَ بِتَلْكَ الْحَيَوَانَاتِ الْمُحْنَطَةِ
 وَعَبَثَ بِالْجَمَامِجِ ، فزَيْنَ بَعْضَهَا بِالشَّوَارِبِ وَالسَّحْبِيِّ وَبَعْضَهَا
 بِالْحَوَاجِبِ وَالشَّعْرِ وَتَصَرَّفَ فِيهَا كَمَا أَرَادَ . فَأُصْدِرَ عَلَيْهَا أَحْكَامَهُ
 فَوَبَّخَ بَعْضَهَا وَعَاقَبَ بَعْضَهَا وَعَفَا عَنْ بَعْضِهَا . لَكِنَّ كُلَّ ذَلِكَ
 لَمْ يُجِدْهُ فِي قَلْبِهِ نَفْسًا فَاخْتَرَعَ مَلْهَى يُذْهِبُ بِهِ ضَجْرَهُ ،
 وَذَلِكَ أَنَّهُ فَظَنَ إِلَى أَنَّ الْقَوَارِيرَ أَنْغَامًا عِنْدَ النَّقْرِ عَلَيْهَا ، فَانظَرَ
 فِي هَذَا النَّقْرِ ، وَأَسْعَفَتْهُ سَلِيْقَتُهُ الْمَوْسِيقِيَّةُ الْعَرِيقَةُ بِمَا أَصْبَحَ
 لَدَيْهِ فَنَأَى عَجِيْبًا .

فَقَدْ أَخَذَ الْقَوَارِيرَ الْمُخْتَلِفَةَ الْإِمْتِلَاءَ ، وَاخْتَبَرَ مَا يَصْدُرُ
 عَنْهَا مِنْ أَصْدَاءَ ، وَرَتَّبَهَا عَلَى الرَّفِّ تَرْتِيبًا مُنْسَجِمًا . وَصَارَ يَدُقُّ
 عَلَيْهَا بِمِطْرَقَتَيْنِ مِنَ النِّحَاسِ دَقًّا مُطْرِبًا ، ثُمَّ بَدَأَ لَهُ تَدْعِيمُ
 الْجُمْلِ الْمَوْسِيقِيَّةِ بِدَقِّ آخِرِ ، فَعَمِدَ إِلَى قِرَابِ مِنَ الْجِلْدِ
 وَأَثْبَتَ عَلَيْهِ عَصًا طَوِيلَةً مُشْدُودَةً إِلَى نَقْطَةِ ارْتِكَازِ تَحْتِ قَدَمِهِ .
 فَصَارَ يَسْتَخْبِرُ بِيَدَيْهِ وَيَدُقُّ بِرِجْلِهِ . ثُمَّ رَأَى أَنَّ يُنِيطَ
 بِقَلْبِنَسُوتِهِ جَرَسًا لَطِيفًا فَيَكْثُرُ النَّعْمُ .

كَلَّفَ بِهَذَا الْعَمَلِ حَتَّى كَادَ يُهْمِلُ مُهْمَتَهُ الْأَصْلِيَّةَ ، وَهِيَ أَنْ
يَسْكُبَ سَائِلًا مَا فِي مَخْلُوطٍ مَا عِنْدَ اسْتِوَاءِ عَطَارِدِ وَرَفِيقِيهِ ، بَعْدَ
العشاءِ الثَّانِيَةِ بِثَلَاثِ سَاعَاتٍ وَنِصْفٍ . فَأَجْرَى التَّجَارِبَ وَالْقِيَاسَاتِ حَتَّى وَجَدَ .
وَجَدَ أَنَّ الزَّرْنَبِقَ وَالْقَارَ ، إِذَا اخْتَلَطَا أَجْزَاءً مِثَالِيَّةً وَجُعِلَا فِي
آنِيَةِ مِنَ النُّحَاسِ الصِّينِيِّ مَعَ عَشْرَةِ أَوْاقٍ مِنَ الزَّرْنَبِقِ وَثَلَاثَةِ دِرَاهِمٍ
مِنَ السُّكْرِيَّةِ الْبُرْكَانِيَّةِ وَرَطَّلِ مِنَ الْبَارُوقِ وَوَضِعَتِ النُّحَاسَةَ عَلَى
النَّارِ ، فَلَا يَفُورُ بِخَارِ ذَلِكَ الْخَلِيطِ إِلَّا بَعْدَ ثَلَاثِ سَاعَاتٍ وَنِصْفٍ .
فَفَعَلَ ذَلِكَ وَطَيَّنَ النُّحَاسَةَ وَجَعَلَ فِي مَنَفَدِهَا مِنْهَا صَفَّارَةً
ثُمَّ يَلْفُفُ عَلَى رَأْسِي الْمَطْرُقَيْنِ خِرْقًا ، حَتَّى يُلَطِّفَ مِنْ حِدَّةِ وَقْعِهَا ،
ثُمَّ يَخْلُقُ الْبَابَ فَيَنْعَزِلُ عَنِ الْعَالَمِ الْخَارِجِيِّ وَيَسْتَسَلِمُ إِلَى نَفْسِهِ .
يَبْدَأُ بِتَنْسُرِ مُتَوَازِنٍ خَافِتٍ ، ثُمَّ يُسْرِعُ شَيْئًا فَشَيْئًا وَيَشْتَدُّ
وَتَأْخُذُهُ الْخَمْرَةُ ، فَيَرْفُصُ عَلَى الْإِبْقَاعِ وَيَدُقُّ بِسَيْدِيهِ وَرِجْلِيهِ
وَرَأْسِهِ وَتَخْتَلِطُ أَصْوَاتُ الْقَوَارِيرِ وَالطَّبَلِ وَالْجِرَّسِ وَتَغْلِيشُ بَعْضُ
الدَّقَاتِ عَلَى رُؤُوسِ الْجَمَاجِمِ فَتُؤَيِّدُهُ بِعِيُونِهَا الْفَارِغَةَ وَأَفْوَاهِهَا
الضَّاحِكَةَ وَتَضْطْرِبُ فِتِيلَةَ الْقَنْدِيلِ فَتَرْفُصُ مَعَهُ الظَّلَالُ .
وَيَسْطِخُ وَيَسْطِخُ وَيَسْطِخُ حَتَّى تَظْهَرَ الرَّغْوَةُ عَلَى شَفَتَيْهِ وَيَهْدُهُ
الْجَهْدُ ، فَتَصْفُرُ النُّحَاسَةُ صَفِيرًا حَادًا مَمْدُودًا يَدُلُّهُ عَلَى
الْوَقْتِ ، فَيَمْسِكُ وَيُرْجِعُ الْقَوَارِيرَ إِلَى مَكَانِهَا وَيُخْبِيءُ النُّحَاسَةَ
وَالطَّبَلِ وَالْجِرَّسَ ثُمَّ لَا يَلْبِثُ أَنْ يَسْرِيَ مِنَ الْكُوَّةِ مِثْلَتِ
النُّجُومِ قَدْ قَامَتْ زَاوِيَتُهُ فَيَتَمَّمُ عَمَلَهُ الْكِيمِيَاءِيِّ وَيَنَامُ .

البشير خوريف «برق الليل»
الشركة التونسية للنشر والتوزيع
تونس 1960 ص 11 - 15

أسئلة :

- 1) إذا اعتبرتَ هذا المشهد مدخلا الى القصة، ففيما تتمثل أهميته ؟
- 2) يُعبّر الكاتبُ عن احساس رقيق بالجمال من خلال نزوات « برق الليل » والأعيه التي تبدو في الظاهر صبيانية، فهل لك أن توضح هذه الظاهرة بأدلة دقيقة؟
- 3) لاحظ من خلال لغة هذا المشهد تلذذ « برق الليل » بسحر الأنغام عند اكتشافها بكل سذاجة وتأثر .
- 4) هذا الوصف للمخبر جدير بالرسم والتصوير ، فما هي الوسائل المستعملة من طرف الكاتب لبلوغ تلك الغاية الفنية واثارة اعجابك ؟

رَجْمَةُ امْرَأَةِ الْخُرَاعِيِّ

تقديم :

غريب نأى عن وطنٍ وبعُدَ عن آلافٍ فابتغى مُغالبَةَ القَلْبِ بالأُنسِ
والسُّلُوى في الشَّطْحِ على نقرِ قواريرٍ مخبِرٍ طَالَ فِيهِ مَكْثَانُهُ اللَّيْلَةَ بَعْدَ اللَّيْلَةِ
حتى أَطْلَقَ عَلَيْهِ وَجْهَهُ صُبَّاحٌ ففَعَلَ فِي نَفْسِهِ فِعْلَ السَّحْرِ :

اسْتَقَامَتْ لِه الأَنْغَامِ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، وَبَلَغَ بِهِ الْحِمَاسُ إِلَى أَنْ صَارَ
يَجُوبُ الْغُرْفَةَ فِي شَطْحَتِهِ وَيَضْرِبُ بِمِطْرَقِيهِ كُلَّ شَيْءٍ :
القواريرَ والجِمامَ والرَّفوفَ والأفرانَ وَقَحْذِيهِ وَنُحَاسَةَ الزُّتْبِقِ
وَأَخَذَتِ الظَّلَالُ تَتَعَاظَمُ وَتَنْضَالُ فِي دَوْرَةِ جُسُونِيَّةٍ . فَأَصِيبَتْ
نُحَاسَةُ الزُّتْبِقِ بِضَرْبَةٍ فَتَدْحَرَجَتْ وَأَنْكَبَتْ وَتَبَدَّدَ السَّائِلُ
وَسَاحَ . فَاحْتَرَقَتْ رِجْلَاهُ وَلَمْ يَجِدْ مَلْجَأً إِلَّا التَّعَلُّقَ فِي أَحَدِ
الرَّفُوفِ ، فَوَقَعَ الرَّفُّ بِمَا فِيهِ عَلَى الأَرْضِ ، وَسَمِعَ ضَحْكَةً
كَتَسَاقُطِ الجَوْهَرِ عَلَى الرَّخَامِ .

رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى الكُوَّةِ فَسَرَى وَجْهَ امْرَأَةٍ شَابَّةٍ كَأَنَّهَا
مِنَ الحُورِ العِينِ ، رَأَاهَا تَنْسَحِبُ ضَاحِكَةً فِي الظَّلَامِ .

عَالَجَ مَا تَبَدَّدَ مِنْ سَوَائِلَ وَمَسَاحِقَ وَتَسَلَّقَ المِطْلَعِ
وَصَعَدَ إِلَى السَّطْحِ . فَلَسَمَ يَجِدُ أَحَدًا . أَصْلَحَ مَا أَمَكْنَ إِصْلَاحَهُ
وَأَتَمَّ العَمَلِيَّةَ الكِيمِيَاءِيَّةَ كَمَا اتَّفَقَ وَلَبَثَ يَرْصُدُ الكُوَّةَ
لَعَلَّ الوَجْهَ الجَمِيلَ يَظْهَرُ ، لَبَثَ حَتَّى الصَّبَاحِ ، ثُمَّ ذَهَبَ يَنَامُ .
وَلَمْ تَعْبَ عَن ذَهْنِهِ تِلْكَ اللَّحَاطُ الضَّاحِكَةُ الَّتِي رَأَاهَا
تَحْتَفِي فِي الظَّلَامِ .

وَطَفِقَ خَيَالُهُ يَهْدِي فِي نَوْمِهِ المِتْقَطِعِ . تِلْكَ الضَّحْكَةُ ،
هَلْ هِيَ ضَحْكَةُ سُخْرِيَّةٍ : مَعَاذَ اللَّهِ ، هِيَ ضَحْكَةُ طَلِيقَةٍ

صَرِيحَةً لَّاخْبِيثَ فِيهَا. خَطَرَ لَهُ أَنْ تَطَّلِعَ الشَّابَّةُ قَدِيمٌ ، لِأَبَدٍ
أَنَّهَا تَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْذُ لَيْسَالٍ ، وَتَنْصَرِفُ قَبْلَ صَفِيرِ النُّحَاسَةِ
أَوْ عِنْدَ ذَلِكَ .

يَا لَغَبَاوَتِهِ لَسَهُ أَنْيسٌ فِي وَحْدَتِهِ وَلَمْ يَتَفَطَّنْ إِلَىهِ ،
وَأَيُّ أَنْيسٍ ، تُرَى مَا تُرِيدُ؟ إِنَّهُ لَمْ يَرَ مِثْلَهَا حُسْنًا وَرَقَّةً
وَحَلَاوَةً . إِنَّهَا شَقَّتْ قَلْبَهُ وَسَكَنَتْهُ . لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَعْلَمُ
مَدَى مَا فَعَلْتَ فِي نَفْسِ الزَّنْجِيِّ؟ فِي نَفْسِهِ الْعَذْرَاءُ .

احْتَمَلَ بِصَبْرٍ «الطَّرِيحَةَ» غَيْرَ الْمُؤَلِّمَةِ الَّتِي نَالَهَا مِنْ
سَيِّدِهِ الْعَجُوزِ لَمَّا عَرَفَ مَا أَصَابَ الْمُخْبِرَ مِنْ فِسَادٍ . وَتَفَقَّدَ
مَرَارًا الْكُوَّةَ . مَنْ يَدْرِي؟ لَعَلَّ الْعَيْنِينَ تَعُودَانِ فَتَنْظُرَانِ
إِلَيْهِ مِنْ جَدِيدٍ .

البشير خريف

الشركة القومية للنشر والتوزيع تونس 1960

«برق الليل» ص 15 - 16

أسئلة :

- 1) ما الذي أكسب هذا المشهد قيمة شعرية؟ هل تعاقب العناصر الغريبة
المضحكة والآخرى المؤثرة أم المناجات أم انفعال برق الليل واضطرابه أم كل ذلك
وعناصر أخرى يبقى لك ضبطها؟
- 2) هل وفق الكاتب في تشويق القارئ إلى مواصلة السير في قصته؟
- 3) نجح الكاتب في أن يلائم بين أسلوبه وبين تصرف الشخصية وحالتها النفسية ،
فأوضح ذلك بأمثلة دقيقة؟

رِسْمُ رُطْبِ الْمُرَانَةِ

تقديم :

تَفَيَّبَ وَجْهَ رِسْمٍ وَأظْلَمَتْ مِرَاةٌ « بَرَقَ اللَّيْلُ » فِي مَخْبَرِهِ ، فَتَحَسَّرَ الزَّنْبِيّ
وَإِغْتَسَمَ إِذْ مَا دَرَى سَبَبَ الْإِغْتِيَابِ . وَهَذَا هُنَا كَشْفٌ بَعُودٌ عَلَى بَدَأِ فِي سِيَاقِ الْإِحْدَاتِ
عَنْ سِرِّ وَدِّ الْعَبْدِ الْعَاشِقِ لَوْ هُتِكَ لَهُ :

لَمْ تَظْهَرَ لَبَلَةٌ وَلَيْلَةٌ وَلَيْلَةٌ .

فَبَقِيَ يَتَحَرَّقُ وَيَتَسَاءَلُ هَلْ اقْتَرَفَ ذَنْبًا ؟ إِنَّهُ لَمْ يَرْفَعْ
بَصَرَهُ إِلَى الْكُوَّةِ ، إِنَّهُ قَانَعٌ بِالنَّظَرِ إِلَى الْمِرَاةِ يَعْبُدُهَا فَتَرَحَّمَهُ
مِنْ سَاعَةٍ إِلَى سَاعَةٍ ، بِابْتِسَامَةٍ ثُمَّ تَعُودُ إِلَى الْإِنْصَاتِ بِجِدِّ
وَاهْتِمَامٍ . وَقَدْ أَلْفَتَ عِيُونُهُمَا بَعْضَهُمَا .

لَمْ تَظْهَرَ ، فَمَا ذَنْبُهُ وَمَاذَا فَعَلَ ؟

إِنَّهُ لَا يَعْلَمُ أَنَّ زَوْجَ الشَّابَّةِ عَادَ مِنَ الْحَجِّ . مُسْنَدٌ عَامٍ ، قَالَ
الزَّوْجُ لِعَرُوسِهِ : « يَا بِنْتَ النَّاسِ ، اسْتَأْذِنِي إِلَى حَجِّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ،
شُوفِي مَا يَصْلُحُ بِيكَ بِأَشْ زَيْبِنِي عَلَيْكَ الْبَابِ . »

لَمْ تَسْتَغْرِبِ الزَّوْجَةَ الشَّابَّةَ بِنَاءِ الْبَابِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ
الشَّانُ . إِنَّمَا اسْتَغْرِبَتْ هَذِهِ الصُّوفِيَّةَ الْمُفَاجِئَةَ الَّتِي أَصَابَتْ
زَوْجَهَا وَلَسَمَ يَمْنُضُ عَلَى زَوَاجِهِمَا إِلَّا اشْهُرُ . صَبِرَتْ ، وَمَا كَانَ
لَهَا أَنْ تَتَعَرَّضَ لِسَيِّدِهَا وَمَوْلَاهَا ، خُصُوصًا وَهَذِهِ فَرِيضَةُ الْحَجِّ
إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ .

كَفَكَفَ دُمُوعَهَا بِقَوْلِهِ : إِنَّهُ مِنْ يَمْنِ نَاصِيَةِ الزَّوْجَةِ
أَنْ يُسِّرَ اللَّهُ لَزَوْجِهَا آدَاءَ هَذَا الْفَرِيضِ . بَدَأَتْ تَدُكُّ مَا تَحْتَاجُهُ
وَهُوَ يَجْرُ وَيَمْلَأُ بَيْتَ الْمَوْتَةِ وَصِنْدُوقَ السَّرْوِ .

طَلَبَتْ مَا تَشْتَهِي مِنْ حُلِيٍّ وَبُدُلَاتٍ. فَجَاءَ لَهَا بِمَا وَجَدَ،
وَأَعَدَّأَ إِيَّاهَا بِأَقْمَشَةٍ ثَمِينَةٍ وَحُلِيِّ وَكُوبَانٍ وَطِيبٍ وَكُحْلِ
كَثِيرٍ مِنَ الْحَسَجِ.

— مَا عَادِشُ هَاكَ الْمَغَانِمُ اللَّيِّ تَعْرِفِيهَا. الْبِاشَا خَيْرُ الدِّينِ
مَادَّخَلْشُ لِلْبِلَادِ مِنْ أَشْهُرٍ عَدِيدَةٍ

— آشُ بِيَسَهُ؟

— أُمُورٌ بَيْنَ السُّلَاطِينِ. يَظْهَرُ أَنَّ الْحَقْصِيَّ مَا عَادِشُ
مَتَنَقُّ مَعَهُ.

— يَا خُسَارَةَ، مَا أَجْمَلْتَهُنَّكَ الْخَيْرَاتُ اللَّيِّ كَانَ يُجِيبِي بِهِمَا.
— نَجِيبُ لَكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَجْمَلُ، مِنْ بَرِّ الْمَشْرِقِ.

أَتَمَّ اسْتِعْدَادَهُ، وَجَاءَ لَهَا بِخَادِمٍ صَغِيرَةٍ وَبِقِطْطَةٍ وَدَجَاجَةٍ
وَوَدَّعَهَا وَانْظَمَّ إِلَى رُكْبِ الْحَجِيجِ، بَعْدَ أَنْ بَسَمَى عَلَيْهَا
الْبَابَ.

بَسَكَّتِ الشَّابَّةُ، ثُمَّ قَامَتْ إِلَى شُرُؤُونِهَا تَسْبِيحِي الْوَرْدِ
وَالْيَاسَمِينِ الْمَرْزُوعِ فِي وَسَطِ الدَّارِ.

وَمَسَرَّتْ أَيَّامُهَا فِي لَهْوٍ مَعَ وَصِيفَتَيْهَا وَمُلَاطَفَةِ الْقِطْطَةِ
وَالْعُنَايَةِ بِالْدَجَاجَةِ، وَأَحْيَانًا تَدُقُّ عَلَى جُدَارِ جَارَتِهَا
فَتَتَحَادَثُ مَعَهَا مِنْ خِلَالِ الْحَائِطِ.

وَفِي لَيْلِي الشِّتَاءِ الطَّوِيلَةِ، تُشْعَلُ الْكَائُنُونَ وَتَدْخُلُ
هِيَ وَوَصِيفَتَيْهَا الْحُجْرَةَ وَتَقْفُلَانِهَا وَتَسْمُرَانِ بِشِوَاءِ الْفُؤُولِ
وَالْحَمِصِّ وَسَرْدِ الْخُرَافَاتِ. وَأَحْيَانًا يَغْلُبُ النَّوْمُ الْوَصِيفَةَ فَتَسْبِيحِي
الشَّابَّةُ وَحَدَّهَا تُكَابِدُ السُّهَادَ وَهِيَ وَاجِسَةٌ.

ولما أقبل الربيع ظهر الخفاف يَمْلَأُ السماءَ حبوراً
ودخلَ بَعْضُهُ حُجْرَتَهَا يَجُوبُهَا طالِباً لَهُ عُشّاً ، فَرَأَتْ فِيهِ
رَسُولاً مِنْ زَوْجِهَا الْغَائِبِ وَأَنْشَرَخَ بِأَلْهَمَا .

تَرَكَتْ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي حُجْرَتَهَا مَفْتُوحَةً ، طَلِباً
لِلنَّسِيمِ فَطَرَّقَ سَمْعَهَا تَوْفِيعٌ لَطِيفٌ وَتَسَوَّأَى ذَلِكَ لِيَالِي ، فِي
وَقْتٍ مُعَيَّنٍ ، فَأَنْسَتَ بِهِ ، لَكِنْ أَنَّى لَهَا أَنْ تَصْبِرَ عَنِ الْإِطْلَاعِ ؟
بَيَّتَتْ مَصَدَرَ التَّوْفِيعِ ، فَوَجَدَتْ أَنَّهُ يَأْتِي مِنْ شَرْقِ
الدَّارِ . فَاَنْتَظَرَتْ حَتَّى نَامَتِ الْوَصِيْفَةَ ، وَتَسَلَّقَتْ شَجَرَةَ
النَّارِئِجِ .

وَكَانَتْ اللَّيْلَةُ مِنْ لَيَالِي الرَّبِيعِ الزَّرْقَاءِ أَثِيرُهَا خَفِيفٌ
عَطْرٌ مُفْعَمٌ بِالْأَنْسِ وَالرَّقِيقَةِ . أَنْصَتَتْ مَلِيّاً : الصَّمْتُ يُحْيِمُ
عَلَى الدُّنْيَا بِأَسْرِهِمَا . إِلَّا هَيْئَمَةً بَعِيدَةً لِسَمَّارِ سَعْدَاءِ ، أَوْ
الْأَنْغَامِ الَّتِي كَانَتْ كَأَنَّهَا تَسْتَدْرِجُهَا . فَوَثَبَتْ إِلَى السَّطْحِ .
اللَّيْلُ مُسْبِلٌ سَرَّهُ يُعْطِفُ عَلَى بِنَاءَاتِ مُتْرَامِيَّةٍ .

أَخَذَتْهَا رَهْبَةٌ مِنْ سَعَةِ الدُّنْيَا . ثُمَّ أَغْرَى رَبِيعُ
الطَّبِيعَةِ رَبِيعَ عُمُرِهَا . فَأَخَذَتْهَا تَشْوَةٌ وَفَاضَتْ تَرَائِبُهَا بِنَسِيمِ
كَأَنَّهَا تُحَرِّكُهَا أَجْنَحَةُ الْعَشْقِ ، فَصَرَخَتْ عُرُوقُهَا لِلْحَيَاةِ
وَالْمُوَانَسَةِ ، وَطَلَبَتْ نَفْسَهَا الْمُغَامِرَةَ وَالْمُشَارِكَةَ فِي مَوْكِبِ
الطَّبِيعَةِ الْبَهِيحِ . فَجَازَقَتْ بِخُطَاهَا . تَتَّبَعُ الصَّوْتُ مِنْ سَطْحِ
إِلَى سَطْحٍ حَتَّى رَأَتْ نُوَيْسِرَةً .

اطَّلَعَتْ وَإِذَا بَسْرَقِ اللَّيْلِ يَمَشُّ طَرْحُ بَيْنَ قَوَارِيرِهِ وَجَمَاعِهِ
وَوَظْلًا لَهُ الْمَهْبُولَةَ . تَفَرَّجَتْ مَا شَاءَتْ وَلَمَّا نَزَلَ عَلَيْهَا صَرْدُ
اللَّيْلِ ، وَصَفَّرَتْ النِّعَاسَةَ ، رَجَعَتْ إِلَى دَارِهَا .

البشير خريف

«برق الليل» ص 18 - 21

أسئلة:

- 1) ما هو العنصر الروائي العجيب الغريب في تلك العزلة المفروضة من الزوج على امرأته ؟
- 2) ماذا يدلّ على أنّ الحساء السّجينة كانت تشكو فراغاً عاطفياً ؟
- 3) ألا يبدو لك أنّ قلق الحساء السّجينة وكآبتها يهيئانها ضرورة للمغامرة العاطفيّة التي طلبتها نفسها في هذا المشهد وسوف تعيشها في الحلقات القادمة ؟
- 4) أين تظهر لك شاعريّة البشير خريف ؟

عقَابُ الزَّنجِيِّ وَصَاهِبِ الرَّجْمِ الْجَمِيلِ

تقديم :

حبّ ناشيء ألف بين « برق الليل » و« ريم » في علاقة ظلّت مناجاةً بالنظر والنغم طوال غياب الزوج ، وعاد الشيخ من الحج فتغيّبت الحساء عن الموعد وتحيّر الزنجي وطال انتظاره حتى أطلت عليه من جديد بعد أن انسلت من الفراش تاركة زوجها في سباته ، فاضطرب العبدُ وسهاً عن صفير الانذار في النحاسة ، فافجرت وهرول الكيماثي الى المخبر وأفاق الزوج ونزل العقاب :

عَادَ الْحَجِيجُ وَرَغَتِ الْإِبِلُ الْمُحْمَلَةُ بِالْخَيْرَاتِ وَبَرَكَتْ
أَمَامَ الدَّارِ. وَسَمِعَتِ الشَّابَّةُ الْفَأْسَ يُزِيلُ جِدَارَ الْبَابِ فَأَصْلَحَتْ
مِنْ شَأْنِهَا وَفَتَحَتْ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ مُنْذُ عَامٍ، صِنَادِيقَ الطَّيِّبِ وَعُكْبَةَ
الْكُحْلِ وَحَقَّقَ السَّوَاكَ وَاسْتَقْبَلَتْ زَوْجَهَا وَأَخَذَتْ مِنْ
يَدَيْهِ أَمْتَعَتَهُ وَهَدَايَاهُ وَانْقَلَبَتْ دَارَهَا دَارَ فَرَحٍ ثَلَاثَةَ
أَيَّامٍ وَالْحَاجَّ يَحْتَجِبُ وَالزَّوَارُ يَتَوَافِدُونَ لِلتَّبَرُّكِ بِالْقَادِمِ السَّعِيدِ
جَدِّهِ .

ذَلِكَ مَا شَغَلَهَا عَنْ حُضُورِ شَطْحَةِ بَرْقِ اللَّيْلِ وَمُوسِقَاهُ .
وَفِي لَيْلَةٍ وَقَدْ اسْتَغْرَقَ زَوْجُهَا فِي النَّوْمِ وَسَكَنَ
اللَّيْلُ ، سَمِعَتْ مُوسِيقَى الزَّنجِيِّ ، فِيهَا نَدَاءٌ وَرَجَاءٌ ، فِيهَا
تَسْوِئٌ وَنَحِيبٌ ، فَانْسَلَتْ وَطَلَعَتِ السَّطْحَ وَذَهَبَتْ ، وَعِنْدَ
رُجُوعِهَا وَجَدَتْ زَوْجَهَا قَدْ خَرَجَ فِي طَلَبِهَا ...

– وَأَيْنَ كُنْتَ ؟

– أَوَهُ أَنْتَ قُمْتَ؟ مَشَيْتَ نَحِيبٌ فِي الزَّنَادِ وَالصَّوَانَةِ. هَاكَ
الْقَطُوسَةَ بَلَّتْهُمْ نَشْرَتُهُمْ فِي الشَّمْسِ وَنَسِيَتْهُمْ .

صَفَعَهَا لِبُرُودَةِ الْعَلَّةِ. ثُمَّ سَأَلَهَا أَيْنَ الزَّنَادُ وَالصَّوَانَةُ
فَلَسَمَ تَحَرُّرُ جَوَابًا. فَتَطَّقَ بِطَلَابِهَا ثَلَاثًا وَأَنْدَقَعَ بِضَرْبِهَا
ضَرْبًا مُوجِعًا فَلَاذَتْ بِالْفِرَارِ ، فِي ذَلِكَ اللَّيْلِ إِلَى الزُّفَّاقِ .

وَمِثْلُ ذَلِكَ وَقَعَ لِبَرْقِ اللَّيْلِ.

فَإِنَّهُ لَمَّا رَأَى الْوَجْهَ الْحَمِيلَ بَعْدَ غِيَابِ مُؤَلِّمٍ اشْتَدَّتْ خَمْرَتُهُ وَاخْتَلَّتْ الصَّفَارَةُ فَلَمْ يُسْمَعْ صَفِيرُهَا فَانْفَجَرَتْ التُّحَّاسَةُ وَأَمْلَكَتْ جَانِبًا مِنْ الْقَوَارِيرِ الثَّمِينَةِ وَالْمَسَاحِقِ النَّادِرَةِ فَاسْتَيْقَظَ السَّيِّدُ حَامِدُ بْنُ النَّخْلِيِّ وَصَعِدَ ، فَوَجَدَ الزَّنْجِيَّ لَا يَزَالُ بِجَرَسِهِ فَوْقَ رَأْسِهِ وَالْقَوَارِيرِ شَطَايَا أَمَامَهُ وَرَجُلُهُ إِلَى الطَّبَلِ .

لَطَمَ الْعَالَمَ الشَّيْخَ وَجْهَهُ ، وَرَمَى بِعِمَامَتِهِ ، وَنَتَفَ بِقِيَّةِ شَعْرَاتِ رَأْسِهِ ، لِفِدَاحَةِ مَا أَصَابَهُ . فَإِنَّهُ كَانَ عَلَى قَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى مِنْ اكْتِشَافِ إِكْسِيرِ الْحَيَاةِ ، ثُمَّ انْتَهَالَ عَلَى الزَّنْجِيَّ ضَرْبًا ضَعِيفًا وَلَسْكَمًا ، انْفِصَمَتْ لَهُ يَدَاهُ الْعَجُوزَتَانِ عَلَى الْعَضَلَاتِ الْفَتِيَّةِ وَأَرَادَ أَنْ يُحَطِّمَ عَلَيْهِ قَيْنَةً مِنْ حَامِضِ الصَّفَرِ مَائِي ، فَيَحْرِقَهُ . فَلَاذًا بِالْفُرَارِ إِلَى الرَّقَاقِ .

لَجَأَتْ الشَّابَّةُ إِلَى دَارِ الْجِيرَانِ وَذَهَبَ الزَّنْجِيَّ فِي ذَلِكَ اللَّيْلِ ، فَوَقَعَ فِي الشَّارِعِ بِحَمْلٍ مَسْئُولِيَّتَهُ كَمَا وَقَعَ أَبُوْنَا آدَمُ مِنَ الْفِرْدَوْسِ إِلَى الْأَرْضِ . فَتَوَجَّهَ مُنْحَدِرًا لَا يَدْرِي إِلَى أَيْنَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى بَابِ السُّوَيْفَةِ . فَوَجَدَ النَّاسَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْمَسَاجِدِ بِحَمْلُونَ مَصَابِيحَهُمْ وَالْعَسَاسُ يَفْتَحُ الْبَابَ وَقَدْ انْبَثَقَ فَجَرٌ صَائِفٌ مُبَكَّرٌ .

وَصَلَ إِلَى فُنْدُقِ الْبَلْبَانِينَ وَجَلَسَ بِحِذَاءِ الْإِبِلِ الْبَارِكَةِ يَنْشَقُ الْعَطْنَ وَشَدَا قُرْطَ الْحَلِيبَةِ وَيَنْظُرُ فِي غَبْشِ النَّهَارِ إِلَى الطَّيُورِ الْمُرْقُزِقَةِ تَقْفُزُ حَوْلَ الْإِبِلِ وَتَرَكُّسُ عَلَيْهَا وَتَلْتَقُطُ الْحَبَّ ، مُطْمَئِنَّةٌ .

البشير خمرريف « برق الليل » ص 21 - 23

سؤال :

(1) ادرس الفكاهة ونوع الدعابة في خصوصية الزوجين وهروب « برق الليل »

لِقَاءُ مَعَ شَعْشُوعَ

تقديم :

غادر السلطان الحفصي البلاد فجأة ومن الغد داهم خير الدين بربروس «حلق الوادي» بسفنه وتدفقت سيول عساكره على العاصمة وكان ضمن الانكشارية الأتراك مغامر تونسي اسمه «شعشوع» نتعرف عليه ها هنا في أول لقاء مع «برق الليل» الأبق المتسكع في شوارع العاصمة :

صدر أمر كبير العسكر، الصنّجق دار دلاجي، بالتوقف ساعة ريثما تلحق بقية الجنود من المراكب فيلتئم جمعهم ويخترقون المدينة في نظام خليك بهم.

تسرق العساكر وانتشروا في سانية العناب يستريحون تحت الأشجار. فتسربت إليهم جماعة من المتطفلين - من بينهم برق الليل - وهبطوا من كديبة الفيران ليتفرجوا على هؤلاء الجنود الشقر ذوي العائم المتقاطعة لياتها على جباههم الصبوحه كتقاطع السجف الأنيقة. لهم شوارب دقيقة تتجه ذوائبها إلى عيون حادة، فيها العزة والشهامة، سراويلهم فضفاضة تنحصر فوق ربلات متحجرة.

اقترب منهم الأهالي وما هي إلا لحظة حتى صار سلام وكلام. وتقدم الفضوليون يسألون عن السلاح والأزياء والعتاد الحربي والأتراك يجيبون بطيب خاطر ويعطونهم من البشماط والقديد. وأسرع الأهالي وجاءوا لهم بالدلاع والبطيخ والغنّب. فتسم السالف وساد الجدال.

لاحظ الزنجبي من بينهم فتى أسمر، لا يشبه رفاقه الشقر رباع القامة، مفتول الأعضاء، لا يحمل من السلاح إلا صباطة ضخمة وجولقا معلقا على كتفه، قد انتحى ناحية

وَجَلَسَ مُنْقَرِدًا تَحْتَ شَجَرَةٍ . لَا يَأْكُلُ وَلَا يَضْحَكُ ، وَإِنَّمَا
يُدْخِنُ غَلِيُونًا عَظِيمًا وَيَنْظُرُ إِلَى الْمَدِينَةِ بِشَوْقٍ وَاهْتِمَامٍ .
اقْتَرَبَ مِنْهُ الزَّنْجِي بِعَجْبٍ . فَإِنَّهُ لَمْ يَرِذْكَ مِنْ قَبْلُ .
اقْتَرَبَ مَشْدُودًا يَنْشِقُ رَائِحَةَ التَّبَعِ فَأَعْجَبْتَهُ وَاسْتَظَرَفَهُ
الْفَتَى ، فَصَارَ يَنْفُثُ فِي وَجْهِهِ الدِّخَانَ وَهُوَ يَشْمُ ، ثُمَّ سَأَلَهُ :
- أَعْطِينِي أَعْمَلَ مِثْلَكَ .

فَأَعْطَاهُ . فَجَذَبَ ، فَاحْتَبَسَ الدِّخَانَ فِي صَدْرِهِ وَشَرِقَ
وَأَخَذَ خُرْصُهُ يَرْتَجِّجُ مِنَ السُّعَالِ . فَالْتَفَّ حَوْلَهُ الْجُنُودُ
وَعَمِدَ أَحَدُهُمْ إِلَى رَكْوَةِ عِنْدَهُ وَسَقَاهُ خَمْرًا . فَهَدَأَ سُعَالَهُ
وَلَبِثَ يَلْهَثُ وَيَقْلِبُ عَيْنَيْهِ الْمُحْمَرَّتَيْنِ فِي الْعَسَاكِرِ
وَهُمْ يَضْحَكُونَ .

مَازَحَهُ آخِرُ فَأَطْلَقَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ وَجْهَ بَارُودٍ ، فَاهْتَزَّ
الزَّنْجِيَّ وَانْتَفَضَ وَسَاءَتْ حَالَتُهُ وَبَسَدَ النَّدَمُ يَاخُذُ الْجُنُودَ .
فَأَوْمَأَ إِلَى صَاحِبِ الرِّكْوَةِ أَنْ يُدْرِكَهُ بِشَرِبَةِ . فَمَزَّ مِنَ الْخَمْرِ
فَهَدَأَ رَوْعَهُ ثُمَّ أَشَارَ إِلَى آخِرِ أَنْ يُعْطِيَهُ مِنَ الْقَدِيدِ ، فَانْتَعَشَ
وَأَصْبَحَ مَحْسَلًا فَكَاهَةً الْجَمِيعِ .

لَا حَظَّ ضَابِطًا مُتَزَمِّيًا ، لَا أَنْاقَةَ فِي عِمَامَتِهِ بَلْ هِيَ تَغْشَى
رَأْسَهُ كَأَنَّهَا تَسْتُرُ عَيْبًا . لَاحَظَ أَنَّهُ لَمْ يَعْصَبْ بِهِ وَلَسِمَ يَضْحَكُ
مِنْهُ . فَحَقَّقَ عَلَيْهِ ، وَغَافِلَهُ وَانْتَزَعَ مِنْهُ الْعِمَامَةَ . فَظَهَرَ
الرَّأْسُ أَفْرَعًا لَا شَعْرَ فِيهِ . فَضَحِكَ الزَّنْجِي حَتَّى اسْتَلْقَى وَضَحِكَ
جَمِيعُ الْحَاضِرِينَ .

اغْتَاطَ الضَّابِطُ وَدَخَلَ فِي سَوْرَةٍ مِنَ الْغَضَبِ الشَّدِيدِ. فَأَصْلَحَ عَمَامَتَهُ وَأَخَذَ سَوْطًا وَعَلَاهُ ضَرْبًا مُبْرَحًا فَضَجَّتِ النَّظَّارَةُ، وَأَنْكَرُوا هَذِهِ الْقَسْوَةَ، لَكِنْ لَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ عَلَى تَجَدُّتِهِ، وَعِنْدَمَا كَادَ يَقْتُلُهُ قَامَ ذَلِكَ الْفَتَى الْمُدَخِّنُ وَحَالَ بَيْنَهُمَا قَائِلًا لِلضَّابِطِ :

— خَلَّ عَنْهُ الْمُسْكِينُ

فَانْتَهَرَهُ الضَّابِطُ بِشِرَاسَةٍ :

— وما شأنك أنت؟ أتريدُ أن ألحقَكَ به؟

— أو تقدرُ؟ لنترَقليلاً.

رَمَى الْفَتَى الْأَسْمَرَ بِجَوْلَقِهِ فِي الْأَرْضِ وَتَقَدَّمَ الرَّجُلَانِ إِلَى بَعْضِهِمَا وَيَدُ كُلِّ مِنْهُمَا عَلَى مَقْبِضِ سِلَاحِهِ. فَتَدَاخَلَ بَيْنَهُمَا الْحَاضِرُونَ فَاسْتَفْتَى بِالتَّشَاتُؤِ بِالْعَرَبِيَّةِ وَالتُّرْكِيَّةِ وَالإِيطَالِيَّةِ. وَأَدْرَكَهُمَا الصَّنَجِقُ دَارَ فَوْبَخَ الْفَتَى عَلَى وَفُوهِ فِي وَجْهِ ضَابِطِهِ. فَقَالَ لَهُ مُبْرَرًا تَصَرَّفَهُ :

— إِنَّهُ كَادَ أَنْ يَقْتُلَ هَذَا الْمُسْكِينُ ضَرْبًا.

— وما يعنيك؟

لم يجد الفتى جواباً. فأدركه الزنجي بقوله :

— وأنا عبده

فَتَهَامَسَ رِفَاقُهُ الْأَتْرَاكَ قَائِلِينَ «الشَّعْشُوعُ عَيْدٌ»؟

تَفَرَّقَ الْجَمْعُ وَسَارَ الزَّنْجِيُّ وَرَاءَ مُنْقِذِهِ، يَحْمِلُ لَهُ جَوْلَقَهُ، عَلَامَةً عَلَى عِبُودِيَّتِهِ. وَلَمَّا وَصَلَ نَوَائِلَ سَيِّدِي سَفِينَانَ قَالَ لَهُ شَعْشُوعُ :

سُرِّ يَا أَخِي ، فِي حَفْظِ اللَّهِ . مَا أَنْتَ عَبْدِي وَلَا أَنَا سَيِّدُكَ .
وَأَخَذَ مِنْهُ مَتَاعَهُ وَمَضَى نَحْوَ الْمَدِينَةِ بِقَدَمٍ ثَابِتَةٍ وَالصَّبَاطَةَ
تَرَطُّمٌ أَعْقَابَهُ .

عَجِبَ بَرْقُ اللَّيْلِ لِبَوَارِ نَفْسِهِ . وَثَقُلَتْ عَلَيْهِ حَرِيَّتُهُ . فَتَابَعَ
سَيَّرَهُ حَزِينًا ، حَاطِرًا إِلَى فُنْدُقِ بَابِ سَعْفَانَ .

أَمَّا ذَلِكَ الْمُنْدَسُ بَيْنَ الْبِشْرِيَّةِ ، يَحْسِبُ نَفْسَهُ نِدَاءَ الْهَمِّ ،
وَقَدْ أَكْبَرَهُ النَّاسُ وَتَحَقَّقُوا أَنَّهُ تُونِسِيٌّ مِنْ بِلَاغَتِهِ فِي السَّبِّ
فَعَرَفْنَا مِنْ تَهَامُسِ رِفَاقِهِ أَنَّ اسْمَهُ شَعَشُوعٌ .

وَلِتَعْرِفِ الْآنَ أَنَّهُ كِرَّاكُجِيٌّ ، أَي مَهْنَتُهُ التَّجْدِيفُ
بِالسُّفُنِ عِنْدَمَا تَجْرِي الرِّيحُ ... حُكْمَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ لِسَبِّ هُوَ
فِي طَبَعِهِ عَرِيقٌ .

كَانَ قَدْ اخْتَطَفَ امْرَأَةً مِنْ دَارِ جَوَادٍ ، نَشَرَتْ عَنْ زَوْجِهَا
الشَّيْخَ . وَبَدَأَ لَهُ أَنَّهَا مَظْلُومَةٌ وَأَيْدَى هَذَا مَا رَأَى مِنْ
حُسْنٍ وَجَمَالٍ وَقَدْ وَاعْتَدَالَ فَلَمْ يَتَسَرَّدْ فِي نَقْضِ حُكْمِ
الشَّيْخِ الْقَاضِي ، وَاسْتَعَانَ بِظِلَامِ اللَّيْلِ فَرَمَى خَيْطَ الزَّرَقِ
وَقَرَّ بِهَا .

لَكِنَّهُ لَمْ يَبْتَعِدْ كَثِيرًا حَتَّى أَدْرَكَهُ الضَّابِطِيُّ وَأَفْسَدُوا
عَلَيْهِ عَمَلَهُ . وَبَعَثُوهُ بِجَدْفٍ بِسَرَكَبِ السُّلْطَانِ .

وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ التَّقَى بِفَتَيَانَ التُّرْكِ ، مِنَ الْغُرَاةِ ، فَأَحْبَبَتْ
نَفْسُهُ الْمُغَامِرَةَ ، فَتَحَيَّنَ فُرْصَةً وَتَسَرَكَ رِفَاقَهُ دُونَ تَوْدِيعِ
وَانْضَمَّ إِلَى كِرَّاكُجِيَّةِ خَيْرِ الدِّينِ . وَلَمْ يَسِرْ فِي ذَلِكَ حَرَجًا .
فَحَيْثُمَا يَرْفَعُ الْمُؤَذِّنُ عَقِيرَتَهُ فَتَمَّ وَطَنُهُ .

وبهذه الصفة ، عادَ شَعَشُوعٌ إلى تُونِسَ مع حَمَلَةَ خَيْرِ
الَّذِينَ بَاشَا ، لِكَنِّهِ عَوْضَ أَنْ يَدْخُلَ الْقَصْبَةَ أَوْ يَأْوِيَ إِلَى أَحَدِ
الْمَعَاقِلِ ، الَّتِي تَحْمِي جَوَانِبَ أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ مَعَ رِفَاقِهِ الْيَسْشَرِيَّةِ ،
اسْتَأْذَنَ الصَّنَجِيقُ دَارًا فِي أَنْ يَسْذَهَبَ إِلَى حَالِ سَبِيلِهِ ، إِلَى رَبْضِ
بَابِ السَّوَيْقَةِ إِذْ هُوَ فِي بَلَدِهِ الْآنَ . فَإِنَّ لَهُ فِيهِ حَبِيبًا .

مَرَّ عَلَى مَعَالِمَ كَانَتْ لَهُ فِيهَا أَشْيَاءٌ ... مَرَّ عَلَى دَارِ جَوَادِ
وَحِيَّاهَا بِنَظْرَةٍ ، وَمَرَّ عَلَى الرَّوْشَنِ حَيْثُ يَظُنُّ الشَّابَّةَ الَّتِي كَانَتْ
سَبَبَ تَبْهِهِ فِي الْبَحَارِ فَتَوَقَّفَ وَأَشْعَلَ غَلِيُونًا . وَيَا لِدَهْشَتِهِ
لَمَّا رَأَى جَانِبَ الْمُشْرِفِيَّةِ يَنْشَقُّ عَلَى وَجْهِ الْحَسَنَاءِ وَرَأَاهَا
تُخَاطِبُهُ فِي لَهْفَةٍ :

— شَعَشُوعَ ، أَنْتِ رَجَعْتِ

وَقَبْلَ أَنْ يُجِيبَ ، أَرْدَقَتْ ، فِي سُرْعَةٍ ، خَشِيَّةَ الْمَارَةِ :

— غُدُودَ فِي الْمَعْرِضِ .

وَرَجَعَتْ الْمُشْرِفِيَّةُ كَهَيْئَتِهَا الْأُولَى . وَتَابَعَ الْفَتَى سَيْرَهُ
وَهُوَ يُرَدِّدُ فِي نَفْسِهِ : غُدُودَ فِي الْمَعْرِضِ ؟ غُدُودَ فِي الْمَعْرِضِ ؟
يَعْلَمُ أَنَّ الْمَعْرِضَ هُوَ سُوقُ الْعَبِيدِ وَالْجَوَارِي قُرْبَ جَامِعِ الزَّيْنُونَةِ .
فَمَا شَأْنُهُ وَالْمَعْرِضِ ؟ عَلَى كُلِّ حَالٍ أَمْرُ الْحَسَنِ لَا يُنَاقَشُ .

« غُدُودَ فِي الْمَعْرِضِ ! »

أسئلة :

- 1) لا حظ استطراد الكاتب في حكاية قصة «شعشوع» وعلّل تعاطف هذه الشخصية مع «برق الليل» .
- 2) هل زادت الخلفية التاريخية في طرفة القصة حسب نظرك وهل أن الجو التاريخي ضروري لفهم بعض المواقف والأحداث الهامة ؟
- 3) ما هي العادة الاجتماعية التي تبدو لك غريبة اليوم ولم تكن كذلك قبل استقلال البلاد والإعلان عن حقوق المرأة ؟
- 4) هل تصلح هذه القصة كشاهد على البيئة التونسية القديمة ؟

بَرَقَ اللَّيْلُ يُنْتَدِبُ تَيَّاسًا

قديم :

مَرَّتْ الْأَيَّامُ وَ « بَرَقَ اللَّيْلُ » يَجُوبُ أَرْقَةَ الْعَاصِمَةِ وَسَاحَاتِهَا بِسَاطُهُ
الْأَرْضُ وَغَطَاؤُهُ السَّمَاءُ ، وَقَدْ ذَاقَ طَعْمَ الْحَرِّ بِعَدِّ إِيَّاقِهِ الْأَوَّلِ وَنَزُولِ الْعِقَابِ
عَلَيْهِ فِي حَادِثَةِ الْمَخِيرِ وَبَعْدَ هُرُوبِهِ مِنْ دَارِ الْعَجُوزِ الَّتِي اشْتَرَقَهُ مِنْ « شَعْشُوعٍ »
لِيَسْهَرَ عَلَى تَمْرِضِ ابْنَيْهَا . وَهِيَ هِيَ الْفَتَى الزَّنْجَبِي يُنْتَدِبُ « تَيَّاسًا » لِيَحْتَلِ
مُطْلَقَةً بِثَلَاثِ لَزُوجِ نَدَمٍ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ فِي سُورَةِ غَضَبٍ ، فَمَنْ هِيَ ؟

طَلَعَتْ عَلَيْهِ شَمْسُ الْغَدِّ ، وَهُوَ مُلْقَى ظَاهِرِ الْقَصَبَةِ ،
فِي خَرَبَاتِ الْمَشِيِّ الَّذِي بَنَاهُ الْمُسْتَنْصِرُ مِنْذُ مَا يَقْرُبُ مِنْ
ثَلَاثَةِ قُرُونٍ لَتَمُورَ فِيهِ جَوَارِيهِ دُونَ حِجَابٍ ، إِلَى مُنْتَزَعِهَا
قُبَّةِ الْجُلُوسِ بِرَأْسِ الطَّايِبَةِ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ الْآنَ ، إِلَّا رَسْمٌ دَارِسَةٌ ،
تَحْكِي لِمَنْ شَاءَ اسْتِمَاعَهَا عَنْ أقدامٍ لَطِيفَةٍ مُخَضَّبَةٍ ،
دَاسَتْهَا وَمَرَّتْ عَلَيْهَا خَفِيفَةٌ ضَاحِكَةٌ .

وَكَانَ يَرَجُو أَنْ يَرَاهُ شَعْشُوعٌ مِنَ الْقَصَبَةِ ، لَكِنْ ، اسْتَعْرَتْ
فِيهِ شَمْسٌ أَغْشَتْ ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ أَحَدٌ . وَزَقَرَتْ فِي دِمَاقِهِ
أَشْعَةُ الضَّحَى الْمُحْرِقَةِ وَخَالَجَتْهُ تَعْنَتُ الزُّنُوجِ وَمَكْرُهُمْ
فَلَبِثَ هُنَاكَ يَتَمَرَّغُ وَيَطْلُبُ مِنَ الشَّمْسِ أَنْ تَقْتُلَهُ .

مَرَّتْ بِهِ عَجُوزٌ . فَأَطَالَتْ فِيهِ النَّظَرَ ، ثُمَّ سَأَلَتْهُ :

– وَصَيْفُ شُكُونٍ أَنْتَ؟

– وَصَيْفُ رُوحِي؟

– نَجِّسُ مِيَاثَ نَاصِرِي؟

– نَجِبُ حَتَّى مَيْتِينَ.

– اسْمَعْ وَلَيْدِي. رَأَيْتَ بِأَشْرَ نَطْلُبُ مِنْكَ حَاجَتَهُ. قَوْمٌ
وَاسْمَعْنِي. وَشَرَحَتْ لَهُ مَا يَنْتَظِرُ مِنْهُ. وَهُوَ أَنْ يَتَوَسَّطَ بَيْنَ
زَوْجَيْنِ وَقَعَا فِي الطَّلَاقِ وَنَدِمَا...

– تَيْسَاسُ؟

– أَي نَعَمْ يَا وَلَيْدِي.

قَامَ فِي أَثْرَهَا يَنْفُضُ التُّرَابَ. فَسَارَتْ بِهِ إِلَى الْحَمَّامِ ،
فَاغْتَسَلَ وَتَطَيَّبَ وَدَقَعَتْ لَهُ ثِيَابًا حَسَنَةً وَقَادَتْهُ إِلَى دَارِ الْعَزَافِينَ .
فَدَخَلَ السَّقْفِيَّةَ فَوَجَدَ شَيْخًا مُحْتَرَمًا وَعَدْلِيْنَ جَالِسِينَ
عَلَى زَرْيَسَةِ فَوْقَ الدِّكَانَةِ . صَاحِبُ الدَّارِ يَنْظُرُ إِلَيْهِ بِغَلْبَةٍ
وَحَقْدٍ ، كَمَا يَنْظُرُ الْمَرِيضُ إِلَى دَوَاءِ عُلُقَمٍ .

كَتَبَ عَنْهُ الْعَدْلَانِ . وَأَوْصَاهُ الشَّيْخُ بِمَا يَنْبَغِي وَأَنَّ لَهُ الْأَجْرَ
وَالثَّوَابَ فِي إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ بَيْنَ الْأَزْوَاجِ . وَأَرَاهُ صُرَّةً بِهَا نَقْدٌ
كَثِيرٌ يَأْخُذُهَا بَعْدَ أَدَاءِ الْمُهْمَةِ . وَهُوَ مُطْرِقٌ يَسْمَعُ .

دَخَلَ عَلَى عَرُوسٍ لَيْلَةً ، وَأَرْجَعَ فِيهَا بَصَرَهُ كَرَّتَيْنِ .
فَإِذَا بِهِ يَسْرَى صَاحِبَةَ الْوَجْهِ الْجَمِيلِ ، تِلْكَ الَّتِي كَانَ يَعْْبُدُهَا
فِي الْمَرَاةِ وَهِيَ تُطَلِّعُ عَلَيْهِ مِنْ كُؤُوتِ الْمُخْبِرِ .

البشير خريف « بوق الليل »

ص 64 - 66

أسئلة :

- 1) أترى أنّ القدر هو المتحكّم الوحيد في شخصية « برق الليل » أم أن الكاتب التجأ الى حيلة ليحرك من جديد مجرى المغامرة الغرامية ؟
- 2) تصوّر انفعال « برق الليل » ها هنا بعد جميع الخيبات التي عرفها من قبل.



سوق الحميد في يابو باليمن على بعد 25 كيلومترا من البحر
الأحمر - نمشة من مقامات الحريري -
المكتبة الوطنية بباريس .

ذَكَرِيَّاتُ السَّبِيِّ

تقسيم :

انتدب « برق الليل » مُحَلِّلاً ، وشاءت الصدفةُ أن يدخلَ عريساً على صاحبةِ الوجهِ الجميلِ التي طالماً تعَبَّدَها في المرآةِ وأنسَ برؤيتها . وبعدَ لَيْلَةٍ « لا يَحْسُنُ التَّمَطُّطُ فِي حِكَايَتِهَا » أفاقَ فَلَمْ يَجِدَ حَسَنَاءَهُ وَأَنَّمَا وَجَدَ زَوْجَهَا الأَوَّلَ الشَّيْخَ الوَقُورَ فِي سَقِينَةِ الدَّارِ رَفِيقَةَ العُدُولِ وَعِلاَقِيْنَ بِأَيْدِيهِمَا فَلَئِقَةً وَعَصَا زَيْتُونَ يَنْظُرُونَهُ لِيَنْظُرَ بِالطَّلَاقِ إِمَّا رَغْبَةً أَوْ رَهْبَةً ، وَيَتَقَاضَى أَجْرَتَهُ وَيَذْهَبَ فِي سَبِيلِهِ . وَلَكِنَّهُ ذَاقَ طَعْمَ الحُرِّيَّةِ لَمَّا أَبَقَ مَرَّتَيْنِ ، فَهَلَلْ سَيِّئَتَسَلَّمَ لِإِرَادَةِ جِلَادِيهِ فِي هَذِهِ المَرَّةِ وَيَغْضَبُ وَهُوَ لَا يَشُورُ وَلَا يَتَمَرَّدُ وَلَا يَنْتَقِمُ لِنَفْسِهِ الجَسُوحَةَ مِنْ سَبِي تَنَلَّتْ عَلَيْهِ وَطَائَهُ ؟ :

بعدَ ليلةٍ ، لا يَحْسُنُ التَّمَطُّطُ فِي حِكَايَتِهَا . قامَ بَرَقُ اللَيْلِ بعدَ غَمُوقِ الصَّبَاحِ ، فَلَمْ يَجِدَ الشَّابَّةَ فَأسَفَ عَلى مُسَلَّطَاتِ إِضَافِيَةِ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَهَا . وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِ الشُّوشَانَةُ بِطَبَقِ البَيْضِ وَأَرْغَفَةِ السَّمِيدِ والعَسَلِ والسَّمْنِ وَبَعْدَ أَنْ أَفْطَرَ وَأَعْجَبَتَهُ الحَيَاةُ ، دَعَتْهُ إِلَى السَّقِيْفَةِ .

وَجَدَ ذَلِكَ الشَّيْخَ الوَقُورَ والعُدُولَ كَهَيَاتِهِمْ بِالْأَمْسِ وَبِجَانِبِ الشَّيْخِ ، الصَّرَّةُ .

- يا ولدي ، انطق بكلمة الطَّلَاقِ وَخُذْ مالَكَ وانصَرِفْ فِي سَبِيلِ حَالِكَ .

تَلَعَّثَمَ الزَّنْجِي ، واغْبَرَ وَجْهَهُ وَبَرِقَتْ عَيْنَاهُ وَارْتَعَدَ خُرْصُهُ - أ... أ... انطلقْ ؟

- نعم يا ولدي .

ارتجَّ عليه ، وَتَحَفَّزَ كَأَنَّهُ لِلوُثُوبِ . ثمَّ تَمَكَّنَ مِنَ النُّطْقِ .

- مس... مس... مسكينة . ما عملت شي عَلاشِ اطلق .

- ذلك ما وَقَعَ عَلَيْهِ الاِتِّفَاقُ فَأسْرِعْ وَأَنْجِزْ...

لَبِثَ الزَّنَجَبِيَّ مُسْتَفْدِحًا ، وَاجْمَأً . فَتَنْظَرَ إِلَيْهِ الشَّيْخُ مَلِيًّا .
وَطَرَقَ بِمَرْفَقِهِ عَلَى بَابِ خَزَانَتِهِ وَرَأَاهُ . فَظَهَرَ عَبْدَانُ شَدِيدَانِ
غَلِيظَانِ فِي يَدَيْ أَحَدِهِمَا فَلَنَقَةً شَرِسَةً وَعَصَا زَيْتُونٍ مَعْقَدَةً .
وَفِي يَدِ الْآخَرِ آلَاتُ الْخَضِيِّ .

سَكَتَ الشُّيُوخُ وَبَدَأَ عَلَى وُجُوهِهِمْ مَا يَبْدُو عَلَى وُجُوهِ
الْجِلْدَادِينَ قَبْلَ الشَّرُوعِ فِي الْعَمَلِ . صَاحَ بِهِ الشَّيْخُ إِذْ ذَرَأًا :
- أَجِبِ الْآنَ .

قَلَبَ بَرَقُ اللَّيْلِ عَيْنَيْهِ فِي الْمَكَانِ وَقَالَ مُسْرِعًا :

- أَنْزَهْرُ ، أَنْزَهْرُ أَنَا وَصَيْفٌ ، أَنَا مَا أَنْزَرَ شَيْءٌ .

وَصَفَّقَ بِيَدَيْهِ ، وَوَسَبَ نَحْوَ الشَّيْخِ كَأَنَّهُ يُرِيدُ بِهِ شَرًّا .
فَخَفَّ إِلَيْهِ الْعَمَلِقَانُ وَبِذَلِكَ تَنَحَّيَا عَنِ الْبَابِ فَانْقَلَبَ عَلَيْهِمَا
وَأَفْلَتَ بَيْنَ أَرْجُلِهِمَا وَأَطْلَقَ سَاقِيَهُ لِلرِّيْحِ ... سَاقِيَهُ اللَّتَيْنِ
خَلَقْتَا لِمُسَابَقَةِ الطُّبَّاءِ فِي الصَّحَارِيِّ .

انْطَلَقَ وَلَمْ يَقِفْ إِلَّا عِنْدَ جَبَلِ سَيْدِي بِالْحَسَنِ الشَّاذِلِي ،
أَمَامَ الْبُحَيْرَةِ . وَاخْتَبَأَ بَيْنَ أَشْجَارِ الْعَرَعَارِ وَجَعَلَ « يُكْتَسِرُ »
كَالْجُرُوفِ الْفَطِيمِ .

لَيْسَ لَهُ أَمٌّ يَدُسُّ فِي صَدْرِهَا صَدَمَاتَهُ النَّفْسِيَّةَ . فَتَهْدَهُ هُدًى
وَتُلِينُ جِرَاحَهُ بِسَرِّهِمْ حَتَّى نَهَا . لَيْسَ لَهُ مَقَرٌّ يُخْفِي بَيْنَ جُدُرَانِهِ
الْأَمِينَةَ نَوْبَاتِهِ الْعَصِيَّةَ عَنِ الْأَعْيُنِ السَّاحِرَةِ .

هُوَ أَسْوَدٌ . وَهَذِهِ دُنْيَا الْبَيْضِ . يَا لَيْتَهُ يُعُودُ إِلَى دُنْيَا
السُّودِ . إِلَى تِلْكَ الْأَدْغَالِ الَّتِي تَتَوَسَّطُ أَفْرِيْقِيَا . إِلَى تِلْكَ الْقَرْيَةِ
مِنَ الْخُوصِ ، حَيْثُ أَهْلُهُ يَدُقُّونَ حَبَّ الزَّرَانِ وَيُنْشِدُونَ أَنَاشِيدَهُمْ
الْحَزِينَةَ .

تَسْرَأَى لَهُ هَذِهِ الصُّورُ ، بَعِيدَةً فِي ذِكْرِيَاتِهِ .

كَانَ صَبِيًّا ، عَارِي الْجِسْمِ ، إِلَّا مِنْ فُوطَةٍ تَشُدُّ وَسَطَهُ
وَحُرْصَةِ الْأَحْمَرِ ، لِأَنَّهُ وَحِيدٌ أُمَّهُ .

يَذْكُرُ لِعَبِّهِ مَعَ أَنْرَابِهِ عَلَى ضَوْءِ الْقَمَرِ فِي فَجْوَةٍ مِنْ
الْغَابَةِ ، يَذْكُرُ لِعَبِّهِ مَعَ رِفَاقِهِ مِنْ صِغَارِ الْقَرْدَةِ عِنْدَمَا
يَذْهَبُ إِلَى حَيْثُمَا الْكَثِيفُ الظَّلِيلُ الْمُبْتَعُّ بِأَقْرَاصٍ مِنَ الضُّوءِ
كَالثِّيَابِ الْخَلْقَةِ وَالنَّابِضِ بِحَيَاةٍ تَسْعَى وَتَتَحَرَّكُ : الْحَشْرَاتُ
وَالْمِيَاهُ الْجَارِيَةُ وَالطُّيُورُ الْمَلُوتَةُ .

تَتَنَقَّلُ جِرَاءَ الْقَرْدَةِ فِي رُؤُوسِ النَّخْلِ السُّحُقِ ، وَتَسَارِجِحُ
وَتَأْتِي بِالْعَابِهَاتِ الْبَهْلَوَانِيَّةِ بِأَيْدِيهَا الْأَرْبَعِ لِأَنَّهَا تَمْتَازُ
عَلَيْهِ بِمُرُونَةِ أَعْضَانِهَا وَقُدْرَتِهَا عَلَى جَعْلِ يَدَيْهَا رَجْلَيْنِ
وَرَجْلَيْهَا يَدَيْنِ . وَكَمْ حَاوَلَ ذَلِكَ فَلَمْ يُفْلِحْ . وَلَهَا فِي ذَبْلِهَا
حَبْلٌ حَسِيٌّ يَلْتَوِي مِنَ الْأَعْصَانِ حَيْثُ شَاءَتْ ، فَتَنْتَقِي رِزْقَهَا مِنْ
هُنَاكَ وَمَا أَسْرَعَ مَا تَجِدُهُ . فَتُقَشِّرُ الْجُوزَ بِحَذْقٍ وَسُرْعَةٍ
فَتَهْشِمُهُ وَتَشْرَبُ مَا فِيهِ مِنْ مَاءٍ أَيْضًا طَيِّبِ الرَّائِحَةِ لَذِيذٍ وَتَأْكُلُ
اللَّبَّ وَتَرْمِيهِ بِالْقُشُورِ . فَيَرْمِيهَا بِالْأَحْجَارِ فَتَحْنُقُ وَتَرُدُّ
عَلَيْهِ بِالْجُوزِ كَامِلًا فَيَلْتَقِطُ الثَّمَارَ ، مَا شَاءَ مِنَ الثَّمَارِ . ثُمَّ يَعُودُ إِلَى
أُمَّهُ ، فَيَجِدُ دُخَانَ الْحَيِّ قَدْ نَصَاعَدَ مِنَ الْأَكْوَاحِ رَقِيًّا أَزْرَقَ
كَشَعَابِينَ الْمَسُودِ . فَيَجْلِسُ لِالْتِقَامِ الْحَسَاءِ . وَعِنْدَ الْفَسَقِ
يُشَارِكُ فِي الرِّقْصِ حَوْلَ بَقِيَّةِ النَّيِّرَانِ ثُمَّ يَنَامُونَ نَوْمَةً
رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً .

كَذَلِكَ تَقْصَّتْ طُفُولَتُهُ . ثُمَّ يَذْكُرُ أَنَّهُ سَيَقَ مَوْثُوقًا
« كَالصَّيْدِ الْبَرِّيِّ » إِلَى قَافِلَةٍ بَيْضٍ مَعْمَمِينَ فَوَجَدَ أُمَّهُ هُنَاكَ

مُكَبَّلَةٌ تَبْكِي ، وقد نَضَبَتْ عَيْنَاهَا مِنَ الدَّمْعِ فَبَقِيَتْ
نُكْشِخُ وَتَشْنُ . لَقَدْ قَاوَمَتْ جُهْدَهَا ثُمَّ اسْتَسَلِمَتْ اسْتِسْلَامَ
الْيَأْسِ . وَاسْتَوَى عِنْدَهَا الوجودُ وَالْعَدَمُ . هِيَ جِنَّةٌ يَسُوقُونَهَا حَيْثُمَا
شَاؤُوا .

رَأَتْ وَلَدَهَا . فَصَاحَتْ كَالْجَرِيحَةِ الَّتِي رَأَتْ رُوحَهَا فَطَلَبَتْ
قُرْبَهَا ، صَاحَتْ تُنَادِي الطُّفْلَ . هُوَ لَحْمُهَا وَدَمُهَا وَعَاوَدَتْهَا
إِرَادَةُ الْمُقَاوَمَةِ . هِيَ وَحْدَهَا لَا شَيْءَ ، وَهُوَ وَحْدَهُ لَا شَيْءَ ،
وَهُمَا الْإِثْنَانِ الْعَالَمُ بِأَسْرِهِ .

مَدَّتْ إِلَيْهِ صَدْرَهَا ، لِأَنَّ يَدَيْهَا مَوْثُوقَتَانِ إِلَى الْوَرَاءِ ،
فَعَفَّرَهَا النَّخَاسُ بِسَوْطِهِ ، فَصَاحَتْ كَاللَّبْوَةِ ، وَكَشَّرَتْ عَنْ
أَنْيَابِ جَفِّ عَلَيْهَا الرِّيقُ ، وَانْتَفَضَ الصَّبِيُّ بَيْنَ يَدَيْ مُغْتَصِبِهِ
كَالشَّادِنِ ، وَانْطَلَقَ يَبْحَثُ عَنْ يَدَيْ أُمِّهِ ، لِيَجْعَلَ مِنْهَا
سُدًّا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّرِّ .

جَعَلَتْ تَضُمُّهُ بِذَقْنِهَا إِلَى صَدْرِهَا . وَعَمَدَ الصَّغِيرُ إِلَى
الْحَبْلِ بِحُلُّهُ بِأَصَابِعِهِ وَأَظْفُرِهِ وَيَقْضِمُ وَيَقْرِضُ ، وَتَنَرَسَتْ
الْأُمُّ بِقُوَّةِ فَانْفِكَ الْحَبْلُ وَاسْتَعَدَّتْ لِتُدَافِعَ مِنْ جَسَدَيْهِ .
عَسَّ تُدَافِعُ قَبْلًا ؟

أَمَّا الْآنَ فَسْتُدَافِعُ عَنْ حَيَاةِ جَدِيدَةٍ بِالْحَيَاةِ .

عَمَلَتْ قُوَّةُ الْأُمومةِ فِي النَّخَاسِ عَمَلَهَا ، فَانصَرَفَ إِلَى
رَقِيقِهِ الْآخِرِ وَتَرَكَهُمَا ...

رَجَعَتْ الْقَافِلَةُ مِنْ أَوْسَطِ افْرِيقِيَا . وَحَطَّتْ فِي تَنْبِكْتُو ثُمَّ
فِي بَرَنُو . وَهَنَّاكَ بَاعُوا وَاشْتَرَوْا وَقَايَضُوا مِنْ رِيشِ النِّعَامِ وَالْمُرْجَانِ
وَالْوَدَعِ وَالْأَقْمِشَةِ وَالْأَوَانِي وَالسَّلَاحِ . وَاسْتَأْنَقُوا طَرِيقَهُمْ إِلَى الْفِرْزَانَ .

يذكرُ إحدى عشايا الشتاء وقد وصلت القافلة إلى شاطئ قابس .
وكان الطقسُ مكفهرًا والجوُّ باردًا وقد لاقى المسافرون في اليومين
السَّالِفَيْنِ من قِيَامٍ رِيحَ صَرَصَرٍ ، أهوآلا عظيمة . وكان الشاطئ قفراً
تَجْرُفُهُ الرِّيحُ وتَقْدِفُهُ الأمواجُ الغضبيَّةُ بِبُصَاقِهَا وَغَشِيَّتَهُ
سُحُبٌ دَاكِنَةٌ قَرِيبَةٌ ، كَثِيفَةٌ .

انْتَحَى الرِّقِيقُ نَاحِيَةَ نَحْتِ زَجْرِ النَّخَاسِ وَأَعْوَانِهِ وَتَأَلَّفَتْ
مِنْهُمْ جَمَاعَاتٌ ، بَسَدُوا وَيُخَيَّمُونَ . وَاشْتَغَلُوا بِإِعْدَادِ طَعَامِهِمْ
وَمَبِيَّتِهِمْ وَكَانَ الزَّنْجِيُّ الصَّغِيرُ سَعِيدًا ، وَهُوَ يَقْفِزُ بَيْنَ يَدَيْ أُمِّهِ ،
يَلْتَقِطُ لَهَا الْحَشِيشَ وَالْحَطَبَ كَمَا تُسْعِرُ النَّارَ لِحَسَانِهَا .

أَقْبَلَ نَفْرٌ مِنَ التَّجَارِ يَقْلِبُونَهُمْ . وَأَطَالُوا الْحَدِيثَ أَمَامَ
خِيْمَتِهِمَا . فَارْتَعَدَتْ فَرَائِضُهُ الدَّقِيقَةُ وَأَلْحَتْ أُمُّهُ فِي ضَمِّهِ
إِذْ لَمْ يَسْتَطِيعَا أَنْ لَا يَرِيَا فِي هَذَا الْحَوَارِ الطَّوِيلِ نَذِيرَ شَرِّ لَهْمَا .
ثُمَّ التَّصَقَّ بَيْنَ نَهْدَيْهَا وَنَامَ ، سَاخِرًا مِنْ ثَوْرَةِ الطَّبِيعَةِ
وَمَا يُعَدُّ لَهُ الْحَدَثَانُ .

اسْتَيْقَظَ مِنَ الْغَدِّ عَلَى هَرَجٍ مُشَادَّةٍ بَيْنَ أُمِّهِ وَأَعْوَانِ النَّخَاسِ .
هِيَ تُصِرُّ عَلَى ضَمِّهِ إِلَيْهَا وَهُمْ يُفْرَقُونَهُمَا . وَأَخِيرًا ، سَاقُوا أُمَّهُ
إِلَى مَرَكَبٍ كَانَ رَاسِيًا هُنَاكَ وَرَجَعُوا بِهِ - وَحْدَهُ - يَرْتَعِدُ وَيَقْلِبُ
عَيْنَيْهِ النَّجْلَ وَرَيْنَ مَسْبَهُوْتَا ، إِلَى الْمُخَيَّمِ . وَأَرَاهُ النَّخَاسُ سَكِينًا
عَرِيضًا حَادًا يَتَدَبَّحُهُ بِهِ لَسْوً يَبْدُو مِنْهُ عَصِيَانٌ . فَقَدْ وَجَدَ
الضَّفِيقَةَ ، فِي بَيْعِهِمَا فُرَادَى أُرْبِحَ بِدُرَيْهَمَاتٍ مِنْ بَيْعِهِمَا مُقْتَرَنَيْنِ
وَإِذَا مَا دَخَلَ الْكَسْبُ فِي الْمَسْأَلَةِ ، فَهُوَ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ .
ذَهَبَ الْبَحْرُ بِأُمِّهِ ، وَسِيقَ هُوَ إِلَى تُونِسَ . فَبِيعَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ ،
آخَرْتَهَا إِلَى السَّيِّدِ حَامِدِ بْنِ النَّخْلِيِّ .

أسئلة :

(1) ادرس حنين بندق الليل الى وطنه البعيد وما تتسم به الذكرى من شاعرية وواقعية وهو يحلم حلم اليقظة .

(2) الاترى أن في تأمل البطل في حظه العائرمحاولة تمرّد على التميز العنصري وادانة له ؟

(3) ادرس النّاحية التصويرية المثيرة للإعجاب في تذكّار مشاهد افرنجية من المناخ الإستوائي .

خير الدين يدخل العاصمة

تقديم :

لاذ « بَرَقُ اللَّيْلِ » بعَرَ عَارِ جِلِ سِيدِي بلحن زبات بين القصور بعد أن أَقْلَت من قِبْضَةِ الشَّيْخِ الوَقُورِ الزَّوْجِ المَطْلَقِ بِالْأَيْمَانِ الثَّلَاثِ ، ثمَّ عَادَ إلى المَدِينَةِ ولم يَمُضْ على مَجْزَرَةٍ رَبَّضَ بابِ السُّوَيْقَةِ إلاَّ أَيَّامَ قَلِيلَةٍ . وقد عَلِمْنَا من قَبْلُ أَنَّ الكَرَّاكِيي « شعوعا » التَّابِعَ لِحَيْشِ الإِنْكِشَارِيَّةِ وَصَدِيقِ « بَرَقِ اللَّيْلِ » قد حُشِرَ في السَّجِنِ بِتُهْمَةٍ خِيَانَةِ الأَنْرَاكِ وَأَنَّ « خَيْرَ الدِّينِ بَرَبْرُوسَ » بَادَرَ بِصَرِيحِهِ لَمَّا تَبَيَّنَ أَنَّهُ بَرَاءٌ مِنْ تِلْكَ التُّهْمَةِ ، وَأَنَّ الضَّابِطَ « عَلِيَّ الأَقْرَعِ » هُوَ المُتَسَبِّبُ فِي تَعْمِيرِ الجَوِّ بِمُخَالَفَتِهِ الأوامرِ وإطلاقِهِ النَّارِ على السَّكَّانِ . واعتزمَ خَيْرُ الدِّينِ ، أَن يَصْطَحِبَ « شعوعاً » التُّونِسِيَّ الأَصْلَ فِي زيارَةِ سَلِيمَةِ إلى المَدِينَةِ :

مِنَ الغَدِ ، نَزَلَ خَيْرُ الدِّينِ تُحِيطُ بِهِ عَسَاكِرُ اليَنْشَرِيَّةِ فِي أُنْهَى حُلُلِهَا ، إلى بابِ السُّوَيْقَةِ وَنَصَبُوا مَتَارِيْسَهُمْ وَمَدَّ أَعْيُنَهُمْ . وَدَوَّتْ نَوَاحِي السُّورِ بِضَوْضَائِهِمْ وَتَجَاوَبَهُمْ وَاسْتَعْدَادَهُمْ ، كَدَّ أَبْهَمُ فِي أَيَّامِهِم العَظِيمَةِ . وَكَانَ لِسَانُ حَالِهِمْ يَقُولُ إِنْ عُدْنَا مِنْ عُدْنَا وَلَكِنْ سَوْفَ يَكُونُ الشَّأْنُ غَيْرَ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْذُ يَوْمَيْنِ .

تقدمَ الباشا من بينهم ، وصاحَ بِمَنْ وَرَاءَ البَابِ :

— افْتَحِ البَابَ .

فَأَخْرَجَ الحَارِسُ رَأْساً فِيهِ الدَّهْشَةُ وَالاسْتِغْرَابُ والخَوْفُ ، مُتَسَائِلًا.. فَصَاحَ الباشا :

— مَتَى كَانَتْ مَسَاجِدُ المُسْلِمِينَ تُصَنَعُ عَنِ المُسْلِمِينَ ؟

حَدَّثَتْ ضَجَّةٌ أَخَذَ وَرَدَّ بَيْنَ الحَرَسِ . ثمَّ عَاوَدَ ذَلِكَ الرَّأْسُ الظُّهُورَ وَفِيهِ هَذِهِ المِرَّةَ الزُّورُ وَالوَقَاحَةَ التُّونِسِيَّةَ الَّتِي تَأْتِي عَلَى صَاحِبِهَا أَن يَرُدَّ كَلِمَتَهُ أَمَامَ أَيِّ كَانَ :

— أَنْتُمْ فِي تَرْكِيَا ، عِنْدَ دُخُولِكُمُ المَسَاجِدِ ، تَأْخُذُونَ المِذَافَ ؟ فَانْتَهَرَهُ البَاشَا :

– تَنَحَّ عَنْ الطَّرِيقِ.

خاض الحَرَسُ في بعضهم بين واجبههم في منع الباب وبين ما أخذتهم من هيبة الباشا. رأوا القَوَاتِ بَعِيدَةً والباشا يَطْلُبُ الدَّخُولَ وَحَدَهُ. فإن وقع ما يخشون ففي الوقت مُتَّسِعٌ لِإِفْصَالِ البابِ وَحَجْرِ الباشا بين أيديهم أُسِيراً.

فَتَحَّوْا وَطَارَوْا هَرَبًا.

دخلَ الباشا وَتَبِعَهُ نَفَرٌ قَلِيلٌ وَتَوَجَّهَ إِلَى ضَرِيحِ الْوَلِيِّ الصَّالِحِ. وكان الضَّرِيحُ تَحْتَ قُبَّةٍ صَغِيرَةٍ فِي مَبْدَأِ جُبَانَةِ تَنْتَشِرُ قُبُورُهَا إِلَى قُرْبِ السُّورِ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَيْقَةِ.

فلما عرج إليه الباشا وأتباعه – وقد فرَّت النَّاسُ عَنْ طَرِيقِهِ فَأَخْلَسُوا لَهُ الشَّارِعَ وَبَقِيَتْ بَعْضُ الرُّؤُوسِ تُطَلَّ وَبَعْضُ السَّابِلَةِ مُلْتَصِقِينَ بِأَبْوَابِ الدِّكَائِينِ وَأَقْوَامِ الدَّوْرِ – تَقَدَّمَ شَعَشُوعٌ أَمَامَ الْجَمِيعِ وَأَطْلَقَهُ سَلَامًا مُدَوِّيًا إِلَى الْأَمْوَاتِ وَالْأَحْيَاءِ :
– السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ.

واستمرَّ يخطو خطوات واسعة مُتَزِنَةً ، مُبْرَزًا صَدْرَهُ ، يُفْشِي سَلَامَهُ حَتَّى دَخَلَ الْبَاشَا الضَّرِيحَ وَقَرَأَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ ، ثُمَّ خَرَجَ فَسَرَمَى بِأَكْيَاسِ إِلَى مَجْمَعِ الْفُقَرَاءِ وَالْعُجْزِ الَّذِينَ يَقِيمُونَ هُنَاكَ. فَرَّغَتْ الْعَجَائِزُ وَقَامَ الرِّجَالُ يَلْتَمِسُونَ طَرَفَ رِدَائِهِ وَتَجَمَّهَسَ خَلْقٌ كَثِيرٌ فِي طَرِيقِهِ. وَحَدَّثَ مَا يَحْدُثُ مِنَ الْأَعْجَابِ عِنْدَ الشُّعُوبِ. انْقَلَبَ الرَّيْبُ وَالْوَحْشَةُ إِلَى فَرَحٍ وَبَهْجَةٍ ، إِلَى اسْتِقْبَالِ شَعْبِي عَظِيمٍ ، وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ بِالتَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالسَّلَامِ وَشَعَشُوعِ يَتَقَدَّمُ الْمَوْكَبَ مُخْتَرِقًا الْجَمُوعَ يَرُدُّ السَّلَامَ بِكُلِّ رِيثِيَةٍ. وَالْعَرَقُ يَتَصَيَّبُ مِنْ جَبِينِهِ وَهُوَ يَسْرِي كُلَّ ذَلِكَ نَصْرًا شَخْصِيًّا لَهُ.

تقدم وجوه القوم يرجون من الباشا أن يشرفهم في المسجد
وقد فعل فيهم التواضع والحسنى ما لم يفعل البارود.

أخذوا يصبون بين رجلينه الماء علامة الأمان ويقدّمون
إليه التمر واللبن علامة الترحيب والصفاء ولما يجف بعد آثار
الزيت الحامى النهي أصلوا به عسكره.

دخل المسجد وصلى ركعتين خفيفتين. واجتسع إليه
الناس يعتذرون ويطلبون الصقح ويرحبون.

ذكّر اسم الشيخ مغوش. فسأل عنه. فسكت القوم خوفاً
على فقيهم. فسمى بسبحته إلى أقرب الناس إليه قائلاً:
— خذها إلى الشيخ وليقبل علينا مكرماً.

فهلّل الناس من جديد ودعوا له بالنصر والتأييد.
وخرج الباشا يتقدّمه — دائماً — شعشوع. مردداً
السلام والناس يصفقون.

وكان أكثرهم جليسةً وفرحاً، شيخ أسمر، ذو لحية كدقن
التيس، يوميء لشعشوع بيديه ورأسه وعصاه، ويضحك
ملء فمه ذي الأسنان الناصعة.

لكن أنسى لشعشوع أن يعرف فيه غلامه بوق الليل.
عم البشر الحضرة كلها وانفتحت جميع الأبواب، واختلط
الأهالي بعساكر الترك في أخوة وصفاء.

وعاد خير الدين إلى القصبّة ودخل القلعة فامتأ رحابها الواسع
بعساكره وزعماء جيشه ومن تبعهم من الأهالي، فارتقى إلى الدرج
العظيم الذي كان يحدّ الرّحاب وعدته خمسون درجة من الرخام
الأحمر تنتهي إلى قبة أسارق

وقف أمام باب القبة الأوسط ، وكانت ذات ثلاثة أبواب كلها من الخشب الثمين المُخَشَّشِ وكان الأوسطُ أكبرها وأفخمها. فاستقبل الأقبامَ وأمر بتوزيع العطايا والخلع كما هو شأنه عقب انتصاراته. وإنَّ لمن أعظمها أن نُضَمَّ تونسُ الخضراء إلى مزغنة البهجة تحت الراية العثمانية وأعلن أنه سيلتفت الآن وقد ذهب الله بشحناء كانت ثقيلة عليه ، سيلتفت إلى شؤون الدولة. وأنه مغادرُ القصبية إلى دار العشرة تاركاً القلعة محتشداً للأسرى المتفرقين في عدة مطامر. ثم نصب الكراكجي شعشوعاً قائداً عليها ، جزاء ما قام به. وأمره أن يجعلهم في الجناح الجبلي حيث كان يقيم جنود الموحدين (الشلوح) وسلم إليه مفاتيح القلعة في موكب مؤثر وقلده طبنجة.

ثم اجتمع بقواده في قاعة فسيحة جميلة بالقصر الحفصي ، يطلقون عليها اسم « المدرسة » كان يقتل فيها السلطان ، كل صباح ، وزراه ورجال دولته. وأمر الرُّسل أن يحملوا البشائر إلى الباب العالي وأن يأخذوا معهم الشيخ مغوش ليحجج ويجمع بعلماء المشرق وينظرهم.

وأمر العساكر أن يخلوا القصبية وعيَّسَ رباطاً لكل فرقة. ثم غادر القصبية هو وأتباعه إلى مسكنه الجديد وأمر بإقامة مسجد بجامع على أقباض مسجد مقابل لقصره ، فكان ما نسميه الآن بجوامع القصر.

وقف شعشوع يتبع بصره آخر الجنود المنصرفه. وتفرق النَّاس مسامتين سور المدينة المتمدِّ ما بين المنارة وباب البنات. وأقصر الموضع. ومالت الشمس إلى الغروب وامتدت أشعتها كأسلاك الذهب والقصبية

منتصبه دونها تغمر المدينة بظلم أبراجها الركيئة وصومعتها الشاهقة
ولم يبق أحد إلا شيخ أسمر يُسمى لشعشوع بيديه ورأسه وعصاه
ويضحك ملء فمه ذي الأسنان الناصعة. فأشار له أن يقترب فعرف
رفيقه برق الليل. ففتح ذراعيه وضمه بردٌ ودفع به داخل القلعة.

«برق الليل» ص 81 - 86

سؤال :

- قارن بين الواقع التاريخي والخيال الروائي في هذا المشهد .

برق الليل يعاطف مع الأسرى

قديم :

رجاء «شعشوع» قائد القصة «برق الليل» أن يكون قتيلاً على الأسرى النصراري، فاعتذر عن رفضه ملازمتهم بأنه غير مستعد لتحمّل المسؤوليات وذهب ليعيش حياته الحرة في الأزقة. وظن أن مطارديه من ساداته قد نسوه، فخلع زي التنكر. وتغيب عن القصة وانقطع إلى مجالس النهو وحلقات الذكّر وانضم إلى خدام منازل الأفراح وشارك فيها بدقه وشطحه. وبينما كان ذات يوم متحسراً في رقة رأى أنياً من طرف الزقاق سيده «حامد بن النخلي»، ففسر جزعاً إلى القصة ليتخذها محباً :

لجأ برق الليل إلى القصة ، واختبأ في دهليز تحت أسارق . وثبتت عنده أن مطارديه لم ينفسكوا يطلبونه ، فرحب به شعشوع ، وعرض عليه ، ثانية ، أن يخلص ذمته ويبقى معه يعينه في حفظ القصة . فقال له الزنجي إن تخليص ذمته من السيد حامد بن النخلي ومن العجوز أم المريض هين ، لكن الزوج كيف يمكن العمل معه ؟ فأجابه بأن يتخلص وإياه أيضاً . فسأله الزنجي بدّهشة :

- نطلق ؟

أجابته ببساطة :

- إيه

فصاح الزنجي :

- لا

ولسم يتنقسا .

فتركه وشأنه ، واكتفى منه بمعونته داخلية ، يروح عن خليلته التي التحتت به وسكنت في القصر الحفصي ويوصلها

أحياناً إلى الحمام ، وَيَعُدُّ الأَسْرَى عند رجوعهم من الشُّغْلِ ويقوم عليهم.

وكانَ الشَّانُ في القَصَبَةِ ، أنْ يَنْصَرِفَ الأَسْرَى في الصَّبَاحِ للاستِرزَاقِ فَيَلْبِثُوا سَحَابَةَ يَوْمِهِمْ ، كلُّ ما يَجِدُ من شُغْلٍ . فَمِنْهُمْ مَنْ يَدُقُّ الحَلْفَاءَ أو يَقْتُلُهَا أو يَظْفَرُهَا . ومنهم من يَهْرُسُ البُرِّ في مَهَارِيسَ حَجَرِيَّةٍ ومنهم من يَخْدُمُ في منازلِ بعضِ الأَعْيَانِ أو عند التُّجَّارِ أو الفِلاحِينَ . أو يَنْبِثُونَ في الأَسْوَاقِ فَتَقْتُلُ الحَاجَةَ حَيْلَهُمْ وَيَنْصِبُونَ شَبَاكاً مُخْتَلِفَةً . وعند المساءِ ، يَعُودُونَ فَيَجْتَمِعُونَ في مطاميرهم على ما حَصَلُوا في يومهم من طَرُقِ حَلَالٍ وغيرِ حَلَالٍ . فَيَتَبَادَلُونَ البِضَافِعَ وَيَقْضُونَ شَطْرًا من ليلهم في بيعٍ وشراءٍ واخذٍ وعطاءٍ واكلٍ وشربٍ .

وإذا ما تَشَاجَرُوا وتضارَبوا ، يَنْزِلُ اليَهم القَائِدُ ويَجْلِدُ المَعْتَدِي ويحدده في الماسل.

وإذا جِيءَ بأسرى جدد يعرضون أول يومهم للبيع في المعرض ويرجعون إلى القصة واثمانهم مرشومة على قباعاتهم ، فينظر فيها القائد ويمضي البيع أو يستبقي من يستبقي للفدية أو المعارضة وفي الليل يجتمع القدماء من الأسرى على الجدد ويسالونهم عن أخبار النصرانية .

لبث برق الليل عدة أسابيع قيما عليهم ، فكان لنا معهم سخيا في توزيع الرواتب من الطعام ، يعينهم على تنظيف مطاميرهم وأحيانا يسمر معهم فتعلم لسانهم وهو خليط من لغات الأمم المحيطة ببحر الروم وينبههم إذا ما علت أصواتهم ويحول بينهم وبين عقاب القائد ، فكانوا يحبونه ويأنسون إليه .

رجع أحدهم مرة محمولا ، مضرجا بدمائه . فسأل عنه فقيل له إن

المقدم فرض عليه فوق ما كان يطيق، وهو ان يطلع كيسا من القمح في دروج عديدة. فكبا تحت عبئه فضربه المقدم بالسياط. غضب برق الليل، وسعى بالمقدم لدى شعشوع. واحتضن الاسير وكان اسمه روى بن غوميز الإشبيلي فعالج جراحه وأطعمه طعاما حسنا وسمح له بالطلوع الى السطح هو وبعض رفاقه ليفرجوا عن انفسهم من ضغط المطمورة وسمع احاديثهم وقصصهم وحسراتهم وتذكرهم الاهل والخلان. قال احدهم لرفاقه «إن هذا اليوم يوم القديس فلان، لو كنا في بلادنا لشربنا خمرا جيدا».

فطاب ساعة وجاء نم بقوارير جيدة.

وتنفس عليهم نعيم من العرض فتذكرُوا الأجابة وشبب أحدُهُمْ بغادته، فجاشت عواطف الزنجي وتذكر أشجانته، ومن الغد، رجع إلى قيافته وترك القصبة وراح يقضي حاجة المتكلم.

البشير خريف

برق الليل

ص 99 - 97

أسئلة :

1) هل تعتبر لطف « برق الليل » في معاملة الأسرى الغرباء من باب الصدقة؟

أترى أن سرده طيبة طيبة للغاية أم أن الدافع اليه هو وعي بمصير مشترك ؟

2) فيما يتجلى تعاطف الزنجي مع الأسرى النصارى ؟

برن الليل بيج عن صنائ

قديم :

«لَا ذَبْرُقُ اللَّيْلَ بِالْقَصِيَةِ فَأَرَأَى مِنْ سَيِّدِهِ «حَامِدُ بْنُ النَّخْلِيِّ» واقترح عليه قائدها أن يُخَلِّصَ ذِمَّتَهُ وَيَجْعَلَهُ فِي خِدْمَتِهِ فَلَا حَظَّ لَهُ الزَّعْجِيُّ أَنْ ذَلِكَ هَيِّنٌ بِالنِّسْبَةِ لِلشَّيْخِ النَّخْلِيِّ وَالْعَجُوزُ أُمُّ الْمَرِيضِ ، أَمَّا الزَّوْجُ الْمَطْلُوقُ فَإِنَّهُ يَجِدُ فِي طَلَبِهِ وَلَنْ يَتَخَلَّى عَنْهُ إِلَّا إِذَا نَطَقَ بِالطَّلَاقِ وَهُوَ رَافِضٌ .»

وفي القصبة تعاطف بَرَقُ اللَّيْلِ مَعَ الْأَسْرَى تَعَاطَفَ الْغَرِيبِ مَعَ الْغَرِيبِ ، وَلَبَّتْ عُدَّةَ أَسَابِيحَ قَيْسَاءَ عَلَيْهِمْ حَتَّى عَاوَدَهُ الْحَيْنُ إِلَى الْحَيَاةِ الْحَرَّةِ بِالْأَرْقَةِ وَالشُّوقُ لِرُؤْيَةِ «رَيْسِمٍ» فَتَنَكَّرَ مِنْ جَدِيدٍ ، وَتَضَدَّ طَبَقًا بِلَطَائِفِ النِّسْوَةِ وَخَرَجَ إِلَى أَرْقَةِ الْمَدِينَةِ يَتَجَوَّلُ فِيهَا وَيَبْحَثُ عَنْ حَسَنَاتِهِ «تَحَسَّسَ مَا أَمَكَّنَهُ التَّحَسُّسُ ، فَلَسَمَ يَتَّبِعِينَ صَوْتَهَا وَعَلِمَ مِنْ عَجْزٍ وَثَرْتَارَةٍ ، أَنَّ الْمُطَلَّقَةَ ذَهَبَتْ إِلَى دَارِ أَبِيهَا وَأَنَّ الزَّوْجَ جَادٌ فِي الْبَحْثِ عَنْ تِيَّاسِ هَارِبٍ . فَجَفَّ رِيقُهُ وَاحْتَارَ فِي أَمْرِهِ . لِمَاذَا يَشْعُرُ فِي نَفْسِهِ بِقُوَّةٍ وَشَجَاعَةٍ يَقْلِبُ بِهَا الدُّنْيَا وَيَذْهَبُ كُلَّ ذَلِكَ إِذَا سَمِعَ بِمُطَارَدَةِ أَسْيَادِهِ ؟ وَلِمَا عَلِمَ أَنَّهَا لَيْسَتْ هُنَاكَ ، زَهَدَ فِي ذَلِكَ الْحَيِّ وَتَرَكَهُ وَاحْتَارَ كَيْفَ الْوُصُولِ إِلَيْهَا .»

عَسَدَ إِلَى دُمَيْتَيْنِ ، بِيضَاءَ وَسُودَاءَ وَرَبَطَهُمَا فِي بَعْضِهِمَا ، وَآلَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَبْعَثَ بِهِمَا إِلَى جَمِيعِ مَنَازِلِ الْحَضْرَةِ . فَكَانَ يَبْعَثُ بِطَبَقِهِ إِلَى الْمَنَازِلِ ، فَلَا يَنْتَبِهَ إِلَيْهِمَا أَحَدٌ ، فَيَسْتَهْرِكُ فِي تَجَوُّلِهِ بِالْأَرْقَةِ الْمُسْتَوِيَةِ بَيْنَ الْخَنَادِقِ وَالْكُدَى وَأَكْوَامِ الزُّبُلِ حَيْثُ يَقُوقُ الدِّجَاجَ وَتَنَازُعُ الْكِلَابِ ، وَعِنْدَ الظَّهِيرَةِ ، يَمِيلُ إِلَى الصَّوَابِطِ فِيهِ أَقْلُ جَفَافًا وَغَبَارًا وَفِي ظِلْمَتِهَا الْمُسْتَطَابَةِ بَرُودَةٌ نَدِيَّةٌ ، فَيَسْلُكُهَا مُتَطَلِّعًا إِلَى الْمَشْرِفِيَّاتِ نَظْرًا إِلَى الْجُلْدَانِ مُغْتَابًا لِمَا تُخْفِيهِ مِنْ نَعِيمٍ .»

فَالسَّارُّ مِنْ تِلْكَ الْأَرْقَةِ الضَّيِّقَةِ ، الْقَدْرَةِ ، لَا يَخْطُرُ بِيَالِهِ

ما بالدرايب والدور من حسن وبهاء. والدرايب هي عدة دور يغلق عليها باب واحد، ولعل الكلمة تصغير وتأنيث للكلمة درب. قلنا في الأزقة القَيْظُ والجفاف والغبار وفي الدور جنات تجري من تحتها الأنهار. في الأزقة الرجال بجفائهم وغلظتهم وعنتهم وفي الدور النساء برقتهن وأينهن وعنجهن.

يتخلص برق الليل من الأزقة وعرائها ويغشى رياض السعود فيقيل بدرية يعرفها هناك. بهاستان. وعند القائلة تخرج النسوة فيرششن أمام منازلهن ويسكنسن ويجلسن في سقائهن الظليلة ويأخذن في عزل الصوف أو التطريز أو غير ذلك من أشغال النساء والحديث أخذ مجراه.

وكسن يفرحن بمقدم الزنجي، عندما يصل فيضطجع تحت كسرمة وطبقه بجانبه. فيرسلن إليه صبيانهن، فيبيعهن ما يختارون من الفواكه فيأكلون ويحملون إلى أهلهم. وكثيراً ما يغفل عن أخذ الثمن. وكثيراً ما تُكرمه الغانيات بأكثر مما أخذن فيتزاحمن عليه بأطباق الأطعمة الرقيقة. وقبل الرواح يفسرُق عليهن ما يحببن من لوبان وعنص وإسبر ولحماسيع وعطورات.

البشير خريف «برق الليل» ص 100 — 102

أسئلة :

- 1) نشاهد «برق الليل» في هذا المنظر بائعاً جوالاً باحثاً عن حسائه. فهل يذكرك هذا الجو الروائي ما يشبهه في قصص غرامية أخرى؟
- 2) قارن تجوال «برق الليل» بحث المحب العذري عن حبيبته في الصحراء كما في قصة جميل وبثينة، وبغامرة المحب العنيف في البيئة الاندلسية المتحضرة كما في قصة ابن زيدون وولادة وقد أخرجت رواية مسرحية، وفي قصة الرمادي وخطوة في باب الحب من نظرية واحدة وهو وارد في كتاب «طوق الحمامة» لابن حزم.

العبد الابن بطارد

تقديم :

«غادر «برقُ الليل» القَصْبَةَ وأخذَ يَجُوبُ الأَزِقَّةَ جاداً في البَحْثِ عَن حِثائِهِ وقد اتَّخَذَ لَهُ دُمَيْتَيْنِ مُعْطَرَتَيْنِ بِيضاً وَسُوداً يَبِعثُ بهما إلى البيوت لتعرفه «ريسم» حتى وُشي به إلى زوجها الأول فأقبلَ عليه ومعهُ نَفْسٌ من الصعاليك وأحاطوا به - وهو يَشْطِطُ في الزقاق - فَحَمَلُوهُ إلى أقرب درية (أي دارِ الشَّرْعِ) وبلدوا بضربونه لِيَنطِقَ بالطلاق وهو يمتنع ، وختال «برقُ الليل» جلاديه وأفلت من قبضتهم إلى الشارع وعادا إلى غديبر وسقط فيه مغشياً عليه. وفي الليل جرتهُ امرأةٌ إلى داموس دارها وظلت تأتيه في غسق كل ليلة بعد أن تسقي زوجها بُنْجاً حتى سَمَّ الزنجي تلك المخالطة وهجر الداهليز :

استبدل داموس في مبيته - وقد جاء الربيعُ - بجَنَنَاتِ الخَصِصِ قُربَ البُحَيْرَةِ .

واستمرت أيامه بالأزقة في زي شيخ أسمر يبيع اللُعبَ والحلواء ومواد التزيين إلى أن كان يومٌ رجعت إليه الدميتان تعبتان عطراً. وكان ذلك ناحية سوق الشبارلية.

رفَعَ رأسه فعرَفَ الشوشانةَ فألقى الدُمَيْتَيْنِ في وجْهه يَشْمُهُمَا وَيَلْبَسُهُمَا ووقع مغشياً عليه فتأخر الصبيبةُ مرتاعين واتسعت الخلقمةُ وبقيت الشوشانةُ تَنْظُرُ إليه فاستنفاقَ وسأنها في توَسُّلٍ :

- قل لها أفرقهم وإلا نخليهم ؟

فرجعت وبعد حصّة انشقت البابُ ورأى تلك العيونَ نفسها. فأخذَ يَنْتَفِ حَيْتَهُ المُستعمارةُ ويُشيرُ إليها إشاراتِ الحُبِّ والولاءِ والعبوديةِ . وأخذَ مياهَ العُطُورَاتِ التي أمامه فَمَسَحَ بها وجهه حتى ظَهَرَتْ بِشْرَتُهُ السُّوداءُ وأراقَ البقيسةُ في الترابِ ورمى

بِاللَّعَبِ وَالتَّوَابِلِ وَالحَلْوَاءِ إِلَى الصَّبِيَّانِ ، فَاسْرَعُوا لِالتَّقَاطِهِمَا
وَالتَّنَازُعِ عَلَيْهَا فَرَحِينٌ ضَاحِكِينَ لِمَا أَصَابَ صَاحِبَهُمْ . سَأَلَهَا ،
مَسْتَغِيثاً :

- اقعِدْ وَإِلَّا امشِ .

عَرَفْتَهُ الشَّابَّةُ وَدَهَشَتْ ، ثُمَّ اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَقُولَ :

- اقعِدْ .

وَعِنْدَمَا ظَهَرَ الزَّوْجُ مِنْ مُنْعَرَجِ الزَّقَاقِ ، يَزُورُ أَنْسَابَهُ
فَرَأَتْهُ وَصَاحَتْ إِلَيْهِ بِأَقْصَى مَا يَسْمَعُ الهمْسُ :

- امشِ .

وَاخْتَفَتِ . فَلَمْ يَفْهَمْ الزَّنْجِيَّ شَيْئاً وَصَارَ يَرُدُّ :

- اقعِدْ .. امشِ .. اقعِدْ .. امشِ ..

وَالصَّبِيَّانِ تُصَفِّقُ حَوْلَهُ وَيَلْتَقِطُونَ مَا تَقِيئاً مِنَ البُضَاعَةِ
الصَّالِحَةِ وَيَتَخَاطَبُونَ الودَعِ وَالحُرْزِ وَالسَّمْسِمِ .

اطَّلَعَ الزَّوْجُ عَلَى هَذَا المَرَجِ فَعَرَفَ العَبْدَ فَأَلْقَى عَلَيْهِ القَبْضَ
وَأَخَذَ يَجْرَهُ وَالزَّنْجِيَّ يَتَّبِعُ كَالْمَسْبِيِّ . وَعِنْدَمَا وَصَلَا بَابَ المَنَارَةِ
رَجَعَ إِلَيْهِ شَاهِدُ العَقْلِ ، فَنَشَرَ نَفْسَهُ وَأَفْلَتَ مُعَرَّجاً نَحْوَ القَصَبَةِ .
وَالرَّجُلُ مِنْ وَرَائِهِ يَصِيحُ :

- شِدْ ... شِدْ ...

وَفي القَصَبَةِ ، اصْطَدَمَ بِشَيْخٍ ، فَعَثَرَ فِي بَعْضِهِمَا وَوَقَعَا عَلَى
الأَرْضِ . وَلَمَّا نَهَضَا وَنظَرَا إِلَى بَعْضِهِمَا ، عَرَفَ كُلُّ صَاحِبِهِ . فَرَجَعَ
الزَّنْجِيَّ فَارَا فَاصْطَدَمَ بِالزَّوْجِ ، وَلَحِقَ الشَّيْخُ وَارْتَمَى عَلَيْهِ بِجُرِّهِ
إِلَى بَابِ البَنَاتِ وَيَصِيحُ :

- عِبْدي ... عِبْدي ...

وَكَانَ ذَلِكَ الشَّيْخُ مُحَقِّقاً فِي دَعْوَاهِ . فَهُوَ السَّيِّدُ حَامِدُ بْنُ النُّخْلِيِّ

نفسه. وصار الزنجي محلّ نزاع بين الرجلين : الزوجُ يجره إلى نهج الحُكّام حيث يجبره القاضي على فك عصمته زوجته والآخر يجره إلى باب البنات حيث يعاقبه صاحب الحسبة عقاب الآبين. وفيما هم كذلك مرت عجوزٌ. فنظرت إلى هذا المطبق بين اثنين فارتمت عليه وأخذته من رأسه تجذبه إليها وتصبح :

— وصيفي ... وصيفي ...

حملت فيها الزنجي. فعرف أم المريض. وبين هذه القسوى المتكافئة التي تجذبه إلى نواح ثلاثٍ مختلفة لم يعد فسي حاجة إلى أي جهد. وبقي يشطح وسطهم.

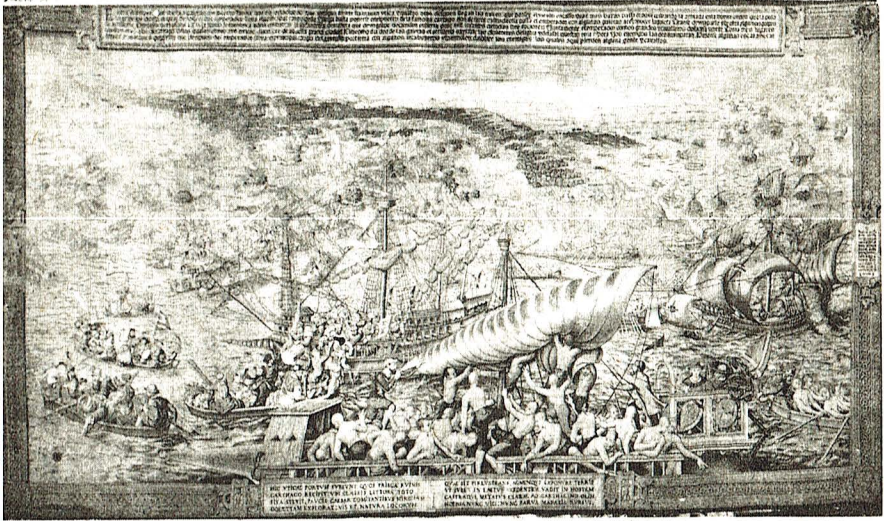
أثارت هذه الضجة بين السور والقصبية فضول المارة القليلين فتكفون تجمع غير مألوف في ذلك المكان ، فخرج قائد القصبية واطّلع ، فعرف رفيقه الأسود. فزجر النظارة وساق المتخاضمين إلى القلعة . وهناك انتصب لهم قاضياً.

بشير خريف

«برق الليل» ص 106 — 109

أسئلة :

- (1) ادرس الخاصيات الفكاهية لهذا المشهد (مفاجآت ، إساءات وإشارات كثيرة - مطاردة الخ ...) .
- (2) تتعاقبت الازمات في المشاهد السابقة وبلغت الازمة ما هنا أوجهاً ، فماذا يبيّن ذلك في القصة ؟



« نزول القوات البحرية الإسبانية بمرسى حلق الوادي » من
 المجموعة المحفوظة بالقصر الملكي بمadrid - أهدت الصورة
 وسمحت بإدراجها إدارة التراث القومي الإسباني - (رسالة
 سعادة سفير إسبانيا بتونس للمؤلف بتاريخ 72/8/25).

الرَّصْفُ الْإِسْبَانِي

تقديم

تنازع أسيادُ العَبْدِ الأَبْقِ على امتلاكه بعد أن قبضُوا عليه وجروهُ قَرِيباً من القَصَبَةِ ، وسمعَ شَعَشُوعٌ قائدها ضجيجَ العراكِ ، فخرَجَ يَسْتَجْلِي الخَبِيرَ فَوَجَدَ صاحِبَهُ « بَرَقَ الليلُ » مُحاطاً بثلاثتهم ، فانتصبَ حَكماً بَيْنَهُمْ ليُخَلِّصَ الزنْجِي من ورطتِهِ ، وحكَمَ على الزوجِ بأن يَدْفَعَ الصلوةَ لأحدِ الطَّالِبِينَ ويشترِي العَبْدَ من الأَخَرِ وعلَى بَرَقِ الليلِ أن يُصْبِحَ ملكاً للزوجِ ويُطَلِّقَ المرأةَ ، ووعدَ شَعَشُوعُ الشيخَ حامدَ بنَ النخلي بِرُطْلٍ من الكِبْرِيَةِ ودَفَعَ للعجوزِ أسيراً من كُرْمِيكَا تَسْتَبْدِلُهُ بِوَحِيدِهَا الأَسِيرِ هناكِ ، وطلبَ الزوجُ مُهَلَّةً لِإِنجَازِ الحُكْمِ حتى يَبِيعَ زَيْتَهُ ، وتَفَرَّقَ الخصومُ وانطلقَ بَرَقُ « اللَّيْلِ » معَ الزوجِ ولبثَ أياماً بِجُوبِ الاسواقِ نهاراً يعرضُ زيتَ صاحِبِهِ ويغشى مجالسَ الأُنسِ لَيْلاً حتى تَمَّتَ الصفقةُ ، وعُيِّنَ يومٌ يتخالصُ فيه الجميعُ ، لكنَّ شَيْئاً من ذلك لم يَقَعْ . فَمَا السَّبَبُ ؟ » .

جلس بابا سغفان وجماعةٌ من حُرْفائِهِ في سَقِيفَةِ الفندُقِ يتحدَثُونَ بعد صلاةِ العَصْرِ .

ظهر فارس ينهب الأرض نهياً ، قادماً من غمارِ المِلسِ فتنحى مَنْ كانَ في طريقه وأَطْلَقَ عليه من سَمْعِ الضَّجِّ ، وتَبِعَهُ الجَمِيعُ بَبَصَرِهِمْ وهو يركُضُ جِوَادَهُ لا يُلَوِي على شيءٍ ، يَقْصِدُ جامعَ الزَيْتُونَةِ حيثَ يَقْضِي الباشَا عَشِيَّاتِهِ عندما يكونُ على ظَهِرِ اليَابِسَةِ . وعرفُوا أَنَّهُ يَحْمِلُ حَمُولاً خَطِيراً وشراً مُسْتَطِيراً . تبعَ بَرَقُ اللَّيْلِ من تَبِعِ الفَارِسِ . فَوَصَلُوا إلى جامعِ الزَيْتُونَةِ واكْتَشَفَتِ الفِسْكَةُ وصَحْنُ الجِنائِزِ وشاعَ الخَبِيرُ .

مَحَلَّةٌ تسدُّ عَيْنِ الشَّمْسِ ظَهَرَتْ أَشْرَعَتِهَا فِي البَحْرِ . فاستَوَلَتِ الحَيْرَةُ على النَّاسِ وتَبَلَّسَتِ العُقُولُ . وكانَ الباشَا فِي رِحَابِ الجامعِ يَتَلَسَّوْ أُوْرَادَهُ بعدَ صَلَاةِ العَصْرِ وحوَلَتُهُ

شُجْعَانُهُ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْأَنْدَلُسِ أَنْقَذَهُمْ فِي غَزْوَتِهِ الْأَخِيرَةِ
بِقَلْبِ سَطْلَنَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَسْتَمِعَ إِلَى أَحَدِ الْمُورِسِكِ الَّذِي أَهْدَاهُ
إِيَّاهَا يَشْرَحُ لَهُ سِرَّهَا.

عَادَ مِنْ غَزْوَتِهِ الْأَخِيرَةِ بَعْنُمِ كَثِيرٍ وَأَسْرَى عِدِيدِينَ أَوْدَعَهُمْ
الْقَصْبَةَ. فَبَلَغَ مَجْمُوعَهُمْ ثَمَانِيَةَ آلَافِ أَسِيرٍ، كُلَّهُمْ
تَحْتَ حِرَاسَةِ شَعَشُوعٍ. وَعَادَ بِطَائِفَةٍ مِنَ الْمُورِسِكِ أَنْقَذَهُمْ مِنْ
أَنْ يَفْتَنَهُمُ النَّصَارَى عَنْ دِينِهِمْ.

وَكَانَ أَمْرُهُمْ مُشْتَفِقًا حَقًّا، لَمَّا قَدَّمُوا إِلَيْهِ مِنْ هُدَايَا الْمُقْلِينَ
النَّسَاكِينِ. وَوَضَعُوا أَنْفُسَهُمْ تَحْتَ تَصَرُّفِهِ فِيمَا يُحْسِنُونَ. وَكَمْ
أَشْيَاءَ بَدِيعَةٍ هُمْ يُحْسِنُونَ. أَهْدَاهُ بَعْضُهُمْ مُصْحَفًا كَرِيمًا مُجَلَّدًا
تَجَلِيدًا عَجِيبًا وَمُزَخْرَفًا بِنُقُوشِ ذَهَبِيَّةٍ. بِسَدَلٍ فِي تَهْرِيبِهِ مِنْ
الْحَيْلِ مَا يُقَارِبُ الْبُطُولَةَ. وَأَعْجَبَ مَا أَهْدَى إِلَيْهِ تِلْكَ السَّطْلَنَةُ.
وَكَانَتْ مِنَ النُّحَاسِ الْأَحْمَرِ تَمْتَّازُ بِجِهَازٍ يُحَرِّكُهُ زَرٌّ فِي
جِبْهَتَيْهَا فَيَخْرُجُ قَضِيبٌ مِنَ الْفُولَادِ أَقْنَى يَمْتَدُّ فَوْقَ الْأَنْفِ
كَالْمِقْلَارِ فِيحْمِيهِ وَيَحْمِي الْوَجْهَ كُلَّهُ مِنْ ضَرْبَاتِ
السَّيْفِ. تَأْمَلُ الْبَاشَا فِيهَا وَفِي نُقُوشِهَا وَشَكَرَ الْمُورِسِكُ وَقُرْبَهُ
مِنْهُ وَقَالَ لَهُ :

– العجب من الإنسان لا ينفك صبيحاً؟ أتعلم يا أخانا ماذا خطر
لي وأنا أقلب هذه السَّطْلَنَةَ.

– لا يا أفندي.

– أن أجرب نَجَاعَتَهَا فِي مَعْرَكَةٍ.

– نصرٌ من الله وفتحٌ قريبٌ...

... عند ذلك أقبل الرسولُ.

وبعد ساعةٍ شاع خبيرٌ آخر
مولاي الحسن الحفصي يعود.
ومعه الإمبراطور شارليكان نفسهُ.

فاستولى الرعبُ على النَّاسِ وامتدَّعَتِ الوجوهُ. خرج الباشا في
انبساطٍ وهسدوءٍ وخاطبَ النَّاسَ المُزدحمينَ في صحنِ الجنائزِ
وسُوقِ الفِكَّةِ والعطَّارينِ وسوقِ النواورِيَّةِ :

— ليس في الأمر ما يدعُو إلى كُلالٍ هذا. إنَّ بعضَ الأقوامِ
من إخواننا المسلمين اتَّخذوا حيلةً عند خوفهم من قراصنة الرومِ
أنَّ يُشيعُوا خبيرَ وُجُودي بينهم فيأمنُوا الشَّرَّ. حتَّى لم يعد
النَّصارَى يصدِّقُونَهُمْ. فلو قدِمُوا حقًّا فهُمُ يظنُّونَ وُجُودي
ها هنا وهنَّا. سأخرُجُ إليهمُ وعندهما تروَن غلائطهم في البَحْرُ
شذر مسذر.

رجعَ الباشا إلى قصره دار العشرة. فجمَعَ قوادةً وزعماءَ
جيشه سنان رايس وابنه الذي سوف يصير فيسا بعد سنان باشا
ودرغووث وباكير وعسراب والقلج على الفرطاس. فتشاور معهم وسمعَ
منهم ثم بدأ يلقي أوامره قصيرةً دقيقةً.

وكان معهم نفرٌ من أكابسر الأندلس الموثورينَ يلتمسون
منه تمكينهم من لقاء أعدائهم في ساحةِ الحرب، عليهم يشفونَ
غليلاً. وكانوا أولي غناءٍ وعلمٍ بخداعِ السنينور في القتال.

فمنَ الأمثالِ الموروثَةِ عن ذلك الزَّمنِ السَّائرة على الألسنِ إلى
يسومنا هذا قولهم : « ما يعرف طراد الروم كان الأندلس. »

امتلأت بطحاء القصر بالفرسان يحسِلونَ المشاهلَ. منهم من
جاء بالأخبار ومنهم من يَنتظرُ أن يحبل الأوامر وهم في جيئةٍ وذهابٍ

بين القصر والمعاقل والثغور.

وأقبلت الأهلبي من كل فجّ يحملون المشاعل أيضاً ومعهم
سلاحهم يلحون في مصاحبة الترك للجهاد. فأبى عليهم الباشا
وأمرهم بالانصراف وأن يطمنوا: مؤكداً أن اسمه وحده قمين
بإرد الكفار وقنال :

— إنسي إذا كنت في بحر المسورة ينتفي النوم عن الجنويز .
فما هؤلاء إلا كالساعي لحتفه بظلفه. وإنسي هازمهم وقاتل
طاغيتهم غداً بإذن الله .

ثم اختلى بنفسه ساعة في صلاة وابتهاج إلى الله تعالى ثم علق
الصيام وخسرج وتحركت الجنود إلى القتال في سرور من دعي
إلى لعب يتقنه .

«برق الليل» ص 123 — 126

سؤال :

— كيف تبدو لك شخصية خير الدين بروس من خلال هذا المشهد؟ هل تراها
مجانسة للصورة التي رسمها المؤرخون مثل أحمد بن أبي الضيف لذلك البطل؟ .

فيانك

تقديم :

استولى الزعْبُ على سُكَّانِ العاصِمةِ عِنْدَمَا شَاعَ خَبْرُ عِوْدَةِ السُّلْطَانِ الحِسنِ الحِضْضِيِّ الى تونس بنجدة الإسبان ومعه الأبراطور شارلكان، وتحرك خير الدين بربروم بجنوده لمساقاة أعدائه والتحق « برق الليل » بصديقه « شعشوع » قائد القصة وهو متعجب من قلب الناس في مواقفهم ازاء الاحداث :

عاد برق الليل إلى القصة يفكر في قلة مُطابِقةِ عُقُولِ النَّاسِ لِلصَّوَابِ.

يظهر أن هذا السلطان الذي انصرفت منذ عام يعُودُ فما لم تأسفوا عند ذهابه ويتأسفون الآن عند رجوعه؟ ولم يفهم شيئاً من سُروحِ شعشوع الذي لم يهتز كثيراً لهذا النبأ، لإيمانه بنجم خير الدين غير أنه كان كالسبع السجين يتحرق للمشاركة في هذه الوقعة.

انضم إليهم روى بن غوميز الذي كان أسيراً فأسلم وأصبح اسمه عبد الله وصار يتحنس للإسلام وتحادثوا قليلا ثم آب كل إلى فراشه.

دخل شعشوع إلى حرمه، وكانت الليلة ليلة العليجة. فمر على الحناء ليُقبلَ عليها الباب، فوجدها تبكي وشكت إليه من العليجة ورجته أن يُفرقَ بينهما بما يرى، فإنها أمست ترتاب منها وختمت شكواها بحكاية ما هددتها به من تقلبات الزمان. طلبها مزيداً من الإيضاح. فصارحت بما يُخالج نفسها، صارحت به بطن دهن الخطورة: ذلك أن العليجة، ليلة دلتها، تسقيه البنج في القهوة وتتصل ببعض الأسرى؟

كذبها، ثم هددتها، ثم استرضاهما، ثم شك في أمره.

فالعاجية في ظنه تُخلصُ له الحُب ، لكنّه يعلمُ أيضاً أنّها نصرانيّةٌ ، وتسكرهُ ضرّتها. وأخيراً استقرّ الرأي على أن يتظاهراً بشرب القهوةِ كالعادة ويهرقها في منديله ويسرى.

لقبي ، تلك الليلة ، من الحُب ما سرّ عليه. قبّلات حارة مُحرقّة ، ونظراتٍ ولهانةٍ غريبةة . وكان يفكرُ كيفَ التخلّصُ من القهوةِ دونَ علمِ العليّةِ ، فسَهَلتْ عليه ، إذ وَصَعَتْهَا له وخرّجتْ كأنّها تفسرهُ .

ثم عادت وسألته هل شرب ، فأجابها نعم ، فسبقتها يداها إلى رأسها فتقطعت شعرها ثمّ تماسكت .

ولما ظهر عليه النوم ، انسلت من الفراش . وأنصتت إلى تنفّسه وقبّلته وخرّجت جرياً .

قام بلطفٍ وتبعها .

دخّلت إلى المطبخ ، فاعتلى هو إلى مسترق ولبت ينصت . وكان بأرض ذلك المطبخ فوهةٌ كأنّها رقبةٌ بشرٍ ينفذُ منها الدبؤ إلى بشرٍ حقيقيّةٍ بالطابقتِ الأسفلس .

أخذت قنديلاً ولوحت به في الفوهة وأدلت حبلاً وانكأت على الحائط في اضطراب . نطلع إليها عبدُ الله غوميز تاركاً اسمه الأول أسفلس فاحضنها وحاول تقييلها فلدغته ...

وكان غوميز هذا ، قد تعهّد بشأن عظيم : أناط مجلس التفتيش بعهدته أن يجمع كلمة الأسرى حتّى يكوأوا على أهبة الانتفاضة داخلية يُساندون بها الحملّة الخارجيّة .

وكان الاتصالُ بينه وبين أسبانيا بواسطة تقييدات تأنيه باللغة اللاطينية تتخلل الأسطُر في رسائل الأسرى الآخريين .

فراى من حُسْنِ السِّيَاسَةِ أَن يُظْهِرَ الْإِسْلَامَ. فَأَصْبَحَ مُقَدِّمًا
 عَلَى بَقِيَّةِ رِفَاقِهِ وَأَصْبَحَ يَسْكُنُ مُتَقَصِّرَةً فِي الْمَدْرَسَةِ.
 اتَّصَلَ بِالْعُلَمَاءِ وَأَجِيرَهُمَا عَلَى التَّجَسُّسِ لِفَائِدَةِ النَّصْرَانِيَّةِ
 وَسَلَّطَ عَلَيْهَا عَوَاطِفَ مُتَعَاكِسَةٍ. فَخَوَّفَهَا بِسُخْطِ الْكَنِيسَةِ وَتَقَدُّمَةِ
 الْآبَا وَأَمْوَالِ الْجَحِيمِ. وَوَعَدَهَا بِالْمَجْدِ وَالزَّوْجِ مِنْهَا وَالْحِظَّ السَّعِيدَ.
 وَلَعِبَ بِقَلْبِهَا (كَمَا لَعِبَتْ رِيحُ الصَّبَا بِالْقَبَسِ) حَتَّى أَدْعَنَتْ.
 فَكَانَ يَلْقَاهَا هُنَاكَ فِي الْمَطْبَخِ فَيَزُودُهَا بِالْبَنِيخِ وَيَسْتَمِعُ إِلَى
 مَا تَأْتِيهِ بِهِ مِنْ أَخْبَارٍ.

...تجاوز عن أعراضها وسألها في ريفق لا يخلو من صلابة :

- ماذا فعلت ؟
- انتهى كبل شبيء.
- سقته السم ؟
- لأنَّ المتفقَ عليه أن يكون تلك الليلة ، السمُّ عَوْضَ
 البُنَجِ .

أجابته :

- شربته. لكنني ندمت. ندمت يا غوميز. إنني أرتعش
 خوفاً وندماً. يا ليتني ما فعلت. مالي ولشؤونكم ؟
- فعلت شيئاً عظيماً. يجازيك عليه الإمبراطور ويبارك اسمك
 قداسةُ الآبَا وَتَحْمَدُهُ لَكَ النَّصْرَانِيَّةُ قَاطِبَةً. أَتَدْرِينِ أَنَّ عَمَلَكِ هَذَا
 ضَمَّنَ لَنَا النَّصْرَ ؟ أَتَدْرِينِ أَنَّ الْأَرْمَادَةَ ضَرَبْتَ الْحِصَارَ عَلَى بِلَادِ
 الْبَرْبَرِ هُنَا.

— نعم ، أفهَمُ أن الأرمادة جاءت. وأما النَّصْرُ ففي حُكْمِ الحَرْبِ.

— إنسه الإمبراطور شارلكان؟

— إنسه باربروشة ذو الاحية الثقبراء؟

— غداً نحتفل بحرق جثمانه النَّجسِ هنا في القصبه فتستريح النصرانيه.

— هذا هُراء سَمَّنَاهُ يا غوميز.

— هذه المرة أقول لك الخبير اليقين. لقد دبَّرَ الإمبراطور أمره وأخذ الحيطه في السرِّ والعلنِ لدوسِ هذا الأفعوان مرة واحدة. فقد أرسلَ إليه مع أحد الصنائع من الموريسك سطله مسمومه يموت من يضعها على رأسه بعد ساعتين اثنتين.

انقلب شعشوع من مسترقه فنزل إلى فناء القصبه.

نظر يميناً وشمالاً. فرأى برق الليل يرفع رأسه من النّوم ، في أعلى درج أسارق. فعهد إليه بمفاتيح القصبه وخرج زائغ البصر.

رأى فارساً يَمُرُّ الخبب. فدفعه وحل مكانه وأنشَبَ المهماز في جنبي الجواد ، فطار ينهب الأرضَ إلى حلق الوادي...

البشير خريف

« برق الليل » ص 127 — 131

سؤال :

— ما هي العناصر الفنيّة التي استعملها الكاتب لجعل القارئ لا يستبعد وقوع المؤامرة ؟



- « معركة ثغر حلق الوادي » من المجموعة
المحفوظة بالقصر الملكي بمadrid - أهدت الصورة وسمحت
بإدراجها إدارة التراث القومي الإسباني - (رسالة سعادة
سفير إسبانيا بتونس للمؤلف بتاريخ 72/8/25)

صَالِحُ

تقسيديم :

تظاهر أحدُ الأسرى النَّصَارَى « روى بن غوميز » بالإسلام وانضم إلى جيش الإنكشارية ليتجنس عليه وأنيطت بعهدته مهمّة جمع كلمة الأسرى ليكونوا على أهبة لانتفاضة داخلية يساندون بها الزحف الإسباني من الخارج، واتّصل بالعليّة الزوجة الثانية لشعشوع وكتفها بتسميمه ، وكان ينوي القضاء على خير الدين يربروس بسطة مسمومة ، ولكن شعشوعا اكتشف المكيدة، فهدد إلى برق الليل بمفاتيح القصة ، واستطاع انقاذ خير الدين . واغتنم الأسرى فرصة تقيب بزق الليل خارج القصة فحطّموا أبوابها وانتشروا في المدينة ، وزحف السبنيور على العاصمة ، فتهقّر جيش الأتراك إلى جهة تبرستی ووقعت البلاد في أيدي الغزاة ، والتحق « برقُ اللّيل » بشعشوع فرغبه صاحبه في مرافقته في البحر مع خير الدين إلى ديار الكفرة، فاعتدّر الزنجيّ بأنّه يعتزم التصالح في موعد قريب مع أساده والدخول في خدمة الشابّة « ريم ».

وقعت البلاد في أيدي الكفرة. ونصب شارلكان وطاقمه غربي القصة وأمر بإقامة كنيسة شكراً للبتول.

ودخل في أعقابه السلطان مولاي الحسن الحفصي فتبوأ عرش آبائه. وجاءه المهنتون... أولئك الذين دأبهم التهنئة. واحتلّطت السبنيور: الغائرون والذين كانوا في الأسر واحتفلوا بهتك ستر الحضرة ثلاثة أيام.

ففي يسوم الإربعاء « قعد كلّ صانع في صناعته . وأهل الربع فتحوا ربعمهم واطمأنوا في أماكنهم. فهجمت النصارى عليهم ، على حين غفلة والأسواق مفتوحة. فأخذوا ما فيها من الامتعة وقتلسوا أهلها وسبوا خلقاً كثيراً » وأتوا من الفطائع فنونا فبقروا الطون وأحرقوا المنازل بأهلها ومزقوا الأشلاء وأذهبوا الأرزاق والأرواح والأعسراض.

قيل إن في هذه الواقعة «أسر الثُلُثُ ومات الثُلُثُ وهرب الثُلُثُ». وعدد كلِّ ثُلُثٍ ستون ألفاً»

وكان برق الليل متأسفاً لهذا الانقلاب ، حانقاً على السبنيور ، حزيناً على ذهاب رفيقه شعشوع وذهاب أوقات مليحة كان يقضيها في جنات الخص.

بادر إلى حومة العزافين وقلبه يخفق حيرة على من يحب. فوجد الديار هادئة مطمئنة فانصرف هادئاً مطمئناً إلى ربوة سيدي أحمد السقا ينظر حركة السبنيور في القصة. وكان ذلك دأبه من الغد.

ولمّا كان يومُ العنصلة وجد بحومة العزافين «كربطة» وعدة دواب والباب مفتوحاً ونفرا يخرجون الصراير والفرش والأثاث فانخلع قلبه.

رأى الزوج فسأله إنجاز الاتِّفاق. فأجابه أنهم مرتحلون فلا اتفاق الآن حتى يفعل الله في ملكه ما يشاء.

أيقن الزوجي بفداحة الكارثة في قدوم السبنيور. فتغيّر لونه إلى الرماد واصطكت أسنانه وحملت عيناه في مقتلته ودارت ثلاثة كالزربوط ثم قال :

— لو يمشي السبنيور تنمو الكتيبة.

فضحكوا عليه ، رغم ما هم فيه من حرج وأجابه الزوج بأنّه ، لو يرتحل السبنيور يتمم له كل ما أراد وزيادة. فراجهم — وقد ظهرت الرغوة في جانبيهم — أن يؤجلوا رحيلهم ليومين أو ثلاثة. ثم حذق في السماء وعين بلهجة المههم :
يوم الخميس المقبل.

نظر الجماعة إلى بعضهم. ثم إلى الزنجي وهو في غير سحته. وحضر الزوج قول القاضي شعشوع في حيثيات الحكم بأنه عبد ليس كالعبيد وحضره قول الحرمة بأن له مناقب وبركات فما كان منه إلا أن فتح الرزمة التي كانت بين يديه وأخذ مع جماعته يدخلون الأمتعة والأثاث...

ولما كان يوم الخميس الذي عيَّنهُ برق الليل - وكان موافقاً للشامس من شهر أوت 1535 لم يبق في الحضرة من الكافرين دينار. انتشر خبر رحيل السنيور وتخاطفت الأفواه البشري فرجع من كان في الطريق هارباً ومن بلغه انقراج الأزمة ممن كان لاجئاً في البادية القريبة رجعوا بأحمالهم إلى المنازل العزيرة المهجورة. وفرحت المدينة. وأخذ الأهالي يُقيمون معالم الزينة.

ذهب برق الليل إلى حومة العزافين فوجدها جائشة بأهلها. فلما رآه الزوج تهلَّلَ وجهه واستقبله بين ذراعيه بإجلالٍ وبقين تامٍّ في صلاحه وكراماته فتواضع الزنجي وطلب إتمام العقود. فأجابته :

- حيا وكرامة.

وقال له انه ينتظره لذلك. ثم غمز غمز الفطن المتفق وإياه هامساً له أن البلاد جميعها في فرح وانسراح ولا بدري أحد أن الأصل في الفرحة هم. وهم السبب في انسراح البلاد. وأعطاه كيساً بمائة درهم ، لتكون حفلتهم أبهج الحفلات. وأعلن أنه يُطعم السابلة هذه الليلة. فنصرت الغلمان والصبيان والرجال كل في شأن من إعداد المهرجان وكبت نساء الحومة

داعي الفرح والتعاون فدخلن زرافات ووحداً ملتحفات وغير ملتحفات إلى دار الزوج لَينهنممكنَ في إعداد الزردة. وذهب من ينادي العُدول وذهب برق الليل ينادي العجوز أم المريض ، لأنه لا يعرف دارها إلا هو. وحضر السيد حامد بن النخلي كبير الحومة.

وبينما الغلمان والفتيان يُنظفون البطحاء ويفرشونها بالرمل حضر العُدول والعجوز ، فدخلوا إلى السقفة يتقدمهم السيد حامد ابن النخلي وشرعوا في تحرير العسود.

قبض العالم الشيخ ماله وذهب مفضباً إذ لم يُوفوا له بما وعدوه من كبريت بُركاني. وقبضت العجوز أيضاً ما لها وذهبت فرحانة إذ تمكنت قبل ذلك من استبدال الأسير الكرّسكي بولدها. ونطق الزنجي بكلمة الطلاق. وكتب العُدول حجة عبودية للزوج. لكن الزوج أعتقه فكانت حجة عبودية مذيلة بحجة عتق. واتصل كل ذي حق بحقه. وعزم الزوج على الجماعة أن يبقوا للعشاء وبُشرفوا الحفلة.

«برق الليل» ص 135 – 139

سؤال :

– هل كنت تتوقع مثل هذا التصالح بعد تمتد الاحداث وتقاوم المطاردة وهل وفق الكاتب في التمهيد لهذا الحل في المشاهد والحلقات السابقة ؟

تقديم :

صَبَّ « بَرَقُ اللَّيْلِ » الزَّرْنِخُ فِي آبَارِ الْقَصْبَةِ فَتَسَمَّى مَائُهَا وَشَرِبَ مِنْهُ
عَسْكَرُ شَارِلُكَانَ ، فَتَهَافَتُوا وَأَصَابَهُمْ ذَعْرٌ شَدِيدٌ ، فَاجْتَلَوْا عَنِ الْبِلَادِ ،
وَبَعَدَ رَجُلُهُمْ يَوْمَئِذٍ تَصَالِحَ الزَّرْنَجِيِّ مَعَ أَسْبَادِهِ وَاسْتِعَادَ الشَّيْخَ الْوَلَوْرُ
زَوْجَتَهُ الشَّابَةَ ، وَشَارَكَ الزَّرْنَجِيُّ الْمَعْتَقَ فِي حِضْلِ الزَّرْفَافِ . وَهِيَ هِيَ فِي آخِرِ
لِقَاءِ مَعِ حَسَانِهِ .

خَرَجَ فَوَجَدَ كُلَّ شَيْءٍ مُتَهَيِّئًا . فَأَخَذَ مَطْرَقًا وَجَرَبَهُ
عَلَى جَمِيعِ الْقِسَاوِيرِ وَبَدَأَ التَّقْرِؤَ . وَبَدَأَ الشَّطْحَ أَمَامَ الْعُمُومِ .
وَلَيْسَ فِي اعْتِبَارِهِ الْعُمُومَ إِلَّا عَيْنَانِ يَرَى بِرَيْقَهُمَا مِنْ خِلَالِ
الشَّبَكَةِ فِي الْمَشْرِفِيَّةِ وَأَمَّا الْآخَرُونَ فَاسْتَحَالُوا فِي نَظَرِهِ
إِلَى تِلْكَ الْجَمَاجِمِ وَالْحَيَوَانَاتِ الْمُحَنِّطَةِ الَّتِي اعْتَادَهَا فِي
الْمَخْبَرِ .

أَخَذَهُ مِنَ النَّشْوَةِ وَالِاخْتِمَارِ مَا لَمْ يَعْهَدْ مِنْ قَبْلُ
فَنَسِيَ نَفْسَهُ وَاشْتَدَّتْ حَرَكَتُهُ وَاشْتَدَّ بِهِ الْحَرُّ فَأَزَالَ جَبَّتَهُ ،
ثُمَّ أَزَالَ قَمِيصَهُ وَبَقِيَ فِي مِثْرٍ ظَافٍ عَلَى نِصْفِهِ الْأَسْفَلِ .
فَظَهَرَتْ عَضَلَاتُهُ تَلْمَعُ قَوِيَّةً مَرِنَةً كَعَضَلَاتِ الْجَوَادِ
الْأَذْهَمِ الْكَرِيمِ وَأَصْبَحَ كُلُّهُ نَعْمًا ، نَقَرُهُ وَحَرَكَاتُهُ
وَأَعْصَابُهُ وَدَمُّهُ .

وَدَخَلَ مَعَهُ الْعُلَمَاءُ يُشْطَحُونَ وَيُصَفِّقُونَ وَهُوَ فِي وَسْطِهِمْ
لَا يَبْعِي وَلَا يَكْلُ .

يَدُورُ عَلَى نَفْسِهِ وَيَنْزِلُ حَتَّى يَمْرُشَ الْأَرْضَ بِإِزَارِهِ وَيَبْدُو
كَأَنَّ الْإِجْتِهَادَ أَنْهَكَهُ فَهَسُوا بِسْتَسْلِمٍ رُوَيْدًا رُوَيْدًا ،
ثُمَّ يَنْجَبِرِي فَيَتَخَوَّضُ الرَّقِصَ بِأَشَدِّ مَا كَانَ وَتُسْرِعُ دَقَاتُهُ

فلا تَظْهَرُ الْقُضْبَانَ وَيَصِيرُ النَّقْرُ جَلْجَلَةً طَوِيلَةً مُتَوَاصِلَةً
فِيهَا نَقْمَةٌ وَرَدَّاعٌ فِيهَا بُكَاءٌ وَنُوحٌ فِيهَا حَرْبٌ وَانْطِلَاقٌ.
يَحْنَقُ عَلَى قَوَارِيرِهِ قَارَةٌ فَيَقْسُو عَلَيْهَا وَيَلِينُ قَارَةٌ فَيَلْمَسُهَا لَمْسًا.
ظَهَرَتِ الرَّغْوَةُ عَلَى شَفَتَيْهِ وَتَسْأَلُ النَّاسُ أَطْرَبُ هَذَا أَمْ
الْأَمُّ وَتَوَجَّعُ؟ وَعَجِبُوا لِضِحْكِهِ وَدُمُوعِهِ تَسَاقَطُ.

ثُمَّ تَقَلَّصَتْ عَيْنَاهُ ، وَغَلَبَ الْبُكَاءُ الضَّحْكَ ثُمَّ غَلَبَ الضَّحْكَ
الْبُكَاءَ وَفِي قَهْقَهَةِ جُنُونِيَّةٍ أَهْوَى عَلَى الْقَوَارِيرِ ضَرْبًا عَنيفًا
فَحَطَّمَهَا كُلَّهَا فَتَنَاشَرَزَجَّجُهَا وَسَاحَ مَأْوُهَا وَيَقْرَأَ الْقِرَابَ
وَنَبَذَهُ بَعِيدًا وَكَسَّرَ الْمَطْرَقَيْنِ وَرَمَى بِهِمَا فِي السَّمَاءِ.

وَقَامَ عِنْدَ ذَلِكَ آذَانَ الْفَجْرِ.

فَلَبَسَ ثِيَابَهُ وَأَنْزَوَى فِي رُكْنٍ مِنَ الْبَطْحَاءِ يَنْظُرُ إِلَى
الْخُدَمَانِ يَفْكَوْنَ مَعَالِمَ الزَّيْنَةِ وَيَطْوُونَ الْفُرُشَ وَالْحَصَائِرَ
وَيَلْمُؤُونَ الزَّجَاجَ وَالنَّاسَ يَنْصَرِفُونَ مَبْهُوتِينَ. فَمِنْهُمْ مَنْ حَمَلَ
مَا أَصَابَ صَاحِبَهُمْ ، مَحْمَلِ الْجُنُونِ وَمِنْهُمْ مَنْ حَمَلَهُ مَحْمَلِ
التَّصَوُّفِ.

ثُمَّ بَحَثُوا عَنْهُ فَلَمْ يَقِفُوا لَهُ عَلَى أَثَرٍ.

وَمَرَّتْ أَيَّامٌ وَلَيَالٍ. وَمَرَّتْ أَشْهُرٌ وَسَنُونَ وَلَمْ يَقِفُوا لَهُ عَلَى أَثَرٍ.
وَبَقِيَ حَدِيثَ الْمَجَالِسِ أَجْيَالًا.

فَإِنَّهُ دَخَلَ يَأْخُذُ مَتَاعَهُ مِنْ صَاحِبَةِ الْوَجْهِ الْجَمِيلِ فَوَجَدَ
الْجَمِيعَ نِيَامًا إِلَّا هِيَ.

وَجَدَهَا جَالِسَةً عَلَى حَافَةِ الْجَايِسَةِ وَبِجَانِبِهَا الصَّرَّةُ وَيَبْدِيهَا
الْعَصَا.

اقتَرَبَ منها . فسألتهُ في توَسَّلٍ فيه آخرُ قبسٍ من الرجاء . هلاً
يمكن أن يعدل عن عزمه فأبتَسَمَ ورفعَ يَدَيْهِ كالخاضعِ وقال :
- القواريرُ تَكَسَّرَتْ .

أخذ الصرَّةَ - فوجد حجمها تضاعف فقالت له والعبرات تخنقها :
- شويه عوين للطريق .

وغارت عليه فقبلته واحدةً ، مُفْرَدَةً ، فيها غني الدهر من الحبِّ .
أخذ عصا التسيارِ وأثبت فيها الصرَّةَ ووضعها على كتفه
ومضى مع نسيم الفجرِ :

البشير خريف

« بصرى الليل »

ص 145 - 148

اسئلة :

- (1) ألا ترى ان توادع « بصرى الليل » و« ريم » يناسب تماما جو هذه القصة ؟
- (2) للقوارير ها هنا قيمة رمزية، فما هي؟

مواضيع انشائية

- 1) ان قصة « برق الليل » للبشير خريف تنم عن روح تونسية أصيلة لجمعها بين الخلفية التاريخية والشعبية واللوحات المستوحاة من جو أسواق مدينة تونس العتيقة وأزقتها وضواحيها ولكن لها مع ذلك أبعادا إنسانية عميقة ، حُلل .
- 2) برق الليل بطل قصة البشير خريف مسرح مضحك ومؤثر مشج ، فهو شخصية فكاهية مأسوية في آن واحد . يبين ازدواجه تلك الشخصية من خلال أقوالها وأعمالها ومواقفها .

نُصُوصُ نَكِيلِيَّة

لغات إنسانية خالدة

سُررتُ كثيراً عندما قدّمَ البشيرُ خريفُ ترشُحهُ لِنيلِ جَائزةِ «علي البلهوان» البلديّة سنة 1960 ، فأرسلَ بمخطوط «برق الليل» لأنّه بذلك أقامَ الدليلَ على رِباطة الجأشِ ومضاء العزيمة وبرهنَ على طولِ النَّفسِ وتواصلِ الجُهدِ ، ورفضَ الانحناءَ أمامَ دُعاة العجزِ والهزيمة وضحايا الانبئات الثقافيّة ، الذين لا يَعتَمِدُونَ إلاّ المُقلدَ المُستعارَ من المقياسِ الذوقيةِ والقواعدِ الأدبيّةِ والفنّيّةِ وزاد سُروري عندما فازَ صاحبُ «برق الليل» بالجائزة. وأشهدُ للتاريخِ - بعد مرورِ أحدَ عشرَ عاماً بوصفي رئيسَ اللجئةِ الثقافيّةِ لبلديّة تُونس حينذاك وبالتابعِ مُشرفاً على الهيئةِ المسؤولّةِ عن هذه الجائزة - أن الأمر لم يَكُنْ ميسُوراً لأنّ بعضهم استهانوا بهذه الرواية التّاريخيّة وتسرعوا في الحُكْمِ عَلَيْهَا دُونَ أَنْ يُحاوِلُوا الإفلاتَ من قيودهم المدرسيّة ولو استقامَ لهمُ ذلكَ لكَرَعُوا من روائِها الشعريِّ وتفاعَلُوا مع شخصياتِها في عظمتهم وحقارتهم ، في آلامهم وآمالهم ، في قُدْرَتهم وَعَجْزهم ، في توقّهم إلى الأعلى والأجْمَلِ ونزوعهم إلى المُطلقِ ، ولَوَجَدُوا فيها لَمَسَاتِ إنسانيّةٍ خالدةٍ لأنّها صوّرتْ كأحسن ما يَكُونُ التّصويرُ العواطفِ والخلجاتِ البشريّةِ الصّميّةِ العالقةِ بالكيانِ الإنسانيّ مَهْمَا اختلفَ المَكَانُ وتعاقَبَ الزمانُ ، فهِيَ كغيرِها من قصصِ البشيرِ خريفِ قصّةٍ تُؤاسيسيّةٍ يَدُلُّ على ذلكَ تَبْجَاؤُهَا الشَّعبِ معَ الحَلَقَاتِ الإذاعيّةِ المُقتبسةِ منها ولو كُتِبَ لها أن تَكُونِ مَوْضُوعَ شريطِ سينمائيٍّ وتَظْفَرِ

بالمُخْرَجِ الْمُقْتَدِرِ لَكَانَ لَهَا صَدَى بَعِيدٌ يَتَجَاوَزُ حُدُودَ
بِلَادِنَا بِدُونِ مُنَازَعٍ .

محمد مزالي

من مقدمة « مشموم الفيل »

الدار التونسية للنشر 1971 ص 7 - 8

برق الليل بين الواقع التاريخي وَألف ليلتك وليدتك

يعتقد الكثيرون أن كتابة القصة التاريخية أيسر على الأديب وأهون شأنًا من كتابة قصة إنسانية أو عاطفية أو اجتماعية ... الخ .. ذلك ان الأديب لا يبذل جهدا في البحث عن المادة الخام وانسا يجدها متوافرة بين يديه ممثلة في الاحداث التي تزخر بها كتب التاريخ يتتقي منها ما يحاسو له ويفرغها في قالب الفن ليخرج منها بما يشاء من قصص غير أنني أرى أن كتابة القصص التاريخية هي أصعب ألوان الكتابة الأدبية فالكاتب في هذا المجال لا تتوفر له الحرية الكافية في بناء عمله الفني فهو ملزم بعد ذلك بأن يرسم شخصيات قصته ويحركها في نطاق ذلك الاطار التاريخي المحدود. من أجل ذلك تحتاج القصة التاريخية الى كاتب راسخ القدم على درجة عالية من الامتياز والكفاية بحيث يحسن أولا اختيار المواقف واللقطات التاريخية التي تجيش بالحركة وتفيض بالحياة ثم يحسن بعد ذلك اختيار الشخصيات التي لا تتعارض مع الواقع التاريخي على ان يكون من بينها شخصية فذة غير عادية تصلح لدور البطولة بما تنفرد به من صفات الشجاعة والإقدام والإحسان الى الغير ومقاومة الظلم .. الخ .. وتجلى مقدرة الكاتب في هذا المجال في الربط بين الأحداث التاريخية والعلاقات الانسانية التي تزخر بها القصة بحيث تغلو الأحداث التاريخية ضرورة فنية لا كتمال مَقْومَات البناء القصصي وتغدو العلاقات الانسانية وكأنها جزء لا يتجزأ من أحداث التاريخ الكبرى وعندنا تليقت رواية « برق الليل » للأديب البشير خريف وطالعت على خلافتها هذه الكلمات :

« هذه قصة شعبية تاريخية بطلها برق الليل الذي عاش أحداثاً تاريخية

خطيرة في القرن العاشر الهجري فقد شاهد قدوم خير الدين بربروس والاحتلال الاسباني لتونس والمقاومة الشعبية لهذا الاحتلال «، ووجدت الدكتور الطاهر الخميري يقدمها الى القراء ويصفها بأنها (يمكن أن نسميها قصة غرامية تاريخية) وقرّ في ذهني على الفور أنني أمام منافس أو زميل جديد للاستاذ محمد فريد ابو حديد غير أنني عندما اخذت اطالع القصة وانتقل بين فصولها المختلفة حتى وصلت الى نهاية الصحائف دون ملالة أو استكراه خطر لي هذا السؤال، ألا تصاح هذه الرواية أن تكون جزءا مكتملا لألف ليلة التي ظهرت في المشرق العربي منذ عديد من السنين أو بمعنى آخر ألا يمكن اعتبارها الجزء الاول من كتاب يطلق عليه ألف ليلة وليلة الجديدة يضم ما يماثلها من اقايصيص في المغرب العربي؟ ولا يظنني أحد القراء أنني أمزح أو أنتقص من قدر القصة بهذا الكلام وانما هو سؤال ألح وما زال يلح عليّ بعد أن قرأت القصة مرة ومرات وعشت مع أحداثها وشخصياتها .

فوزى عبد القادر الميلادي

« دراسات عن القصة التونسية المعاصرة »

برق الليل للبشير خريف ص 77 - 78
مجلة قصص عدد 13 - الدار التونسية للنشر

1969

قصص تونسي متع

إنّ التعمق النفساني ذا الاتجاه المنهجيّ العلميّ، وكذلك إبداء الآراء الفلسفية ليس من شأن فنّان ملهم من صنفك الذي يروقي .

كفى القاص أن ينقل إلينا تجربته كما سجلها بأوفر ما يمكن من الأمانة والصدق، وبأمتع وأحكم أسلوب فني - وما عليه بعد هذا أن ينقلب إلى علامة نفساني أو واعظ أخلاقي . ليدع لسان الحال يتكلم من خلال الأحداث، ليدعه وحده يعبر عن واقع الإنسان وحقائق الحياة، فما أفصحه لساناً، وما أبرعه في سوق العبرة إلى الإلباب، وما أسمع القصص ذا الاتجاه العلمي أو الوعظي . . . ولكن العلم والموعظة منبثقان دوماً من حنايا قصصك وسواء قصدت إلى ذلك أم لم تقصد، وتلك هي خارقة الشعر والفن الملهمين الخالصين. إن فلسفة برمتها لمنبعثة من مطاوي قصصك، وإن أهملت تسطيرها، وأغفلت تقريرها . . . وليس من غرضي السّاعة إن أعمد إلى استخراجها وإيضاحها وتحليلها. فلقد يكون ذلك قتلاً لها، وتضييقاً لمجالها الفسيح المتناول أرجاء هذا العيش الإنساني الزاخر العباب . . . ولكنني أميل إلى القول إنها فلسفة رصينة متلدة موسومة بطابع تشاؤم مترن وديع، وتلك هي المسحة الشرقية العريقة اللطيفة التي يمتاز بها هذا الاتجاه في تأثره بتيارات الغرب ...

وبعد فنحن أمام قصص تونسي ممتع دسم ثريّ فائق الأسلوب واضح ملامح الشخصية والفكر قد انصهرت في بوتقته مختلف العناصر والتأثيرات دون أن تفقده منحاه التونسي الرائع الأصيل، أو تقصيه عن مغزاه الإنساني الناصع الجليل .

وبالآخرة، فأنا ما قمت إلا ببعض ما يجب من إكبار وإجلال لعمل

حريّ بالتقدير . وكفاه فخرا أنه أقام الدليل واضحاً على أن القصة ليست بهذا العمل الضخم المستعصي لإنجازه على القريحة العربية. بيد أن هذه العبقريّة التونسيّة عليها أن تتوخى في إبراز ذاتها منحها الخاص بها ، لا أن تعتمد إلى التلفيق والتركيّب المزجي والتشكُّرِ لحقيقتها وماضيها ، متشبّثة بأذيال غيرها تشبّثاً سخيفاً. ليس من شأن قصاصنا التونسي المنتظر ، — ولقد كنت يا أخي بالفعل ذاك المهدي المنتظر لقصتنا التونسيّة ، فلم يعد مهدينا منتظراً إذن مذ بعث إلى الوجود وبعثت القصة التونسيّة معه — ليس من شأن قصاصنا التونسي ان يكون صورة طبق الاصل من موبصان أو دستويافسكي ولا حتى من محمود تيمور — لا نلتمس منه إلا أن يكون تونسياً أي أن يكون شخصياً نجد فيه صورة ممتعة صادقة من أنفسنا ومشاكلها ، ومتحفناً أخذاً لمشاهد مجتمعتنا ، وعرضاً رائعا لمعضلات هذا الكون الانساني في مجموعته مما يزودنا بحكمةٍ ويملؤنا عبرةً ويفتح لنا شواسع الآفاق . . ويعرفنا بحقيقة أنفسنا بما حوته من ظلام وضياء .

فهذه كلمة وجيزة مقتضبة عن فنك القصصي الذي قد حرك مشاعري وأيقظ أفكارني .

الصّادق مازيغ

« قصص البشير خريّف في الميزان »

مجلة الفكر عدد ماي 1962

شخصيات قصة بركة الليل

التزمت القصة الواقع التاريخي الى حد كبير فالمؤلف لم يخرج عن الأحداث التاريخية الكبرى ولم تقف تلك الاحداث عتبة في سبيل بناء القصة وإنما على العكس طوّع تلك الاحداث فلم تبد كأنها دخيلة على القصة وإنما بدت جزءا متمما لها. أما ما أضافه المؤلف الى التاريخ فلا يعدو الجزئيات وهو أمر سائغ لكاتب القصة التاريخية ولا تثريب عليه في ذلك طالما لا يتعارض مع الأحداث الرئيسية ومثال ذلك تأمر زوجة شعشوع عليه والحقيقة أن المؤلف قد أحسن اختيار الحتمية التاريخية التي جعل منها مطرحاً لأحداث قصته في فترة من تاريخ المغرب تنبض بالحياة وبالأحداث المثيرة كما أنه أحسن اختيار شخصياته سواء من بين شخصيات المجتمع أو شخصيات التاريخ .

فهذا برق الليل يمرق في ظلام الليل ووضح النهار كالأسطورة يجب ويكره يضحك ويبيكي يعمل ويتبطل وفي النهاية يرحل بعد أن يسمم الآبار أمام الغزاة الغاصبين . وهذا شعشوع تونسي الأصل تركي الولاء يدور في أعماقه صراع بين ولائه لِمَقْوَومِهِ وولائه للراية التي يعمل تحتها ثم لا يجد حرجاً في التوفيق بينهما بعهد الصلح بين الفريقين فذلك أجدى في نظره ونظر الكثيرين من قومه من الخضوع للوالي الحفصي الذي يدين بالولاء للفرنجة. وهذا الباشا التركي واسع الحيلة شديد الذكاء يتظاهر بالاعتزاز بالرابطة الدينية التي تربط المسلمين في جميع أنحاء الارض ومع ذلك يخلق به الخطر من كل جانب فلا يملك إلا الانسحاب وأعداء موعدا ولا تَمَرُّ سنوات ثلاث حتى يَبْرُ بوعده ويُنزَل بالفرنجة وبأسطولهم ضربة قاضية.

وهذا يسوقنا الى هذا السؤال : من هو بطل هذه الرواية هل هو برق

الليل أم شعشوع أم الباشا التركي ؟

إنّ دور البطولة يقتضي أن يفرد أحد شخصيات الرواية بالجزء الأكبر من اهتمام المؤلف والقارئ على السواء وبرق الليل هنا وان كان المؤلف قد ألقى الضوء على جوانب عدة من شخصيته وتصرفاته إلا انه كثيرا ما كان يحتجب خلف الأحداث الكبرى. بل ولم يضطلع في القصة كلها بدور إيجابي له قيمته سوى تسميم الآبار وقت رحيله.

أما شعشوع فإن دوره كان مقصورا على خدمة الباشا ورعاية مصالح قومه في الوقت نفسه ثم التفت الى ملذاته .

وأما الباشا نفسه فلم يكن يَظهر الا في المواقف الحرجة وان كانت سيرته على كل لسان هذا الى جانب ظلال قائمة كانت تشوب حياة الرجال الثلاثة وتَنقُصُ من قدر العظمة النفسية لكل منهم .

فبرق الليل يسرق النصوص في المدافن ولا يرعى حرمة الموتى وشعشوع يخطف امرأة من زوجها وعندما تبعث اليه بمنديلها مبللا بالدموع يسخر منها ومن عواطف النساء جميعاً وما أن يتزوجها حتى يعجب بصديقته النصرانية ويتزوجها أيضاً ويجعلها موطن سره مسا عَجَلٌ بوقوع الكارثة وهذا الباشا التركي وان كان ينصر العرب على الفرنجة ، ويحارب الخونة والدخلاء الا أنه نشأ قرصاناً يعتمد على النهب والسلب وظل كذلك فترة طويلة من الزمان .

والذي يبدو ان امتزاج العنصر الاجتماعي بالواقع التاريخي وتشابك أحداث القصة وتعددتها وتعدد ألوان الصِّراع ما بين عاطفي وسياسي واجتماعي كل ذلك وان كان قد أفاد البناء الفني للقصة الا انه حرم القصة في النهاية من ظهور شخصية تفرد بالبطولة وتكتمل لها مقوماتها .

ونعود الى شخصية برق الليل بشيء من التأمل والدراسة . . هذه الشخصية

ليست غريبة علينا ولا أريد أن أقول ان شخصية برق الليل هنا مستوحاة من شخصية عترة العبي الفارس الاسمر ، كما رسمتها القصص والأساطير العربية فعترة كان يقوم بلمور قيادي في تلك القصص والأساطير وقد اكتملت له مقومات شخصية البطل التي يفتقدها برق الليل.

ولست ازعم أن شخصيتي برق الليل وشعشوع قد استوحاهما المؤلف من شخصيتي ليني وجورج رفيقي السفر والكفاح في مسرحية شتاينيك «رجال وفتران» ذلك أن برق الليل وان تشابه مع زميله ليني في القوة الجسمانية وارتباطه بصديق اوفر حظاً من المعرفة وأكثر خبرة بالحياة الا ان برق الليل كان يبدو دائماً على عكس ليني مستقل الشخصية حاضر البديهة سريع الحركة ولكن الذي أكاد أجزم به أن المؤلف قد استوحى شخصية برق الليل من شخصية العبد الاسود في مقدمة ألف ليلة وليلة وهو العبد الذي تسبب في أن يقتل شهریار زوجته وكلّ زوجة تليها حتى وقع في حبائل شهرزاد مع فاروق بسيط هو أن مؤلف برق الليل لم يقع فيما وقع فيه مؤلف ألف ليلة وليلة من تورط العبد في علاقة آثمة تودي في النهاية بحياته وحياة المرأة التي أسلمت اليه قلبها وهي الملكة في ألف ليلة وليلة وريم في رواية برق الليل . وجعل أدينا التونسي لقاء العبد بالمرأة في اطار علاقة الزوجية التي أريد لها ان تكون وقتية، ومرجع ذلك هنا وهناك ضرورة البناء القصصي فألف ليلة وليلة تقوم أساساً على ضبط العبد متنسلاً بجريمته وما تلا ذلك من انتقام بشع وكان ذلك التمهيد الطبيعي لظهور شهرزاد على مسرح الحوادث لكي تروي على مسامع شهریار القصص والأعاجيب ، أما في رواية برق الليل فقد اقتضت الضرورة الفنية أن يظل الزنجي الاسود حياً حتى آخر صفحة من صفحات الرواية حتى يشاهد الأحداث الجسماء ويشارك فيها بالقدر الذي أتيح له ثم يودع في النهاية محبوبته أسفاً وهو في طريقه الى المجهول وليس هذا هو الخيط الوحيد الذي

يشدّ هذه القصة الى الف ليلة وإنما أيضاً الجو العام للقصة ورسم الشخصيات فإن من يطالع القصة يشعر لاهولة الأولى أنه يعيش في جو مشبع بسحر ألف ليلة وخيالاتها وأوهامها ويشعر ان هذه الشخصيات التي يراها تسير في شوارع تونس سبق أن التقى بها أو بمثيلاتها في شوارع بغداد ودمشق وبلاد واق الواق فهذا شيخ وقور يخلط العقاقير ويرصد النجوم ويعد العدة لاكتشاف اكسير الحياة وهذا عبد زنجي يرقص نشوان على صوت موسيقى صاحبة وامرأة حسناء يغيب عنها زوجها فتقفز من سطح الى سطح يجذبها صوت الموسيقى وتطل على الزنجي وتختفي كالأسطورة، وبجانب ذلك الدلائل وجواربه والعجائز والصبية والسيد والغلمان والدسائس والمكائد والمؤامرات .

اذا كان السيد المؤلف لم يقرأ ألف ليلة وليلة فأنا أهنته على خياله الواسع العريض واذا كان قد قرأها فأنا أهنته على حسن الاستفادة من تراثنا العربي القديم وهو أمر لا ينتقص كثيرا من قدر القصة ولا يصح أن يوجه اليه بسببه لوم أو . . عتاب.

واذا كان هناك جمال للعتاب فهو أن المؤلف ترك فرصة ذهبية تضيع من بين يديه ولم يهتبلها هي فرصة إبراز بطل وطني من بين صفوف الشعب التونسي يقود مقاومته ويذكي شعوره القومي ضد الغزاة والدخلاء والخونة على السواء .

ولعل المؤلف قد استشعر أهمية وجود هذا اللون من الوطنية فأشار في الكلمة المنشورة على غلاف روايته الى ان برق الليل قد شاهد المقاومة الشعبية للاحتلال الإسباني ومع ذلك فالقصة تكاد تكون خالية من كل لون من ألوان تلك المقاومة الشعبية اذا ما استثنينا تسميم الآبار في السطور الاخيرة. ولا يفوتني ان انوه بأن هذه القصة قد نالت جائزة بلدية تونس لعام

1969 ولا إخالها قد نالت تلك الجائزة التي لها أهميتها في القطر التونسي إلا عن جدارة واستحقاق.

وأخيراً فإذا كان الدكتور طاهر الخميري قد تمنى في ختام مقدمته أن يرى هذه القصة في صورة فيلم يعرض على الشاشة البيضاء قريباً فإنني أتمنى أن أراها قبل ذلك في طبعة جديدة في المشرق العربي وقد استبدل المؤلف بحواره الدارج حواراً عربياً سليماً فنحن أحوج ما نكون اليوم إلى امتزاج الثقافات العربية المتعددة المنابع والمصادر وألف تحية لأدباء المغرب .

فوزى عبد القادر الميلادى

« دراسات عن القصة التونسية المعاصرة »

مجلة قصص عدد 13 سنة 1969

ص 91 — 95

أرب أصيل نافذ إلى صميم الإنسان

كانَ البَشِيرُ خَرَيْفٌ فِي السَّتِينِيَّاتِ - وَفِي مُقَدِّمَةِ نُخْبَةِ
مِنَ الْأَدْبَاءِ - ثَائِرًا... عَلَى الْقِصَّةِ الْقَدِيمَةِ نَاقِمًا عَلَى فَنِّيَّاتِهَا
الْعَتِيقَةِ وَقَوَالِهَا الْجَامِدَةِ ، خَالِقًا لُغَةً جَدِيدَةً ، وَاهِبًا الْكَلِمَاتِ
شُحْنَةً وَجَدَانِيَّةً مُوحِيَّةً وَمُحْتَوَى ذَهْنِيًّا طَرِيفًا.

وإنَّه لَمْ يُقَلِّدْ الْغَيْرَ وَلَا انْبَهَرَ بِالتَّيَّارَاتِ الْحَدِيثَةِ الْمُسْتَوْحَاةِ
مِنَ بَيْتَةِ غَيْرِ الْبَيْتَةِ التُّونِسِيَّةِ ، لِيُقَالَ إِنَّهُ مُنْسَجِمٌ مَعَ
أَقْرَبِ الْمَدَارِسِ الْأَدْبِيَّةِ إِلَى رُوحِ الْعَصْرِ وَالصِّقْهَا بِالطَّبِيعَةِ
وَالطَّلَاةِ عَيْسَةً .

وَهُوَ لَسَنٌ طَالِعٌ كَثِيرًا وَتَعَدَّى بِأَشْهَى ثَمَرَاتِ الثَّقَافَةِ
الغَرْبِيَّةِ وَالشَّرْقِيَّةِ - لَسَمٌ يَرْضَى بِالتَّبَعِيَّةِ وَلَا ظَلَمٌ مَشْدُودًا
يَبْصِرُهُ وَوَجْدَانَهُ وَعَقْلَهُ إِلَى الشَّمَالِ أَوْ إِلَى الشَّرْقِ بَلْ نَظَرَ إِلَى نَفْسِهِ
وَإِلَى مُجْتَمَعِهِ وَأَسْتَمَدَ تَجْرِبَتَهُ مِنْ تُونِسَ ، مِنْ الْبَيْتَةِ الَّتِي
عَاشَ فِيهَا طَوْلَ شَبَابِهِ وَعَاشَرَهَا مُعَاشِرَةَ الصَّدَقِ وَأَحْبَبَهَا
وَأَخْلَصَ إِلَيْهَا كَأَصْفَى وَأَرُوَعَ مَا تَكُونُ الْمَحَبَّةُ وَالْإِخْلَاصُ .

وَهَذَا مَعْنَاهُ أَنْ قِصَصَ الْبَشِيرِ خَرَيْفٍ لَيْسَتْ مِنْ النَّوْعِ
الَّذِي يَنْعَتُهُ الْبَعْضُ بِالْفَلَكْلُورِ أَوْ الْأَدَبِ الْإِقْلِيمِيِّ الضَّيِّقِ لِأَنَّهُ
يَتَجَاوَزُ الْأَلْوَانَ الْمَحَلِّيَّةَ وَالْإِطَارَ الْمَحْدُودَ وَيَنْفُذُ إِلَى صَمِيمِ
الْإِنْسَانِ ، فَهُوَ يُحِبُّ تُونِسَ مَحَبَّةً لِلْإِنْسَانِيَّةِ وَيُؤْمِنُ بِهَا
إِيمَانَهُ بِنَفْسِهِ ، وَيَشْعُ فِكْ هَذِهِ الْمَحَبَّةِ وَهَذَا الْإِيمَانَ
وَيُعَرِّفُكَ بِنَفْسِكَ وَبِخِصَائِصِ وَطَنِكَ مَعًا ، وَهُوَ مَعَ هَذَا
يُغَدِّبُكَ وَيُمْتَعِّكَ وَيُدْفَعُكَ إِلَى التَّأَمُّلِ فِي مَنْزِلِكَ .

وَلَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنْ أَدْبَاعَنَا الشُّبَّانَ مُطَالِبُونَ بِالْبِقَاءِ
 فِي فَلَكَ الْبَشِيرِ خَرِيفٍ وَالتَّقْيِيدِ بِمَدْرَسَتِهِ أَوْ بآيَةِ مَدْرَسَةِ
 أُخْرَى ، بَلْ إِنْ فِي الْإِبْتِعَادِ إِخْلَاصاً لِسُهُ وَبِرّاً بِهِ . وَلَكِنَّهُمْ
 إِذَا رَامُوا الْأَصَالََةَ وَطَمَحُوا إِلَى الْأَدَبِ الْكَبِيرِ فَهَمُّ مَضْطَرُونَ
 إِلَى رِيَاضَةِ أَنْفُسِهِمْ عَلَى خِصَالِهِ : الثِّقَّةُ فِي النَّفْسِ ، وَرَفْضُ
 الْوَلَاءِ لِلْأَغْيَارِ وَتَحَاشِي «الْخِيَانَةِ» الْحَضَارِيَّةِ ، وَالْإِيمَانُ بِأَنَّنا
 عَلَى قَدَمِ التَّسْكَافِيهِ الْوَجْدَانِيِّ وَالذَّهْنِيِّ مَعَ الْأَجَانِبِ ، وَمُضْطَرُونَ
 أَيْضاً إِلَى اسْتِحْيَاءِ قِصَّتِهِمْ - وَأَدْبَهُمْ بِصِفَةِ عَامَّةٍ - مِنْ تُونِسَ
 بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنِ النَّمَطِ الْفَنِيِّ الَّذِي يَخْتَارُونَهُ فِي كِتَابَتِهِمْ ،
 بَحِيثٌ يُصَوِّرُونَ خِصَائِصَ بَيْتِهِمْ وَيَسْتَمِدُّونَ أَحْدَاثَهُمْ مِنْ
 مُحِيطِهِمْ وَيَكُونُونَ أَمْسَاءَ لِرُوحِ شَعْبِهِمْ وَنَظَائِرِهِ
 لِلوُجُودِ وَيَعْتَقُونَ إِنْسَانِيَّتَهُمْ مِنْ دُونِ سِبَاحَةِ فِي الْوَهْمِ
 وَلَا شَطَحَاتِ فِي الزَّيْفِ .

وَلَا عَلَيْهِمْ إِذَا هُمُ نَسَالَهُمْ - بَعْدَ ذَلِكَ - التَّهْمُ ،
 وَقَسَا عَلَيْهِمُ النُّقَادُ ، وَظَلَمَهُمْ نَفْسٌ مِنَ الْأَسَاتِذَةِ
 «وَالِإِخْتِصَاصِيِّينَ» ، فَطَرِيقُ الْخَلْقِ الْفَنِيِّ الْحَقُّ مَحْفُوفَةٌ
 بِالْأَشْوَاكِ وَلَسُنْ يُبْجِنِي الْأَدَبُ التُّونُسِيُّ الْأَصِيلُ إِلَّا بِفَضْلِ
 الْمُؤْمِنِينَ الْقَسَادِرِينَ عَلَى التَّضْحِيَّةِ أَيْ عَلَى الْبَسْدِ وَالْعَطَاءِ .
 وَمِنْ هُنَا كَانَ الْأَدَبُ الْأَصِيلُ مِنْ نَسْوَعِ الْمَلْحَمَةِ لِأَنَّهُ جِهَادٌ
 مُضْنٌ وَمَخَاضٌ هَائِلٌ وَتَجَسَّوْرٌ مُتَوَاصِلٌ وَخَلْقٌ مُسْتَسْرَرٌ
 لِلذَّاتِ وَتَقْيِيمٌ مُتَجَدِّدٌ لِلْكَوْنِ وَتَنْغِيصٌ لِأَشْوَاقِ الْوُجُودِ ؟

محمد مزالي

من مقدمة «مشوم الفل» للبشير خريف مجموعة أقاصيص

الدار التونسية للنشر 1971 ص 9 - 11

فهرس الوضوءات

الصفحة	المؤلف	الموضوع
5		مقدمة
9		ابن هاني
10		ترجمة وتمهيد
11		التعريف بابن هاني
16	القلقشندي	العيديون
19	حسين مؤنس	أخطار واجهها العيديون
22	أحمد أمين	الإمامية
25	حسن إبراهيم حسن	تأسيس مدينتي المهديّة والمنصورية
28	حسن حسني عبد الوهاب	التعليم في جامع عقبة بالقيروان
33	» »	بيت الحكمة والحركة العلمية بالقيروان
41	» »	اعتناء الملوك الفاطميين بتثقيف أبنائهم
45	الدكتور منير ناجي	بإفريقية
51		ابن هاني والصراع العقائدي
53	ابن هاني	المعزيات
56	» »	دعاني لكم ودّ
58	ابن هاني	الفاطميون وعقيدة الإمامة
63	» »	أنت ولي الثأر
		ابن وحي الله

الصفحة	المؤلف	الموضوع
69	ابن هاني	هدية من أعطى النصيحة حقها
75	» »	لك البر والبحر
83	» »	وَبَعَثَتْ بِالْأَسْطُولِ
90	» »	فليعبدوا غير المسيح
95	عثمان الكعك	سبب انتقال الفاطميين إلى مصر
99	حسن ابراهيم حسن	الجامع الأزهر
105	ابن هاني	وَدَاعَ جَوْهَرَ
110	» »	هل فُتِحَتْ مِصْرَ
117	» »	أسفي على الأحرار
121	» »	ما شئتَ
126	عثمان الكعك	وصية المعز لشيوخ كتامة
129	» »	خروج المعز إلى القاهرة
131	ابن هاني	لديك جنود الله
135		تميم بن المعز لدين الله الفاطمي
136		ترجمة وتمهيد
137		التعريف بتميم
138	من مقدمة الديوان	تميم بن المعز الفاطمي في افريقية
143	» » »	تميم في مصر
146	» » »	حياة تميم الالهية
148	عثمان الكعك	جانب مهمل من شخصية تميم
150	حسن حسني عبد الوهاب	الفن الفاطمي
154	» » »	الموسيقى أيام الفاطميين
158		وصف المجالس والرياض والصيد ومتفرقات

الصفحة	المؤلف	الموضوع
158	تميم بن المعز	هذه حالنا
161	» »	مجلس أنس
163	» »	نقيشة شعريّة
166	» »	روضة وخمريّة
173		أبو الحسن علي الحصري القيرواني
175		التعريف بعلي الحصري
178	حسن حسني عبد الوهاب	مميزات العصر الصنهاجي
181	عبد الرحمان ياغي	محنة الفقيه أبي اسحاق المعافري
186		الظروف السياسية لسقوط القيروان
191	علي الحصري	رثاء القيروان
196	علي الحصري	لو عاش لي عبد الغني
201	» »	خبث الزمان
205	» »	قطع الضر أمامي كبدي
208	» »	يا قتيل الرعاف
211	» »	خذ بيدي
213	» »	قلبي عليه شاط
215	» »	ظلمتني يا زمان فيه
217	» »	ضيق فيك حقي
219	» »	غالبنني الدهر في حبيبي
221	الشاذلي بويحيى	شعر علي الحصري آية من آيات الفن البشري
224	علي الحصري	يا ليل الصب
227	» »	المعشرات
231		متفرقات قيروانية ومهدوية
232		متفرقات
233	علي بن الإيادي	قصر المنصورية
235	» »	روضة

الصفحة	المؤلف	الموضوع
236	ابن عبدون الوراق	فلم أجد البسكا
238	أبو القاسم الفراري	فخر القيروان
240	ابن زنجي الكاتب	قتل الشيعة
	علي بن محمد الخولاني	زمن الضياع
243	الحداد	
	أبو الفضل محمد بن	رثاء القيروان
244	عبد الواحد البغدادي	
246	عبد الكريم النهشلي	وصف فيل
248	علي بن أبي الرجال	إختلاف الناس وقلّة إنصافهم
248	» » »	الحنين إلى الوطن
250	محرز بن خلف	أطلال مدينة قرطاجنة
253	أبو طاهر النجيب	ليلة بمالقة
255	إبراهيم الحصري	الياسمين
257	ابن حمديس الصقلي	حرب جربة
259	أبو الفضل ابن النحوي	انتظار الفرج
260		الرقيق القيرواني
261		ترجمة الرقيق القيرواني
262	إبراهيم الرقيق	الحاجب عبد الوهاب وولعه بالغناء
266	» »	النزهة في سلقطة
269		ابن رشيق القيرواني
270		ترجمة بن رشيق
271	حسن حسني عبد الوهاب	المعز بن باديس
276	» »	عصر الطوائف والأدب بإفريقية
280	» »	نلاط المعز بن باديس وحاشيته
284	» »	الفنون بين تونس والأندلس
290	عبد الرحمان ياغي	صورة عن المجالس الأدبية بإفريقية

		مجالس اللهو في القيروان في عصر بني
294	» »	زيري
297	» »	النقد الأدبي في إفريقية أيام بني زيري
300	ابن رشيق	الشعر
306	» »	حد الشعر وبنيته
309	» »	القدماء والمحدثون
313	» »	افتتاح القصائد
315	» »	الشعر
316	» »	فحل إوز
317	» »	التماس الدعاء من الصلحاء
318	» »	حيتان جبك
319	» »	مرثية القيروان
327		ابن شرف القيرواني
327		التعريف بابن شرف
328	ابن شرف	آه للقيروان
331	» »	بعد نكبة القيروان
332	» »	وَدَدْتُ أَنْتِي طائر
334	» »	حمائم أظللن الوكور
335	» »	نقد الشعر
338		تميم بن المعز بن باديس
339	تميم بن المعز بن باديس	عيش لذة
340	» »	تقلب الدهر
340	» »	منافق
342		أبو الصلت أمية
343		التعريف بأبي الصلت أمية
344	أبو الصلت أمية	مدح حسن بن علي بن يحيى بن تميم

الصفحة	المؤلف	الموضوع
347	» »	وصف قصر
349	» »	الإصطرباب
352	» »	البراغيث
355		برق الليل
356		تمهيد
357		التعريف بالبشير خريف
359	البشير خريف	خريف يحدثك عن نفسه
362		تقديم قصة برق الليل
367		الخبر عن استيلاء خير الدين باشا على الحاضرة أحمد بن أبي الضياف
374		مختارات
375	البشير خريف	برق الليل
379	» »	وجه امرأة كأنها من الحور العين
381	» »	ريم تطلب المؤانسة
385	» »	عقاب الزنجي وصاحبة الوجه الجميل
387	» »	لقاء مع شعشوع
393	» »	برق الليل يتندب تياسا
397	» »	ذكريات السبي
403	» »	خير الدين يدخل العاصمة
408	» »	برق الليل يتعاطف مع الأسرى
411	» »	برق الليل يبحث عن حسائه
413	» »	العبد الأبرق يطارد
417	» »	الزحف الإسباني
421	» »	خيالة
426	» »	تصالح
430	» »	وداع

الصفحة	المؤلف	الموضوع
434		نصوص تكميلية
435	محمد مزالي	لمسات إنسانية خالدة
	فوزي عبد القادر	برق الليل بين الواقع التاريخي
437	الميلادي	وألف ليلة و ليلة
439	الصادق مازينغ	قصص تونسي ممتع
	فوزي عبد القادر	شخصيات قصة برق الليل
441	الميلادي	
446	محمد مزالي	أدب أصيل نافذ إلى صميم الإنسان

فهرس الخرائط والصورة

صورة الغلاف : نقش فاطمي يمثل صورة أمير متوج وعلى يمينه مطرب
— القرن الرابع الهجري — المهديّة — « المتحف القومي بباردو »

- | | |
|-----|---|
| 18 | 1 — الغزو الفاطمي |
| 24 | 2 — باب زويانة « المهديّة » |
| 32 | 3 — جامع القيروان « بيت الصلاة » |
| 59 | 4 — سفينة عربية من القرن السابع هجري |
| 67 | 5 — نسيج من العصر الفاطمي |
| 67 | 6 — خريطة تمثل حملة جوهر على المغرب |
| 76 | 7 — خريطة صقلية |
| 78 | 8 — منظر عام لميناء المهديّة القديم |
| 86 | 9 — خريطة الإمبراطورية البيزنطية في القرن الحادي عشر |
| 110 | 10 — بيت الصلاة في مسجد الأزهر من عهد المعز لدين الله |
| 104 | 11 — رسم بالحبر على ورق يمثل محاربين من العصر الفاطمي |
| 113 | 12 — خريطة فتح الفاطميين لمصر |
| 114 | 13 — خريطة تمثل اتساع الدولة الفاطمية |
| 128 | 14 — صورة الأزهر |
| 157 | 15 — نسيج فاطمي |
| 153 | 16 — حشوة من الخشب فاطمية تمثل فروعاً نباتية ورأسي
حصانين |
| 156 | 17 — طبق من الخزف فاطمي |
| 160 | 18 — طبق من الخزف فاطمي يمثل أميراً على فراشه يستمع إلى
الغناء |
| 165 | 19 — جزئية من باب خشبي فاطمي |

- 169 — طبق من الخزف فاطمي يحمل صورة عازف على العود
- 170 — جزء من حشوة من العصر الفاطمي
- 177 — خريطة المغرب في القرن الحادي عشر
- 190 — خريطة المدن التي مر بها علي الحصري
- 351 — اسطراب عربي قديم
- 356 — صورة البشير خريف
- 361 — عينة من مسودة برق الليل
- 366 — الجيش الإسباني يستيخ العاصمة
- 366 — الجيش الإسباني يستيخ العاصمة : مشهد حي من الغنيمة
- 396 — سوق العيد في يابد باليمن
- 416 — نزول القوات الإسبانية بمرسى حلق الوادي
- 425 — معركة ثغر حلق الوادي



www.lisanarb.com



twitter مكتبة لسان العرب



facebook مكتبة لسان العرب



instagram مكتبة لسان العرب



youtube مكتبة لسان العرب



www.lisanarb.com



مكتبة لسان العرب

www.lisanarb.com

lisanerab.com

رابط بديل

طبع بمصنع الكتاب
للشركة التونسية للتوزيع
تونس

جميع الحقوق محفوظة

© S.T.D. - SOCIETE TUNISIENNE DE DIFFUSION
5, AVENUE DE CARTHAGE - TUNIS 197.



مكتبة لسان العرب

www.lisanarb.com

lisanerab.com

رابط بديل

الشركة التونسية للتوزيع
5 شارع قرطاج - تونس